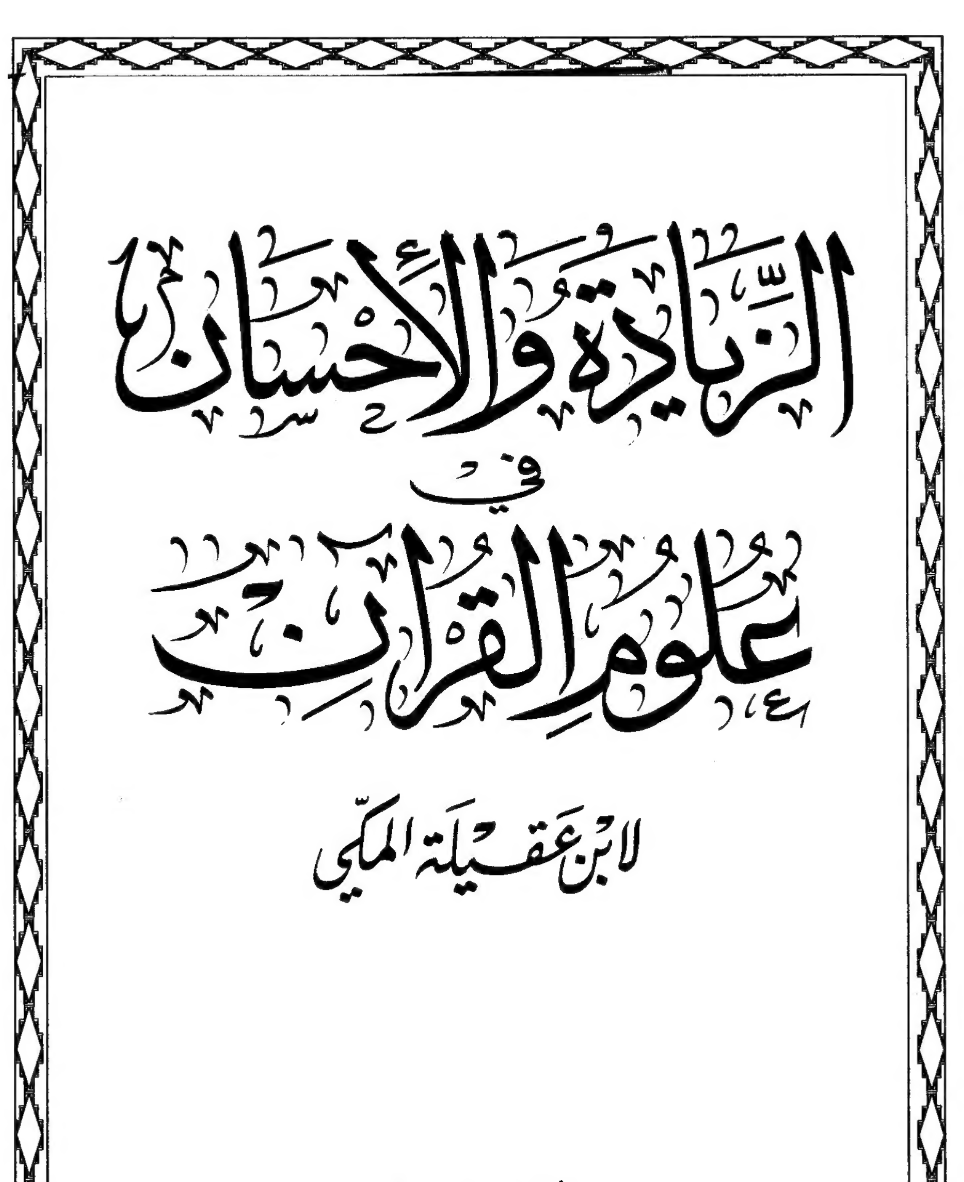
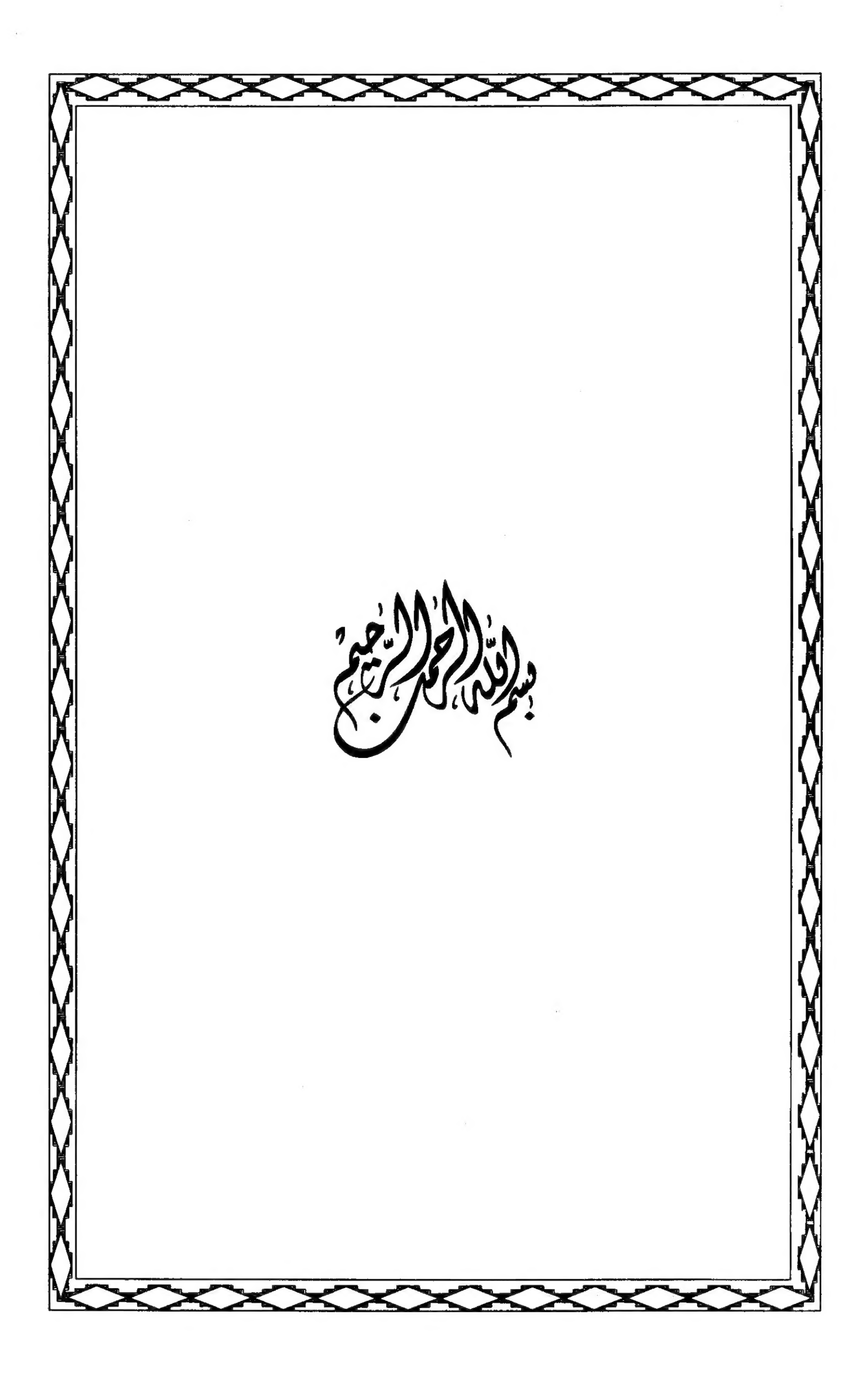


الزيادة والإحسان في علوم القرآن

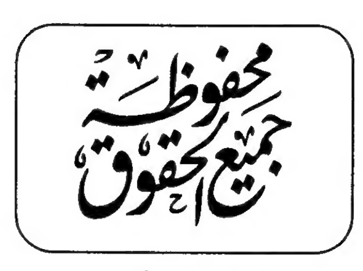
لابن عقيلة المكي

الجزء السابع


بسم الله الرحمن الرحيم

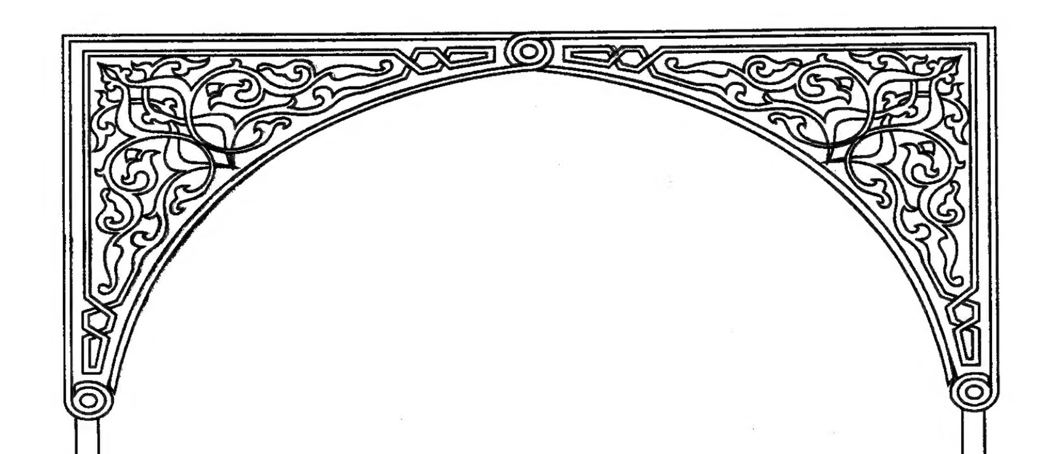

الزيادة والإحسان
في
علوم القرآن
٧

إصدارات سنة ٢٠٠٦م
مركز البحوث والدراسات
هاتف: (٥٠٥٠٥٥٠) فاكس: (٥٠٥٠٥٥٢)
E-mail: research@sharjah.ac.ae



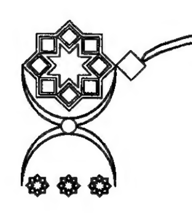
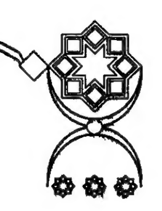
الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

جامعة الشارقة
ص.ب: ٢٧٢٧٢، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: (٥٥٨٥٠٠٠-٦-٩٧١+) فاكس: (٥٥٨٥٠٩٩-٦-٩٧١+)
Web site: http://www.sharjah.ac.ae



النوع الحادي والثلاثون بعد المائة

علم من ذكر من الأنبياء عليهم السلام في القرآن العظيم صريحاً وبالإشارة

النوع الحادي والثلاثون بعد المائة

علم من ذكر من الأنبياء عليهم السلام في القرآن العظيم صريحاً وبالإشارة

ولم يفرد الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ ولم أر أحداً من المتقدمين ـ رحمهم الله تعالى ـ من ذكر هذا النوع ولا نبه عليه.

فأول من ذكر منهم[1] نبي الله آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وقد ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز في مواضع صريحاً[2] وإشارة[3] (ومن الإشارة)[4] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً . . .﴾ الآية [البقرة: ٣٠]، ومن الصريح قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٣١]، وقوله عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] وغيرها من الآيات.

---

(١) لم أترجم لهم هنا، حيث إنهم ذكروا مفصلين في النوع الثاني والثلاثين «علم تاريخ الأنبياء. . .» والنوع السادس والثلاثين «علم قصص الأنبياء. . .» إلا بعضاً منهم.

(٢) ذكر صريحاً في خمسة وعشرين موضعاً:

في البقرة: ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧.

وفي آل عمران: ٣٣، ٥٩.

وفي المائدة: ٢٧.

وفي الأعراف: ١١، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥، ١٧٢.

وفي الإسراء: ٦١، ٧٠.

وفي الكهف: ٥٠.

وفي مريم: ٥٨.

وفي طه: ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢١.

وفي يس: ٦٠.

(٣) وذكر إشارة في أكثر من ثلاثة عشر موضعاً.

(٤) ساقط من (ح).

وأما إدريس ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكره الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧][١].

وأما نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكر في مواضع[٢] في كتاب الله ﷻ، فمنها: قوله تعالى جل شأنه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

وأما نبي الله هود ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكر أيضاً في مواضع من الكتاب العزيز[٣]، فمنها قوله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

وأما نبي الله صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكر أيضاً في مواضع[٤] من كتاب الله ﷻ[٥]، فمنها قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وأما نبي الله إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكر أيضاً في مواضع من كتاب الله ﷻ[٦]، فمنها قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ........

---

(١) وذكره أيضاً في سورة الأنبياء: ٨٥.

(٢) ذكر في القرآن الكريم في ثلاثة وأربعين موضعاً: في آل عمران: ٣٣. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٤. والأعراف: ٥٩، ٦٩. والتوبة: ٧٠. ويونس: ٧١. وهود: ٢٥، ٣٢، د٣، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٨٩. وإبراهيم: ٩. والإسراء: ٣، ١٧. ومريم: ٥٨. والأنبياء: ٧٦. والحج: ٤٢. والمؤمنون: ٢٣. والفرقان: ٣٧. والشعراء: ١٠٥، ١٠٦، ١١٦. والعنكبوت: ١٤. والأحزاب: ٧، والصفات: ٧٥، ٧٩، وص١٢. وغافر: ٥، ٣١. والشورى: ١٣. وق: ١٢. والذاريات: ٤٦. والنجم: ٥٢. والقمر: ٩. والحديد: ٢٦. والتحريم: ١٠. ونوح: ١، ٢١، ٢٦.

(٣) ذكر في القرآن عشر مرات: في البقرة: ١١١، ١٣٥، ١٤٠. والأعراف: ٦٥. وهود: ٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦٠، ٨٩. والشعراء: ١٢٤.

(٤) ذكر في القرآن ثماني مرات: في الأعراف: ٧، ٧٣، ٧٥، وهود: ٦١، ٦٢، ٨٩. والشعراء: ١٤٢. والنمل: ٤٥.

(٥) ذكر في القرآن في تسع وستين موضعاً: في البقرة: ١٢٤، ١٢٥، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ٢٥٨، ٢٥٨، ٢٦٠. وآل عمران: ٣٣، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٨٤، ٩٥، ٩٧. والنساء: ٥٤، ١٢٥، ١٦٣. والأنعام: ٧٤، ٧٥، ٨٣، ١٦١. والتوبة: ٧٠، ١١٤، ١١٤. وهود: ٦٩، ٧٤، ٧٥، ٧٦. ويوسف: ٦، ٣٨.

بِكَلِمَٰتٖ[1] فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ [البقرة: ١٢٤] وغيرها من الآيات.

وأما نبي الله لوط ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكره الله تعالى في مواضع من القرآن[2]، فمنها قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وأما نبي الله إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإنه ذكر في مواضع من القرآن[3]. فمنها قوله عزّ من قائل: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وأما نبي الله إسحاق ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكر في مواضع أيضاً[4]، منها قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات: ١١٣].

وأما نبي الله يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ فمذكور في قوله تعالى: ﴿أَمۡ

= وإبراهيم: ٣٥. والحجر: ٥١. والنحل: ١٢٠، ١٢٣. ومريم: ٤١، ٤٦، ٥٨. والأنبياء: ٥١، ٦٠، ٦٢، ٦٩. والحج: ٢٦، ٤٣، ٧٨. والشعراء: ٦٩. والعنكبوت: ١٦، ٣١. والأحزاب: ٧. والصافات: ٨٣، ١٠٤، ١٠٩. وص: ٤٥. والشورى: ١٣. والزخرف: ٢٦. والذاريات: ٢٤. والنجم: ٣٧. والحديد: ٢٦. والممتحنة: ٤، ٤. والأعلى: ١٩.

(١) يأتي بيان المراد بـ«الكلمات» في النوع: ١٣٦.

(٢) ذكر فيه في سبع وعشرين مرة: في الأنعام: ٨٦. والأعراف: ٨٠. وهود: ٧٠، ٧٤، ٧٧، ٨١، ٨٩. والحجر: ٥٩، ٦١. والأنبياء: ٧١، ٧٤. والحج: ٤٣. والشعراء: ١٦٠، ١٦١، ١٦٧. والنمل: ٥٤، ٥٦. والعنكبوت: ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٣٣. والصفات: ١٣٣. وص: ١٣. وق: ١٣. والقمر: ٣٣، ٣٤. التحريم: ١٠.

(٣) ذكر فيه في اثني عشر موضعاً: في البقرة: ١٢٥، ١٢٧، ١٣، ١٣٦، ١٤٠. وآل عمران: ٨٤. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٦. وإبراهيم: ٣٩. ومريم: ٥٤. والأنبياء: 85. وص: ٤٨.

(٤) ذكر في القرآن سبع عشرة مرة: في البقرة: ١٣٣، ١٣٦، ١٤٠. وآل عمران: ٨٤. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٤. وهود: ٧١، ٧١. ويوسف: ٦، ٣٨. وإبراهيم: ٣٩. ومريم: ٤٩. والأنبياء: ٧٢. والعنكبوت: ٢٧. والصافات: ١١٢، ١١٣. وص: ٤٥.

﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وفي مواضع أخر[١].

وأما نبي الله يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ فمذكور أيضاً في الكتاب العزيز في مواضع[١]، منها قوله جل شأنه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤].

وأما إخوة يوسف الذي قيل في بعضهم إنهم أنبياء[٢] فقد ذكروا في القرآن العزيز بالإشارة، وفي قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٧]. وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف: ٥٨].

وأما نبي الله أيوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإنه ذكر في مواضع من القرآن[٣]، منها قوله تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وأما نبي الله شعيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكره الله جل شأنه في مواضع[٤]، منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ[٥] أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥، وهود: ٨٤].

وأما نبي الله موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكره الله تعالى شأنه في

---

(١) في سبعة وعشرين موضعاً: في الأنعام: ٨٤. ويوسف: ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٧، ٢١، ٢٩، ٤٦، ٥١، ٥٦، ٥٨، ٦٩، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٠، ٩٤، ٩٩. وغافر: ٣٤.

(٢) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ١/٣٠٩: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبيٌّ غير يوسف، وباقي إخوته لم يوح إليهم، وما يؤيد أن يوسف هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة، أنه ما نص على واحد من إخوته سواه؛ فدل على ما ذكرنا.

(٣) ذكر في القرآن أربع مرات: في النساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٤. والأنبياء: ٨٣. وص٤١.

(٤) ذكر في القرآن إحدى عشرة مرة: في الأعراف: ٨٥، ٨٨، ٩٠، ٩٢. وهود: ٨٤، ٨٧، ٩١، ٩٤. والشعراء: ١٧٧. والعنكبوت: ٣٦.

(٥) كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم (مدين) التي هي قريبة من أرض معان من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز، قريباً من بحيرة قوم لوط. ومدين قبيلة عرفت بهم وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل ونبيهم شعيب ﷺ. قصص الأنبياء لابن كثير: ١/ ٢٧٤.

كثير من الآيات[1]، فمنها قوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [الأعراف: ١٠٣].

وأما نبي الله هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ فمذكور في مواضع[2]، منها قوله تعالى عزّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

وأما نبي الله الخضر[3] ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكر إشارة في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥].

---

(١) ذكر في مائة وستة وثلاثين موضعاً من القرآن: في البقرة ثلاث عشرة مرة، وفي آل عمران مرة واحدة. وفي النساء مرة واحدة، وفي المائدة ثلاث مرات، وفي الأنعام ثلاث مرات، وفي الأعراف إحدى وعشرين مرة، وفي يونس ثماني مرات، وفي هود ثلاث مرات، وفي إبراهيم ثلاث مرات، وفي الإسراء ثلاث مرات، وفي الكهف مرتين، وفي مريم مرة واحدة، وفي طه سبع عشرة مرة، وفي الأنبياء مرة واحدة، وفي الحج مرة واحدة، وفي المؤمنون مرتين، وفي الفرقان مرة واحدة، وفي الشعراء ثماني مرات، وفي النمل ثلاث مرات، وفي القصص ثماني عشر مرة، وفي العنكبوت مرة واحدة، وفي السجدة ثلاث وعشرون، وفي الأحزاب مرتين، وفي الصفات مرتين، وفي غافر خمس مرات، وفي فصلت مرة واحدة، وفي الشورى مرة واحدة، وفي الأحقاف مرتين، وفي الذاريات مرة واحدة، وفي النجم مرة واحدة، وفي الصف مرة واحدة، وفي النازعات مرة واحدة، وفي الأعلى مرة واحدة.

انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي مادة: (م و س).

(٢) ذكر في عشرين موضعاً من القرآن: في البقرة: ٢٤٨. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٤. والأعراف: ١٢٢، ١٤٢. ويونس: ٢٨، ٥٣. وطه: ٣٠، ٧٠، ٩٠، ٩٢. والأنبياء: ٤٨. والمؤمنون: ٤٥. والفرقان: ٣٥. والشعراء: ١٣، ٤٨. والقصص: ٣٤. والصافات: ١١٤، ١٢٠.

(٣) هو: بليا بن ملكان ابن سام بن نوح. وقيل غير ذلك. والخضر لقب عليه، إنما سمي الخضر؛ لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء، كان في زمن أفريدون بن أثفيان حتى أدركه موسى عليه السلام.

انظر: تاريخ الطبري: ١/٣٦٥، وقصص الأنبياء لابن كثير (٢/٢٠١

وقد اختلف في نبوة الخضر عليه السلام، والمشهور أنه من الأنبياء بأدلة منها:

١ ـ أنه أقدم على قتل الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام.

٢ ـ تفسير الأفاعيل لموسى ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] يعني ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمر أمرت به وأوحي إلي فيه.

قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/٢٠٤. هذا سيأتي بيانه صفحة ٧٠٧.

وأما (نبي الله)[1] يوشع[2] ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكره الله جلَّ شأنه في كتابه العزيز إشارة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠]، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٢].

وأما نبي الله حزقيل[3] ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ذكره الله جل شأنه إشارة في قوله عز من قائل: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ومنهم نبي الله شمويل[4] ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ذكر بالإشارة في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وكذا قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

ومنهم نبي الله داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو مذكور في مواضع من كتاب الله تعالى[5]، منها قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾

---

(١) ساقط من «ح».

(٢) هو: يوشع بن نون بن أفرييم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهو الذي قام بأعباء بني إسرائيل بعد موسى وهارون، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة وهو عليه السلام المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٢]. انظر: تفسير ابن جرير: ١٥/ ١٧٧، وتاريخ الطبري: ١/ ٤٣٥، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٤٠٢، وقصص الأنبياء له: ٢/ ١٩٩.

(٣) هو: حزقيل بن بوذي وهو الذي بعث إلى بني إسرائيل بعد نبي الله يوشع عليه السلام وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٤٣].

انظر: تفسير ابن جرير: ٢/ ٣٦٥، وتفسير ابن كثير: ١/ ٥٢٨، وقصص الأنبياء له: ٢/ ٢٣٢.

(٤) هو: شمويل بن بالي بن علقمة بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل غير ذلك، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾. انظر: تفسير ابن جرير: ٢/ ٣٧٢، وتفسير ابن كثير: ١/ ٥٣٣، وقصص الأنبياء له: ٢/ ٢٣٩.

(٥) ذكر في القرآن ست عشرة مرة: في البقرة: ٢٥١. والنساء: ١٦٣. والمائدة: ٧٨.

[ص: ١٧]. ومنها قوله جل شأنه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

ومنهم نبي الله لقمان[١] ـ عليه الصلاة والسلام ـ على من يرى نبوته، وقد ذكره الله جل شأنه في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢].

ومنهم نبي الله سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ذكره الله جل شأنه في مواضع من كتابه العزيز[٢]، منها قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ...﴾[٣] الآية [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

ومنهم نبي الله إلياس[٤] ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ذكره ﷻ في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الصافات: ١٢٣، ١٢٤].

وأما نبي الله اليسع[٥] ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٨].

وأما نبي الله يونس ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكر صريحاً[٦] وإشارة، أما الإشارة فقول الله جل شأنه: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾

= والأنعام: ٨٤. والإسراء: ٥٥. والأنبياء: ٧٨، ٧٩. والنمل: ١٥، ١٦. وسبأ: ١٠، ١٣. وص: ١٧، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٣٠.

(١) اختلف في نبوته، والأكثرون ذهبوا إلى أنه عبد صالح ولم يكن نبياً، فعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً. انظر: تفسير ابن جرير: ٤٣/٢١، وتفسير ابن كثير: ٥/ ٣٨٠.

(٢) ذكر فيه سبع عشرة مرة: في البقرة: ١٠٢، ١٠٢. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٦. والأنبياء: ٧٨، ٧٩، ٨١. والنمل: ١٥، ١٦، ١٧، ٣٠، ٣٦، ٤٤. وسبأ: ١٢. وص: ٣٠، ٣٤.

(٣) وتتمتها: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

(٤) ذكر فيه في موضعين: الأنعام: ٨٥، والصافات: ١٢٣.

(٥) ذكر في القرآن في موضعين الأنعام: ٨٦، وص: ٤٨.

(٦) ذكر صريحاً في القرآن أربع مرات: في النساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٦. ويونس: ٩٨. والصافات: ١٣٩.

[القلم: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وأما الصريح ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الصافات: ١٣٩، ١٤٠].

ومنهم نبي الله شعياً[(١)] ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد ذكر إشارة في قوله ﷻ ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: ٤] فالفساد الأول هو قتل نبي الله شعياً ـ عليه الصلاة والسلام ـ[(٢)].

ومنهم نبي الله عزير[(٣)] ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ذكر في الكتاب العزيز صريحاً وإشارة.

أما الإشارة فقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا . . .﴾[(٤)] الآية [البقرة: ٢٥٩].

وأما الصريح ففي قوله عز من قائل: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

ومنهم نبي الله زكريا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ذكره الله تعالى شأنه في

---

(١) هو: شعيا بن أمصيا نبي بَشَّرَ بعيسى عليه السلام كان قبل زكريا ويحيى. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/٣١٥.

(٢) هذا من وجهة نظر المؤلف؛ وذلك لأن الخلاف كثير في الإفساد الأول. انظر: تفسير ابن جرير: ١٥/١٨.

(٣) هو: عزير بن جروة ويقال: ابن سوريق بن عديان بن هارون بن عمران، واختلف في نبوته، والمشهور أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى، وأنه لم يبق في بني إسرائيل من يحفظ التوراة، ألهمه الله تعالى حفظها، فسردها على بني إسرائيل، وهو الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه حين قال تعجباً: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/٢٣٩ وما بعدها، وقصص الأنبياء محمد العفي: ٤٢٢، ٢٢٧.

(٤) وتتمتها: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

مواضع[1] من كتابه العزيز، منها قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم: ١ ـ ٣]. ومنها قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾ [الأنبياء: ٨٩].

ومنهم مريم[2] ـ عليها الصلاة والسلام ـ على قول من اختار نبوتها[3]، وقد ذكر الله شأنها في كتابه العزيز صريحاً[4] وإشارة.

فالصريح قوله عز من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣]، وكذا قوله جل شأنه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦ . . .﴾ [مريم: ١٦] إلى آخر الآيات.

والإشارة في قوله جل شأنه: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

ومنهم نبي الله يحيى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ذكر في كتاب الله في مواضع[5]، منها قوله عز من قائل: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم: ٧]، وقوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ [مريم: ١٢].

---

(١) ذكر في سبعة مواضع. في آل عمران: ٣٧، ٣٧، ٣٨. والأنعام: ٨٥. ومريم: ٢، ٧. والأنبياء: ٨٩.

(٢) هي: مريم بنت عمران بن ماتان تمن سلالة سليمان بن داود عليه السلام، كفلها زكريا عليه السلام وهي من سيدات أهل الجنة. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/ ٣٧٩.

(٣) كما زعم ذلك ابن حزم محتجّاً بكلام الملائكة، ولكن قول الجمهور: إن النبوة مختصة بالرجال، وليس في النساء نبية، كما حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة. نقلاً عن قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/ ٣٧٥.

(٤) ذكرت صريحاً في أربعة وثلاثين موضعاً: في البقرة: ٨٧، ٢٥٣. وآل عمران: ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٤، ٤٥. والنساء: ١٥٦، ١٥٧، ١٧١، ١٧١. والمائدة: ١٧، ١٧، ٤٦، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٦. والتوبة: ٣١. ومريم: ١٦، ٢٧، ٣٤. والمؤمنون: ٥٠. والأحزاب: ٧. والزخرف: ٥٧. والحديد: ٢٧. والصف: ٦، ١٤. والتحريم: ١٢.

(٥) ذكر في خمسة مواضع: في آل عمران: ٣٩. والأنعام: ٨٥. ومريم: ٧، ١٢. والأنبياء: ٩. وطه: ٢٠.

ومنهم نبي الله عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ذكر صريحاً وإشارة في كتاب الله تعالى.

أما الصريح ففي مواضع من الكتاب[1]؛ منها قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقوله تعالى جل شأنه: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥].

وأما الإشارة ففي قوله تعالى شأنه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٩].

وأما نبينا وحبيبنا الإنسان الكامل والخليفة العادل إمام الأنبياء ورسول الأصفياء ورئيس الأتقياء محمد ﷺ فمذكور في مواضع من الكتاب العزيز صريحاً[2] وإشارة.

وأما الصريح فقوله تعالى شأنه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ [محمد: ٢]، وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وأما الإشارة ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

وقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٥].

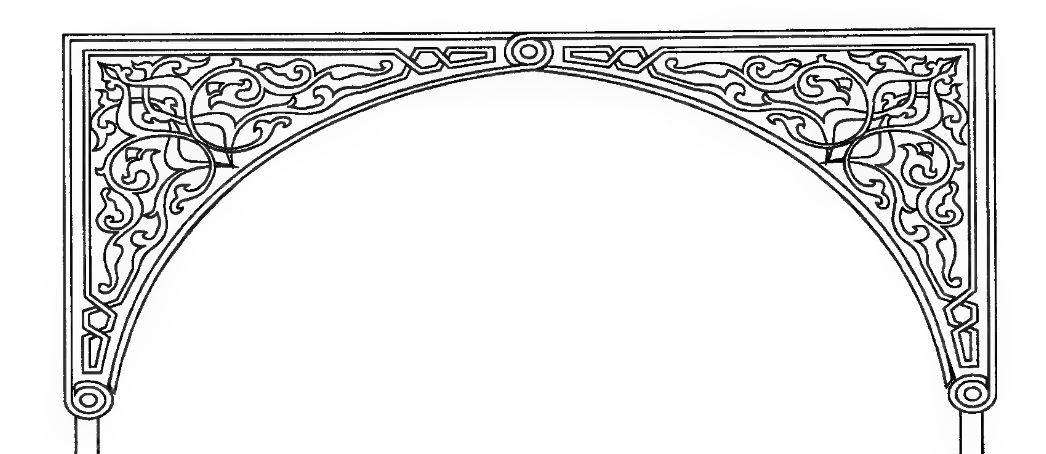
---

(١) ذكر صريحاً في خمسة وعشرين موضعاً. في البقرة: ٨٧، ١٣٦، ٢٥٣. وآل عمران: ٤٥، ٥٢، ٥٥، ٥٩، ٨٤. والنساء: ١٥٧، ١٦٣، ١٧١. والمائدة: ٤٦، ٧٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٦. والأنعام: ٨٥. ومريم: ٣٤. والأحزاب: ٧. والشورى: ١٣. والزخرف: ٦٣، والحديد: ٢٧. والصف: ٦، ١٤.

(٢) ذكر ﷺ صريحاً في خمسة مواضع: في آل عمران: ١٤٤. والأحزاب: ٤٠. ومحمد: ٢. والفتح: ٢٩. والصف: ٦، بلفظ أحمد.

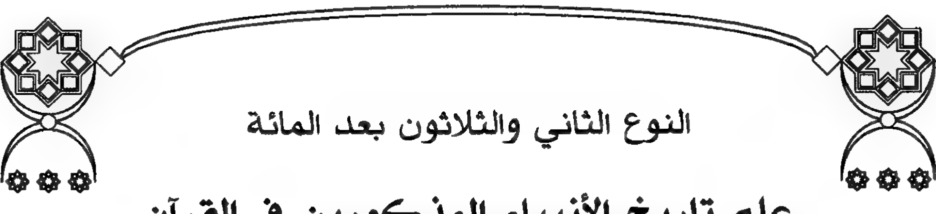
وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ١٩]. انتهى[١].

(١) هذا النوع لم يذكره السيوطي في الإتقان.



النوع الثاني والثلاثون بعد المائة

علم تاريخ الأنبياء المذكورين في القرآن وبيان المتقدم منهم والمتأخر



النوع الثاني والثلاثون بعد المائة

علم تاريخ الأنبياء المذكورين في القرآن وبيان المتقدم منهم والمتأخر

وهو نوع جليل عظيم لم يذكره الإمام الحافظ السيوطي رحمه الله في الإتقان، ولا غيره من العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ.

فأولهم آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أبو البشر(1)، وعاش من العمر قريباً من ألف عام.

وقال ابن أبي خيثمة(2): عاش من العمر تسعمائة سنة وستين.

وقال النووي في تهذيبه: اشتهر في كتب التاريخ أنه عاش ألف سنة(3).

أخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إنما سمي آدم لأنه خلق من أدم(4) الأرض(5).

---

(1) في (ح): «أبو سائر البشر».

(2) هو: أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب أبو بكر الإمام الحجة البغدادي، صاحب التاريخ الكبير، من شيوخه أبو نعيم وعفان ومسلم بن إبراهيم، ومن تلاميذه البغوي ومحمد بن مخلد وإسماعيل الصفار، قال الدارقطني: ثقة مأمون، توفي سنة (٢٧٩هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٢/٥٩٦، وطبقات الحفاظ: ٢٦٧، وتاريخ بغداد: ٤/١٦٢.

(3) تهذيب الأسماء واللغات: ١/٩٥.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٩٩: واختلف في مقدار عمره عليه السلام ففي الحديث عن ابن عباس، وأبي هريرة مرفوعاً: «إن عمره اكتتب في اللوح المحفوظ ألف سنة».

وهذا لا يعارضه ما في التوراة، من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة، لأن قولهم مطعون فيه، ومردود إذا خالف النص.

ويمكن الجمع بينهما؛ فإن ما في التوراة محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإهباط، وذلك تسعمائة وسبع وخمسون سنة، فيكون الجميع ألف سنة.

(4) أدم الأرض: وجهها، والمراد به التراب، وأديم كل شيء: ظاهره.

انظر: اللسان: ١٢/١٠ مادة: (أدم).

(5) انظر: تاريخ الطبري: ١/٩١، والكامل لابن الأثير: ١/٢٨، وتهذيب الأسماء: ١/٩٦.

وقال قوم: هو اسم سرياني، أصله إدَام، بوزن خِتَام، عرب بحذف ألفه الثانية.

وقال الثعلبي[(١)]: آدام [بالسريانية][(٢)]: التراب، فسمي آدم[(٣)] به.

وبعده شيث ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومعناه في العربية هبة الله وعطيته[(٤)]، وعاش من العمر تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة[(٥)].

وبعده إدريس ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو المسمّى في السريانية خنون، وعند أهل اليونان هرمس، وهو أول من أعطي السعة والبراعة [في العلوم][(٦)] والتكلم في حقائق الأشياء[(٧)]، ومسير الأفلاك، ومنازل الكواكب، وتقسيم البروج.

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب «التفسير» و«العرائس في قصص الأنبياء»، من شيوخه أبو طاهر الفضل وأبو بكر بن مهران، ومن تلاميذه أبو الحسن الواحدي، توفي سنة (٤٢٧هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/ ١٠٩٠، وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٥، والشذرات: ٣/ ٢٣.

(٢) في (ح): «بالعبرانية».

(٣) وفي اللسان: مادة: (أدم): ١٢/ ١٢: واختلف في اشتقاق اسم «آدم» فقال بعضهم: سمي آدم لأنه خلق من أدمة الأرض، وقال بعضهم: لأدمة جعلها الله فيه، وقال الجوهري: آدم أصله بهمزتين لأنه أفعل، إلا أنهم لينوا الثانية، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها واواً، وقلت: أو آدم في الجمع؛ لأنه ليس لها أصل في الياء معروف، فجعل الغالب عليها الواو.

قلت: والصواب إن آدم اسم مشتق من أديم الأرض؛ لأنه خلق من تراب، وأديم الأرض وجهها.

قال النووي في تهذيب اللغات: ١/ ٩٦: فأما اشتقاق اسمه فقال الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: سمي آدم؛ لأنه خلق من أديم الأرض، قال الزجاج: قال أهل اللغة: آدم مشتق من أديم الأرض؛ لأنه خلق من تراب، وأديم الأرض وجهها.

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٩٨: ومعنى: شيث: هبة الله، وسمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قُتل هابيل.

(٥) وفي تهذيب الأسماء واللغات للنوي: ١/ ٢٤٨:

كان شيث من أجمل ولد آدم... وعاش تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة.

وانظر: تاريخ الطبري: ١/ ١٦٣، والكامل لابن الأثير: ١/ ٤٥.

(٦) في (ح): «في الهموم».

(٧) وفي البداية والنهاية: ١/ ٩٩: فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه، ووصفه بالنبوة والصديقية، وهو خنون هذا... ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام، أنه أول من تكلم =

ومنه استفيد علم الرمل والهيئة[١]، وإخراج ما في الضمائر، وأنزلت عليه ثلاثون صحيفة من حضرة الله تعالى[٢].

وقد اختلف في إدريس عليه السلام هل كان قبل نوح أو بعده[٣] وسياق كثير من الأخبار يقتضي أنه قبل نوح عليه السلام.

أخرج في المستدرك بسنده إلى وهب بن منبه[٤] أنه سئل عن إدريس من هو وفي أي زمان هو؟ قال: هو جد نوح الذي يقال له خنون وهو في الجنة حيٌّ. انتهى[٥].

= في حقائق الأشياء، ويسمونه هرمس الهرامسة، ويكذبون عليه أشياء كثيرة، كما كذبوا على غيره من الأنبياء...

(١) وفي البداية والنهاية: ١/ ٩٩: قيل: إن إدريس عليه السلام هو المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله، ومنا رجال يخطون، قال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه». فذاك رواه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير: ٤/ ١٦.

قوله: يخطون من خَطَّ يَخُطُّ خَطّاً يقال: خطه بقلمه أو بيده إذا كتبه بقلمه أو بيده. انظر: القاموس المحيط مادة: (خط): ٢/ ٣٧١، والمعجم الوسيط مادة: (خطط): ١/ ٢٤٣.

(٢) أخرج ابن جرير في تاريخه: ١/ ١٧١ من حديث أبي ذر الغفاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، أربعة ـ يعني من الرسل ـ سريانيون، آدم، وشيث، ونوح، وأخنون، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنون ثلاثين صحيفة.

(٣) في (ح): (أو نوح).

(٤) هو: وهب بن منبه بن كامل أبو عبد الله الصنعاني، عنده من علم الكتاب شيء كثير، وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام. من شيوخه: أبو هريرة وابن عمر وابن عباس، ومن تلاميذه: وهب ابن أخيه عبد الصمد، وعمرو بن دينار وإسرائيل. قال العجلي: كان ثقة ... تابعياً على قضاء صنعاء، وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، قال أحمد: وكان يُتّهم بشيء من القدر ثم رجع، قال الحافظ ابن حجر: ثقة، ولد سنة أربعة وثلاثين في خلافة عثمان، وتوفي سنة عشر ومائة، وقيل غير ذلك.

انظر: تذكرة الحفاظ: ١/ ١٠٠، وتهذيب التهذيب: ١١/ ١٦٦، وتقريب التهذيب: ٢/ ٣٣٩، وفيات الأعيان: ٦/ ٣٥.

(٥) المستدرك للحاكم: كتاب التاريخ، باب إدريس: ٢/ ٥٤٩، وهو حديث ضعيف لأن في سنده عبد المنعم بن إدريس عن أبيه، قال الذهبي: عبد المنعم كذبه أحمد.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار[١]: كان إدريس أول نبي أعطي النبوة، وهو خنون بن يزيد بن أهاليل بن قينان بن ناسر بن شيث بن آدم. انتهى[٢].

وسيأتي في قصص الأنبياء سياق نسبه[٣].

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن مسمى إدريس من الأنبياء ثلاثة:

إدريس الأول وهو الذي قبل الطوفان.

وإدريس الثاني.

وإدريس الثالث، وهو النبي إلياس عليه السلام[٤].

وسمي إدريساً لكثرة دراسته كتب الله تعالى[٥]، وبلغ من العمر ثلاثمائة وخمساً وستين عاماً[٦] ورفع[٧].

---

(١) هو: محمد بن إسحاق بن يسار أبو عبد الله المطلبي المدني صاحب السيرة النبوية، رواها عنه ابن هشام، من شيوخه: أبان بن عثمان، والزهري ونافع، ومن تلاميذه: السفيانان وزياد البكائي. وثقه ابن معين مرة وضعفه أخرى، توفي سنة خمسين ومائة، وقيل: إحدى وخمسين ومائة.

انظر: طبقات ابن سعد: ٧/ ٦٧، وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٧٢، وتهذيب التهذيب: ٩/ ٣٨.

(٢) انظر: الأخبار الطوال: ١.

(٣) انظر: علم قصص الأنبياء النوع (١٣٦): ١٢٩٨، ولكن المؤلف لم يذكر نسبه هناك، بل ذكره هنا فقط.

(٤) قلت: ما ذكره المؤلف من أن مسمى إدريس من الأنبياء ثلاثة، لم أر أحداً من العلماء قال به.

وقد علق ابن كثير على قول ابن مسعود: إلياس هو إدريس حيث يقول: إن الذي قاله ابن مسعود غير صحيح، والصحيح غيره.

انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/ ٢٤٦.

بل الأظهر: أن إدريس من الأنبياء واحد، وهو الذي قبل نوح عليه السلام. قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ١/ ٧١: وكان ـ أي إدريس ـ أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام. وانظر: البداية والنهاية: ١/ ٩٩، والأخبار الطوال: ١.

(٥) انظر: تفسير الخازن: ٤/ ٢٤٩، والأخبار الطوال: ١.

(٦) انظر: تاريخ الطبري: ١/ ١٧٠، والمختصر في أخبار البشر: ١/ ٩.

(٧) رفع إدريس عليه السلام إلى السماء بجسده حياً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧]. فقد روى البخاري في صحيحه أنه ﷺ رأى إدريس عليه السلام في السماء الرابعة ليلة المعراج.

انظر: صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج: ٤/ ٢٤٨، وتفسير القاسمي: ١١/ ١٣٤، وتفسير الخازن: ٤/ ٢٤٩.

وبعده نبي الله نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وسمي نوحاً لكثرة نياحته[1]. وعاش من العمر ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه كما قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، وعاش بعد الطوفان حتى كثر الناس وفشوا.

وفي المستدرك عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عاش بعد الطوفان ستين سنة[2].

وبعده نبي الله هود[3] ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكان مرسلاً إلى قبائل عاد[4]، وهم أمة عظيمة، وفيهم الملوك والجبابرة، وقد أهلكهم الله جميعاً بدعائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وبعده نبي الله صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكان مرسلاً إلى قبائل ثمود[5]، وكانوا أمة عظيمة فأهلكهم الله جل شأنه بعصيانهم، وتوجه صالح عليه السلام هو ومن آمن به إلى البيت الشريف، وأقام يعبد الله تعالى ويمجده إلى أن توفي ودفن عند البيت[6] الشريف ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) وإنما سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه، ونوح: من ناح ينوح نوحاً ونواحاً، يقال: ناحتِ المَرأة على الميت: بكت عليه بجزع.

انظر: اللسان مادة: (نوح): ٢/ ٦٢٧، والمعجم الوسيط: مادة: (نوح): ٢/ ٩٧٠.

وانظر: تفسير الخازن: ١/ ٢٢٩، والإتقان: ٤/ ٥٨.

(٢) المستدرك كتاب التاريخ، باب ذكر نوح: ٢/ ٥٤٦.

(٣) هو: هود بن عبد الله بن رباح الجارود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وكان من قبيلة يقال لهم: عاد بن عوص بن سام بن نوح، وكانوا عرباً يسكنون الأحقاف، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام.

انظر: البداية والنهاية: ١/ ١٣١.

(٤) وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، كانوا قبائل عظيمة وأمماً جليلة، وكان ساكنهم الأحقاف.

انظر: تفسير ابن جرير: ٢٦/ ١٦، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٢٥٩، وتفسير الآلوسي: ٢٧/ ٧٠.

وسيأتي سياق نسبه وبيان مكانه في علم قصص الأنبياء النوع (١٣٦): ٦٢٧.

(٥) هي قبائل مشهورة يقال لها: ثمود سميت باسم جدهم ثمود أخي جديس وهما ابنا عابر بن إرم بن سام، وكانوا عرباً من العاربة، يسكنون الحجر وهو بوادي القرى بين المدينة والشام، بينهما وبين وادي القرى ثمانية عشر ميلاً.

انظر: البداية والنهاية: ١/ ١٣٠، ومعجم البلدان: ٢/ ٢١٩، وأخبار الدول: ٢٧.

(٦) وفي البداية والنهاية: ١/ ١٣٨:

إن صالحاً عليه السلام انتقل إلى حرم الله فأقام به حتى مات. =

وفي «المستدرك» بسنده إلى نوف الشامي[1] من حديث: ولم يكن بين نوح وإبراهيم [نبي][2] قبله، يعني قبل إبراهيم، إلا هود وصالح عليه السلام[3].

وقال الحافظ ابن حجر وغيره: القرآن يدل على أن ثمود كانوا بعد عاد، كما أن عاداً بعد نوح[4].

وفي تهذيب النووي: أقام فيهم عشرين سنة ومات بـ(مكة) وهو ابن ثمان وخمسين سنة[5].

ثم بعده نبي الله حنظلة بن صفوان عليه السلام، ولم يذكر في كتاب الله تعالى، وهو الذي أرسله جل شأنه إلى [أهل][6] البئر المعطلة[7]، وهم من أمة صالح عليه السلام الذين آمنوا به، أقاموا دهراً يعبدون الله عز وجل وتناسلوا وتوالدوا، ثم حببت إليهم عبادة الأصنام، فنبأ الله جل شأنه [فيهم][8] حنظلة هذا[9]، فنهاهم عن عبادة الأصنام

= وفي أخبار الدول: ٢٩: ولحق صالح عليه السلام ومن آمن من قومه بمكة... وتوفي بمكة ودفن بالحجر.

(١) هو: نوف بن فضالة الحميري البكالي الشامي إمام أهل دمشق في عصره، وهو ابن زوجة كعب الأحبار، توفي ما بين التسعين إلى المائة.
انظر: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٤٩٠.

(٢) في (هـ): «نبي الله»، وما أثبته من (ح) كما في المستدرك: ٢/ ٥٦٥.

(٣) المستدرك: كتاب التاريخ، باب ذكر صالح: ٢/ ٥٦٥.

(٤) فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف: ٧٤].
وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ...﴾ [التوبة: ٧٠]. فقد ذكرهم الله تعالى مرتباً بدأ بقوم نوح ثم عاد ثم ثمود.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ٢٤٨ بتصرف.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: ٤٥].

(٨) ساقط من (ح).

(٩) قلت: بعد البحث والاطلاع في كتب التفاسير تبين لي أن أهل البئر المعطلة هم أصحاب الرس، وهم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام والله أعلم.
قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق: ١١:
إن أصحاب الرس كانوا بـ(حضور) فبعث الله إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان فكذبوه =

وأخبرهم أنها لا تغني عنهم شيئاً وأنهم إن لم يرجعوا أهلكهم الله تعالى كما أهلك قبلهم عاداً وثمود، فلم يرجعوا، فهموا بقتله، فنجاه[١] الله ﷻ منهم وأخرب بئرهم التي كانوا يغتبطون بها، وصاحت منهم [ملائكة العذاب][٢] فهلكوا جميعاً.

وكذلك بعدهم أهل القصر المشيد[٣]، وهم من أمة صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أقاموا مدة متمسكين بدين نبي الله صالح عليه السلام وتوالدوا وتناسلوا، ثم ظهر فيهم ملك جبار ذو شوكة وقوة وبنى قصراً عظيماً وأتقنه وشيّد بنيانه أي أرفعهما وأعلاها، وكان سفاكاً للدماء، فبعث الله جل شأنه نبياً من أنبيائه فوعظه، ونصحه فلم ينت،ه وقتله، ولم ينكر[٤] عليه أهل بلده صنيعه، فغضب الله جل شأنه عليهم وأرسل إليهم ملكاً من الملائكة فصاح بهم فهلكوا جميعهم. وبقي القصر المشيد خالياً خاوياً عبرة (للمعتبرين)[٥] وتنبيهاً للغافلين.

ثم بعده نبي الله [حنظلة بن صفوان][٦] ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أيضاً

= وقتلوه... فأهلك الله أصحاب الرس.. وانظر: البداية والنهاية: ١/٢٤٦.

هذا عن أصحاب الرس. أما أهل البئر المعطلة، فقد ذكر المفسرون في تفاسيرهم: إن البئر: الرس. قال في الصحاح مادة: (رس): ٣/ ٩٣٤، الرس: البئر المطوية بالحجارة، وكانت باليمن.. في بلدة يقال لها: (حاضراء).. نزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح.. وأمروا العلس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا وعبدوا صنماً، وأرسل الله تعالى إليهم حنظلة بن صفوان نبياً، فقتلوه، فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم.

انظر: تفسير القرطبي: ٦/ ٧٥، وحاشية الجمل: ٣/١٧، وتفسير الآلوسي: ١٧/١٦٧، وتفسير الشوكاني: ٤/ ٧٧.

وعلى هذا تبين لي أن أهل البئر المعطلة وأصحاب الرس اسمان لجماعة واحدة والله أعلم، وتأتي قصة أصحاب الرس ص٧٧٧.

(١) لم أعثر على مرجع يذكر أن الله تعالى نجى نبي الله حنظلة بن صفوان من قومه، بل المراجع التي اطلعت عليها ذكرت أنهم قتلوه فأهلكهم الله.

انظر: تاريخ دمشق: ١١، وتفسر القرطبي: ٦/ ٧٥، والبداية والنهاية: ١/٢٤٦ وغيرها.

(٢) في (ح): «ملائكة العقاب».

(٣) وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾ [الحج: ٤٥].

(٤) في (هـ) و(ح): «ولم ينكروا»، وهو خطأ.

(٥) في (ح): «للمفسدين».

(٦) في (هـ) و(ح): «صفوان بن حنظلة»، ولم أعثر على مرجع يذكر أن هناك نبياً =

لم يذكر في «الكتاب العزيز» وهو المرسل إلى أصحاب الرس[1]، وهم أمة عظيمة ومسكنهم [أرض][2] (حضرموت)[3]، وكان طول مدينتهم أربعين ميلاً، وعرضها كذلك، وسموا باسم ملكهم الرس[4]، وكانوا متنعمين متمتعين، فعبدوا الأصنام وفشت فيهم الفواحش، فأرسل الله جل شأنه إليهم نبيه حنظلة بن صفوان[5] هذا ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فنهاهم عن المعاصي فلم يسمعوا ولم يقبلوا، فأقحطوا وملح ماؤهم، فعمدوا إليه فقتلوه، فغضب الله ﷻ ومسخهم كلهم ومدينتهم أحجاراً سوداً[6].

= اسمه: صفوان بن حنظلة، وقد ذكرت في قصة أهل البئر المعطلة ص(٢٣) أنهم وأصحاب الرس واحد، وأن الله بعث إليهم حنظلة بن صفوان. .

(١) أصحاب الرس: ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ [الفرقان: ٣٨، ٣٩].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٢ ـ ١٤].

قلت: النبي المرسل إلى أصحاب الرس ليس صفوان بن حنظلة كما ذكره المؤلف وإنما هو حنظلة بن صفوان كما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، ووافقه ابن كثير في البداية والنهاية.

قال الحافظ ابن عساكر: إن أصحاب الرس كانوا بـ(حضور) فبعث الله إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه، فسار عاد بن عوص ،بن إرم بن سام بن نوح بولده من الرس، فنزل (الأحقاف) وأهلك الله أصحاب الرس. .

انظر: تاريخ دمشق: ١١. وانظر: البداية والنهاية: ١/ ٢٤٦.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) وأصحاب الرس مسكنهم (حضور)، وهي جبل وبلد بـ(اليمن).

انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١، والبداية والنهاية: ١/ ٢٤٦، والقاموس المحيط مادة: (حضر): ٢/ ١١.

(٤) الرس ليس اسم ملك ـ كما ذكره المؤلف ـ وإنما هو البئر المطوية بالحجارة، قاله صاحب الصحاح مادة: (رسس): ٣/ ٩٣٤، وصاحب القاموس المحيط مادة: (رسس): ٢/ ٢٢٧، وصاحب اللسان مادة: (رسس): ٦/ ٩٩.

وسموا بأصحاب الرس؛ لأنهم رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها. انظر: البداية والنهاية: ١/ ٢٤٦.

(٥) في (هـ) و(ح): «نبيه صفوان هذا».

(٦) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢٤٦:

قال السهيلي: وكان يوحى إليه في النوم وكان اسمه حنظلة بن صفوان فعدوا عليه فقتلوه =

ثم بعده نبي الله وخليله إبراهيم ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ، وسيأتي في قصص الأنبياء[1] مساق نسبه ونسب الأنبياء عليهم السلام.

قال الجواليقي[2]: هو اسم قديم يعرب وقد تكلمت به العرب على وجوه: [أشهرها: إِبْراهِيمَ وأَبْرَاهام][3]، وقرئ بهما[4] في السبع[5] وإبراهِمْ بحذف الياء، وإبراهَمْ وهو اسم سرياني معناه: أب رحيم. وقيل: مشتق من البرهمة[6] وهي شدة النظر، حكاه الكرماني في عجائبه.

وقال الواقدي[7]: ولد إبراهيم على رأس ألفي سنة من..................

= وألقوه في البئر، فغار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم وخربت ديارهم، وتبدلوا بعد الأنس بالوحشة وبعد الاجتماع بالفرقة وهلكوا عن آخرهم، وسكن في مساكنهم الجن والوحوش فلا يسمع ببقاعهم إلا زعيق الجن وزئير الأسد وصوت الضباع.

(١) علم قصص الأنبياء النوع (١٣٦): ٦٣٣، والمؤلف لم يذكر مساق نسب إبراهيم هنا ولا هناك.

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ١٣٩. سياق نسبه فقال: هو: إبراهيم بن تاريخ بن ناحور بن ساروغ بن رعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.

(٢) هو: موهوب بن أحمد بن محمد أبو منصور الجواليقي، من شيوخه: الخطيب التبريزي، من مؤلفاته: «التكملة فيما تلحن فيه العامة»، و«تتمة درة الغواص»، و«شرح أدب الكاتب»، ولد سنة (٤٦٦هـ)، وتوفي سنة (٥٣٩هـ).

انظر: إنباء الرواة: ٣/ ٣٣٥، وبغية الوعاة: ٤٠١.

(٣) في (ح): «أشهرها إبراهيم، وقالوا: أبراهام».

(٤) في (هـ) و(ح): «به» والصواب ما أثبته.

(٥) وفي الكشف عن وجود القراءات السبع: ١/ ٢٦٣ قوله: (إبراهيم) قرأه ابن هشام بألف في موضع الياء، هكذا «إبراهَام» في ثلاثة وثلاثين موضعاً. .، وروي عن ابن ذكوان أنه قرأ في البقرة خاصة بالألف، وبالوجهين قرأت، ـ يعني قرأت لابن ذكوان بالوجهين ـ وهو الاختيار، اتباعاً للمصحف، ولأن عليه لغة العامة، وعليه الجماعة، والألف لغة شامية قليلة.

وانظر: التيسير في القراءات السبع: ٧٨، وتهذيب الأسماء واللغات: ١/ ٩٨.

(٦) وفي اللسان مادة: (برهم): ١٢/ ٤٨: البرهمة إدامة النظر وسكون الطرف، ثم قال ابن منظور: إبراهيم اسم أعجمي وفيه لغات: إبراهام وإبراهَم وإِبْراهِم بحذف الياء.

(٧) هو: محمد بن عمر بن واقد الواقدي، قاضي بغداد وهو رأس في المغازي والسِيَر ويروي عن كل ضرب، من شيوخه الثوري والأوزاعي، ومن تلاميذه الشافعي وأبو عبيد =

[خلق][1] آدم[2].

وفي المستدرك مسندة إلى أبي هريرة قال: اختتن إبراهيم بعد عشرين ومائة سنة بالقدوم، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة[3].

وحكى النواوي وغيره: أنه عاش مائة وخمساً وسبعين سنة[4].

وقال الواقدي[5]: يقول الله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨][6] فكان بين نوح وآدم [عشرة قرون][7] وبينه وبين إبراهيم عشرة قرون، فولد إبراهيم خليل الرحمن على رأس ألفي سنة من خلق آدم. وهو أبو أكثر الأنبياء[8] عليه السلام، وهو المخصوص بالكرامة العظيمة والمناقب الحسنة، وهو

= القاسم. كذّبه أحمد، وقال النسائي وابن معين: ليس ثقة، توفي سنة (٢٠٧هـ)، وقيل: (٢٠٩هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٣٤٨/١، وطبقات الحفاظ: ١٤٤، والشذرات: ١٨/٢، ووفيات الأعيان: ٣٤٨/٤.

(١) ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبته من المستدرك: ٥٤٩/٢.

(٢) نقلاً عن المستدرك كتاب التاريخ، باب القرون فيما بين الأنبياء: ٥٤٩/٢.

(٣) المستدرك كتاب التاريخ، باب مات إبراهيم وهو ابن مائتي سنة: ٥٥١/٢.

قلت: ما رواه الحاكم رده الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان، باب الختان بعد الكبر: ١٤٣/٧، من حديث أبي هريرة نفسه: عن رسول الله ﷺ قال: «اختتن إبراهيم عليه السلام بعد ثمانين سنة واختتن بالقدوم». ورواه في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ...﴾ [النساء: ١٢٥]: ١١١/٤.

(٤) قال النووي في التهذيب: ٩٩/١: قيل: بلغ عمره عليه السلام مائة وخمساً وسبعين سنة، وقيل: مائتي سنة.

(٥) قال الحاكم: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة الأصبهاني، حدثنا الحسن بن الجهم التميمي، حدثنا الحسين بن الفرج، حدثنا محمد بن عمر الواقدي، حدثني شريح بن يزيد، عن إبراهيم بن محمد بن زيادة عن أبيه عن عبد الله بن بشر قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي، فقال: «هذا الغلام يعيش قرناً» فعاش مائة سنة، قال الواقدي: يقول الله عز وجل: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]، فكان بين نوح وآدم عشرة قرون، وبينه وبين إبراهيم عشرة قرون، فولد إبراهيم خليل الله على رأس ألف سنة من خلق آدم.

المستدرك للحاكم كتاب التاريخ، باب بيان القرون فيما بين الأنبياء: ٧٤٩/٢.

(٦) تمامها: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾.

(٧) في (ح): «عشرون قرناً».

(٨) وفي تهذيب الأسماء واللغات: ٩٩/١: قال أهل التواريخ: كانت له عشر صحائف، وجعل له لسان صدق في الآخرين أي ثناءً حسناً، فليس أحد من الأمم إلا يحبه، وأكرمه بالحلة، وبأن جعل أكثر الأنبياء من ذريته، وختم ذلك ﷺ بنبينا محمد ﷺ.

أول من سن السنن الحسنة، وأقام النواميس العظيمة، نبأه الله جل شأنه وأعلى ذكره، وأرسله إلى الأمم الطاغية من قوم نمرود بن كنعان، فدعا إلى الله سبحانه، وجاهد في الله حقّ جهاده فأوذي كثيراً، ثم نصره الله ﷻ، وأظهر دينه وملّته، وأُمِر ببناء البيت الشريف فبناه، وكان ربوة عالية، فحفر أساسه وبناه حتى أكمله.

وهذه العمارة الثالثة[1]، فإن الأولى كانت للملائكة، والثاني لآدم ﵇، والثالث لإبراهيم ﵇، فبناه هو وابنه إسماعيل[2] ﵇، وصليا

---

(١) وفي الروض الأنف للسهيلي: ١/ ٢٦٥ بتصرف يسير:

وكمل بناؤها في الدهر خمس مرات:

الأولى: حين بناها شيث بن آدم.

والثانية: حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى.

والثالثة: حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام.

والرابعة: حين احترقت في عهد ابن الزبير... فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم... فبناها على مقتضى حديث عائشة عن رسول الله ﷺ، على قواعد إبراهيم، كما في صحيح البخاري: كتاب الحج، باب من أين يخرج من مكة رقم (١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦)، وكتاب الأنبياء رقم: (٣٣٦٨) وكتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، الآية ١٢٧.

والخامسة: في عهد عبد الملك بن مروان، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ.

قلت: القول الذي تطمئن به النفس ما قاله ابن كثير في السيرة النبوية: ١/ ١٦٦:

وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل ﵇. انتهى.

وقد روى البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿يَزِفُّونَ﴾: ٤/ ١١٦ في حديث طويل وفيه: ... «ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربُّك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإنّ اللهَ أمرني أن أبني هٰهنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت...» الحديث.

وأيضاً قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ١٧٨:

قال بعض السلف: إن في كل سماء بيتاً يَعبُدُ اللهَ فيه أهلُ كلِّ سماء، وهو كالكعبة لأهل الأرض، فأمر الله تعالى إبراهيم ﵇ أن يبني له بيتاً يكون لأهل الأرض كتلك المعابد لملائكة السماوات، وأرشده الله إلى مكان البيت المهيأ له المعين لذلك منذ خلق السماوات والأرض.. ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل ﵇، ومن تمسك في هذا بقوله: ﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾، فليس بناهض ولا ظاهر؛ لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

عنده[1] ودعوا الله ﷻ[2]، فأمر إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالنداء[3]، ألا إن الله ﷻ قد بنى البيت فحجوه، فأبلغ الله ﷻ صوته إلى حيث شاء، فحجه الناس من كل فجٍّ عميق، وحجه إبراهيم عليه السلام وإسحاق وسارة، وبنى (البيت المقدس)[4] بعد بناء البيت، وتوفي بـ(المقدس)، ـ رحمه الله تعالى ـ ونفعنا به آمين.

ثم بعده في أيامه نبي الله لوط ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان مرسلاً إلى أهل (سَدُوم)[5] وهي بلدة عظيمة بـ(الأردن) ويقال: كان المرسل إليهم سبعة[6]

---

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨، ١٢٩].

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٨، ٢٩].

(٤) والصحيح الذي بنى بيت المقدس هو نبي الله سليمان عليه السلام وليس كما ذكره المؤلف من أن إبراهيم عليه السلام هو الذي بنى بيت المقدس بعد بناء الكعبة.

وقد ذكر المؤلف نفسه في قصة سليمان، أنه الذي بناه.

انظر: ص (٣٩) نقلاً عن الإتقان: ٤/ ٦٤.

قال أهل التاريخ: ملك أي سليمان وهو ابن ثلاث عشر سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين، ومات وله ثلاث وخمسون سنة.

(٥) وسدوم بفتح أوله، مدينة من مدائن لوط، كان قاضيها يقال له: سدوم، وضرب به المثل، يقال: أجور من قاضي سدوم وأجور من سدوم.

انظر: معجم ما استعجم: ٣/ ٧٢٩، ومعجم البلدان: ٣/ ٢٠٠.

(٦) قلت: لم أعثر على ما قاله المؤلف من أن مدائن قوم لوط سبع، فقد روى الحاكم في المستدرك كتاب التاريخ، باب أحوال قوم لوط: ٢/ ٥٦٢. في حديث طويل وفيه: أن لوطاً نبأه الله وبعثه إلى المؤتفكات رسولاً داعياً إلى الله، وهي خمس مدائن أعظمها (سدوم)، ثم (عمود)، ثم (أروم)، ثم (صعور)، ثم (صابور)... فنزل لوط (سدوم) فلبث فيهم بضعاً وعشرين سنة يأمرهم وينهاهم ويدعوهم إلى الله وإلى عبادته، وترك ما هم عليه من الفواحش والخبائث.

وذكر الطبري في تاريخه: ١/ ٣٠٧، وابن الأثير في الكامل: ١/ ١٢٢ أن مدائن قوم لوط خمس.

مدائن كبار، فدعاهم إلى توحيد الله ﷻ وتعظيمه، وأمرهم باجتناب الفواحش والمناكر، وكان قد فشى فيهم اللواط، فنهاهم عن ذلك[1]، فحذرهم سخط الله وعقابه فلم ينتهوا عما هم عليه، وكانوا يتجاهرون بذلك في مجالسهم ونواديهم ويفعلون الفاحشة بمن وصل إليهم من غريب أو ابن سبيل، فأمر الله لوطاً عليه السلام أن يتحمل بأهله ويرحل عنهم، وأن لا يلتفت منهم أحد إلى ورائه، وأرسل عليهم ملائكة فاحتملت مدائنهم حتى بلغت بها إلى الجو، فقلبت عاليها سافلها وحصبوا بالحجارة[2].

وولد لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ابنه نبي الله إسماعيل عليه السلام.

قال النووي وغيره: هو أكبر ولد إبراهيم[3]. وكان مرسلاً إلى قبائل العرب من جرهم[4] والعمالقة[5]، وذلك أنه لما حملت به أمه هاجر أمر الله ﷻ أباه إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يضعها في (مكة)، فأتى بهما إلى (مكة) ووضعهما وذهب، فقالت له هاجر: أتتركنا حيث لأن الله أمرك بذلك؟. فقال: نعم، قالت: هو حسبنا. فأقامت هي وابنها حتى لحقهما الظمأ واشتد بهما العطش، فخرجت تلتمس لابنها ماء، فذهبت إلى (الصفا) ثم إلى (المروة) فلم تجد، وفي غيبتها أمر الله ﷻ جبريل عليه السلام فضرب بجناحه تحت

---

(١) وفي الكامل لابن الأثير: ١/١١٨: أقام لوط عليه السلام بـ(سَدوم)، أرسله الله إلى أهلها، وكانوا أهلَ كفرٍ بالله تعالى وركوب فاحشة، وإتيان الذكور في الأدبار، وقطع السبيل، وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الأمور التي يكرهها الله منهم، ويتوعدهم على إصرارهم، وترك التوبة بالعذاب الأليم. اهـ بتصرف قليل.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨١ ـ ٨٣].

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: ١/١٠٢.

(٤) هم: جرهم القحطانيون فيرجع نسبهم إلى جرهم بن قحطان بن هود، وهم أصهار إسماعيل عليه السلام.

انظر: تاريخ ابن خلدون: ٢/٣٠، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د. جواد علي: ١/٣٤٥.

(٥) تأتي ترجمتهم في صفحة (٣٦).

قدم إسماعيل فنبع الماء[١] ففحص إسماعيل الماء برجله، وأقبلت أمه وعندها أنه قد مات من الظمأ، فوجدت الماء يسيل تحت أقدامه فجمعته، فأقامت هي وابنها عليه السلام يشربان من ذلك الماء حتى وفد عليهما ناس من جرهم، فلما رأوا الماء ولم يكونوا يعهدونه في ذلك الموضع استأذنوا هاجر أن ينزلوا معها على الماء، فأذنت لهم وأقاموا معها واستأنست بهم، وماتت هاجر ودفنت بـ(الحطيم) أو (الحجر)[٢] ـ رحمها الله تعالى ـ، وكبر إسماعيل وتزوج امرأة من جرهم، وكان قد نبغ في العربية لمخالطته جرهم ففاق عليهم فيها.

وفي ذريته القبائل العدنانية ـ رحمه الله تعالى ـ ونفعنا به آمين.

وولد أيضاً لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ابنه نبي الله إسحاق ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أبو الأنبياء من بني إسرائيل عليهم السلام.

قال الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في الإتقان: ولد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة[٣].

وذكر أبو علي بن مسكر[٤] في كتاب «نديم الفريد»[٥]: أن معنى إسحاق بالعبرانية: الضحاك.

---

(١) فقد روى البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ من حديث ابن عباس في حديث طويل وفيه: .. وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يلتوي، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت (الصفا).. فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي... فلم تر أحداً... ثم أتت (المروة)، فقامت عليها.. فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات... فلما أشرفت على (المروة) سمعت صوتاً... فقالت: قد أسمعت صوتاً إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوض، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها... وسأذكر (قصة زمزم) في علم قصص الأنبياء النوع (١٣٦) في قصة إسماعيل ـ إن شاء الله ـ.

(٢) وفي اللسان مادة: (حجر): ٤/ ١٧٠ الحجر حجر الكعبة، وهو ما حواه الحطيم المدار بالمدار بالبيت جانب الشمال، وكل ما حجرته من حائط فهو حجر.

(٣) الإتقان: ٤/ ٦٠.

(٤) لم أعثر على ترجمته.

(٥) نقلاً عن الإتقان: ٤/ ٥٨.

نبأه الله جل شأنه واصطفاه، فخلف هو وأخوه إسماعيل عليه السلام أباهما.

وكان إسحاق مرسلاً إلى أهل فلسطين وبيت المقدس[1].

وقد اختلف أهل العلم في الذبيح من أولاد إبراهيم عليه السلام:

فذهب أهل الكتاب وجمع من أهل الإسلام إلى أنه نبي الله إسحاق.

والمشهور الصحيح عند المحمديين أنه إسماعيل[2].

---

(١) وفي أنس الجليل: ١/ ٦٥:

ولم يمت إبراهيم عليه السلام حتى بعث إسحاق إلى أرض الشام، وبعث يعقوب إلى أرض كنعان، وإسماعيل إلى جرهم.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٦/ ٣٠:

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكى ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

والصحيح أن الذبيح هو - إسماعيل -.

وقال ابن كثير في تفسيره: ٦/ ٣٠:

قال ابن إسحاق: سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول:

إن الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنَيْهِ: إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى؛ وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: ١١٢]. ويقول الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، يقول: بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق، وله فيه من الموعد بما وعده، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل.

قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك كثيراً.

ثم علق ابن كثير فيقول: وأما ما اختاره ابن جرير واعتمده في تفسيره - أن الذبيح إسحاق عليه السلام -، ليس بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جداً. والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل عليه السلام أثبت وأصح وأقوى - والله أعلم - انتهى.

= وأيضاً: إن قول أهل الكتاب بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام: باطل بنص كتابهم؛ فإن كتابهم: فيه أن الله تعالى أمر سيدنا إبراهيم أن يذبح ابنه بكره، وفي لفظ (وحيده)، ولا يشك أهل الكتاب أن إسماعيل هو بكر أولاده.

انظر: أبو الأنبياء لمنيع محمود: ٦٦.

ويمكن الجمع بأن إبراهيم عليه السلام بعد أن أمر بذبح إسماعيل عليه السلام واتفق له ما اتفق فعل ذلك إسحاق عليه السلام تيمنا وتبركاً، ثم فداه من عنده فصار يطلق على كل منهما الذبيح(1) ـ والله أعلم ـ.

توفي عليه السلام ودفن بـ(بيت المقدس).

ثم بعده ابنه نبي الله يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو المسمّى إسرائيل(2)، وولد له اثنا عشر ولداً هم الأسباط(3)، وهم سائر قبائل بني إسرائيل.

توفي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وله من العمر [مائة وسبع وأربعون سنة](4)(5)، ودفن بـ(بيت المقدس)(6).

---

(1) هذا الجمع قيّم جداً، غير أنه لم يرد فيه حديث صحيح عن المعصوم حتى نعتمد عليه ونقول به على الرأس والعين.

(2) وسمي إسرائيل؛ لأنه كان يسري بالليل ويكنّ بالنهار هرباً من أخيه العيص إلى خاله. انظر: الكامل لابن الأثير: ١/ ١٢٧.

(3) والأسباط: أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولداً، ولكل واحد منهم من الأولاد جماعة.

والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب، وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون، وأيضاً لأن كل رجل من أولاد يعقوب ولد أمة من الناس، فسموا الأسباط.

انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٩٣، وتفسير الشوكاني: ١/ ١٤٧، والأنس الجليل: ١/ ٦٥.

(4) في (هـ) و(ح): «مائة وأربعون سنة»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٦٠.

(5) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢٣٨ قال ابن كثير:

وعند أهل الكتاب أن عمر يعقوب يوم دخل مصر مائة وثلاثون سنة، وعندهم أنه أقام بأرض مصر سبع عشرة سنة، ومع هذا قالوا: فكان جميع عمره مائة وأربعين سنة، هذا نص كتابهم وهو غلط، إما في النسخة أو منهم، أو قد أسقطوا الكسر وليس بعادتهم فيما هو أكثر من هذا.

(6) وفي البداية والنهاية: ١/ ١٩٠: وقبر إبراهيم وقبر ولده إسحاق وقبر ولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود ببلد حبرون، وهو البلد المعروف بالخليل اليوم، وهذا تُلقي بالتواتر أمةً بعد أمة وجيلاً بعد جيل، من زمن بني إسرائيل وإلى زمننا هذا: أن قبره بالمربعة تحقيقاً. فأما تعيينه منها فليس فيه خبرٌ صحيحٌ عن معصوم، فينبغي أن تراعى تلك المحلة وأن تحترم احترام مثلها، وأن تجلّ أن يداس في أرجائها، خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده الأنبياء عليهم السلام تحتها.

وخلف بعده نبي الله يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أحد الأبناء الاثنا عشر أبناء يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ، نبأه الله جل شأنه واصطفاه وملكه جميع أرض مصر.

وجميع أبناء يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخيار أمجاد أتقياء أصفياء، وبعضهم أنبياء(١) نفع الله بهم آمين.

وفي المستدرك بسنده إلى الفضيل بن عياض(٢) قال: كان فراق يوسف حجر يعقوب إلى أن التقيا ثمانين سنة(٣).

وفي المستدرك عن الحسن: أن يوسف عليه السلام ألقي في الجب وهو ابن اثنى عشر سنة ولقي أباه بعد الثمانين(٤).

وفي الإتقان وغيره: وعاش من العمر مائة وعشرين سنة(٥).

ثم بعده نبي الله موسى بن ميشا(٦)، وهذا لم يذكر في الكتاب العزيز، وهو من ولد يوسف عليه السلام، أوحى الله جل شأنه إليه، وأرسله إلى قومه بمواعظ وأوامر فقرأها عليهم فأجابوه واتبعوا أمره فلبث فيهم زماناً طويلاً حتى قبضه الله جل شأنه إلى دار كرامته ورضوانه ـ رحمة الله وسلامه عليه ـ.

---

(١) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ١/ ٣٠٩: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غير يوسف، وباقي إخوته لم يوح إليهم، وما يؤيد أن يوسف هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة؛ أنه ما نص على واحد من إخوته سواه فدل على ما ذكرناه.

(٢) هو: الفضيل بن عياض بن مسعود أبو علي الزاهد التميمي، من شيوخه: الأعمش وجعفر الصادق، ومن تلاميذه الشافعي والسفيانان، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. قال النسائي: ثقة مأمون، توفي سنة (١٨٧هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٤٥، وطبقات الحفاظ: ١٠٤، والشذرات: ١/ ٣١٦، وفيات الأعيان: ٤/ ٥٧.

(٣) المستدرك، كتاب التاريخ، باب ذكر يوسف: ٢/ ٥٧٢.

(٤) المستدرك، كتاب التاريخ، باب ذكر يوسف: ٢/ ٥٧١.

(٥) الإتقان: ٤/ ٦١.

(٦) لم أرَ من العلماء قديماً وحديثاً من يتكلم ويذكر هذا الاسم من أنبياء الله، ولم أعثر على مرجع هذا الكلام؛ ولم يعرف من الأنبياء نبي مرسل إلى أهل مصر سوى يوسف وموسى ـ المعروف ـ وهارون عليهما السلام (فيما أعلم).

ثم بعده نبي الله أيوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو من لد العيص[1] بن إسحاق عليه السلام، نبأه الله تعالى، واصطفاه ورزقه سعة عظيمة في الدنيا، وكان شاكراً لأنعم الله عليه مكرماً للضعيف، يأوي الغريب، ويحسن إلى السائل، فابتلاه الله جل شأنه بذهاب ما رزقه من السعة وفقد أولاده[2]، فكان في ذلك صابراً شاكراً لله تعالى، فأعاد الله جل شأنه عليه ذلك في لمح البصر ـ عليه سلام الله ورحمته ـ.

وحكى ابن عساكر: أن أمه بنت لوط، وأن أباه ممن آمن بإبراهيم[3]. انتهى.

وهذا القول هو الراجح الصحيح، وقد قيل غير ذلك، ستأتي في نوع قصص الأنبياء[4].

وروى الطبراني: أن مدة عمره كانت ثلاثاً وتسعين سنة[5].

وفي المستدرك عن وهب بن منبه قال: كان عمر أيوب ثلاثاً وتسعين سنة،

---

(١) هو: أيوب بن موص بن زراح بن روم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ٢٢٠.

(٢) فقد ذكرالله تعالى قصته في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤١ ـ ٤٤].

وفي تفسير المراغي: ١٧/ ٦١: إن أيوب ابتلي في نفسه وولده وماله، فابتلي بالمرض، وهلاك الأولاد، وضياع الأموال، امتحاناً منه تعالى، واختياراً له، ثم كشف عنه ما به من ضر فشفي من أمراضه التي أصيب بها، وأنجب من الأولاد ضعف ما كان، وحسن حاله في ماله فزال ما به من عدم وإقتار.

(٣) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢٣٩: وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام، وقيل: كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم ألقي في النار فلم تحرقه.

(٤) انظر: النوع (١٣٦) علم قصص الأنبياء صفحة (٦٧٣).

(٥) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢٤٤: أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثاً وتسعين سنة.

وأوصى عند موته إلى ابنه حومل[1].

وقد بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً وسماه ذا الكفل[2]، وأمره بالدعاء إلى توحيده، وأنه كان مقيماً بالشام حتى مات، وكان عمره خمساً وسبعين سنة[3].

وإن بشراً أوصى إلى ابنه عبدان، ثم بعث الله بعدهم شعيباً. انتهى.

وسيأتي عن ذي الكفل ما قيل فيه[4].

ثم بعده نبي الله شعيب[5] ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو من أولاد مدين بن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ نبأه الله جل شأنه، واصطفاه وأرسله إلى قومه من أولاد مدين، وكانوا أمماً عظيمة وهم أصحاب الأيكة، وقيل: أصحاب الأيكة غيرهم[6]، وأرسل شعيب إلى كلتي الطائفتين، وكان فيهم بخس الميزان

---

(١) المستدرك، كتاب التاريخ، باب أمطر على أيوب جراد من ذهب: ٢/ ٥٨٢. وانظر: البداية والنهاية: ١/ ٢٤٤.

(٢) يأتي بيان سبب تسميته ذا الكفل في صفحة ٤١.

(٣) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢٤٤ مختصراً.

وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب، وهو ذو الكفل، ومات وكان عمره من السنين خمساً وسبعين.

(٤) تأتي قصته في صفحة (٤١).

(٥) هو: شعيب بن نويب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم، ويسمى خطيب الأنبياء، لفصاحته وعلوّ عبارته وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته. انظر: البداية والنهاية: ١/ ٢٠١.

(٦) قال ابن كثير في البداية النهاية: ١/ ٢٠٦: ومن زعم من المفسرين كقتادة وغيره: أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل (مدين)، فقوله ضعيف. وإنما عمدتهم شيئان:

أحدهما: أنه قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ [الشعراء: ١٧٦] ولم يقل: أخوهم كما قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤، العنكبوت: ٣٦].

والثاني: أنه ذكر عذابهم بيوم الظلة، وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة.

والجواب عن الأول: أنه لم يذكر الإخوة بعد قوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧٦﴾ لأنه وصفهم بعبادة الأيكة، فلا يناسب ذكر الإخوة ههنا، ولما نسبهم إلى القبيلة شاع ذكر شعيب بأنه أخوهم. وهذا الفرق من النفائس اللطيفة العزيزة الشريفة.

وأما احتجاجهم بيوم الظلة، فإن كان دليلاً بمجرده على أن هؤلاء أمة أخرى، فليكن تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة على أنهما أمتان أخريان، وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئاً من هذا الشأن... ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة، ما ذكر عن أهل مدين من =

والخيانة في ذلك فنهاهم عن ذلك، وحذرهم سخط الله وغضبه، فلم ينتبهوا وأصروا على العصيان، وراموا إخراجه هو ومن آمن به، فأرسل الله جل شأنه عليهم ريحاً شديدة حارة فأهلكتهم[1]، وتوجه هو ومن آمن به وأتباعه إلى (البيت الشريف)، فحج البيت ومات بـ(مكة)[2]، ـ رحمه الله تعالى ـ ونفعنا به آمين.

وفي أيامه ظهر نبي الله موسى بن عمران ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

أخرج أبو الشيخ من طريق عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: إنما سمي (موسى)[3] لأنه ألقي بين شجر وماء، فالماء (بالقبطية)[4] «مو» والشجر «سا»[5]. وهو من أولاد يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ، نبأه الله ﷺ، واصطفاه، وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل لما استضعفهم القبط وكثر الفساد، وخصوصاً بظهور فرعون وادعائه الربوبية، فدعاهم إلى توحيد الله وتعظيمه، وترك ما هم عليه، فأوذي كثيراً وثبته الله وأعانه بأخيه هارون عليه السلام، ونبأه وأرسله معيناً لموسى عليه السلام، فقاما أحسن القيام وبثا الدعوة وأظهرا التوحيد، فنصرهما الله جل شأنه وأيدهما وخذل عدوهما، فظهر الدين واستنارت الأمة بوجودهما، وتوفي موسى ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة

= التطفيف في المكيال والميزان، فدل على أنهم أمة واحدة، أهلكوا بأنواع من العذاب، وذكر في كل موضع ما يناسب الخطاب.

(١) وفي البداية والنهاية: ١/٢٠٦: وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشعراء: ١٨٩]. ذكروا أنهم أصابهم حر شديد وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في الأسراب، فهربوا من محلتهم إلى البرية، فأظلتهم سحابة، فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها، فلما تكاملوا فيه أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة من السماء فأزهقت الأرواح، وخربت الأشباح ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأعراف: ٩٢].

(٢) وفي البداية والنهاية: ١/٢٠٧: إن شعيباً عليه السلام مات بـ(مكة) ومن معه من المؤمنين، وقبورهم غربي (الكعبة) بين دار الندوة ودار بني سهم.

(٣) ساقطة من (هـ) و(ح)، مثبتة في الإتقان: ٤/٦٣.

(٤) ساقطة من (هـ) و(ح)، مثبتة في الإتقان: ٤/٦٣.

(٥) نقلاً عن الإتقان ٤/٦٣.

والسلام ـ، ودفن بـ(بيت المقدس) مع آبائه الكرام ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

قال الثعلبي[(١)]: عاش مائة وعشرين سنة، ومات هارون قبل موسى، وكان ولد قبله[(٢)].

وذكر ابن عساكر: إن معنى هارون بالعبرانية المحبب[(٣)].

وفي المستدرك عن وهب بن منبه قال: وقبض هارون وموسى بن سبع عشرة ومائة (سنة)[(٤)] قبل أن ينقضي التيه بثلاث سنين، وقبض هارون وهو ابن عشرين ومائة سنة[(٥)]. انتهى.

وهو على هذا أكبر من موسى بثلاث سنين.

وفي أيامه كان نبي الله الخضر ـ عليه الصلاة والسلام ـ واسمه باليابن ملكا[(٦)]، وهو نبي من أنبياء الله تعالى على الصحيح[(٧)].

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير والعرائس في قصص الأنبياء، من شيوخه: أبو طاهر الفضل وأبو بكر بن مهران، ومن تلاميذه: أبو الحسن الواحدي، توفي سنة (٤٢٧هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/ ١٠٩٠، وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٥، والشذرات: ٣/ ٢٣٠، وفيات الأعيان: ١/ ٧٩.

(٢) العرائس للثعلبي: ١٩٥، كما في المستدرك: ٢/ ٥٧٨.

(٣) نقلاً عن الإتقان: ٤/ ٦٣، وفي الإتقان: «ابن مسكويه».

(٤) ساقطة من (هـ) و(ح)، مثبتة في المستدرك.

(٥) المستدرك للحاكم، كتاب التاريخ، باب ذكر وفاة هارون: ٢/ ٥٧٨.

(٦) هو: بليا ويقال: إيليا بن ملكا بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.

انظر: المعارف لابن قتيبة: . . . والبداية والنهاية: ١/ ٣٢٦.

(٧) وفي نبوته أدلة أذكرها:

أحدها: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٦ ـ ٧٠]. فلو كان ولياً، وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد.

الثاني: أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحي من الملك العلام؛ لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد العصمة؛ إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق.

الثالث: أنه لما فسّر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى، ووضح له عن حقيقة أمره، =

وقيل: إنه ولي وهو موجود من زمن ذي القرنين الأول[١] الذي كان في زمن الخليل إبراهيم، لا ذي القرنين الرومي[٢]، إلى زمن موسى عليه السلام، واتفق له معه ما اتفق الذي ذكره الله جل شأنه في كتابه العزيز[٣]، والصحيح أنه حي يرزق إلى أن يذهب الله بالدنيا[٤] ـ عليه سلام الله ورضوانه ـ.

وبعد نبي الله موسى عليه السلام تلميذه نبي الله يوشع[٥]، نبأه الله جل شأنه،

= قال بعد ذلك كله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]. ولا ينافي ذلك حصول ولايته.

انظر: البداية والنهاية: ١/ ٣٢٨.

(١) ذو القرنين: أبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام، وكان ملكاً صالحاً وأثنى الله عليه في كتابه وكان منصوراً وكان الخضر عليه السلام في مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير. وكان ذو القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ١٠٣، ١٠٦. ويأتي في صفحة (٧٨٣) بيان ترجمته كاملة.

(٢) هو: الإسكندر بن فيلسوف بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي المقدوني اليوناني المصري، باني إسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان مشركاً ووزيره أرسطاطاليس الفيلسوف، وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ١٠٥، ١٠٦. ففي صفحة (٩٥) أبين خطأ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من أن ذي القرنين المذكور في القرآن هو الإسكندر بن فيلسوف الرومي المقدوني هذا، حيث إنه كان مشركاً ووزيره أرسطاطاليس فيلسوفاً، فأما ذو القرنين المذكور في القرآن يأتي ترجمته كاملة في صفحة (٧٨٣).

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف: ٨٣].

(٤) هذا القول يرده ما رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: صلّى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلّم قام فقال: «أرأيتُكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم: ١/ ٣٧.

ويرده قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت ولم يذكر فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله. انظر: البداية والنهاية: ١/ ٣٣٦، وانظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ٥/ ١٦٨.

(٥) هو: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر من قوله =

واصطفاه وأرسله إلى بني إسرائيل، وأمره بقتال الجبابرة والطغاة من العمالقة[1] والكنعانيين وغيرهم، فقاتلهم وفتح سائر أرض (الشام)، وقتل من ملوكهم أحداً وثلاثين ملكاً[2]، وخرب إحدى وثلاثين مدينة، وقسم الأراضي التي أخذها بين الأسباط صارت (الشام) كلها لبني إسرائيل. ونصر الدين، ودبر أمر بني إسرائيل سبعة وعشرين عاماً[3]، وهو ذكره الله جل شأنه في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠] وهو أحد الرجلين[4] الذين ذكرهما الله جلّ شأنه بقوله عزّ من قائل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣]، توفي عليه السلام وهو ابن مائة وعشرين سنة[5] ـ سلام الله ورحمته عليه ـ.

= تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٢].

انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/١٩٩.

(١) هم: أمم كثيرة، ويرجع نسبهم إلى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكانت منازلهم من حدود مصر فطور سيناء إلى فلسطين، ثم تفرقت في البلاد فكان منهم أهل عمان، وأهل الحجاز، وأهل الشام، وأهل مصر، ومنهم فراعنة مصر والجبابرة، ومنهم ملوك فارس وأهل خراسان.

انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٧، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د.جواد: ١/٣٤٥.

(٢) يقال: إن يوشع بن نون ظهر على أحد وثلاثين من ملوك الشام، ذكره ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢/٢٠٧.

(٣) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢/٢١٣: ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه، وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة، حتى قبضه الله إليه، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة.

(٤) وفي البداية والنهاية: ١/٣٠٢: وقد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالإقدام، ونهياهم عن الإحجام، ويقال: إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا.

وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾. وانظر: التعريف والإعلام: ٤٩.

(٥) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢/٢١٣: قبض الله يوشع إليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة.

ثم بعده نبي الله حزقيل(١) ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو المشار إليه في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، فكانت حياتهم تسبب توسله إلى الله ﷻ، فاستجاب الله دعوته، وأوحى إليه: أني جعلت حياتهم على يدك، فقال لهم: أحيوا بإذن الله، فعاشوا(٢). ـ عليه سلام الله ورضوانه ـ.

ثم بعده نبي الله شمويل(٣) ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو المراد في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ الآية [البقرة: ٢٤٦](٤).

وقد كان ولي أمر بني إسرائيل وتدبير سياستهم(٥) ـ عليه سلام الله ورضوانه ـ.

---

(١) هو: حزقيل بن بوذي وهو ابن العجوز، وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٣.

(٢) وفي البداية والنهاية: ٢/ ٣: كانت قرية وقع بها الطاعون، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها، فهلك من بقي في القرية، وسلم الآخرون، فلم يمت منهم كثير، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم، فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً حتى نزلوا ذلك المكان وهو (وادي أفيح)، فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه، أن موتوا فماتوا، حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبي يقال له: حزقيل، فلما رآهم، وقف عليهم، فجعل يفكر فيهم، ويلوي شدقيه وأصابعه، فأوحى الله إليه تريد أن أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم.

وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم، فقيل له: ناد، فنادى: يا أيتها العظام، إن الله يأمرك أن تجتمعي، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض، حتى كانت أجساداً من عظام، ثم أوحى الله إليه أن نادي، يا أيتها العظام، إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً، فاكتست لحماً ودماً، وثيابها التي ماتت فيها... إلى آخر القصة وهي رواية عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة.

(٣) تقدمت ترجمته صفحة (٧).

(٤) وتمام الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦].

(٥) وقصته مذكورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ =

ثم بعده نبي الله داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام، وكان ولي أمر بني إسرائيل، وأعطاه الملك والحكمة، ونبأه، واصطفاه، ورفع شأنه، وأعلاه، وأعزّ به بني إسرائيل، وأنزل الله جلّ شأنه الزبور(١)، وهو مشتمل على مواعظ وحكم، وكان إذا قرأ الزبور عكف عليه الطير، والوحش، والأوادم، ويركد الماء، ويسكت الريح، ويحمل من مجلسه جماعة كثيرون أمواتاً من رقة قوله وحسن صوته، وكانت الجبال والطَير تسبح الله معه إذا سبح الله(٢) ـ عليه سلام الله تعالى ورحمته ورضوانه ـ.

قال النووي: قال أهل التاريخ: عاش مائة سنة، مدة ملكه منها أربعون سنة. انتهى.

ثم بعده نبي الله سليمان(٣) ـ عليه الصلاة والسلام ـ نبأه الله جل شأنه،

= ﴿قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦ ـ ٢٤٨].

قال ابن جرير في تفسيره: ٥/ ١٩١، ٣٠٦: ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إن النبي الذي قال لهم ذلك «شمويل». وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ...﴾ الآية، يعني تعالى ذكره بذلك: وقال للملأ من بني إسرائيل نبيهم «شمويل»: إن الله أعطاكم ما سألتم، بعث لكم طالوت ملكاً...

وانظر: تفسير القرطبي: ٢/ ٢٤٣، وتفسير أبي حيان: ٢/ ٢٥٤، وتفسير الآلوسي: ٢/ ١٤٦. بل وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٦: قال أكثر المفسرين كان نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو «شمويل».

(١) قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

(٢) وفي البداية والنهاية: ٢/ ١١: قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [صٓ: ١٩]، أي عند آخر النهار وأوله، وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً، بحيث كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يُرَجِّعُ بترجيعه، ويُسبِّحُ بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشياً. وقال الأوزاعي: حدثني عبد الله بن عامر قال: أعطي داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط، حتى إن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشاً وجوعاً وحتى الأنهار لتقف.

(٣) هو: سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن مخشون بن عمينا بن =

وأعطاه الملك، والحكمة، والنبوة وهو صغير[1]، وولي أمر بني إسرائيل، ثم سار إلى رحمة الله ورضوانه، ودفن بالأرض المقدسة ـ رحمة الله وسلامه عليه ـ.

قال الحافظ السيوطي في الإتقان[2]:

قال أهل التاريخ: ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين، ومات وله ثلاث وخمسون سنة.

ثم بعده نبي الله إلياس[3] عليه السلام وهو من ولد هارون[4] عليه السلام نبأه الله تعالى

= داب بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ١٨.

(١) وفي الكامل لابن الأثير: ١/ ٢٢٩: لما توفي داود عليه السلام ملك بعده ابنه سليمان عليه السلام على بني إسرائيل، وكان ابن ثلاث عشرة سنة، وأتاه الله مع الملك النبوة.

انظر: تفسير الآلوسي: ١٩/ ١٧١.

(٢) الإتقان: ٤/ ٦٤.

(٣) إن القرآن الكريم لم يذكر قصة إلياس عليه السلام مفصلة بل ذكرها مجملة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات: ١٢٣ ـ ١٣٢].

وقد اطلعت على بعض التفاسير وبعض كتب التاريخ فوجدتها تذكر الكثير عن إلياس عليه السلام بما هو مشبع بالإسرائيليات.

وقد ذكر الثعلبي في العرائس: ١٤٢ ـ ١٤٧ قصة إلياس عليه السلام مطولة كلها من الإسرائيليات.

والمؤلف رحمه الله نقل قصته عن الثعلبي هنا مختصرة، وفي علم قصص الأنبياء: ١٦٧٤ وما بعدها مطولة، بدون نقد ولا تنبيه!

وذكر ابن كثير في تفسيره ٦/ ٣٣ بنحو ما ذكره الثعلبي مختصراً. ثم قال ابن كثير: هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته.

(٤) هو: إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون عليهما السلام، فهو إسرائيلي من سبط هارون.

انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٩١، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٣٣.

وأرسله إلى لاجب ملك العشرة الأسباط من بني إسرائيل، وكان قد صنع صنماً ودعا قومه إلى عبادته، وأخبرهم على ذلك، فنهاهم إلياس ﷺ عن ذلك وأكثر عليهم، فهموا بقتله، ففر هارباً إلى الفلاة والقفار، وأقام مدة شريداً وحيداً فريداً في الجبال الشوامخ يعبد الله ﷻ، ويقتات من الأشجار[1]، ورفعه الله ﷻ عن أعين الخلق، ونزع عنه لذة المطعم والمشرب، وصار إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً، وهو كالخضر ﷺ موجود في العالم كما دلت على ذلك الأخبار النبوية، والآثار عن الأخيار الأبرار[2] ـ عليه سلام الله ورضوانه ـ.

---

(١) منقول عن العرائس للثعلبي: ١٤٣ بتصرف.

(٢) مثل: حديث ابن عباس:

قال النبي ﷺ: «يلتقي الخضر وإلياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

ومثل: حديث ابن أبي رواد:

قال: إلياس والخضر يصومان شهر رمضان (ببيت المقدس)، ويحجان في كل سنة، ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة تكفيهما إلى مثلها من قابل..

نقلاً عن قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/ ٢٣١، ٢٣٢.

قال ابن كثير تعليقاً على هذه الأخبار:

وهذه الروايات هي عمدة من ذهب إلى حياته اليوم، وكل الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف الإسناد، وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره؛ لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم.

قلت ـ إضافة إلى ما قاله ابن كثير تعليقاً على الروايات ـ: إن القول: إن إلياس والخضر ﷺ موجودان في هذا العالم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهذا يرده الحديث الذي رواه البخاري من حديث ابن عمر قال: صلّى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام قال: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم: ١/ ٣٧.

ويرده قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]: فإلياس والخضر ﷺ إن كانا بشرين فقد دخلا في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز = تخصيصهما منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر فيهما دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله. انظر: البداية والنهاية: ١/ ٣٣٦.

قال وهب بن منبه: إنه عمر كما عمر الخضر وإنه يبقى إلى آخر الدنيا(١).
وعن ابن مسعود: «إن الياس هو إدريس»(٢). انتهى.
وقد تقدم إدريس الأول(٣).

ثم بعده تلميذه نبي الله اليسع(٤) ـ عليه الصلاة والسلام ـ نبأه الله جلّ شأنه واصطفاه، وبعثه الله إلى بني إسرائيل فآمنوا به، وكان رسولاً معظماً مهاب الكلمة مقبول الإشارة، حكم في بني إسرائيل مدة من الزمن إلى أن توفي(٥) ـ رحمه الله تعالى ـ.

ثم بعده تلميذه نبي الله ذو الكفل(٦) ـ عليه الصلاة والسلام ـ.
واختلف في تسميته ذو الكفل(٧). والمشهور: أنه تكفل أن لا يغضب.

---

(١) نقلاً عن الإتقان ٤/٦٦.

(٢) نقلاً عن قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/٢٤٦ وقال ابن كثير: والصحيح غيره.

(٣) تقدم في صفحة (٤١٥) وهو الذي قبل نوح عليه السلام وبيّنت هناك أن مسمى إدريس من الأنبياء واحد، وليس كما ذكره المؤلف من أن مسمى إدريس منهم ثلاثة. فليرجع إليها.

(٤) هو: اليسع بن أخطوب ابن العجوز، وهو من أنبياء بني إسرائيل، لم يذكر القرآن شيئاً من حياته، إلا أنه ذكر فيه مع الأنبياء في سورتي (الأنعام) و(صٓ) فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.
وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾. انظر: تفسير ابن جرير: ٧/١٧٣.

(٥) وفي البداية والنهاية: ٢/٤: عن الحسن قال: كان بعد إلياس: اليسع عليه السلام فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل إليه...

(٦) هو: بشر بن أيوب بن أموص بن زراح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، بعثه نبياً بعد أبيه وكان مقيماً بالشام. انظر: روح المعاني: ١٧/٨٢.

(٧) روى ابن جرير في تفسيره: ١٧/٥٩: عن مجاهد قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل، فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث أستخلفه: فيصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ قال: فقام رجل تزدريه الأعين فقال: أنا، فقال: أنت تصوم النهار، وتقوم الليل، ولا تغضب؟ قال: نعم... فاستخلفه... فسماه ذا الكفل؛ لأنه تكفل بأمر فوفى به. وانظر: تفسير ابن كثير: ٤/٥٨٤.
قلت: والقول الذي تطمئن به النفس ما قاله الآلوسي في تفسيره: ١٧/٨٢.
والكفل: الكفالة والحظ والضعيف، وإطلاق ذلك عليه إن لم يكن اسمه؛ إما لأنه تكفل بأمر فوفى به، وإما لأنه كان ذا حظ من الله تعالى.

وقيل: تكفل بصيام النهار وقيام الليل.

وقيل: بصلاة ألف ركعة وكان نبياً عظيماً ـ رحمه الله تعالى ـ.

قال ابن عساكر[1]: قيل: هو نبي تكفل الله أن يوفي عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء.

وقيل: لم يكن نبياً، وإن اليسع استخلفه فتكفل له أن يصوم النهار ويقوم الليل.

وقيل: أن يصلي كل يوم مائة ركعة.

وقيل: هو اليسع وإن له اسمين[2].

ثم بعده نبي الله يونس بن متى[3] ـ عليه الصلاة والسلام ـ نبأه جل شأنه، وأرسله إلى أهل (نِيْنَوى)[4] وما والاها، وكانوا أمماً كثيرة وعوالم جليلة، فدعاهم إلى توحيد الله تعالى وتعظيمه فلم يستجب له إلا قليل منهم، ثم بعد مدة آمنوا وأنابوا إلى الله ﷻ، [وكانوا] أكثر من مائة ألف رجل[5] ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

ثم بعده نبي الله شعيا[6] ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان نبياً عظيماً

---

(١) نقلاً عن الإتقان: ٤/ ٦٥.

(٢) نقلاً عن الإتقان: ٤/ ٦٥.

(٣) هو: يونس بن متى، ونبئ وهو ابن ثمان وعشرين سنة، ويسمى عند أهل الكتاب «يونان بن أمتا»، وهو من أنبياء بني إسرائيل. انظر: روح المعاني: ٢٣/ ١٤٢.

(٤) نِيْنوى: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو، بوزن طيطوى، وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها: كربلاء التي قتل بها الحسين. انظر: معجم البلدان: ٥/ ٣٣٩.

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٩ ـ ١٤٨].

(٦) هو: شعيا بن أمصيا. كان قبل زكريا ويحيى، وهو ممن بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام. وكان في زمانه ملك اسمه حزقيا على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس، وكان سامعاً مطيعاً =

نبأه الله ﷻ، واصطفاه، وأرسله إلى قومه من بني إسرائيل، فوعظهم وأمرهم ونهاهم وحذرهم سخط اللهِ وعقابه وبشّر بوجود محمد ﷺ، فنشر بين دفتين ـ رحمه الله وسلامه عليه ـ.

ثم بعده نبي الله أرمياً[1] ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يذكر في كتاب الله تعالى، نبأه الله جل وشأنه، وأوحى إليه، وأرسله إلى بني إسرائيل لما طغوا وبغوا وتجبروا وعبدوا [الأصنام][2] غير الله ﷻ، فخطبهم ووعظهم فلم يسمعوا، فأهلكهم الله ﷻ، وتوجه هو إلى مصر، فقتله اليهود بها ـ رحمة الله ورضوانه عليه ـ.

ثم بعده نبي الله عزير[3] ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو من سبط هارون عليه السلام وهو المراد في قول الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[4] الآية [البقرة: ٢٥٩] ـ عليه سلام الله ورحمته ـ.

ثم بعده نبي الله دانيال[5] عليه السلام ولم يذكر في كتاب الله ﷻ وهو من أولاد

= لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه... ثم لما مات الملك اختلطت أحداث بني إسرائيل وكثر شرهم، فأوحى الله تعالى إلى شعيا، فقام فيهم فوعظهم وذكرهم وأخبرهم عن الله بما هو أهله، وأنذرهم بأسه وعقابه إن خالفوه وكذبوه، فلما فرغ من مقالته عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه، فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها، وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها، فلما رأوا ذلك جاءوا بالمنشار، فوضعوه على الشجرة، فنشروها ونشروه معها، فإنا لله وإنا إليه راجعون. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٣٢، ٣٣.

(١) هو: أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب وهو ممن وجده بخت نصر في السجن حين غزا بيت المقدس، فأخرجه وقصّ عليه ما كان من أمره فقال بخت نصر: بئس القوم قوم عصوا رسول الله ﷺ. وخلى سبيله وأحسن إليه. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٣٣، ٣٩.

(٢) ساقطة من (ح).

(٣) هو: عزير بن سروخا بن عديا بن أيوب بن درزنا بن عري بن تقي بن أسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران عليه السلام. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٤٢.

(٤) وتمام الآية: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٥) وفي البداية والنهاية: ٢/ ٤١: عن عبد الرحمٰن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: رأيت في يد ابن بردة بن أبي موسى الأشعري خاتماً نقش فصه أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك =

سليمان بن داود عليه السلام، نبأه الله جل شأنه وعلّمه ـ سلام الله تعالى ورحمته عليه ـ.

ثم بعده نبي الله زكريا[1] عليه السلام، وهو من أولاد سليمان عليه السلام وكان رئيس الأحبار وكبير الرهبان في زمنه وإليه مرجعهم، ونُشر[2] كما نشر نبي الله شعياً عليه السلام.

ثم بعده نبي الله يحيى[3] عليه السلام، نبأه الله ﷻ، واصطفاه، وأيّده بالحكمة والمعرفة، وعلّمه، التوراة كل ذلك وهو في سن الطفولة[4]، ولما نبئ كان عمره ثلاث سنين، وأرسل إلى بني إسرائيل، فكان يعظهم[5] كثيراً وينصحهم

= الرجل قال أبو بردة: هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلد أنه دانيال، أخذه أبو موسى يوم دفنه. قال أبو بردة: فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم، فقالوا: إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم، فقالوا له: إنه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعور ملكك ويفسده، فقال الملك: والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا قتلته، إلا أنهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد، فبات الأسد ولبوته يلحسانه، ولم يضراه، فجاءت أمه فوجدتهما يلحسانه، فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ. قال أبو بردة: قال أبو موسى: قال علماء تلك القرية، فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك. قال ابن كثير: إسناد حسن. قلت: ذكرت هذه الرواية؛ لأنني لم أجد خبر دانيال عليه السلام إلا في البداية والنهاية، وقد حسن ابن كثير هذا الإسناد.

(١) هو: زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديفة بن برخيا بن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن أينامن بن رحبعام بن سليمان بن داود عليه السلام. أبو يحيى النبي عليه السلام من بني إسرائيل. انظر: البداية والنهاية: ٢/٥١.

(٢) ففي البداية والنهاية: ٢/٥٢: عن وهب بن منبه أنه قال: هرب أي زكريا من قومه فدخل شجرة فجاءوا فوضعوا المنشار عليه، فلما وصل المنشار إلى أضلاعه أَنَّ، فأوحى الله إليه لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الأرض ومن عليها، فسكن أنينه حتى قطع باثنتين. قوله: «أن» قال في مختار الصحاح مادة: (أ ن ن): ٢٩: «أن» الرجل من الوجع يئن بالكسر أنيناً.

(٣) هو: يحيى بن زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديفة بن برخيا بن بلعاطة بن ناخور بن شلوم بن بهناشاط بن ايتامن بن رحبعام بن سليمان بن داود عليه السلام.

انظر: البداية والنهاية: ٢/٥١.

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم: ١٢].

(٥) في (هـ) و(ح): «يعظّمهم» وهو تصحيف والصواب ما أثبته.

ويأمرهم، وكان يؤذى بسبب ذلك كثيراً إلى أن قتل[1] ـ رحمه الله تعالى روضي الله عنه ونفعنا به آمين ـ.

ثم بعده نبي الله عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو روح الله وكلمته، نبأه الله جل شأنه، واصطفاه، وبعثه إلى بني إسرائيل، فدعا إلى الله تعالى، وبث الدعوة ونشر الفضائل، وأظهر الدين، وبعثَ أتباعَه إلى الأقطار لتعليم الخير وإفادة المعرفة، وأُنزِل عليه الإنجيل، وهدى الله به ناساً كثيرين[2]، ممن سبقت له السعادة، وكفر به ممن سبقت له الشقاوة، نعوذ بالله من سخطه، ولما هموا بقتله، رفعه الله جل شأنه إليه، كما قال عزّ من قائل: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨﴾ [النساء: ١٥٨] ـ عليه سلام الله وتحياته ورضوانه ـ.

ثم بعده نبي الله جرجيس ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يذكر في كتاب الله تعالى وكان نبياً عظيماً، وكان على دين عيسى عليه السلام، وكان يدعو إلى الله عز وجل، فأوذي كثيراً، وقتل ثلاث مرات[3]، فأحياه الله جل شأنه ورده إلى قومه

---

(١) وفي البداية والنهاية: ٢/ ٥٣: وذكروا في قتله أسباباً، من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق، كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه أو من لا يحل له تزويجها، فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك، فبقي في نفسها منه، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها، فبعث إليه من قتله، وجاء برأسه ودمه في طشت إليها، فيقال: إنها هلكت من فورها وساعتها.

(٢) في (هـ) و(ح): «ناس كثيرون» وهو خطأ نحوي.

(٣) قلت: ما ذهب إليه المؤلف من أن جرجيس نبي، كان على دين عيسى عليه السلام يعني في زمن الفترة يرده ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أولى الناس بعيسى ابن مريم أنا؛ لأنه ليس بيني وبينه نبي» انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾: ٦/ ٤٧٧ والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات.

قال ابن الأثير في الكامل: ١/ ٣٦٧ وما بعدها: كان بالموصل ملك يقال له دازانه، وكان جباراً عاتياً، وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين يكتم إيمانه مع أصحاب له صالحين، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فأخذوا عنهم، وكان جرجيس كثير التجارة عظيم الصدقة، وربما نفد ماله في الصدقة ثم يعود يكتسب مثله.. وكان يخاف بالشام أن يفتتن عن دينه، فقصد الموصل ومعه هدية لملكها لئلا يجعل لأحد عليه سبيلاً، فجاءه حين جاءه وقد أحضر عظماء قومه وأوقد ناراً وأعد أصنافاً من العذاب، وأمر بصنم له فنصب، =

فدعاهم فقتلوه، فأنزل الله ﷻ عليهم ناراً من السماء بدعائه فأحرقتهم، ثم أرسل الله تعالى ملكاً فجعل عاليها سافلها.

ثم بعده نبي الله خالد بن سنان العَبْسي[1]، وهو من ولد إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يذكر في كتاب الله ﷻ.

= فمن لم يسجد له عذبه وألقي في النار... فدعاه الملك إلى عبادة صنمه فلم يجبه، فعذبه الملك بأنواع من العذاب، وقتله مرات، في كل ذلك ردّ اللهُ إليه روحه، ثم أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء، وهذا آخر أيامي فأسألك أن تنزل بهؤلاء المنكرين من سطواتك وعقوبتك ما لا قبل لهم به. فأمطر الله عليهم النار فأحرقتهم، فلما احترقوا بحرها عمدوا إليه فضربوه بالسيوف فقتلوه، وهي القتلة الرابعة، فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها رفعت من الأرض وجعل عاليها سافلها.

ولعل هذه القصة من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، حيث لا نجد ما يؤيده أو يكذبه من الكتاب ولا من السنة.

(1) أخرج الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، باب ذكر خالد بن سنان: ٢/٥٩٩: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً من بني عبس يقال له خالد بن سنان، قال لقومه... الحديث.

قال سماك بن حرب: سئل عنه النبي ﷺ فقال له: «ذاك نبي أضاعه قومه»، وإن ابنه أتى النبي ﷺ فقال له: «مرحباً بابن أخي».

قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قال ابن كثير في السيرة النبوية: ١/١٠٤ بعد ذكر الحديث: ورواه البزار، ثم قال البزار: ولا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وكان قيس بن الربيع ـ من رجال سنده ـ ثقة في نفسه، إلا أنه كان رديء الحفظ، وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها.

قلت: إن هذه الرواية تتناقض مع ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أولى الناس بعيسى ابن مريم أنا؛ لأنه ليس بيني وبينه نبي». انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ٢٢]: ٦/٤٧٧.

وما دامت الرواية التي تذكر أن خالد بن سنان نبي فيها مقال، وهناك رواية في البخاري وهي صحيحة بلا تردد؛ فالاعتبار ما في البخاري.

فعلى هذا إن القول الذي تطمئن به النفس ما ذهب إليه ابن كثير في السيرة النبوية: ١/١٠٦ حيث يقول: والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات؛ فإنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أولى الناس بعيسى ابن مريم أنا؛ لأنه ليس بيني وبينه نبي»، فإن كان كذلك فلا يمكن أن يكون نبياً؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [السجدة: ٣].

وروي عن ابن عباس ﵄ أن ناراً ظهرت في الفترة بين مكة والمدينة، فكانت طائفة من العرب تعبدها مضاهاة للمجوس، فقال خالد هذا ﵇ وأخذ عصاه، وأضخمها، وأخذ يضربها حتى أطفأها الله ﷻ، وكان نبياً عظيماً.

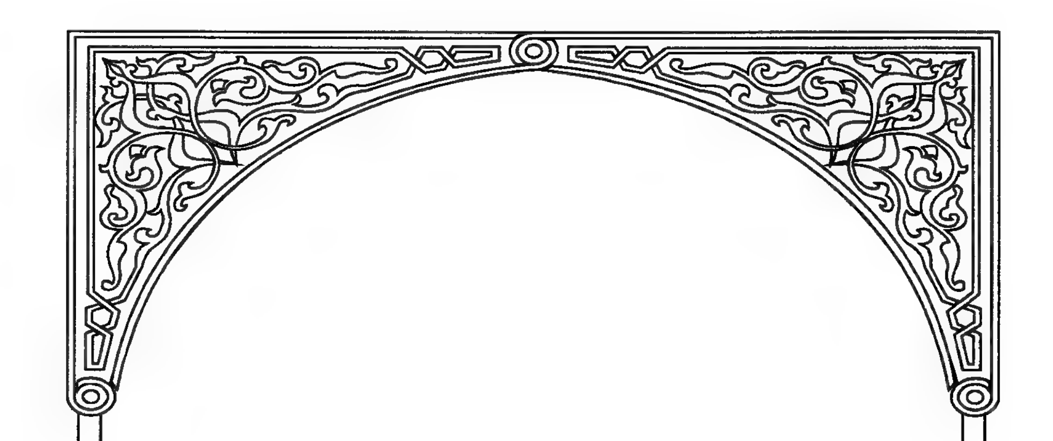
روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنه نبي أضاعه[1] قومه»[2].

ثم بعده سيدنا ونبينا خاتم النبيين ورسول رب العالمين ورحمة الله على الخلق أجمعين، إمام حضرة العرب، وإمام حلية الحب سيد الأنام ومصباح القوم، ورسول الملك العلام، أحسن المخلوقات ومظهر التجليات، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم - صلى الله عليه وآله وصحبه وذريته وأهل بيته وأتباعه وأشياعه وورثائه أجمعين إلى يوم الدين -. انتهى.

---

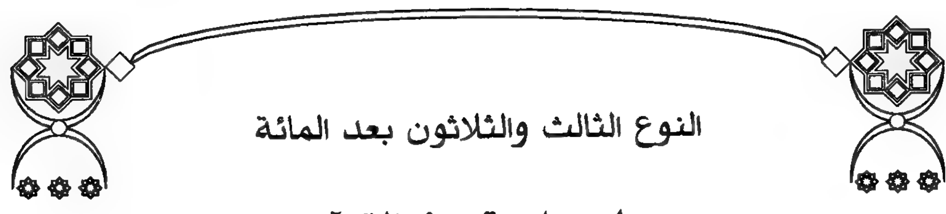
(١) في (هـ) و(ح): «أضاعوه قومه» وهو خطأ نحوي.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، باب ذكر خالد بن سنان: ٢/ ٥٩٩، وصححه ووافقه الذهبي وذكرت في أول القصة ما حكاه ابن كثير عن قول البزار عن إسناده فإن فيه مقال. انظر: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ١٠٦.



النوع الثالث والثلاثون بعد المائة

علم ما وقع في القرآن العظيم من الأسماء والكنى والألقاب



علم ما وقع في القرآن العظيم من الأسماء والكنى والألقاب(1)

وقد تقدم ذكر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في النوع الذي قبل هذا، وهو علم تاريخ الأنبياء ومعرفة المتقدم والمتأخر، وهذا النوع يذكر فيه مَنْ ذكر باسمه أو كنيته أو لقبه من غير الأنبياء عليهم السلام.

[أسماء الملائكة](2):

ففيه من أسماء الملائكة:

١، ٢ ـ جبريل(3) وميكائيل(4): وفيهما لغات(5):

---

(١) هذا النوع منقول عن الإتقان: ٤/٥٨ ـ ٧٨، وعنوانه: «النوع التاسع والستون: فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب».

غير أن المؤلف لم يَذْكر هنا أسماءَ الأنبياءِ، بل ذكرها في النوع الثاني والثلاثين بعد المائة علم تاريخ الأنبياء وبيان المتقدم منهم والمتأخر.

(٢) تكملة من الإتقان، من زيادة محققه.

(٣) هو: اسم ملك الوحي وهو روح القدس والروح الأمين الذي يرسله سبحانه إلى رسله لتبليغ رسالاتهم وهو أقرب ملائكة الله تعالى المقربين لديه.

انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٩٥.

وذكر في القرآن الكريم ثلاث مرات: البقرة: ٩٧، ٩٨. والتحريم: ٤.

(٤) هو: أحد كبار الملائكة المقربين إلى الله سبحانه مثل جبريل عليه السلام. المصدر السابق: ٥٠٢.

وذكر في القرآن الكريم بلفظ ميكال في سورة البقرة الآية: ٩٨.

(٥) قال الشوكاني في فتح القدير: ١/١١٧.

وفي جبريل عشر لغات... وفي ميكائيل ست لغات. وهما اسمان أعجميان، والعرب إذا نطقت بالعجمي تساهلت فيه.

جِبْرِيل[١]: بكسر الجيم والراء بلا همز. وجَبْرِيل: بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز[٢]. وجبرائيل: بهمز بعد الألف[٣]. وجبرايِيْل: بيائين بلا همز[٤]. وجبرئيل: بهمز وياء بلا ألف[٥]. وجبرالّ: مشددة اللام، وقرئ بها[٦].

قال ابن جني[٧]: وأصله «كوربال» فغير بالتعريب وطول الاستعمال إلى ما ترى.

وقرئ: ميكاييل: بلا همز[٨]، وميكيل[٩]، ووميكال[١٠].

---

(١) قال ابن جرير في تفسيره: ١/٣٤٦ بتصرف: وأما جبريل فإن للعرب فيه لغات: جِبريل بغير همز بكسر الجيم والراء لغة أهل الحجاز، وجَبْرَئيل بفتح الجيم والراء بهمز وزيادة ياء بعد الهمز لغة تميم وقيس وبعض نجد، وجَبرين بالنون لغة بني أسد.

وفي تهذيب اللغة للنووي: ١/١٤٤: وفيه تسع لغات: جِبريل، وجَبريل بكسر الجيم وفتحها، وجَبرئِلّ بفتح الجيم وهمزة مكسورة وتشديد اللام، وجبرايل بألف بعد الراء فهمزة بعدها ياء، وجبراييل بيائين بعد الألف، وجبرئيل بهمزة بعد الراء وياء، وجَبْرَئِل بكسر الهمزة وتخفيف اللام مع فتح الجيم والراء، وجِبرين بفتح الجيم وكسرها. أما (جِبْرِيل) بزنة (قِنْدِيل) بكسر الجيم والراء بلا همز، فهي قراءة أبي عمرو، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم.

انظر: حاشية الجمل على الجلالين: ١/ ٨٤.

(٢) وبها قرأ ابن كثير والحسن.

انظر: النشر في القراءات العشر: ٢/٢١٩، وحاشية الجمل: ١/ ٨٣.

(٣) (جبرائيل): بهمز بعد الألف، وبها قرأ عكرمة.

انظر: حاشية الجمل: ١/ ٨٣.

(٤) (جبراييل): بيائين بلا همز، وهي قراءة الأعمش.

انظر: المصدر السابق.

(٥) (جِبْرَئِيل): كسلسبيل، وهي قراءة حمزة والكسائي.

المصدر السابق.

(٦) (جبرالّ): مشددة اللام، قراءة يحيى بن يعمر.

انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه: صفحة ٨.

(٧) في: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١/ ٩٧.

(٨) أما (ميكاييل): بيائين بعد الألف، وبها قرأ الأعمش.

انظر: حاشية الجمل: ١/ ٨٤.

(٩) ميكيل: بوزن مِفْعيل، قراءة ابن محيص. انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه: صفحة ٨.

(١٠) وأما (ميكال): بغير همز ولا ياء بعدها، بوزن مفعال: قرأ بها البصريان وحفص.

انظر: النشر في القراءات العشر: ٢/ ٢١٩.

أخرج ابن جرير[1] من طريق عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: جبريل عبد الله، وميكائيل عبيد الله، وكل اسم فيه إيل فهو عبد الله[2].

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عن عبد العزيز بن عمير، قال: اسم جبريل في الملائكة خادم الله [ﷻ][4].

فائدة:

قرأ أبو حيوة: «فأرسلنا إليها روحنًّا» [مريم: ١٧] بالتشديد[5]، وفسره ابن مهران[6] بأنه اسم لجبريل، حكاه الكرماني في عجائبه.

٣، ٤ ـ **هاروت وماروت**[7]:

أخرج ابن أبي حاتم عن علي ـ كرم الله تعالى وجهه ورضي الله تعالى عنه ـ قال هاروت وماروت ملكان (من ملائكة الله تعالى)[8].

٥ ـ **الرعد**[9]:

---

(١) في تفسيره: ١/٣٤٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ١/٢٢٨.

(٢) في الإتقان: ٤/٦٨ (معبد لله). وفي تفسير ابن جرير ١/٣٤٧: وكل اسم إيل فهو الله: ١/٣٤٧. وأخرج ابن جرير عن علي بن حسين قال: جبريل عبد الله، وميكائيل عبيد الله، وكل اسم فيه إيل فهو عبد الله. تفسير ابن جرير: ١/٣٤٧.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ١/٩٢، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عبد العزيز بن عمير.

(٤) تكملة من الإتقان: ٤/٦٨.

(٥) أي بتشديد النون، وهي قراءة شاذة، والمتواتر (روحنا) بدون تشديد.
انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه: صفحة ٨٣.

(٦) هو: أحمد بن الحسين بن مهران أبو بكر النيسابوري إمام عصره في القراءات، من كتبه: «آيات القرآن»، و«الشامل في القراءات»، ولد سنة ٢٩٥هـ، وتوفي سنة ٣٨١هـ. انظر: البداية والنهاية: ١١/٣٠٥.

(٧) ذكرا في القرآن الكريم في سورة البقرة: ١٠٢.
هما ملكان هبطا ببابل بصورة آدمية، وعلما الناس السحر ابتلاء من الله تعالى وامتحاناً لهم.
انظر: تفسير ابن كثير: ١/٢٣٩.

(٨) في الإتقان: ٤/٦٨: (من ملائكة السماء). أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/٣٦٢.
وذكره ابن كثير في تفسيره: ١/٢٤٠ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٩) ذكر في القرآن مرتين: في البقرة: ١٩. والرعد: ١٣. =

وفي الترمذي من حديث ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: أن اليهود قالوا للنّبيّ ﷺ: أخبِرْنا عن الرعد قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب»[1].

وأخرج ابن أبي حاتم[2] عن عكرمة قال: «الرعد ملك يسبح».

وأخرج عن مجاهد أنه سئل عن الرعد فقال: هو ملك يسمى الرعد، ألم تر أن الله جل شأنه يقول: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

٦ ـ **والبرق**[3]:

= اختلف أهل العلم في الرعد فقيل: إنه ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب للحديث الذي رواه الترمذي من حديث ابن عباس المذكور في المتن..

قال القرطبي في تفسيره: ١/٢١٧: وعلى هذا أكثر العلماء.

وقيل: اضطراب أجرام السحاب عند نزول المطر منها، وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعاً للفلاسفة وجهلة المتكلمين.

قلت: ويمكن الجمع بين ما ذهب إليه أكثر العلماء وبين ما ذهب إليه الفلاسفة، إذ لا تعارض بين ما ذكر في الحديث وما يذكره علماء الطبيعة، من أنه صوت احتكاك السحاب بعضه ببعض؛ لأن هؤلاء يصفون مظاهر الحادثة الكونية كما يدركونها، ـ والوحي ـ عن طريق الأنبياء، يفسر لنا حقائق هذه الحادثة، ويكشف لنا عن الأسرار الكامنة وراء المظاهر المادية.

انظر: تفسير ابن جرير: ١/١١٦، وتفسير القرطبي: ١/٢١٧، وتفسير الشوكاني: ١/٤٩، واللسان: مادة: (رعد): ١٧٩٣، والإتقان تحقيق د. مصطفى ديب البغا: ٢/١٠٧٤، والجمع بين الأقوال نقلاً عنه.

(١) سنن الترمذي كتاب التفسير، باب من سورة (الرعد): ٥/٢٩٤. وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أورده السيوطي في الدرر: ٢/٥١، وعزاه إلى عبد بن حميد عن مجاهد.

قال الشوكاني في تفسيره: ٣/٧٢: وأما على تفسير الرعد بملك من الملائكة، فلا استبعاد في ذلك، ويكون ذكره على الإفراد مع ذكر الملائكة بعده لمزيد خصوصية له، وعناية به.

(٣) ذكر في القرآن أربع مرات: (في البقرة: ١٩، ٢٠، والرعد: ١٢، والروم: ٢٤).

واختلف العلماء في البرق: فقيل: مخراق حديد بيد الملك الذي يسوق السحاب. وإليه ذهب كثير من الصحابة وجمهور علماء الشريعة.

وقيل: إن البرق ما ينقدح من اصطكاك أجرام السحاب المتراكمة من الأبخرة المتصعدة المشتملة على جزء من نار يتلهب عند الاصطكاك. وإليه ذهب بعض المفسرين تبعاً للفلاسفة. =

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم[1]، قال: بلغنا أن البرق ملك له أربعة أوجه: وجه إنسان، ووجه ثور، ووجه نسر، ووجه أسد، فإذا مصع[2] بذنبه، فذلك البرق[3].

٧ ـ **مالك**: خازن جهنم[4].

٨ ـ **والسجل**[5]:

= قال القرطبي: قالت الفلاسفة: «البرق ما ينقدح من اصطكاك أجرام السحاب»، وهذا مردود لا يصح به نقل.

قلت: الأفضل الجمع بين القولين.

انظر: تفسير ابن جرير: ١/١١٦، وتفسير القرطبي: ١/٢١٧، وتفسير الشوكاني: ١/ ٤٨، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٦٣.

(١) هو: محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير الأسدي المكي، روى عن جابر وابن عمر وغيرهما، وعنه السفيانان وغيرهما، وثقه ابن المديني، وابن معين، وضعفه ابن عيينة وغيره، توفي سنة ثمان وعشرين بعد المائة.

انظر: تذكرة الحفاظ: ١/١٢٦، وطبقات الحفاظ: ٥٠.

(٢) المصع: تحريك الذنب.

وفي اللسان مادة: (مصع): ٨/٣٣٧: «المصع التحريك».

في القاموس المحيط مادة مصع: مصع البرق. . . لمع، والدابة بذنبها حركته وضربت به.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير: ١/١١٨ مع اختلاف يسير.

(٤) ذكر في سورة الزخرف: ٧٧، وفي الإتقان: ٤/٦٩: (خازن النار).

(٥) وهو مذكور في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

اختلف العلماء في المراد بـ«السجل» فقيل: هو ملك من الملائكة، وقيل: الصحيفة التي يكتب فيها، وقيل: اسم كاتب النبي ﷺ.

والصحيح والذي يناسب اللغة هو ما قاله ابن عباس: إن المراد بـ«السجل» هو الصحيفة. ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه.

وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

وقال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره اختيار ابن جرير: وصدق رحمه الله في ذلك. وهو من أقوى الأدلة على نكارة الحديث.

وأما من ذكره في أسماء الصحابة، فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره ـ والله أعلم ـ.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٧/٧٩، وتفسير ابن كثير: ٤/٦٠٢.

أخرج ابن أبي حاتم[1] عن أبي جعفر محمد الباقر[2] قال: السجل ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه.

وأخرج عن ابن عمر[3] ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: السجل ملك.

وأخرج عن السدي[4] قال: ملك موكل بالصحف.

٩ ـ وقعيد[5]:

فقد ذكر مجاهد: أنه اسم كاتب السيئات [أخرجه أبو نعيم في الحلية[6].

فهؤلاء تسعة][7].

١٠ ـ وأخرج ابن أبي حاتم عن طرق مرفوعة وموقوفة ومقطوعة أن **ذا القرنين**[8] ملك من الملائكة.

---

(١) لم أعثر على ما أخرجه ابن أبي حاتم في كتب التفسير.

(٢) هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر، روى عن أبيه وجديه الحسن والحسين وغيرهم، وروى عنه ابنه جعفر الصادق، وعطاء وغيرهم، وثقه الزهري وغيره، توفي سنة أربع عشرة بعد المائة. انظر: تذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٤، وطبقات الحفاظ: ٤٩، وشذرات الذهب: ١/ ١٤٩.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٦٠١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عمر.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٦٠١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

(٥) وهو مذكور في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧].

وفي تفسير ابن جرير: ٢٦/ ٩٩: قال مجاهد: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾، قال: عن اليمين الذي يكتب الحسنات وعن الشمال الذي يكتب السيئات.

وانظر: الدر المنثور: ٦/ ١٠٣.

قال الشوكاني في تفسيره: ٥/ ٧٥: قال مجاهد: وكّل الله بالإنسان ملكين بالليل وملكين بالنهار. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ إنما قال قعيد ولم يقل قعيدان وهما اثنان؛ لأن المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه.

قال الأخفش في «معاني القرآن»: ٢/ ٤٨٣: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ولم يقل: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، ذكر أحدهما واستغنى كما قال: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الرعد: ٦٧]، فاستغنى بالواحد عن الجميع».

(٦) لم أجده في الحلية.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٦٩.

(٨) ذكر في القرآن في سورة الكهف: ٨٣: هو: ذو القرنين، أبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام وكان ملكاً صالحاً، وأثنى الله عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق =

فإن صح أكمل العشرة.

١١ ـ وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ [النبأ: ٣٨].

قال: هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً[١].

فصاروا أحد عشر.

١٢ ـ قال الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ: ثم رأيت الراغب قال في مفرداته[٢]، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤][٣]: قيل: إنه ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه[٤]. كما روي: أن

= والمغارب وملك الأقاليم، وهو السلطان المظفر المنصور القاهر المقسط. انظر: البداية والنهاية: ٢/١٠٢.

ثم قال ابن كثير: والصحيح أنه كان ملِكاً من الملوك العادلين... وأغرب من قال: ملَكاً من الملائكة.

(١) في الإتقان: ٤/٦٩: «تلك من أعظم الملائكة خلقاً».

أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣٠/١٥.

واختلف العلماء في المراد بالروح في هذه الآية:

فقيل: إنه ملك من الملائكة.. وقيل: هو جبريل. وقيل: هو جند من جنود الله ليسوا ملائكة. وقيل: حفظة على الملائكة. وقيل: أرواح بني آدم تقوم صفاً وتقوم الملائكة صفاً. وقيل غير ذلك.

قلت: والقول الذي تسكن إليه النفس ما قاله ابن جرير في تفسيره: والصواب من القول أن يقال: إن الروح خلق من خلقه تعالى. وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت ـ والله أعلم ـ.

انظر: تفسير ابن جرير: ٣٠/١٦، وتفسير الشوكاني: ٥/ ٣٧٠.

(٢) المفردات: ٢٣٧: مادة: (سكن).

(٣) وذكر في البقرة: ٢٤٧، والتوبة: ٢٤، ٤٠، والفتح: ٤، ١٨، ٢٦.

(٤) قلت: ما ذكر الراغب ـ رحمه الله تعالى ـ من أن «السكينة» ملَكٌ يسكن قلب المؤمن ويؤمنه، قول لا أساس من الصحة وبعيد عن المعنى اللغوي، فإن السكينة فعلية من سكن فلان إلى كذا وكذا، إذا اطمأن إليه وهدأت عنده نفسه، فهو يسكن سكوناً وسكينة، فالمراد بها هي الطمأنينة والثبات والوقار.

انظر: تفسير ابن جرير: ٢/ ٣٨٧، وتفسير الآلوسي: ٢٦/٩٢، واللسان: ١٣/٢١٣، مادة: (سكن).

السكينة تنطق على لسان عمر[1].

[أسماء الصحابة][2]:

وفيه من أسماء الصحابة: **زيد بن حارثة**[3]، **والسجل**[4]، في قول من قال: إنه كاتب[5] النبي ﷺ، أخرجه[6] أبو داود[7] والنسائي من طريق [أبي الجوزاء][8] عن ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. نقلاً عن روح المعاني: ٢٦/ ٩٢.

(٢) تكملة من الإتقان: ٤/ ٦٩، من زيادة المحقق.

(٣) هو: زيد بن حارثة بن شراحيل أو شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان أبو أسامة، الكلبي، ثم المحمدي، سيد الموالي، وأسبقهم إلى الإسلام، وحب رسول الله ﷺ ولم يسم الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد بن حارثة، هاجر مع الرسول ﷺ إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر، استشهد في غزوة مؤته، وكان أمير الجيش سنة ثمان من الهجرة.

انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧، وتهذيب الأسماء واللغات: ١/ ٢٠٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٢٢٠.

وهو مذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧].

(٤) المذكور في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

(٥) تقدم بيانه والرد عليه في الهامش: صفحة ٥٤.

(٦) في الإتقان: ٤/ ٦٩: «أخرج».

(٧) في سننه كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في اتخاذ الكاتب: ٣/ ٣٤٨: عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: السجل كاتب، كان للنبي ﷺ. وعلق عليه الشيخ محيي الدين عبد الحميد في هامش سنن أبي داود. قال ابن القيم: سمعت شيخنا ابن تيمية يقول: هذا الحديث موضوع، ولا يعرف لرسول الله ﷺ كاتب اسمه السجل قط، وليس في الصحابة من اسمه السجل، وكتاب النبي ﷺ معروفون لم يكن فيهم من يقال له السجل، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الآية مكية، ولم يكن لرسول الله ﷺ كاتب بـ(مكة)، والسجل: هو الكتاب المكتوب. انتهى.

(٨) في (هـ) و(ح): «أبي الجواز» وما أثبته من الإتقان كما في سنن أبي داود: ٣/ ٣٤٨.

=

[أسماء المتقدمين من غير الأنبياء والرسل][1]:

وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل: **عمران أبو مريم**[2].

وقيل (فيه)[3]: أبو موسى أيضاً، وأخو هارون، وليس بأخي موسى، كما في حديث أخرجه مسلم[4]، وسيأتي آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

[**وعزير**[5]، **وتبع**[6]][7]، وكان رجلاً صالحاً، كما أخرج الحاكم[8]، وقيل: نبي. حكاه الكرماني في عجائبه.

= وأبو الجوزاء: هو أوس بن عبد الله أبو الجوزاء الربعي البصري التابعي من ربعة الأزد، روى عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما. وروى عنه أبو الأشهب وقتاده وغيرهما. قال العجلي: بصري تابعي ثقة، توفي سنة ثلاث وثمانين هجرية.

انظر: تهذيب التهذيب: ١/٣٨٣.

(١) تكملة من الإتقان: ٤/٦٩ من زيادة المحقق.

(٢) وهو مذكور في (آل عمران): ٣٣، ٣٥. و(التحريم): ١٢. وهو: عمران بن باشم والد مريم أم رسول الله عيسى عليه السلام، ويرجع نسبه إلى سليمان بن داود عليه السلام.

انظر: تفسير ابن جرير: ٣/١٥٧، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٣٥٦.

(٣) ساقط من الإتقان: ٤/٦٩.

(٤) انظر: الإتقان: ٤/٢٣٦: ما جاء في تفسير سورة (مريم). أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم: ٦/١٧١، وغيره: عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: أرأيت ما تقرؤون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم».

(٥) وهو مذكور في (التوبة): ٣٠.

وهو الذي مر على قرية (بيت المقدس) بعد أن خربها بختنصر، وكان راكباً حماراً، فقال ـ تعجباً ـ: كيف يعيد الله الحياة إليها؟! فأماته الله مائة عام ثم بعثه. قال ابن كثير بعد ذكره قول ابن جرير وابن أبي حاتم: وهذا القول هو المشهور.

انظر: تفسير ابن جرير: ١/١٩، وتفسير ابن كثير: ١/٥٥٨ ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٣٤٠.

والمشهور أن عزير نبي من أنبياء بني إسرائيل. قاله ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢/٢٣٩.

(٦) ذكر في موضعين من القرآن: في (الدخان): ٣٧، و(ق): ١٤.

هو أحد ملوك اليمن الحميريين، ثم صار لقب أعاظم ملوكهم، وقوم تبع هم سبأ، كلما ملك فيهم رجل سموه تبعاً.

انظر: تفسير ابن كثير: ٦/٢٥٦، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٨٤.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/٧٠.

(٨) في المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة (الدخان): ٢/٤٥٠. =

ولقمان[1]: وقد قيل: إنه كان نبياً، والأكثر على خلافه. أخرجه ابن أبي حاتم وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجّاراً[2].

ويوسف الذي في سورة (غافر)[3].

ويعقوب في أول سورة (مريم)[4] [على ما تقدم[5]].

= عن عائشة قالت: كان تبع رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله ﷻ ذمّ قومَه ولم يذمه؟ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١) ذكر في سورة (لقمان): ١٢، ١٣.

لقمان رجل صالح، كان حكيماً دقيق الحسن كامل الفضائل، ولم يكن نبياً، وإلى هذا أكثر العلماء، وقد رفعه الله بحكمته.

انظر: تفسير ابن جرير: ٢١/٤٣، وتفسير ابن كثير: ٥/٣٨، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٤٧٩.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢١/٤٣.

وذكره ابن كثير في تفسيره: ٥/٣٨ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وغيره.

(٣) أي المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ...﴾ [غافر: ٣٤]. اختلف العلماء في المراد بيوسف هنا: فقيل: هو يوسف بن يعقوب، وقيل: يوسف بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب، وقيل: هو من الجن بعثه الله إليهم رسولاً. قلت: والقول الذي تطمئن إليه النفس هو القول الأول، لأن يوسف بن يعقوب هو الذي يناسب هذه الصفات ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ولم يُعرف أن هناك رسولاً اسمه يوسف غيره. قال ابن كثير في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني أهل مصر، قد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى ﷺ وهو يوسف ﷺ وكان رسولاً يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾.

انظر: تفسير ابن كثير: ٦/١٣٧، وتفسير الشوكاني: ٤/٤٩١.

(٤) وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٦].

(٥) انظر: الكلام عن يعقوب ﷺ في الإتقان أوائل النوع التاسع والستين فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب: (٤/٦١): القول بأن المراد بـ«يعقوب» هنا غير يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم هو قول الكلبي ومقاتل وقالا: إنه يعقوب بن باشم أخو عمران، وآل يعقوب هم خاصته الذين يؤول أمرهم إليه للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في =

وتقي][1] في قوله فيها: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: ١٨]، قيل: إنه اسم رجل كان من أمثل الناس؛ أي إن كنت في الصلاح مثل تقي. حكاه الثعلبي[2].

وقيل: اسم رجل كان يتعرض للنساء.

وقيل: إنه عمها أتاها جبريل عليه السلام في صورته. حكاهما[3] الكرماني في عجائبه[4].

[أسماء النساء][5]:

وفيه من أسماء النساء: **مريم**، لا غير، [لنكتة تقدمت في نوع الكناية][6]،

= الدين، وقد كان فيهم أنبياء وملوك. ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣/ ٣٢٢. قلت: والقول الذي تسكن به القلوب أن المراد بيعقوب هنا هو النبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام لأن المراد بالوارثة ـ على ما هو الراجح وراثة العلم والنبوة؛ لأن زكريا رحمه الله ـ طلب ولياً وارثاً علمه ونبوته هذه صفته فقال: هب لي الذي يكون وارثي. ويؤيده القراءة بالرفع في الفعلين ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ ..﴾ وهي قراءة أهل الحرمين وعاصم وحمزة وغيرهم. على أنهما صفتان للولي. انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٨٤، وتفسير الشوكاني: ٣/ ٣٢٢.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧٠.

(٢) لم أعثر على مرجع ما حكاه الثعلبي.

وقال الشوكاني في تفسيره: ٣/ ٣٢٨: قيل: إن تقيا اسم رجل صالح، فتعوذت مريم منه.

(٣) في (هـ) و(ح): «حكاه»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧٠.

(٤) قلت: إن «تقيا» ليس اسم رجل صالح، ولا اسم رجل فاجر، ولا اسم ابن عم مريم، وإنما من «التقوى».

والتقوى هو: جعل النفس في وقاية مما يخاف، وفي الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور. قاله الراغب في المفردات: ٥٣٠، مادة: (وقى).

ومعنى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ إن كنت تتقي الله، فستنتهي بتعوذي منك، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته أولاً بالله عز وجل. وقال الآلوسي: وقول من قال: إنه اسم رجل صالح أو طالح، ليس بسديد.

انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٤٥، وتفسير ابن الجوزي: ٥/ ٢١٧، وتفسير الآلوسي: ١٦/ ٧٧.

(٥) تكملة من الإتقان: ٤/ ٧٠ من زيادة محققه.

(٦) تكملة من الإتقان: ٤/ ٧٠. =

ومعنى مريم بالعبرانية: الخادم[1]. وقيل: المرأة التي تغازل الفتيان[2]. حكاهما[3] الكرماني.

وقيل: إن **بعلاً** في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥] اسم امرأة كانوا يعبدونها حكاه ابن عسكر[4].

[أسماء الكفار][5]:

وفيه من أسماء الكفار: **قارون**[6]، وهو ابن يصهر بن عم موسى عليه السلام، كما أخرجه ابن أبي حاتم[7] عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ.

وجالوت[8]، ....

= قال السيوطي في الإتقان: ٤/ ٧٠: النوع الرابع والخمسين «في كنايته وتعريضه»:

قال السهيلي: وإنما ذكرت مريم باسمها على خلاف عادة العصماء لنكتة، وهو أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ، ولا يبتذلون أسماءهن، بل يكنون عن الزوجة بالفرش والعيال ونحو ذلك، فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن، ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر، فلما قالت النصارى في مريم ما قالوا، صرّح اللهُ باسمها، ولم يكن إلا تأكيداً للعبودية التي هي صفة لها، وتأكيداً لأن عيسى لا أب له، وإلا نسب إليه».

(١) في (هـ) و(ح): «الخادمة» وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧٠، وهو الصواب؛ لأن «الخادم» يلزم حالة واحدة ولا يؤنث.

(٢) المعنى الأول ـ أي الخادم ـ هو المقبول والأليق بقرائن الحال، والمناسب للمقام؛ لأن أمها هي التي نذرتها لخدمة بيت المقدس، ويبعد على أمها أن تسميها بهذا الاسم ـ المرأة التي تغازل الفتيان ـ إن كان هذا معناه. قاله الدكتور مصطفى البغا في هامش الإتقان بتعليقه: ١/ ١٠٧٦، وما قاله هو المرضي عندي.

(٣) في (هـ) و(ح): «حكاه»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧٠.

(٤) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٣.

وفي تفسير ابن كثير أيضاً: ٦/ ٣٣: أن بعلاً هو اسم صنم كانوا يعبدونه، وهو قول عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم وقول الضحاك، وهو الصواب.

(٥) تكملة من الإتقان: ٤/ ٧١، من زيادة محققه.

(٦) ذكر في (القصص): ٧٦، و(العنكبوت): ٣٩، و(غافر): ٢٤.

(٧) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٥/ ٢٩٨.

عن ابن عباس قال: إن قارون كان من قوم موسى، قال: كان ابن عمه..، قال ابن جريج: هو قارون بن يصهر بن فاهث، وموسى بن عمران بن فاهث...، وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه ـ والله أعلم ـ.

(٨) ذكر في (البقرة): ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١. =

وهامان[1]، **وبشرى** الذي ناداه الوارد المذكور في سورة (يوسف) بقوله: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ [يوسف: ١٩] في قول السدي، أخرجه ابن أبي حاتم[2].

وآزر[3] أبو إبراهيم، وقيل: اسمه تارخ، وآزر لقبه.

أخرج ابن أبي حاتم[4] من طريق الضحاك عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر، إنما كان اسمه تارخ.

وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس[5] ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: معنى آزر: الصنم.

وأخرج عن السدي قال: اسم أبيه تارخ، واسم الصنم آزر[6].

= وهو ملك العمالقة ورأس الجيش، وهو الذي قتله داود عليه السلام حين أقبل على قتال بني إسرائيل وعلى رأسهم طالوت ملكهم.

انظر: الكامل لابن الأثير: ١/٢١٨، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ١٠٣.

(١) ذكر في (القصص): ٦، ٨، ٣٨، و(العنكبوت): ٣٥. و(غافر): ٢٤، ٣٦.

هو: وزير فرعون الأول ومن أعوانه المقربين، وقد كلفه فرعون أن يبني له صرحاً عالياً يتجه إلى السماء صعداً حتى ينالها ويطلع إلى إله موسى ليحاربه. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٥٥٧.

(٢) نقلاً عن تفسير ابن جرير: ١٢/٩٩.

أخرج ابن جرير عن السدي: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾، قال: نادى رجلاً من أصحابه يقال له بشرى، فقال: يا بشرى هذا غلام.

والقول بأن «بشرى» اسم رجل بعينه هو اختيار ابن جرير، حيث يقول في تفسيره: ١٢/ ٩٩. «وأعجب القراءة في ذلك إليّ قراءة من قرأ بإرسال الياء وتسكينها؛ لأنه كان اسم رجل بعينه كان معروفاً فيهم كما قال السدي، فتلك هي القراءة الصحيحة لا شك فيها.

قلت: والقول الذي تطمئن إليه النفس ما قاله ابن كثير في تفسيره: ٤/١٥: وقرأ بعض القراء «يا بشراي»، فزعم السدي أنه اسم رجل ناده ذلك الرجل الذي أدلى دلوه معلماً له أنه أصاب غلاماً، وهذا القول من السدي غريب؛ لأنه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة إلا في رواية عن ابن عباس ـ والله أعلم ـ وإنما معنى القراءة على هذا النحو يرجع إلى القراءة الأخرى، ويكون قد أضاف البشرى إلى نفسه وحذف ياء الإضافة وهو يريدها كما تقول العرب: يا نفس اصبري.. بحذف حرف الإضافة...، وتفسرها القراءة الأخرى «يا بشراي» والله أعلم.

(٣) ذكر في القرآن في سورة (الأنعام): ٧٤.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسير: ٣/٥٢، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٣/٥٢.

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٧/١٥٨، ١٥٩.

وأخرج عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم[1].

ومنها: **النسيئ**[2]: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي وائل قال: كان رجل من بني كنانة كان يجعل المحرم صفراً يستحل به الغنائم[3] [ولعل تسميته النسيء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ الذي هو عبارة عن نقل الأشهر، والتغيير فيها والتبديل، كما كانت عادة العرب في الجاهلية، وكون هذا الرجل هو المبتدئ في ذلك التغيير فسمي الفعل باسمه][4].

[أسماء الجن][5]:

وفيه من أسماء الجن: أبوهم **إبليس**[6]، وكان اسمه [أولاً][7]: عزازيل. أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: [كان

---

(١) المصدر السابق: ٧/ ١٥٨.

قلت: والقول الذي يسكن به القلب ما اختاره ابن جرير في تفسيره: ٧/ ١٥٩.

«... فأولى القولين بالصواب منهما عندي قول من قال: هو اسم أبيه؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم دون القول الآخر...».

قال ابن كثير في تفسيره: ٣/ ٥٣، بعد حكاية قول ابن جرير: «وهذا الذي قاله جيد قويٌّ ـ والله أعلم ـ».

(٢) المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة: ٣٧].

(٣) وفي تفسير ابن جرير: ١٠/ ٩٢: عن أبي وائل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ ..﴾ الآية، وكان رجل من بني كنانة يسمى النسيء فكان يجعل المحرم صفراً، ويستحل فيه الغنائم، فنزلت هذه الآية.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٧١.

والأصح أنه مصدر، ومعناه التأخير في الوقت، والمراد به في الآية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من تأخير الشهر الحرام إلى شهر آخر ليستبيحوا قتال من أرادوا في أي قوت أرادوا، وقد كانوا يحرمون القتال ـ أي يستنكرونه ـ في الشهر الحرام، لاعتقادهم حرمة الأشهر الحرم ووجوب تعظيمها.

قاله الدكتور مصطفى البغا في هامش الإتقان بتعليقه: ٢/ ١٠٧٧ وهو الذي يسكن به القلب.

(٥) تكملة من الإتقان: ٤/ ٧١ من زيادة محققه.

(٦) ذكر في (البقرة): ٣٤. و(الأعراف): ١١. و(الحجر): ٣١، ٣٢. و(الإسراء): ٦١. و(الكهف): ٥٠. و(طه): ١١٦. و(الشعراء): ٩٥. و(سبأ): ٢٠. و(ص): ٧٤، ٧٥.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح). وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧١.

إبليس اسمه عزازيل][1][2].

أخرج ابن جرير[3] عن السدي قال: كان اسم إبليس الحارث، قال: هو يعني عزازيل.

وأخرج ابن جرير[4] وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: إنما سمي إبليس لأن الله جل شأنه أبلسه من الخير كله، آيسه منه.

وقال ابن عساكر: قيل في اسمه: قترة. حكاه الخطابي، وكنيته أبو كردوس.

وقيل: أبو قترة. وقيل: أبو مرة. وقيل: أبو لبيني. حكاه السهيلي في الروض الأنف[5].

[أسماء القبائل][6]:

وفيه أسماء القبائل: يأجوج ومأجوج[7]، وعاد[8]

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧١.

(2) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢٩٤.

(3) في تفسيره: ١/ ١٧٨.

(4) في تفسيره: ١/ ١٨٠، بلفظ عن ابن عباس قال: إبليس أبلسه الله من الخير كله، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته.

(5) لم أجده في الروض الأنف، ووجدت القول الأول في التعريف الإعلام له: ١٩.

(6) تكملة من محقق الإتقان. انظر: الإتقان: ٤/ ٧١.

(7) ذكر في الكهف: ٩٤، والأنبياء: ٩٦.

يأجوج ومأجوج اسمان عجميان بدليل منع صرفهما، وبه قال الأكثر، وهم أمتان من وراء السد الذي بناه ذو القرنيين. واختلف في نسبهم: فقيل: هم ولد يافث بن نوح، وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الجبل والديلم، ورجح القرطبي أنهم من ولد يافث بن نوح. انظر: تفسير ابن جرير: ١٦/ ١٤، وتفسير القرطبي: ٦/ ٥٦، وتفسير الشوكاني: ٣/ ٣١٢.

(8) ذكر في الأعراف: ٦٥، ٧٤. والتوبة: ٧٠. وهود: ٥٠، ٥٩، ٦٠. وإبراهيم: ٩. والحج: ٤٢. والشعراء: ١٢٣. وص: ١٢. وغافر: ٣١. وفصلت: ١٣، ١٥. والأحقاف: ٢١. وق: ١٣. والذاريات: ٤١. والقمر: ١٨. والحاقة: ٤، ٦. والفجر: ٦. وهود: ٦٠. والفرقان: ٣٨. والعنكبوت: ٣٨. والنجم: ٥٠.

وهم قوم هود عليه السلام نشأوا أولاً في موطنهم ما بين (عمان) و(حضرموت) وقد أشار =

[وثمود][1]، ومدين[2]، وقريش[3] والروم[4].

[أسماء الأقوام بالإضافة][5]:

وفيه [من][6] الأقوام بالإضافة: قوم نوح[7]، ....

= القرآن الكريم إلى عاد بأنهم عصوا نبيهم هوداً واستكبروا في الأرض بغير الحق. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٣٦٢.

(١) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧١. وكلمة «ثمود» ذكرت في الأعراف: ٧٣. والتوبة: ٧٠. وهود: ٦١، ٦٨، ٩٥. وإبراهيم: ٩. والإسراء: ٥٩. والحج: ٤٢. والفرقان: ٣٨. والشعراء: ١٤١. والنمل: ٤٥. والعنكبوت: ٣٨. وص: ١٣. وغافر: ٣١. وفصلت: ١٣، ١٧. والذريات: ٤٣. والنجم: ٥١. والقمر: ٢٣. والحاقة: ٤، ٥. والبروج: ١٨. والفجر: ٩. والشمس: ١١.

وهم قوم صالح ﷺ ومسكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى في الطريق الموصل بين المدينة وتوبك.

معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٩٢.

(٢) ذكر في الأعراف: ٨٥، والتوبة: ٧٠، وهود: ٨٤، ٩٥. وطه: ٤٠، والحج: ٤٤، والقصص: ٢٢، ٢٣، ٤٥، والعنكبوت: ٣٦.

هم قوم شعيب، كانوا يسكنون مدينتهم (مدين) التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط. و(مدين) مدينة عرفت بها القبلية، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل.

انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٢٠٠.

(٣) ذكر في سورة قريش: ١.

وهي قبيلة عربية نزلت بمكة واستطاعت أن تتغلب على قبيلة خزاعة التي هاجرت من اليمن عقب سيل العرم، وسميت قريشاً لأنهم أصحاب تجارة ولم يكونوا أصحاب زرع ولا ضرع.

انظر: معجم البلدان: ٤/ ٣٣٦ مادة: (قريش)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٤٢٢.

(٤) ذكر في سورة الروم: ٢.

والروم اسم لأمة عظيمة من ولد روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ. وحدود الروم شرقاً وشمالاً الترك والخزر والروس، وجنوباً الشام والإسكندرية، وغرباً البحر والأندلس.

انظر: معجم البلدان: ٣/ ٩٨: مادة: (روم). ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٢١٥.

(٥) تكملة من الإتقان: ٤/ ٧٢ من زيادة محققة.

(٦) ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧٢.

(٧) ذكر في القرآن في الأعراف: ٦٩. والتوبة: ٧٠. وهود: ٨٩. وإبراهيم: ٩. والحج: =

وقوم لوط[١]، وقوم تبع[٢]، وقوم إبراهيم[٣]، وأصحاب الأيكة[٤]، وقيل: هم مدين، وأصحاب الرس[٥]. وهم بقية من ثمود. قاله ابن عباس[٦] ـ رضي الله تعالى عنهما ـ.

وقال عكرمة[٧]: هم أصحاب ياسين، وقال قتادة: هم قوم شعيب. وقيل: أصحاب الأخدود. واختاره ابن جرير[٨].

[أسماء الأصنام][٩]:

وفيه من أسماء الأصنام التي كانت أسماء لأناس: ود، وسواع، ويغوث، ونسر، وهي أصنام قوم نوح[١٠].

= ٤٢. والفرقان: ٣٧. والشعراء: ١٠٥. وص: ١٢. وغافر: ٥، ٣١. وق: ١٢. والذاريات: ٤٦. والنجم: ٥٢. والقمر: ٩.

(١) ذكر في القرآن سبع مرات: هود: ٧٠، ٧٤، ٨٩. والحج: ٤٣. والشعراء: ١٦٠. وص: ١٣. والقمر: ٣٣.

(٢) ذكر في القرآن مرتين: الدخان: ٣٧. وق: ١٤.

(٣) ذكر في القرآن الكريم مرتين: التوبة: ٧٠. والحج: ٤٣.

(٤) ذكرت في القرآن الكريم في سورة الحجر: ٧٨.

هم قوم شعيب أيضاً، وقد كانوا يسكنون قرية (الأيكة) وسميت بذلك؛ لأنها كانت ذات غياض ورياض وشجر مثمر، وكانت قريباً من (مدين).

انظر: معجم البلدان: ١/ ٢٩١، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٢٨٤.

(٥) ذكرت في سورة الفرقان: ٣٨. وسورة ق: ٣٨. والرس: هو بئر لم تطو.

قال الشوكاني: في فتح القدير: ٤/ ٧٦.

الرس في كلام العرب: البئر التي تكون غير مطوية، والجمع رساس.

سموا بأصحاب الرس لأنهم رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها، والمرسل إليه نبياً هو حنظلة بن صفوان. ومسكنهم (حضور) وهي جبل وبلد باليمن.

انظر: تاريخ دمشق: ١١، والبداية والنهاية: ١/ ٢٤٦، والقاموس المحيط مادة: (حضر): ٢/ ١١.

(٦) وفي تفسير ابن جرير: ١٩/ ١٠، وتفسير ابن كثير: ٥/ ١٥٢: قال ابن جريج عن ابن عباس: هم أهل قرية من قرى ثمود.

(٧) المصدر السابق.

(٨) في تفسيره: ١٩/ ١٠.

(٩) تكملة من الإتقان: ٤/ ٧٢ من زيادة محققة.

(١٠) ذكرت في سورة نوح: ٢٣. =

واللات[1]، والعزى[2]، ومناة[3] وهي أصنام قريش.

وكذا الرُجز، فيمن قرأ بضم الراء[4]، [ذكر][5] الأخفش في كتاب «الواحد والجمع»: أنه اسم صنم[6].

= كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾: ٦/ ٧٣ يأتي ذكره في صفحة (٦٩).

(١) ذكرت في سورة النجم: ١٩.

واللات: اسم صنم كان لثقيف، كان اسم رجل صالح اعتاد أن يلت السويق على حجر ليطعم الجائع من الحاج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٥٣، وفتح الباري: ٨/ ٤٧٠، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٤٨٠.

(٢) ذكرت في سورة النجم: ١٩.

والعزى: هي شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها كما أبو سفيان يوم أحد: أنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». فبعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح فقطعها.

انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٥٤، وتفسير ابن الجوزي: ٨/ ٧٢، وتفسير الشوكاني: ٥/ ١٠٨.

(٣) ذكر في سورة النجم: ٢٠.

وهي صنم كانت منصوبة بين مكة والمدينة بالمشلل عند قديد، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة.

انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٥٤، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٥٠٧.

(٤) وهي قراءة الحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وعاصم، ويعقوب، وابن محيض، وابن السميفع.

انظر: التيسير في القراءات السبع للداني: ٢١٦، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٢/ ٣٩٣، وزاد المسير لابن الجوزي: ٨/ ٤٠١.

(٥) في (هـ) و(ح): «وكسرها»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧٢.

(٦) لم أعثر على مرجع كلام الأخفش.

وفي زاد المسير لابن الجوزي: ٨/ ٤٠١، قال أبو علي: قراءة الحسن بالضم ـ هكذا «الرُجز» ـ وقال: هو اسم ضم.

ثم أورد ابن الجوزي أقوالاً في المراد بـ «الرجز».

أحدهما: أنه الأصنام والأوثان، قاله ابن عباس، ومجاهد وغيرهما.

والثاني: أنه الإثم، روي عن ابن عباس أيضاً.

والثالث: الشرك، قاله ابن جبير، والضحاك.

الرابع: الذنب، قاله الحسن. =

والجبت[1] والطاغوت[2] قال ابن جرير[3]: وذهب بعضهم أنهما صنمان، وكان المشركون يعبدونهما.

ثم أخرج[4] عن عكرمة قال: الجبت والطاغوت صنمان.

والرشاد في قول الله ﷻ في سورة (غافر): ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] وقيل: هو صنم[5] من أصنام فرعون حكاه الكرماني في عجائبه.

وبعل[6]: وهو صنم قوم إلياس.

= **والخامس**: العذاب، قاله ابن السائب، قال الزجاج: الرجز في اللغة العذاب. ومعنى الآية: اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله.

والسادس: الشيطان، قاله ابن كيسان.

قال ابن كثير في تفسيره: ٧/ ١٥٤.

وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه ﷺ من ذلك، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ﴾ [الأحزاب: ١].

(١) ذكر في سورة النساء: ٥١.

وهو اسم صنم، ثم استعمل في كل ما عبد من دون الله من شيطان أو ساحر أو كاهن والجبت السجر أيضاً.

انظر: المفردات للراغب: ٨٥ مادة: (جبت)، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٣١٥، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٩٥.

(٢) ذكر في البقرة: ٢٥٦، ٢٥٧، والنساء: ٥١، ٦٠، ٧٦. والمائدة: ٦٠، والنحل: ٣٦. والزمر: ١٧.

والطاغوت يذكر ويؤنث: الطاغي المعتدي، أو هو كل رأس في الضلال يصرف الناس عن طريق الخير، أو هو كل ما يعبد من دون الله من الجن والإنس والأصنام.

انظر: المفردات للراغب: ٣٠٤، ٣٠٥، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٣١٦، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٣٠٢.

(٣) في تفسيره: ٥/ ٨٣.

(٤) في تفسيره: ٥/ ٨٣.

(٥) ما ذكره الكرماني لا أساس له من الصحة، فإن الرشاد هنا بمعنى الحق والصدق والرشد والهدى، وهذا دليل على أن فرعون افترى وخان الله ورسوله ورعيته وما نصحهم، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه، قال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩﴾ [طه: ٦٩].

انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ١٣٧، وتفسير ابن الجوزي: ٧/ ٣١٩.

(٦) ذكر في الصافات: ١٢٥.

وهو صنم قوم إلياس كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٢٣ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٢٥﴾ [الصافات: ١٢٣ ـ ١٢٥].

وآزر[1] على أنه اسم صنم[2].

وروى البخاري[3] عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إليهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً[4] وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، [حتى إذا هلك][5] هؤلاء وتنسخ العلم عبدت.

أقول[6]: ما وقع من ذكر نوح في قوله «من قوم نوح» سهو والله أعلم، (فإن نوحاً)[7] عليه السلام هو المحاج والمنكر على عبدة يغوث، ويعوق، ونسر، وهو المبعوث إليهم والقائلون في جوابهم له تحريضاً لقومهم: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤]، فدل سياق القرآن، على أن عبادة ود، وسواع، ويغوث، ونسر سابقة على زمن نوح عليه السلام فلا يصح أن يكون أسماء جماعة من قومه، ولعل الواقع أنهم من قوم إدريس

---

(١) ذكر في الأنعام: ٧٤.

(٢) وهو رواية عن ابن عباس.

انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٢ وقد ذكرت في الهامش: ٦٢ على أنه اسم أبي إبراهيم فليراجع إليه.

(٣) في صحيحه بلفظ: عن ابن عباس رضي الله عنهما صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبا، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين... الحديث كما في المتن.

صحيح البخاري كتاب التفسير باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾: ٦/ ٧٣.

(٤) أنصاباً: جمع نصب، وهو حجر أو صنم ينصب تخليداً لذكرى رجل أو غيره. هلك أولئك: مات الذين نصبوا الأنصاب، وكانوا يعلمون لماذا نصبت، تنسخ العلم: زالت معرفة الناس بأصل نصبها، والمعنى الذي نصبت من أجله.

شرحه د. مصطفى البغا في هامش الإتقان بتعليقه: ٢/ ١٠٧٩.

(٥) في الإتقان: ٤/ ٧٢: (فإذا هلك)، وفي (هـ) و(ح): «فلما هلك» وما أثبته من صحيح البخاري: ٦/ ٧٣.

(٦) القائل هو المؤلف.

(٧) في (هـ) و(ح): «فإن نوح» وهو تصحيف.

لا نوح، فجرى ذكر نوح سهواً[1].

وقد ثبت في بعض الأخبار أن عبادة الأصنام كانت بعد إدريس، وسببها أنه كان قوم صالحون علماء من أتباع إدريس عليه السلام فلما ماتوا صور أتباعهم على أشكالهم صوراً يتبركون بها، فأقاموا على ذلك مدة، ثم انقرضوا طبقة بعد طبقة إلى أن عبدها قوم آخرون واتخذها آلهة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة: أنهم كانوا أولاد آدم لصلبه[2].

وأخرج البخاري[3] عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وحكاه ابن جني عنه: أنه قرأ «اللاتّ» [النجم: ١٩] بتشديد التاء، وفسره بذلك، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد[4].

[أسماء البلاد والأمكنة][5]:

وفيه من أسماء البلاد والبقاع والجبال والأمكنة: **(بكة)**[6] اسم لـ**(مكة)**،

---

(١) ما ذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من أن ﴿وَدًّا﴾، و﴿سُوَاعًا﴾، و﴿يَغُوثَ﴾، ﴿وَيَعُوقَ﴾، ﴿وَنَسْرًا﴾ من قوم إدريس لا نوح، يرده ما رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾: ٦/ ٧٣. عن ابن عباس قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد.. الحديث.

(٢) نقلاً عن فتح الباري كتاب التفسير، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [نوح: ٢٣]: ٨/ ٥٢١، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٢٦٩ بنحوه. وعزاه إلى ابن بي حاتم عن عروة.

قلت: هذا كلام لا أساس له من الصحة، فقد ذكرنا أنهم من قوم نوح عليه السلام كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب «وداً، ولا سواعاً...»: ٦/ ٧٣.

(٣) في صحيحه: كتاب التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم] صحيح البخاري: ٦/ ٥١.

(٤) لم أجد ما حكاه ابن جني، بل نقلت عن ابن حجر.

قال في فتح الباري: ٨/ ٤٧١، كتاب التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾: ... وكان مجاهد يقرأ: ﴿ٱللَّٰتَ﴾ مشددة. وانظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٤٧.

(٥) زيادة من محقق الإتقان. انظر: الإتقان: ٤/ ٧٢.

(٦) لفظ: (بكة) ذكر في آل عمران: ٩٦، ولفظ: (مكة) في الفتح: ٢٤.

قال الراغب في مفرداته: ٧٤: (بكة) هي (مكة) عن مجاهد، وجعله نحو سبد رأيه وسمده.. وفي كون الباء بدلاً من الميم. وانظر: معجم البلدان: ١/ ٤٧٥ مادة: (الباء مع الكاف).

فقيل الباء بدل من الميم ومأخذه من تمككت العظم أي اجتذبت ما فيه من المخ، وتملك الفيصل ما في ضرع الناقة؛ فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الأقوات[1].

وقيل: لأنها تملك الذنوب أي تذهبها.

وقيل: لقلة مائها.

وقيل: لأنها في بطن واد تملك الماء من جبالها عند نزول المطر وتنجذب إليها السيول.

وقيل: الباء أصل، ومأخذه من البك، لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تكسرهم فيذلون ويخفضون.

وقيل: من الباك، وهو الازدحام لازدحام الناس فيها في الطواف[2].

وقيل: **(مكة)** الحرم، و**(بكة)** المسجد خاصة[3].

وقيل: **(مكة)** البلد، و**(بكة)** البيت وموضع الطواف[4].

وقيل: البيت خاصة[5].

و**(المدينة)**: وسميت في الأحزاب بـ**(يثرب)**[6] حكاية عن المنافقين، وكان اسمها في الجاهلية.

---

(١) انظر: تفسير الشوكاني: ١/ ٣٦٢.

(٢) وفي المفردات للراغب: ٧٤ مادة: (الباء مع الكاف): وسمي بذلك من التباك أي الازدحام، لأن الناس يزدحمون فيه للطواف.

وقيل: سميت مكة بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم.

وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٧٥، وتفسير الشوكاني: ١/ ٣٦٢.

(٣)(٤)(٥) وفي تفسير الشوكاني: ١/ ٣٦٢: و(بكة) اسم علم للبلد الحرم كله، وكذا (مكة) وهما لغتان، وقيل: إن (بكة) اسم لموضوع البيت، و(مكة) اسم للبلد الحرام، وقيل: (بكة) للمسجد، و(مكة) للحرم كله.

قلت: والقول الذي يطمئن إليه القلب هو: أن (بكة) هي من أسماء (مكة)، فإن لمكة أسماء كثيرة.

قال ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٧٥: بكة من أسماء مكة على المشهور... وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة: مكة، وبكة، والبيت، العتيق والبيت الحرام، والبلد الأمين... وأم القرى...

(٦) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ..﴾ [الأحزاب: ١٣].

وقيل: إنه اسم أرض هي من ناحيتها[1].

وقيل: سميت بيثرب بن وائل من بني إرم بن سام بن نوح؛ لأنه أول من نزلها، وقد صح النهي عن تسميتها به[2]، لأنه ﷺ يكره الاسم الخبيث، وهو يشعر بالثرب وهو الفساد أو التثريب وهو التوبيخ.

و(بدر)[3]: وهي قرية قرب المدينة[4].

أخرج ابن جرير[5] عن الشعبي قال: كانت بدر لرجل من جهينة يسمى بدراً، فسميت به.

قال الواقدي: فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فأنكراه، وقالا: فلأي شيء سميت الصفراء، ورابغ!! هذا ليس بشيء إنما هو

وذكر لفظ (المدينة) في التوبة: ١٠١، ١٢٠، والأحزاب: ٦٠، والمنافقون: ٨.

(١) في الإتقان: ٤/ ٧٣: فقيل: لأنه اسم أرض في ناحيتها.

وفي تفسير ابن جرير: ٢١/ ١٣٥: (يثرب): اسم أرض، فيقال: إن مدينة رسول الله ﷺ في ناحية يثرب.

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٢٨٥: عن البراء بن عازب ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله ﷻ، هي طابة، هي طابة».

قال ابن كثير في تفسيره: ٥/ ٤٣٤، بعد إيراده هذا الحديث: تفرد به الإمام أحمد، وفي إسناده ضعف، والله أعلم.

وقد جاء تسميتها يثرب في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام: ٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ: ٧/ ٥٦: من حديث أبي موسى الأشعري: عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي ـ أي ظني ـ إلى أنها اليمامة ـ بلد من بلاد الحجاز ـ أو هجر، أي مدينة في اليمن، فإذا هي المدينة يثرب». وفي معجم البلدان: ٥/ ١٣٠ باب الياء والثاء وما يليهما.

يثرب مدينة رسول الله ﷺ، سميت بذلك؛ لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن إرم بن سام بن نوح ﵇، فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب... قال ابن عباس: «من قال للمدينة يثرب فليستغفر ثلاثاً إنما هي طيبة».

(٣) اللفظ وارد في آل عمران: ١٢٣ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ..﴾.

(٤) وفي معجم البلدان: ١/ ٣٥٧ باب الباء والدال وما يليهما: وبدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار ـ وهو ساحل البحر ـ ليلة. وهي الآن مدينة عامرة.

(٥) في تفسيره: ٧/ ١٧٠.

اسم الموضع[1].

وأخرج عن الضحاك قال: (**بدر**) ماء بين مكة والمدينة[2].

و(**أحد**): قرئ شاذاً: «إذ تصعدون ولا تلوون على أُحُدٍ»[3].

و(**حنين**)[4]: وهي قرية قرب (**الطائف**) [وعرفات][5].

و(**جمع**)[6]: وهي (**مزدلفة**)، و(**المشعر الحرام**)[7] وهو جبل بها.

و(**الحجر**)[8]: [منازل ثمود ناحية (**الشام**) عند وادي القرى][9].

و(**الأحقاف**)[10]: وهي جبال الرمل بين (**عَمَّان**)[11] و(**حضرموت**)[12][13].

---

(١) أي: ولا يشترط أن يكون هناك سبب لتسميتها، كما سمي غيرها من المواضع كالصفراء ورابغ، ولا سبب لتسميتها بذلك.

(٢) تفسير ابن جرير: ٧/ ١٧١، بلفظ: بدر ماء عن يمين طريق مكة، بين مكة والمدينة.

(٣) اللفظ المتواترة: (على أَحَدٍ)، وعلى هذا فلا تسمية لأحد في القرآن.

(٤) اللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا . .﴾ [التوبة: ٢٥].

وفي معجم البلدان: ٢/ ٣١٣: حنين قريب من مكة. وقيل: هو واد قبل الطائف.

(٥) ساقط من الإتقان: ٤/ ٧٣.

(٦) لم أجد لها تسمية في القرآن.

(٧) اللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وسمي مشعراً؛ لأنه من معالم الحج، ووصف بأنه داخل حرم مكة.

انظر: معجم الألفاظ القرآنية: ٢٧٠.

(٨) اللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الحجر: ٨٠].

الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، وكان أصحاب الحجر قد نحتوا بيوتهم من الحجر، وهو من وادي القرى على يوم بين جبال.

انظر: معجم البدان: ٢/ ٢٢١، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٢١٧.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧٣.

(١٠) واللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ . .﴾ [الأحقاف: ٢١].

(١١) عمان: بالفتح ثم التشديد وآخره نون، بلد في طرف الشام وكانت قصبة أرض البلقاء، وهي الآن عاصمة الأردن.

انظر: معجم البلدان: ٤/ ١٥١.

(١٢) حضرموت: بالفتح ثم السكون، وفتح الراء والميم اسمان مركبان. وهي ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبينها وبين صنعاء اثنان وسبعون فرسخاً.

انظر: معجم البلدان: ٢/ ٢٦٩.

(١٣) وفي معجم البلدان: ١/ ١١٥: الأحقاف: واد بين عمان وأرض مهرة، وقيل: =

و(**نقع**): [في قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ [العاديات: ٤]][١] قيل: اسم لما بين (**عرفات**) إلى (**مزدلفة**.) حكاه الكرماني.

و(**مصر**)[٢]، و(**بابل**)[٣]: وهي قرية[٤] بسواد (**العراق**).

و(**الأيكة**)[٥]، و(**ليكة**) بفتح اللام بلد قوم شعيب، والثاني: اسم البلدة، والأول اسم الكورة[٦].

= رمال مشرفة على البحر بالشجر من أرض اليمن، وقيل: هي رمل فيما بين عمان إلى حضرموت قال صاحب معجم البلدان: «وهذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى».

وقد اخترت قول ابن زيد وابن جرير فيه أي الأحقاف في النوع ١٣٦، ، وهي ما وصفت من الرمال المستطيلة الشرفة، سواء كانت جبلاً بالشام، أو واد بين عمان وحضرموت، أو رمال بالشحر.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٦/٢٦، وتفسير ابن كثير: ٤/ ١٦٠.

(١) ولم ترد كلمة «نقع» في القرآن إلا في هذه الآية، والمراد به: الغبار الذي تثيره الخيل أثناء سيرها. وما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٧٣.

(٢) ذكر في البقرة: ٦١. ويونس: ٨٧. ويوسف: ٢١، ٩٩. والزخرف: ٥١.

وهي: بلد قديم ذو تاريخ عريق، وهي من فتوحات عمرو بن العاص في أيام عمر، بعد عهود طويلة من حكم الفراعنة، وقد عاش فيها أنبياء من بني إسرائيل: يوسف، وموسى، وعيسى عليهم السلام، ودخلها من قبل إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام.

انظر: معجم البلدان: ٥/ ١٣٧، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٤٩٩.

(٣) ذكر في البقرة: ١٠٢.

(وبابل): بلد قديم بـ(العراق) على الجانب الأيسر من نهر الفرات قرب (الكوفة)، كان لها تاريخ حافل في العصور الخالية، وينسب إليها السحر، وإلى ذلك أشار القرآن في (البقرة): ١٠٢.

انظر: معجم البلدان: ١/ ٣٩، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٤٥٦.

(٤) في الإتقان: ٤/ ٧٣: «بلد».

(٥) ذكر في الحجر: ٧٨. والشعراء: ١٧٦. وص: ١٣. وق: ١٤.

(الأيكة): الشجرة كثيرة الأغصان، وكانت أرض مدين (قوم شعيب) كثير الأشجاء الملتفة الأغصان في البقعة الواقعة بين ساحل البحر الأحمر وجنوب الشام؛ ولذا سمي قوم شعيب بأصحاب (الأيكة).

انظر: معجم البلدان: ١/ ٢٩١، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٥٤.

(٦) (الكورة): تطلق على المدينة وعلى الصقع من الأرض، وهو الناحية منها.

و(الأيكة)، و(ليكة) قرئ بهما في المتواتر من القراءات أما: (ليكه) فهي قراءة الحرميين وابن عامر و(الأيكة) هي قراءة الباقين.

انظر: التيسير في القراءات السبع: ١٦٦.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: إنها جبل بالشام[١].

أقول[٢]: (**الحجر**) هي مدائن قوم صالح، وهي أرض (**بلقاء**)[٣]، و(**الأحقاف**) كما قيل: بحضرموت.

و(**طور سيناء**)[٤]: وهو الجبل[٥] [الذي نودي منه موسى][٦].

و(**الجودي**)[٧]: وهو جبل بالجزيرة.

و(**طوى**)[٨]: اسم الوادي، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ[٩].

---

(١) وأخرج ابن جرير في تفسيره: ٢٢/٢٦: عن ابن عباس ﷺ قال: الأحقاف: جبل بالشام. وفي تفسير الشوكاني: ٥/٢٤: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ قال: الأحقاف: جبل بالشام.

(٢) كلام المؤلف.

قلت: ما ذكره المؤلف من أن الحجر مدائن قوم صالح، وهي أرض بلقاء صحيح؛ لأن بلقاء هي كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، وسمي الحجر لأن قوم صالح نحتوا بيوتهم من الحجر. انظر: معجم البلدان: ١/٤٨٩، ٢/٢٢١.

(٣) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يضرب المثل. انظر: معجم البلدان: ١/٤٨٩.

(٤) واللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ..﴾ [المؤمنون: ٢٠]، و(طور سيناء): الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ وهو جبل بالشام. وهو طور أضيف إلى سيناء. انظر: معجم البلدان: ٤/٤٨.

(٥) في (هـ) و(ح): «جبل»، وما أثبته من الإتقان: ٤/٧٣.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته في الإتقان: ٤/٧٣.

(٧) واللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]. وفي معجم البلدان: ٢/١٧٩. الجودي: ياؤه مشددة: هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح ﷺ لما انضب الماء. وانظر: تفسير الشوكاني: ٢/٥٠٠.

(٨) ذكر في طه: ١٢. والنازعات: ١٦. هو اسم الوادي المبارك الذي هبط فيه موسى ﷺ بطور سيناء، وكلمه فيه رب العزة ﷻ. وهو موضع بالشام عند الطور. انظر: معجم البلدان: ٤/٤٥، ومعجم الألفاظ: ٣٢٠، وتفسير الشوكاني: ٣/٣٥٨.

(٩) ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣/٣٦١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

وأخرج من وجه آخر عنه: إنه سمي طوى؛ لأن موسى طواه ليلاً[1].

وأخرج عن الحسن قال: هو واد بـ(**فلسطين**) قيل له: طوى؛ لأنه قدس مرتين[2].

وأخرج عن ميشير بن عبيد قال: هو واد بأيلة، طوى بالبركة مرتين[3].

و(**الكهف**)[4]، و(**الرقيم**)[5]:

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: زعم كعب أن (**الرقيم**): القرية التي خرجوا منها[6].

وعن عطية قال: (**الرقيم**): واد[7].

[وعن سعيد بن جبير مثله.

وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: (**الرقيم**) واد][8] بين (**عُسْفان**)[9] ....

---

(١) ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣/ ٣٦١ وعزاه إلى ابن حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه بالوادي المقدس طوى يعني الأرض المقدسة، وذلك أنه مر بواديها ليلاً فطوى. طواه ليلاً أي قطعه سيراً في الليل وجازه.

(٢) أخرج ابن جرير في تفسيره: ١٦/ ١٤٦: عن الحسن قال: كان قدس مرتين.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: طوى هو اسم الوادي، وكذا قال غير واحد، فعلى هذا يكون عطف بيان. وقيل: عبارة عن الأمر بالوطء بقدميه، وقيل: لأنه قدس مرتين وطوى له البركة وكررت. والأول أصح كقوله: إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى...

(٤) وهو مذكور في الكهف: ٩، ١٠، ١١، ١٦، ١٧، ٢٥.

و(الكهف): المكان المنقور في الجبل، أو الملجأ يأوى إليه الإنسان والحيوان. وهو الغار الواسع في الجبل، فإن كان صغيراً سمي غاراً.

انظر: تفسير الشوكاني: ٣/ ٢٧٢، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٤٦٢.

(٥) واللفظ وارد في الكهف: ٩.

(٦) وأخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٥/ ١٩٥: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يزعم كعب أن (الرقيم) القرية.

وفي تفسير الشوكاني: ٣/ ٢٧٣: وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وسألت كعباً فقال: اسم القرية التي خرجوا منها.

(٧) أخرج ابن جرير في تفسيره: ١٥/ ١٩٥، عن عطية قال: الرقيم: وادٍ.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧٤.

(٩) عُسْفان: بضم أوله، وسكون ثانيه ثم فاء، وآخره نون: فعلان، من عسفت المفازة =

(وأيْلَة)[1] دون **(فلسطين)**[2][3].

وعن قتادة قال: **(الرقيم)**: اسم للوادي الذي فيه **(الكهف)**[4] وعن أنس بن مالك قال: **(الرقيم)** الكلب[5].

أقول[6]: والصحيح أن الكهف[7] والرقيم[8] معنيان مترادفان بمعنى واحد.

= وهو يعسفها، وهو قطعها بلا هداية ولا قصد، وسميت عسفان لتعسف السيل فيها؛ كما سميت الأبواء لتبوء السيل بها.

وهي قرية جامعة، بها منبر ونخيل مزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة، وهي حد تهامة.

انظر: معجم البلدان: ٤/ ١٢٢.

(١) (أيلة): بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: آخر الحجاز وأول الشام.

انظر: معجم البلدان: ١/ ٢٩٢.

(٢) فلسطين: بالكسر ثم الفتح وسكون السين وطاء مهملة، وآخره نون.

وهي: آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها البيت المقدس، ومن مشهور مدنها: (عسقلان)، و(الرملة)، و(غزة)، و(أريحا)، و(عمان)، و(يافا)، و(بيت جبرين).

انظر: معجم البلدان لياقوت: ٤/ ٢٧٤.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٥/ ١٩٥ بلفظه، وذكره الشوكاني في تفسيره: ٣/ ٢٧٣ ونسبه إلى ابن أبي حاتم نحوه.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٥/ ١٩٨، بلفظ: أن الرقيم: الوادي الذي فيه أصحاب الكهف.

(٥) ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣/ ٢٧٣ ونسبه إلى ابن أبي حاتم عن أنس.

وأنس بن مالك: هو: أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة، صحابي جليل، خدم النبي ﷺ عند قدومه المدينة وكان صغيراً، سمع منه ومن كبار الصحابة، وشهد معه الحديبية وعمرته والحج والفتح، رحل إلى دمشق والبصرة وتوفي بها سنة ٨٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: ١/ ٤٤، وتهذيب التهذيب: ١/ ٣٧٦.

(٦) كلام المؤلف.

(٧) قلت: والقول الذي يسكن به القلب ما ذهب إليه ابن جرير في تفسيره: ٥/ ١٩٥: أن الكهف المراد هنا هو كهف الجبل الذي أوى إليه أصحاب الكهف.

(٨) هناك رأي جديد في المراد بـ«الرقيم»، وهو: أنه اسم البلد التي تجاور الكهف الذي أوى إليه الفتية المؤمنون الذين لجئوا إليه محافظة على إيمانهم (أصحاب الكهف)، وهي تقع على بعد نحو تسعة كيلو متر للجنوب الشرقي من مدينة عمان، والتي حرفت إلى «الرجيب» وهي كلمة بدوية؛ لأن البدو يلفظون القاف جيماً، ويقلبون الميم باء. =

= حيث اكتشفت دائرة الآثار الأردنية بالتعاون مع رابطة العلوم الإسلامية بعمان موقع كهف أصحاب الكهف عام ١٩٦١م، وهو على بعد تسعة كيلو متر جنوب شرق عمان، وفي قربه بمائتي متر قرية «الرقيم» التي حرفها أهاليها إلى «الرجيم».

وهذا الاكتشاف التاريخي على موقع الكهف يستند بأدلة وقرائن دينية، وتاريخية، وأثرية.

أما الأدلة الدينية فلعل أهمها وأجدرها بالاعتبار انطباق آية الشروق المذكور في سورة الكهف: ١٧ على هذا الموقع تماماً، فقد جاء في الآية الكريمة: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ وهذا ينطبق كل الانطباق على هذا الكهف، فإنه يتجه إلى الناحية القبلية، والشمس تطل عليه حين تشرق وتبعث بأشعتها إلى مدخل بابه، ولكنها لا تنفذ إلى داخله حيث توجد الفجوة التي يقيمون فيها، ويستمر الوضع كذلك حتى الغروب.

ومن **الأدلة الدينية**: العثور على المسجد الذي ورد ذكره في سورة الكهف: ٢١ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾. وقد عثر على هذا المسجد الذي أقيم فوق الكهف بعد إزالة الأنقاض، وظهرت سبعة أعمدة أثرية قديمة، ربما نصبت في هذا المسجد رمزاً لعددهم.

وكذلك الفترة التي أخلدوا فيها إلى النوم، وهي ٣٠٠ سنة شمسية، و٣٠٩ سنة قمرية، قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: ٢٥]. وقد أيدتها الاكتشافات الأثرية.

وكذلك الفجوة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم سورة الكهف: ١٧، والتي وجدت في داخل الكهف وتمتد إلى أعلاه بواسطة نفق.

الأدلة التاريخية والأثرية:

وهي تستند في جملتها إلى ما رواه الصحابة، ومن جاء بعدهم، وعلماء المسلمين الذين زارو هذا الموقع، وما ورد على ألسنة شعراء العرب في العصر الجاهلي.

فمن ذلك:

أن الصحابي عبادة بن الصامت بعثه الخليفة أبو بكر رسولاً إلى ملك الروم، يدعوه إلى الإسلام، وأنه مر على مغارة فيها أجسام غير بالية ويعتنى بها في جبل الرقيم على مقربة من طريق القوافل بين الشام والحجاز (المواقع الذي تم اكتشافه يقع على طريق الشام والحجاز)، وهذه الرواية تدل على أن موقع الكهف كان معروفاً في صدر الإسلام.

ومما يذكر بهذا الصدد أن كلمتي (الكهف والرقيم) كانتا تردان على ألسنة القوم في الجزيرة العربية ففي شعر لأمية بن أبي الصلت وردت هاتان الكلمتان في قوله:

ليس بها إلا الرقيم مجاوراً　　وصيدهم والقوم في الكهف هجد

ومن المعلوم أن هذا الشاعر الجاهلي كان على دين أهل الكتاب ولعله عرف هذه القصة منهم. =

و(**العرم**)[1]: أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قال: العرم اسم الوادي.

و(**حرد**)[2]: قال السدي: بلغنا أن اسم القرية حرداً، أخرجه ابن أبي حاتم.

و(**الصريم**)[3]: أخرج ابن جرير[4] عن سعيد بن جبير أنها أرض باليمن تسمى بذلك.

= وممن زاروا هذا الموقع وكتبوا عنه: الأمير أسامة بن منقذ من قواد صلاح الدين الأيوبي، والشيخ أبو الأعلى المودودي وغيرهما.

وهناك الكثير من العلماء، والمفكرون، والمؤرخون يؤيديون هذا الاكتشاف منهم: الشيخ عبد الرحمٰن النجار مدير عام المساجد بوزارة الأوقاف بمصر، والدكتور إبراهيم الخولي الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، والشيخ حازم أبو غزالة رئيس جمعية دار القرآن الكريم بالأردن، والأستاذ محمود العابدي مساعد مدير دائرة الآثار الأردنية، والأستاذ إحسان النمر الكاتب والمؤرخ المعروف وغيرهم.

وقد أيدت تلك الأدلة والأقوال الحفريات التي أجرتها دائرة الآثار العامة الأردنية في ذلك الموقع، والتي كشفت عن الأضرحة، والمسجد، والفجوة، وطرز البناء، والنقوش، والكتابات، والزخرفة، وكلها تدل دلالة صريحة على العصر الذي ظهروا فيه، وتتفق إلى حد بعيد مع ما جاء في القرآن الكريم، وما ورد من الروايات الإسلامية في مختلف العصور.

انظر: كتاب: «أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى» لمحمد تيسير ظبيان: ٤٣، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٢٢، ١٥١.

ولمزيد من المعرفة والتوسع حول هذا الاكتشاف التاريخي فليراجع هذا الكتاب، فقد أجاد مؤلفه وأتقن فيه.

(١) ذكر في: سبأ: ١٦. قال الشوكاني في تفسيره: ٤/ ٣٢٠: قال عطاء: (العرم) اسم الوادي. و(العرم): السيل الذي لا يطاق، والمطر الشديد، كما في مختار الصحاح للرازي مادة: (ع ر م): ٤٢٨.

(٢) ذكر في: القلم: ٢٥، وهو قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

قال الشوكاني في تفسيره: ٥/ ٢٧٢. قال الأزهري: (حرد) اسم قريتهم، وقال السدي: اسم جنتهم.

وقيل: معناه على قصد أو منع؛ وهو الصحيح الذي يناسب اللغة والسياق. قال السعدي في تفسير: ٧/ ٤٤٩ عند تفسير هذه الآية ﴿وَغَدَوْا﴾ في هذه الحالة الشنيعة، والقسوة، وعدم الرحمة ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ أي على إمساك ومنع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها.

(٣) ذكر في: القلم: ٢٠، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾.

(٤) في تفسيره: ٢٩/ ٣١ نحوه: عن سعيد بن جبير يقول: هي أرض باليمن يقال لها: ضروان، من صنعاء على ستة أميال. =

و(ق)[1]: وهو جبل محيط بالأرض[2].

و(**الجرز**)[3]: قيل: هو اسم أرض.

و(**الطاغية**)[4]: قيل: اسم البقعة التي أهلكت [بها][5] ثمود. حكاهما الكرماني.

[أسماء الأماكن الأخروية][6]:

وفيه من أسماء الأماكن الأخروية: **الفردوس**[7] وهو: أعلى مكان في الجنة.

= قلت: إن هذا الرأي فاسد، والصواب: في المراد بـ«الصريم» هو المعنى اللغوي وهو الشيء الذي صرمت ثماره أي قطعت، فعيل بمعنى مفعول: ومعنى ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أنها حرقت واسودت فصارت كالأرض المقطوعة النبات.. انظر: تفسير الشوكاني: ٥/ ٢٧١.

(١) ذكر في: سورة ق: ١.

(٢) قلت: والذي أميل أن (ق) من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه؛ لأنه من فواتح السور بالتهجي. وهذا الذي مال إليه الشوكاني في تفسيره.
انظر: تفسير الشوكاني: ٥/ ٧١.

(٣) ذكر في: الكهف: ٨. والسجدة: ٢٧.
وفي تفسير الشوكاني: ٤/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ بتقديم وتأخير قيل: هي أرض اليمن، وقيل: أرض عدن....
قال مجاهد: إنها أرض النيل؛ لأن الماء إنما يأتيها في كل عام.
قال المبرد: يبعد أن يكون لأرض بعينها لدخول الألف واللام.
قال الشوكاني: أصله من الجرز وهو القطع أي التي قطع نباتها لعدم الماء، ولا يقال للتي لا تنبت أصلاً كالسباخ جرز.

(٤) واللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ [الحاقة: ٥]. والطاغية صيحة العذاب التي أهلكوا بها.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) تكملة من الإتقان: ٤/ ٧٥، من زيادة محققه.

(٧) وهو مذكور في الكهف: ١٠٧، والمؤمنون: ١١.
كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٣٣٥، ٣٣٩، ٥/ ٢٤١، ٣٢١، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد، باب صفة الجنة: ٢/ ١٤٤٦: عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين، كما بين السماء والأرض، أعلاها الفردوس، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس».

وعليون[1]: قيل: أعلى مكان في الجنة. وقيل: اسم لما ورد فيه أعمال صلحاء الثقلين.

والكوثر[2]: نهر في الجنة، كما في الأحاديث المتواترة[3].

وسلسبيل[4]، **وتسنيم**[5]: عينان في الجنة.

وسجين[6]: اسم لمكان أرواح الكفار.

---

(١) ذكر في: المطففين: ١٨، ١٩.

والظاهر أن «عليين» مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، وجائز أن يكون ذلك: الجنة أو سدرة المنتهى، أو السماء الرابعة، أو اسم لما ورد فيه أعمال الصالحين من الثقلين.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٣/٣٠، وتفسير ابن كثير: ٤٨٦/٤.

(٢) ذكر في سورة الكوثر: ١

(٣) منها: ما رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾: ٩٢/٦ من حديث سعيد بن جبير: عن ابن عباس ﷺ أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة. فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

جاء في كتاب «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» للكتاني: ١٥٣ ـ الناشر دار المعارف سورية ـ أحاديث كثيرة، قال الحافظ عماد الدين بن كثير: تواترت من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث.

(٤) ذكر في: سورة الإنسان: ١٨ وهو قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ وهو قول قتادة. أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢١٨/٢٩. لكن ابن جرير اختار أن «السلسبيل» صفة للعين وصفت بالسلاسة في الحلق، وفي حال الجري، لإجماع أهل التأويل على أن قوله تعالى: ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ صفة لا اسم.

انظر: المصدر السابق: ٢٢٠/٢٩.

(٥) ذكر في: سورة المطففين: ٢٧، ٢٨. وهو قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ هو عين الجنة يمزج بها الرحيق لأصحاب اليمين وأما المقربون فيشربونها صرفاً، وهو قول عبد الله بن مسعود، ومسروق. ذكره ابن جرير في تفسيره: ٣٠/ ١٠٨.

(٦) اللفظ وارد في: المطففين: ٧، ٨.

أخرج ابن جرير في تفسيره: ٩٤/٣٠ عن ابن عمر قال: هي الأرض السفلى فيها أرواح الكفار وأعمالهم أعمال السوء.

وذكر ابن الجوزي الأقوال في «سجين» في تفسيره: ٥٤/٩:

أحدها: أنها الأرض السابعة، قاله مجاهد وغيره. =

والصعود[1]: جبل في جهنم، كما أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد مرفوعاً.

وغي[2]، **وأثام**[3]، ....

= **والثاني**: أن المعنى أن كتابهم لفي سفال، قاله الحسن.

والثالث: لفي خسار، قاله عكرمة.

والرابع: لفي حبس، فعيل من السجن، قاله أبو عبيدة.

قال ابن كثير في تفسيره: ٨/ ٢٣٨: والصحيح أن «سجيناً» مأخوذ من السجن، وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق، وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق، والمحل أضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم، وهي أسفل السافلين كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٥، ٦]، وقال هاهنا: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ [المطففين: ٧، ٨]. وهو يجمع الضيق والسفول، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣﴾ [الفرقان: ١٣].

(١) واللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ [المدثر: ١٧]. أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم باب، ما جاء في صفة النار: ٤/ ٧٠١.

وكتاب التفسير باب، ومن سورة المدثر: ٥/ ٤٢٩، من حديث أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي عليه كذلك فيه أبداً». قال الترمذي هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث ابن لهيعة، وقد روي شيء من هذا عن عطية عن أبي سعيد قوله، موقوفاً. قال ابن حجر عنه في التقريب: ١/ ٤٤٤: ابن لهيعة صدوق، خلط بعد احتراق كتبه. وما دام الحديث في إسناده مقال، فالأحسن أن نرجع إلى معنى «الصعود» وهو المشقة، قال البيضاوي في تفسيره مع حاشية الشهاب: ٨/ ٢٧٤: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ سأغشيه عقبة شاقة المصعد، وهو مثل ما يلقى من الشدائد.

(٢) ذكره في البقرة: ٢٥٦. والأعراف: ١٤٦، ٢٠٢. ومريم: ٥٩.

(٣) ذكر في الفرقان: ٦٨:

ذكر ابن الجوزي في زاد المسير أقوالاً في المراد بـ«أثام»:

قال ابن عباس: أثام: أي جزاء.

قال مجاهد وعكرمة: هو وادٍ في جهنم.

قال ابن قتيبة: أثام: عقوبة.

قال الزجاج: أثام: جزم على الجزاء.

قال سيبويه والخليل في معنى ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]: يلقى جزاء الآثام، وإنما جزم ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الفرقان: ٦٩] لأن مضاعفة العذاب لقي الأثام، فلذلك جزمت. =

وموبق[1]، وويل[2]، والسعير[3].

وسائل[4]، وسحق[5]: أودية في جهنم.

أخرج ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم

= قلت: القول الذي تطمئن به النفس ما ذهب إليه سيبويه والخليل.

ويأيد هذا ما قاله الراغب في المفردات: ١٠.

وقيل: معنى يلق أثاماً: أي يحمله ذلك على ارتكاب آثام؛ وذلك لاستدعاء الأمور الصغيرة إلى الكبيرة.

(١) ذكر في الكهف: ٥٢.

(٢) ذكر في البقرة: ٧٩. وإبراهيم: ٢. ومريم: ٣٧. والأنبياء: ١٨. وص: ٢٧. والزمر: ٣٢. وفصلت: ٦. والزخرف: ٦٥. والجاثية: ٧. والذاريات: ٦٠. والطور: ١١. والمرسلات: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩.

(٣) ذكر في النساء: ١٠. والإسراء: ٩٧، والحج: ٤. والفرقان: ١١. ولقمان: ٢١. وسبأ: ١٢. وفاطر: ٦. والأحزاب: ٦٤. والشورى: ٧. الفتح: ١٣، والملك: ٥، ١٠، ١١. والإنسان: ٤.

(٤) ذكر في الذاريات: ١٩. والمعارج: ١، ٢٥. والضحى: ١٠.

قلت: إن هذا الرأي فاسد لا يؤيده دليل صحيح، ولا معنى لغوي، فإن الصواب هو معناه اللغوي؛ فإن «سائل» من السؤال وهي اللغة الفاشية، وهو مضمن معنى الدعاء فلذلك عدى بالباء، فمعنى قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ دعا داع على نفسه بعذاب واقع.

والسائل هو النضر بن الحارث، فقد روى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن سعيد بن جبير، ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ قال كائن ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾ الدرجات، سأل سائل هو النضر بن الحارث بن كلدة، قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وهو ممن قتل يوم بدر صبراً.

وقيل: السائل هو أبو جهل.

انظر: تفسير الشوكاني: ٥/٢٨٨.

(٥) من قوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ١١].

إن الذي قال: إن سحقاً هو وادٍ في جهنم يقال له السحق هو سعيد بن جبير وأبو صالح، كما ذكره الشوكاني في تفسيره: ٥/٣٦١. ولكن هذا القول لا يؤيده دليل ولا معنى لغوي، بل إن معناه اللغوي يرده. كما أن رواية أخرى تؤيد المعنى اللغوي، وهو أن سحقاً معناه: بعداً، فمعنى الآية ﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي فبعداً لهم من الله ومن رحمته.

وأورد الشوكاني في تفسيره وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله تعالى: «سحقاً» قال: بعداً. انظر: الشوكاني: ٥/٢٦١.

﴿مَّوۡبِقٗا﴾ [الكهف: ٥٢] قال: واد في جهنم من قيح[١].

وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿مَّوۡبِقٗا﴾ قال: هو نهر في النار.

وأخرج الحاكم في مستدركه[٢]، عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ في قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩][٣].

قال: واد في جهنم.

وأخرج الترمذي[٤] وغيره[٥] من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ

---

(١) ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣/ ٢٩٤ وعزاه إلى ابن بي حاتم وغيره عن أنس قال: «وادٍ في جهنم من قيح ودم».

واختار ابن جرير في تفسيره: ١٥/ ٢٦٥: أن المراد بقوله تعالى: ﴿مَّوۡبِقٗا﴾ أنه بمعنى المهلك وذلك أن العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلاناً: إن أهلكته. ومنه قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ سورة الشورى: ٣٤، بمعنى يهلكن.

وهذا القول هو الذي تميل إليه النفس لدلالة معناه اللغوي.

(٢) المستدرك: كتاب التفسير، باب «سيهلك من أمتي أهل الكتاب وأهل اللين»: ٢/ ٣٧٤، نحوه بلفظ: «عن عبد الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ قال: نهر في جهنم، بعيد القعر خبيث الطعم» قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير: ٥/ ٢٤٦ أقوالاً في المراد بـ«الغي»:

أحدها: أنه وادٍ في جهنم، رواه ابن عباس عن النبي ﷺ.

والثاني: أنه نهر في جهنم، قاله ابن مسعود.

والثالث: أنه الخسران، قاله ابن عباس.

والرابع: أنه العذاب، قاله مجاهد.

والخامس: أنه الشر، قاله ابن زيد.

والسادس: أن المعنى: فسوف يلقون مجازاة الغي، كقوله تعالى: ﴿يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ الفرقان: ١٨، أي مجازاة الآثام قاله الزجاج.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير باب: ومن سورة الأنبياء ﷺ: ٥/ ٣٢٠ واللفظ له مع اختلاف في آخره وهو «قبل أن يبلغ».

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة.

قال ابن حجر في التقريب: ١/ ٤٤٤ وعن ابن لهيعة ـ وهو عبد الله بن لهيعة المصري ـ: ابن لهيعة صدوق، خلط بعد احتراق كتبه.

(٥) ورواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير، باب: المدثر: ٢/ ٥٠٧، وصححه وأقره الذهبي.

عن رسول الله ﷺ قال: «ويل، واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً[1] قبل أن يقع قعره».

وأخرج ابن المنذر[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ويل واد في جهنم من قيح.

وأخرج ابن أبي حاتم عن كعب قال: في النار أربعة أودية يُعذِّب اللهُ تعالى بها أهلها: غليظ، وموبق، وآثام، وغي[3].

وأخرج عن سعيد بن جبير قال: السعير واد من قيح، وسحق واد في جهنم[4].

---

(١) أربعين خريفاً: أي أربعين سنة، من تسمية الكل بالبعض.

(٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/ ٨٢، وعزاه إلى ابن منذر وغيره عن ابن مسعود قال: «ويل وادٍ في جهنم يسيل منه صديد أهل النار»، وذكره أيضاً في المصدر السابق عن النعمان بن بشير قال: «الويل وادٍ من قيح في جهنم».

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير: ١/ ١٠٦ أقوالاً في المراد بـ«الويل».

أحدها: الحديث الذي رواه الترمذي في سننه ٥/ ٣٢٠، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٥٠٧، وصححه وأقره الذهبي وغيرهما، عن النبي ﷺ قال: «ويل: واد في جهنم، يهوي الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره».

الثاني: قال الزجاج: الويل: كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة، وأصلها في اللغة: العذاب والهلاك.

الثالث: قال ابن الأنباري: يقال: معنى الويل: المشقة من العذاب.

(٣) ورد لفظ «غليظ» في القرآن وصفاً للعذاب، انظر: هود: ٥٨، وإبراهيم: ١٧، ولقمان: ٢٤، وفصلت: ٥٠.

ولفظ: «أثام» وارد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الفرقان: ٦٨. و«غي» مذكور في البقرة: ٢٥٦. والأعراف: ١٤٦، ٢٠٢. ومريم: ٥٩.

ولفظ «موبق» في الكهف: ٥٢.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٢/ ١٢٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير.

قلت: إن هذا واضح البطلان، فإن معنى «السعير» اللغوي هو: الجمر المشتعل وهو أشد الحريق، يقال: سعرت النار فهي مسعورة. وفي مختار الصحاح مادة «س ع ر» ص٢٩٩: (سعر) النار والحرب هيجها وألهبها... والسعير النار. فمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي: وأعتدنا للشياطين في الآخرة بعد الإحراق في الدنيا بالشهب عذاب السعير أي عذاب النار.

انظر: تفسير الشوكاني: ٥/ ٢٦٠.

=

وأخرج عن (ابن زيد)[1] في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج: ١] قيل: هو واد من أودية جهنم. [يقال له سائل[2]][3].

[**والفلق**: جب في جهنم][4] في حديث مرفوع أخرجه ابن جرير[5].

ويحموم[6]: [دخان أسود، أخرجه الحاكم عن ابن عباس][7].

= أما كلمة «السحق» فقد بينت بطلان الرواية فيها وإثبات معناه اللغوي. انظر: ٨٧.

(١) في «هـ» و«ح» والإتقان: ٤/ ٧٥: «أبي زيد»، وما أثبته من تفسير ابن جرير ٢٩/ ٧٠.

(٢) تكملة من الإتقان: ٤/ ٧٥.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢٩/ ٧٠. عن ابن زيد قال: في قول الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ قال: قال بعض أهل العلم: هو وادٍ في جهنم، يقال له: سائل.

قلت: فقد ناقشت هذا الرأي مع بيان معناه الصحيح في: ٨٧.

(٤) في «هـ» و«ح» ـ بدل هذه الكلمات ـ «وأخرج عن أبي زيد» وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧٥.

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣٠/ ٣٤٩، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال: «الفلق جب في جهنم مغطى».

قال الشوكاني في تفسيره: ٥/ ٥١٩: الفلق: الصبح، يقال: أبين من فلق الصبح. وسمي فلقاً لأنه يغلق عند الليل، وهذا إيماء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضاً أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه.

وقيل: هو سجن في جهنم.

وقيل: هو اسم من أسماء جهنم.

وقيل: غير ذلك.

قلت: القول الأول الذي ذكره الشوكاني هو أولى بناء على المعنى اللغوي. وقد قال الشوكاني: وهذا قول جمهور المفسرين.

(٦) ذكر في: (الواقعة: ٤٣). في قوله تعالى: ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ۝٤٣﴾.

(٧) تكملة من الإتقان: ٤/ ٧٥.

أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، باب «تفسير سورة الواقعة»: ٢/ ٤٧٦. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قلت: واليحموم: يفعول من الأحم: وهو الأسود، والعرب تقول أسود يحموم: إذا كان شديد السواد.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ۝٤٣﴾: أنهم يفزعون إلى الظل فيجدونه ظلاً من دخان جهنم شديد السواد.

انظر: تفسير الشوكاني: ٥/ ١٥٣.

وفيه من المنسوب إلى [الأمكنة][1]:

الأمي[2]: قيل: إنه نسبة إلى أم القرى مكة[3].

وعبقري[4]: قيل: منسوب إلى عبقر، موضع للجن ينسب إليه كل نادر.

والسامري[5]: قيل: منسوب إلى أرض يقال لها سامرون. وقيل: سامرة.

والعربي[6]: قيل: منسوب إلى عرب[7]، وهي باحة دار إسماعيل عليه السلام وأنشد:

---

(١) في الإتقان: ٤/٧٦: «الأماكن».

(٢) لفظ «الأمي» ورد مفرداً في الأعراف: ١٥٧، ١٥٨، وورد جمعاً في البقرة: ٧٨، وآل عمران: ٢، ٧٥ والجمعة: ٢.

(٣) قلت: إن هذا الرأي ضعيف؛ لأن هذا اللفظ صفة للرسول ﷺ الذي لا يكتب ولا يقرأ، وهذه الصفة إحدى معجزاته ﷺ؛ لأنه تلا على أمته كتاب الله منظوماً، تارة بعد أخرى، بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه، وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص، فحفظه الله ﷻ على نبيه كما أنزله، وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التي باين بينه وبينهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

والصواب: أن معنى «الأمي» المنسوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أمه؛ أي لا يكتب ولا يقرأ، أو المنسوب إلى الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تقرأ ولا تحسب وهم العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ...﴾ [الجمعة: ٢].

انظر: اللسان مادة: «أمم» ١٢/٣٤، وفتح القدير: ٢/٢٥٢.

(٤) ذكر في: الرحمن: ٧٦. وهو قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾.

عبقري: موضع تزعمه العرب أنه موطن للجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته، فقالوا: عبقري، وهو واحد وجمع.

انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٣٢٨.

قلت: القول الذي تطمئن به النفس ما ذكره الشوكاني: أن العبقري عند العرب: كل جليل فاضل فاخر من الرجال والنساء.

انظر: تفسير الشوكاني: ٥/١٤٣.

(٥) ذكر في: طه: ٨٥، ٨٧، ٩٥.

والسامري: رجل فلسطيني من قبيلة السامرة، رحل إلى مصر بعد إقامة بني إسرائيل فيها.

انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٢٥١.

(٦) ذكر في يوسف: ٢، والرعد: ٣٧، والنحل: ١٠٣، وطه: ١١٣، والشعراء: ١٩٥، والزمر: ٢٨، وفصلت: ٣، ٤٤، والشورى: ٧، والزخرف: ٣، والأحقاف: ١٢٠.

(٧) في الإتقان: ٤/٧٦: «عربة».

وعربة أرض ما يحل[1] حرامها   من الناس إلا اللوذعي الحلاحل[2][3]

يعني النبي ﷺ.

[أسماء الكواكب][4]:

وفيه من أسماء الكواكب: الشمس[5]، والقمر[6]، والطارق[7]، والشعرى[8].

---

(١) في «هـ» و«ح»: «ما يؤكل»، وما أثبته من الإتقان: ٤/٧٦.

(٢) اللوذعي: الرجل الظريف القوي الفؤاد.

والحلاحل: السيد الوقور. شرحه الدكتور مصطفى البغا في هامش الإتقان بتعليقه: ٢/١٠٨٥.

(٣) لم أعثر على قائله.

(٤) تكملة من الإتقان: ٤/٧٦، من زيادة محققه.

(٥) ذكر لفظ: «الشمس» في: البقرة: ٢٥٨، والأنعام: ٧٨، ٩٦، والأعراف: ٥٤، ويونس: ٥، ويوسف: ٤، والرعد: ٢، وإبراهيم: ٣٣، والنحل: ١٢، والإسراء: ٧٨، والكهف: ١٧، ٨٦، ٩٠، وطه: ١٣٠، والأنبياء: ٣٣، والحج: ١٨، والفرقان: ٤٥، والزمر: ٥، ونوح: ١٦، والقيامة: ٩، والإنسان: ١٣. والتكوير: ١. والشمس: ١.

والشمس: هي النجم الملتهب الذي تنبعث منه الحرارة والضوء على الأرض وغيرها من الكواكب المحيط بها.

انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٢٧٥.

(٦) ذكر في الأنعام: ٧٧، ٩٦، والأعراف: ٥٤، ويونس: ٥، ويوسف: ٤، والرعد: ٢، وإبراهيم: ٣٣، والنحل: ١٢، والأنبياء: ٣٣، والحج: ١٨، والفرقان: ٦١، والعنكبوت: ٦١، ولقمان: ٢٩، وفاطر: ١٣، ويس: ٣٩، ٤٠، والزمر: ٥، وفصلت: ٣٧، والقمر: ١، والرحمن: ٥، ونوح: ١٦، والمدثر: ٣٢، والقيامة: ٨، ٩، والانشقاق: ١٨، والشمس: ٢.

وهو: الكوكب السيار الذي يستمد نوره من الشمس ويدور حول الأرض ويضيؤها ليلاً.

انظر: معجم الألفاظ القرآنية: ٤٣٥.

(٧) ذكر في: سورة الطارق: ١، ٢.

الطارق: هو النجم الثاقب، كما صرح به التنزيل، قال المفسرون: أقسم الله بالسماء والطارق، يعني الكواكب تطرق بالليل وتخفى بالنهار.

انظر: فتح القدير للشوكاني: ٥/٤١٨.

(٨) ذكر في: (النجم: ٤٩) وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾.

الشعرى: هي كوكب خلف الجوزاء كانت خزاعة تعبدها، والمراد بها الشعرى التي يقال لها: العبور، وهي أشد ضياء من الشعرى التي يقال لها: الغميصاء. =

فائدة [في أسماء الطير][1]:

قال بعضهم: سمى الله جلّ شأنه في القرآن ـ عشرة أجناس من الطير: السلوى[2]، والبعوض[3]، والذباب[4]، والنحل[5]، والعنكبوت[6]، والجرادة[7]،

= انظر: فتح القدير للشوكاني: ٥/١١٧.

(١) تكملة من الإتقان: ٤/٧٦ من زيادة محققة.

(٢) ذكر في البقرة: ٥٧، والأعراف: ١٦٠، وطه: ٨٠.

والسلوى: طائر سمين مثل الحمام.

انظر: تفسير ابن جرير: ١/٢٩٦، وتفسير الشوكاني: ١/٨٧.

(٣) ذكر بلفظ «بعوضة» في: سورة البقرة: ٢٦.

والبعوضة: حشرة كالذبابة مؤذية عضوض تمتص الدم، وتسبب مرض الملاريا.

انظر: معجم الألفاظ القرآنية: ٧١.

(٤) ذكر في: الحج: ٧٣.

والذبابة: حشرة طائرة معروفة وهي التي في أحد جناحها الداء وفي الآخر دواء، ولذا أمر الرسول ﷺ إغماسها إذا وقعت في إناء ماء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب: ٤/١٠٠: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، ثم لينزعه، فإن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء».

(٥) في «هـ» و«ح»: «النمل»، وهو تصحيف، حيث إنه فيهما مرتين، وما أثبته من الإتقان: ٤/٧٦.

وذكر في: النحل: ٦٨.

وهي: حشرة تربى للحصول على عسلها وشمعها، ولها نظام خاص تقسم الأعمال بينها، فبعضها يعمل الشمع وبعضها يعمل العسل وبعضها يبني البيوت. ولها رئيس يدير هذه الأعمال. وسمي نحلاً لأن الله تعالى نحله العسل الذي يخرج منه، والنحل والنحلة: الدبر يقع على الذكر والأنثى.

انظر: الحيوان للجاحظ: ٥/٤١٩ ط٢، وتفسير الشوكاني: ٣/١٧٥، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٥١٩.

(٦) ذكر في: العنكبوت مرتين الآية: ٤١.

وهي: دويبة صغيرة تنسج من لعابها في الهواء خيوطاً رقيقة وتصيد بهذا النسيج طعامها من الذباب وغيره. انظر: الحيوان للجاحظ: ٥/٢٠٤، وتفسير الشوكاني: ٤/٢٠٤، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٣٦٠.

(٧) ذكر في: الأعراف: ١٣٣، والقمر: ٧.

والجراد اسم جنس، والواحدة: جرادة: وهي حشرة ذات أجنحة، تجرد الأرض وتأكل ما عليها من النبات ولا تبقي منه شيئاً.

انظر: معجم الألفاظ القرآنية: ٩٩.

والهدهد[1]، والغراب[2]، وأبابيل[3].

والنمل[4]: فإنه من الطير لقوله تعالى في شأن سليمان عليه السلام: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] وقد فهم كلامها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال: النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين[5].

---

(١) ذكر في: النمل: ٢٠.
والهدهد: طائر منتن الريح والبدن من جوهره وذاته، ويزعمون أنه هو الذي كان يدل سليمان عليه السلام على مواضع المياه في قعور الأراضين، إذا أراد استنباط شيء منها.
انظر: الحيوان للجاحظ: ٣/ ٥١٠ ـ ٥١٢.

(٢) ذكر في: المائدة، مرتين، الآية: ٣١، وفاطر: ٢٧.
بلفظ: (غرابيب).
والغراب: طائر معروف يطلق على أنواع كثيرة، وغرب الشيء: أسود، وغرابيب: شديد السواد، ويقال: غرابيب سود لتأكيد السواد.
وهو: طائر أسود قوي البصر، معول المنقار الذي يلتمس الطعم في الصحاري، ويأكل الجيف، ونتن فرخه، ويأخذ الصداقة للثعلب، والنفور من النخل، وهو شرار الطير.
انظر: الحيوان للجاحظ: ٢/ ٥٣، ٣١٤، و٣/ ٤٣١، ٤٥٥، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية.

(٣) واللفظ وارد في: سورة الفيل: ٣.
وأبابيل: هي وصف للطير، ومعناها أي جماعات كثيرة متتابعة مجتمعة تأتي من كل مكان.
انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٣٧٤، وتفسير الآلوسي: ٣٠/ ٢٣٦.

(٤) في الإتقان: ٤/ ٧٦ (النحل) وهو تصحيف.
وذكر في: النمل: ١٨، وبلفظ «نملة» كذلك في نفس الآية.
والنملة: حشرة معروفة ضئيلة الجسم تعيش في جماعة من أفرادها تحت الأرض عاملة متعاونة.
انظر: معجم الألفاظ القرآنية: ٥٤٣.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥/ ١٠٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن الشعبي.
وانظر: فتح القدير للشوكاني: ٤/ ١٣٠.
قال ابن كثير في تفسيره: ٥/ ٢٢٧، تعليقاً على هذا القول: ومن قال من المفسرين: إن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل؛ فلا حاصل لها.

فصل [في الكنى والألقاب في القرآن][1]

وأما الكنى: فليس في القرآن منها غير أبي لهب[2]، واسمه عبد العزى؛ ولذلك لم يذكر باسمه لأنه حرام شرعاً، وقيل للإشارة أنه جهنمي[3].

وأما الألقاب: فمنها: إسرائيل[4]، لقب يعقوب ومعناه عبد الله. وقيل: صفوة الله. وقيل: سرى إلى الله لأنه أسرى لما هاجر.

أخرج ابن جرير[5] من طريق عمير عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن إسرائيل كقولك: عبد الله.

وأخرج عبد بن حميد[6] في تفسيره عن [أبي مجلز][7] قال: كان يعقوب

---

(١) تكملة من الإتقان: ٤/٧٦، من زيادة محققه.

(٢) ذكر في: سورة المسد: ١.

(٣) القول الذي تطمئن إليه القلوب: القول الثاني؛ لأنه سمي بذلك لإشراق وجهه، وكان جميلاً. هذا الإطلاق في الأصل، غير أن هذه الكنية وبها ما يشير إلى أنه ملابس للنار، يعني جهنمي لأن اللهب هي لهب النار.

انظر: تفسير ابن كثير: ٧/٣٩٩، وتفسير الشوكاني: ٥/٥١١.

(٤) ذكر في القرآن مفرداً ومضافاً إليه، فالمفرد في: آل عمران: ٩٣. ومريم: ٨٥. والمضاف إليه في: البقرة: ٤٠، ٤٧، ٨٣، ١٢٢، ٢١١، ٢٤٦. وآل عمران: ٤٩، ٩٣. والمائدة: ١٢، ٣٢، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ١١٠. والأعراف: ١٠٥، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨. ويونس: ٩٠، ٩٣. والإسراء: ٢، ٤، ١٠١، ١٠٤. وطه: ٤٧، ٨٠، ٩٤. والشعراء: ١٧، ٢٢. ٥٩، ١٩٧. والنمل: ٧٦، والسجدة: ٢٣. وغافر: ٥٣، والزخرف: ٥٩. والدخان: ٣٠. والجاثية: ١٦. والأحقاف: ١٠، والصف: ٦، ١٤.

إسرائيل: لقب لنبي الله يعقوب وهو ابن إسحاق بن إبراهيم. وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب وذراريهم، والاسم يطلق بصفة عامة على قوم موسى عليه السلام وهم اليهود.

انظر: تفسير ابن كثير: ١/١٤٣، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٣١.

(٥) في تفسيره: ١/١٩٧.

(٦) ذكره السيوطي بلفظه في الدر المنثور: ١/٦٣. وعزاه إلى عبد بن حميد وغيره.

(٧) في (هـ) و(ح): «أبي مخلد». وما أثبته من الإتقان: ٤/٧٦، كما في الدر المنثور: ١/٦٣.

أبو مجلز: بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام بعدها زاي. هو: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي أبو مجلز البصري المشهور بكنيته، روى عن أبي موسى الأشعري والحسن وغيرهما، وعنه قتادة وأنس بن سيرين وغيرهما، قال العجلي: بصري تابعي ثقة، وقال ابن عبد البر: هو ثقة. قال ابن حبان عن ابن معين: مضطرب الحديث، توفي سنة مائة أو إحدى ومائة. وقيل غير ذلك. =

رجلاً بطاشاً[1]، فلقي ملكاً فعالجه فصرعه الملك، فضرب على فخذيه، فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به، فقال: ما أنا بتاركك حتى تسميني اسماً، فسماه إسرائيل. قال أبو مجلز: ألا ترى أنه من أسماء الملائكة[2].

وفيه لغات: أشهرها بياء بعد الهمزة ولام[3]، وقرئ: إسرايل[4] بلا همز.

قال بعضهم[5]: ولم يخاطب الله تعالى اليهود في القرآن إلا بـ﴿يَبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ دون «يا بني يعقوب» لنكتة، وهو أنهم خوطبوا بعباد الله[6]، وذكروا بدين أسلافهم: موعظة لهم وتنبيهاً من غفلتهم، فسموا بالاسم الذي [فيه][7]. تذكرة بالله تعالى، فإن[8] إسرائيل اسم مضاف إلى الله تعالى، في التأويل.

= انظر: تهذيب التهذيب: ١١/ ١٧١.

(١) في الإتقان: ٤/ ٧٦، والدر المنثور: ١/ ٦٣: «بطيشا».

(٢) قلت: هذا رأي فاسد لا يقبله عقل سليم، فإن «إسرائيل» هو بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه، و(إيل) هو الله، و(إسرا) هو العبد. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن «إسرائيل» كقولك «عبد الله».

انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٩٧، وتفسير ابن كثير: ١/ ١٤٣، وتفسير الشوكاني: ١/ ٧٤.

(٣) هي قراءة الجمهور.

قال الشوكاني في تفسيره: ١/ ٢٤١: «إسرائيل» بهمزة بعد الألف وياء بعدها، وبه قرأ الجمهور.... وانظر: تفسير البيضاوي بحاشية الشيخ زاده: ١/ ٢٨٠.

(٤) إن كان المراد تسهيل الهمزة فالقراءة متواترة، وإن كان مراده حذف الهمزة مطلقاً فليس بمتواتر، بل هي قراءة شاذة وبها قرأ سقلاب عن نافع، قال ابن خالوية في «مختصر شواذ القرآن»: ٥: «يا بني إسرايل» بياء واحدة. شقلاب عن نافع.

(٥) قال الآلوسي في تفسيره: ١/ ٢٤٢: «وأضاف ﷻ هؤلاء المخاطبين إلى هذا اللقب ـ تأكيداً لتحريكهم إلى طاعته ـ، فإن في «إسرائيل» ما ليس في اسمه الكريم «يعقوب»...؛ لأن الطبائع تميل إلى اقتفاء أثر الآباء...

(٦) في الإتقان: ٤/ ٧٧: «بعبادة الله».

(٧) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٧٧.

(٨) قال الشوكاني في تفسيره: ١/ ٧٤: اتّفق المفسرون على أن «إسرائيل» هو «يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام» ومعناه «عبد الله»؛ لأن «إسرا» في لغتهم هو «العبد»، و«إيل» هو الله. قال ابن جرير في تفسيره: ١/ ١٩٧: كان «يعقوب» يدعى «إسرائيل» بمعنى «عبد الله» وصفوته من خلقه، و«إيل» هو الله، و«إسرا» هو العبد، كما قيل «جبريل» بمعنى عبد الله.

ولما ذكر[1] موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال: يعقوب، وكان أولى من إسرائيل؛ لأنها موهبة لإبراهيم بمعقب آخر، فناسب ذكر اسم يشعر بالتعقيب.

ومنها: المسيح[2]: لقب بعيسى، ومعناه: قيل: الصديق. وقيل: الذي ليس في رجله أخمص. وقيل: الذي لا يمسح ذا عاهة إلا برئ. وقيل: الجميل. وقيل: الذي يمسح الأرض (أي يقطعها)[3]، وقيل غير ذلك.

ومنها: إلياس[4]، قيل: إنه لقب إدريس[5].

أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن مسعود قال: إلياس هو إدريس، وإسرائيل هو يعقوب[6]. وفي قراءة: «وإن إدريس لمن المرسلين» [الصافات: ١٢٣][7]، «سلام على آل إدراسين» [الصافات: ١٣٠][8]، [وفي قراءة أُبَيّ «وإن

---

(١) في (هـ) و(ح): «كما ذكر» وما أثبته من الإتقان: ٤/٧٧.

(٢) ذكر في: آل عمران: ٤٥. والنساء: ١٥٧، ١٧١، ١٧٢. والمائدة: ١٧، ٧٢، ٧٥. والتوبة: ٣٠، ٣١.

(٣) في (هـ) و(ح): «أن يضعها». وما أثبته من الإتقان: ٤/٧٧. وفيه أن المسيح هو: «الذي ليس لرجله أخمص». قال ابن كثير في تفسيره: ٢/٤٠. قيل: لأنه كان مسيح القدمين، لا أخمص لهما. قال في مختار الصحاح مادة: (خ م ص): ١٩٠: «الأخمص» ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض.

وفي المفردات للراغب مادة: (مسح): ٤٦٧ ـ ٤٦٨: وقيل: سمي به لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ. وقيل: سمي عيسى ﷺ مسيحاً لكونه ماسحاً في الأرض أي ذاهباً فيها، وذلك أنه كان في زمانه قوم يسمون المشائين والسياحين لسيرهم في الأرض....

وفي تفسير الشوكاني: ١/٣٤٠: قيل: إنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، وقيل: لأنه كان ممسوح الأخمصين....

(٤) ذكر في: الأنعام: ٨٥، والصافات: ١٢٣، وبلفظ «آل ياسين» في: الصافات: ١٣٠.

(٥) ... وقيل: إلياس هو إدريس، وهذا غير صحيح لأن إدريس جد نوح، وإلياس من ذريته... وذلك أن الله تعالى نسب إليه في الآية: ٨٤ ـ ٨٥ من سورة الأنعام إلى نوح وجعله من ذريته، ومحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته.

انظر: تفسير ابن جرير: ٧/٢٦٢، وتفسير الشوكاني: ٢/١٣٧.

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسير: ٧/٢٦٢: عن ابن مسعود قال: إدريس هو إلياس، وإسرائيل هو يعقوب.

(٧) الإتقان: ٤/٧٧: وفي قراءة: «إن إدراس لمن المرسلين» قال ابن خالوية في «شواذ القرآن»: ١٢٨: «وإن إدريس لمن المرسلين». ابن مسعود.

(٨) قراءة ابن مسعود أيضاً. قال ابن خالويه في «شواذ القرآن»: ١٢٨: «سلام على إدراسين» عنه ـ يعني ابن مسعود ـ أيضاً.

ايليسين»، «سلام على ياسين»[1].

ومنها ذو الكفل[2]. قيل: إنه لقب إلياس. وقيل: لقب يوشع. وقيل: لقب زكريا. [وقيل: نبي آخر، وهو تلميذ اليسع كما تقدم][3].

ونوح[4]: اسمه عبد الغفار، ولقبه (نوح)[5] لكثرة نوحه على نفسه[6] في طاعة الله تعالى. أخرجه ابن أبي حاتم عن يزيد الرَقاشي[7].

---

(١) ما بين المعقوفين تكملة من الإتقان: ٤/ ٧٧.

قراءة أُبي «سلام على ياسين» [الصافات: ١٣٠]. قال ابن خالوية في «مختصر شواذ القرآن»: ١٢٨: «سلام على ياسين». أبي بن كعب. واللفظ المتواتر: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣]: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠].

أبيّ هو: أبيّ بن كعب بن قيس أبو المنذر من بني النجار الخزرجي، صحابي جليل من كتاب الوحي، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها على عهد الرسول ﷺ، واشترك في جمع المصحف بأمر عثمان، توفي سنة (٢١هـ)، وقيل: سنة (٢٢هـ) بالمدينة. انظر: الطبقات لابن سعد: ٣/ ٤٩٨، وطبقات القراء: ١/ ٣١، وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٦.

(٢) ذكر في: الأنبياء: ٨٥، وص: ٤٨.

(٣) ما بين المقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٦٥، انظر ما تقدم ذكره في الإتقان: ٤/ ٧٧، وفي هذه الرسالة: النوع: ١٣٢ «علم تاريخ الأنبياء المذكورين في القرآن»: صفحة ٤١.

قال الشوكاني في تفسيره: ٣/ ٤٢٠: . . . وذا الكفل إلياس، وقيل: يوشع بن نون، وقيل: زكريا. والصحيح أنه رجل من بني إسرائيل كان لا يتورع عن شيء من المعاص، فتاب فغفر الله له. وقيل: إن اليسع لما كبر قال: من يتكفل لي بكذا وكذا من خصال الخير حتى أستخلفه؟ فقال رجل: أنا، فاستخلفه وسمي ذا الكفل. . .

(٤) ذكر في آل عمران: ٣٣. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٤. والأعراف: ٥٩، ٦٩. والتوبة: ٧٠. ويونس: ٧١. وهود: ٢٥، ٣٢، ٣٦، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٨٩. وإبراهيم: ٩. والإسراء: ٣، ١٧. ومريم: ٥٨. والأنبياء: ٧٦. والحج: ٤٢. والمؤمنون: ٢٣. والفرقان: ٣٧. والشعراء: ١٠٥، ١٠٦، ١١٦. والعنكبوت: ١٤. والأحزاب: ٧. والصافات: ٧٥، ٧٩. وص: ١٢. وغافر: ٥، ٣١. والشورى: ١٣. وق: ١٢. والذاريات: ٤٦. والنجم: ٥٢. والقمر: ٩. والحديد: ٢٦. والتحريم: ١٠. ونوح: ١، ٢١، ٢٦.

(٥) في الإتقان: ٤/ ٧٧: «نوحاً» وهو خطأ.

(٦) في اللسان لابن منظور: مادة: (نوح): ٢/ ٦٢٧. النوح: مصدر ناح ينوح نوحاً، يقال: نائحة ذات نياحة، وناحت المرأة تنوح نوحاً ونياحة ناحت عليه، والمناحة والنوح: النساء يجتمعن للحزن. وفي تفسير الخازن: ١/ ٢٢٩.

وسمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه.

(٧) هو: يزيد بن أبان بن عبد الله أبو عمرو الرقاشي البصري، روى عن أبيه والحسن =

ومنها: ذو القرنين[1]: واسمه الإسكندر. وقيل: عبد الله بن الضحاك بن سعيد. وقيل: المنذر بن ماء السحاب[2]. وقيل: [الصعب بن مر بن الهماك. حكاه ابن عساكر. ولقبه ذو القرنين][3]؛ لأنه بلغ قرني الأرض المشرق والمغرب[4]. وقيل: لأنه ملك فارس والروم[5]. وقيل: على رأسه قرنان أي ذؤابتان[6]. وقيل: كان له قرنان من ذهب. وقيل: كانت صفحتا رأسه من نحاس[7]. وقيل: كان على رأسه قرنان صغيران تواريهما العمامة. وقيل: إنه ضرب على قرنه فمات، ثم بعثه الله، فضربوه على قرنه الآخر[8].

= البصري وغيرهما، وعنه ابنه عبد النور وقتادة وغيرهما، قال ابن سعد: كان ضعيفاً قدرياً، وقال ابن معين: ضعيف، وقال الحاكم: متروك الحديث، توفي ما بين عشر ومائة وعشرين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب: ٣٠٩/١١.

والرقاشي: بفتح الراء والقاف المخففة وفي آخرها شين معجمة، هذه النسبة إلى امرأة اسمها رقاش بنت قيس، كثر أولادها فنسبوا إليها. والمشهور بهذه النسبة جماعة، منهم يزيد بن أبان الرقاشي البصري. اللباب لابن الأثير: ٣٣/٢.

(١) ذكر في: الكهف: ٨٣، ٨٦، ٩٤.

هو: ذو القرنين، أبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح، وكان ملكاً صالحاً، وأثنى الله عليه في كتابه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالعدل التام والسلطان المؤيد المظفر المنصور المسقط.

انظر: البداية والنهاية: ١٠٢/٢.

(٢) في الإتقان: ٧٧/٤: «ماء السماء».

(٣) في الإتقان: ٧٧/٤: «الصعب بن قرين بن الهمال، حكاهما ابن عسكر، ولقب ذا القرنين».

(٤) قال الزهري: لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً وملك ما بينهما من الأرض. قال ابن كثير تعليقاً على هذا القول: وهذا أشبه من غيره.

انظر: البداية والنهاية: ١٠٣/٢.

(٥) قاله بعض أهل الكتاب كما في البداية والنهاية: ١٠٣/٢.

(٦) ذؤابتان: تثنية ذؤابة، وهي شعر مقدم الرأس.

(٧) هذان قولان قريبان من قول وهب بن منبه حيث يقول: كان له قرنان من نحاس في رأسه كما في البداية والنهاية: ١٠٣/٢ وعلق ابن كثير على قول وهب بن منبه: وهذا ضعيف.

(٨) روى الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين، فقال: كان عبداً ناصح الله فناصحه، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات؛ فسمي ذا القرنين. البداية والنهاية: ١٠٤/٢.

وقيل: لأنه كريم الطرفين. وقيل: لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي. وقيل: لأنه أعطي علم الظاهر والباطن. وقيل: لأنه دخل النور والظلمة، [وسيأتي في القصص أن ذا القرنين لقبٌ لملكين: الأول والثاني وهو الرومي، واسميهما مختلفان][١].

ومنها فرعون[٢]: واسمه الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العباس[٣]. وقيل: أبو الوليد. وقيل: أبو مر. وقيل: إن فرعون لقب لكل من ملك مصر.

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان فرعون فارسياً من أهل اصطخر[٤].

---

(١) ما بين القوسين من كلام المؤلف، وسيأتي في النوع: ١٣٧ «علم من ذكر في القرآن العظيم من الملوك والأمم غير الأنبياء»، صفحة .

قلت: والقول الذي تطمئن به القلوب ما قاله الزهري: فسمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض، وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٠٣/٢ عن هذا القول: وهذا أشبه من غيره.

(٢) ذكر في: البقرة: ٤٩، ٥٠. وآل عمران: ١١. والأعراف: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١٣، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٧، ١٤١. والأنفال: ٥٢، ٥٤ (٢). ويونس: ٧٥، ٧٩، ٨٣، ٨٨، ٩٠. وهود: ٩٧ (٢). وإبراهيم: ٦. والإسراء: ١٠١، ١٠٢. وطه: ٢٤، ٤٣، ٦٠، ٧٨، ٧٩. والمؤمنون: ٤٦. والشعراء: ١١، ١٦، ٢٣، ٤١، ٤٤، ٥٣. والنمل: ١٢. والقصص: ٣، ٤، ٦، ٨ (٢)، ٩، ٣٢، ٣٨. والعنكبوت: ٣٩. وص: ١٢. وغافر: ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٦، ٣٧ (٢)، ٤٥، ٤٦. والزخرف: ٤٦، ٥١. والدخان: ١٧، ٣١. وق: ١٣. والذاريات: ٣٨. والقمر: ٤١. والتحريم: ١١ (٢). والحاقة: ٩. والمزمل: ١٥، ١٦. والنازعات: ١٧. والبروج: ١٨. والفجر: ١٠.

(٣) القول: «إن اسم فرعون الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس، وقيل: أبو الوليد» كلام خطأ؛ وذلك لأن الوليد كلمة عربية مشتقة، وكذلك مصعب والعباس اسم عربي، وفرعون اسم أعجمي. والأقرب أنه من بني عمليق أو عمالق بن لاوز بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وهم أمم تفرقوا في البلاد.

وفرعون لقب لمن ملك العمالقة، ككسرى لملك الفرس، وقيصر لملك الروم، وخاقان لملك الترك، وتبع لملك اليمن، والنجاشي لملك الحبشة.

وقال السهيلي: فرعون اسم لكل من ملك القبط ومصر.

انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٧٧/١، وروح المعاني للآلوسي: ٢٥٣/١، وفتح القدير للشوكاني: ٨٢/١.

والصواب: أن اسمه أخناتون كما في تاريخ مصر القديم.

(٤) نقلاً عن تفسير الآلوسي: ٢٥٣/١.

ومنها: تبع[١]: قيل اسمه سعد بن معدي كرب[٢]، وسمي تبعاً [لكثرة من تبعه. وقيل: إنه لقب ملوك اليمن، سمي كل واحد منهم تبعاً][٣] أي يتبع صاحبه كالخليفة يخلف غيره.

---

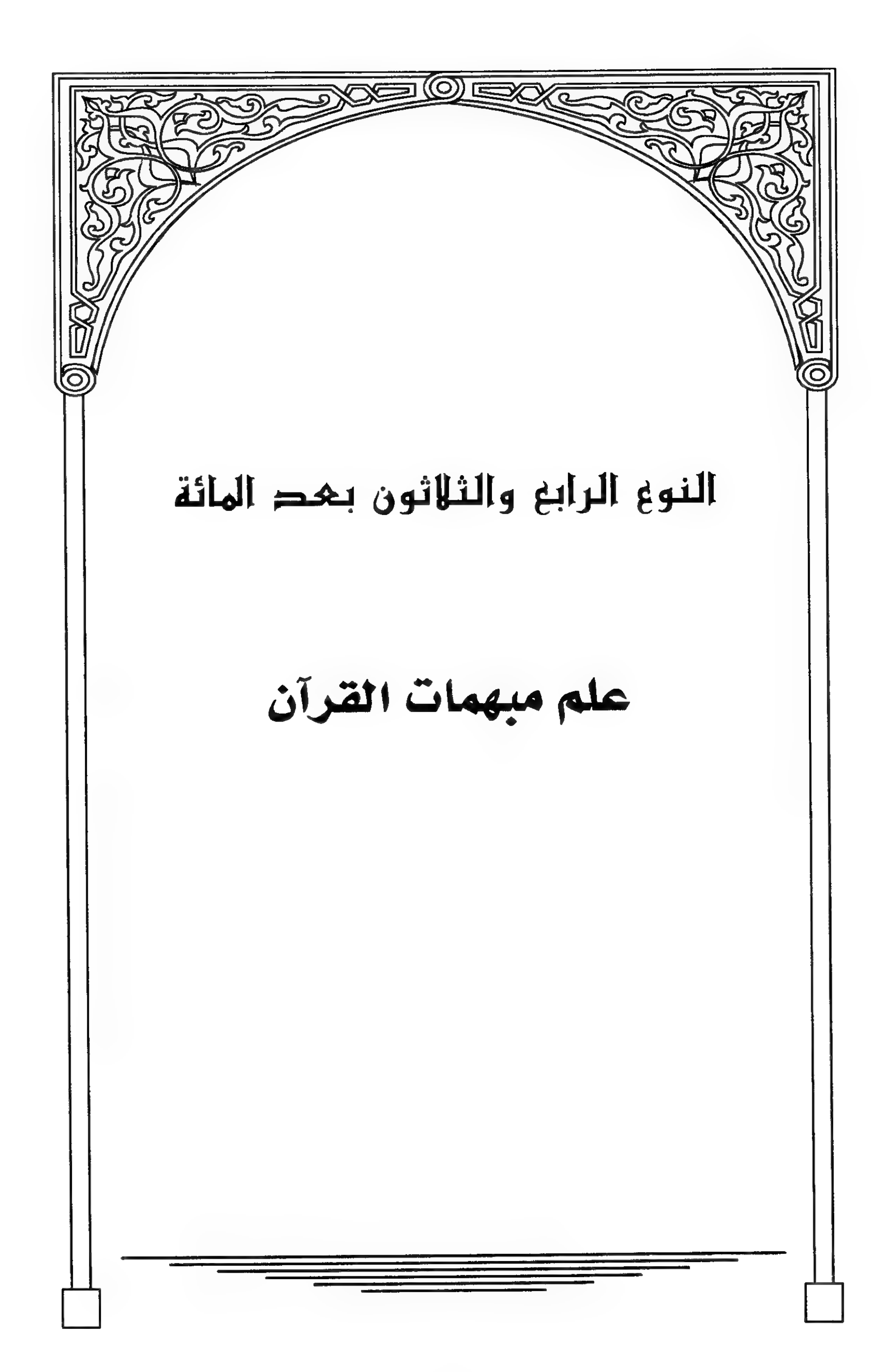
(١) ذكر في: الدخان: ٣٧. وق: ١٤.

(٢) في الإتقان: ٤/٧٨: «قيل: كان اسمه أسعد بن ملكي كرب».

(٣) ساقط من (هـ) و(ح). وما أثبته من الإتقان: ٤/٧٨، إلا أن في الإتقان: «كل واحد منهما»، وهو خطأ نحوي.

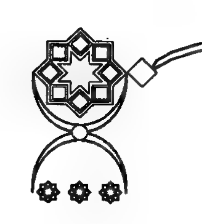
قلت: إن تبعاً لقب ملوك اليمن سمي كل واحد منهم تبعاً فهذا القول هو الراجح.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/١٥٩: إن سبأ يجمع هذه القبائل كلها: مذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير. وقد كان فيهم التبابعة بأرض اليمن واحدهم تبع. . .، وكانت العرب تسمي كل من ملك اليمن مع الشحر وحضرموت تبعاً، كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر، ومن ملك الفرس كسرى، ومن ملك مصر فرعون، ومن ملك الحبشة النجاشي، ومن ملك الهند بطليموس. . .



النوع الرابع والثلاثون بعد المائة

علم مبهمات القرآن





النوع الرابع والثلاثون بعد المائة

علم مبهمات القرآن(١)

أفرده بالتأليف السهيلي(٢) وكتابه(٣) حسن، وابن عساكر(٤)، والقاضي بدر الدين ابن جماعة(٥). قال الحافظ(٦): وَلِي فيه تأليفٌ لطيف(٧) جمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد أخرى(٨) على صغر حجمه جداً. وقال بعد ذلك:

---

(١) هذا النوع منقول عن الإتقان: ٤/ ٧٩ ـ ١٠٠.

أبهم الله ﷻ بعض الأسماء في كتابه العزيز لأسباب، يرجع إليها في مظانها.

انظر: الإتقان: ٤/ ٧٩، ومفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي: ٣.

(٢) هو: عبد الرحمٰن بن عبد الله بن الخطيب أبو القاسم السهيلي، من تصانيفه: «الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة»، و«التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن»، ولد سنة ثمان وخمسمائة، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة من الهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ٣/ ١٤٤، والأعلام: ٣/ ١٣٢.

والسهيلي: بضم السين المهملة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام نسبة إلى سهيل، وهي قرية بالقرب من (مالقة) بـ(الأندلس) سميت باسم الكوكب؛ لأنه لا يرى في جميع بلاد (الأندلس) إلا من جبل مطل عليها. انظر: معجم البلدان: ٣/ ٢٩١.

(٣) المسمى بـ«التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام» وهو مطبوع بتحقيق عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت عام (١٤٠٧هـ).

(٤) وكتاب ابن عساكر ذيل على كتاب «التعريف والإعلام» للسهيلي، المسمى بـ«التكميل والإتمام». انظر: كشف الظنون: ١/ ٤٢١.

(٥) كتاب ابن جماعة المسمى بـ«التبيان في مبهمات القرآن».

قال صاحب كشف الظنون: ١/ ٤٢١ فيه: جمع فيه المؤلف بين كتاب «التعريف والإعلام» للسهيلي، وكتاب «التكميل والإتمام» لابن عساكر.

(٦) يريد به الحافظ السيوطي.

(٧) المسمى بـ«مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» وهو مطبوع سنة (١٣٢٦هـ) بمطبعة السعادة، مصر، ويليه كتاب «فتح المنان ببيان الرسل التي في القرآن» للشيخ أحمد السجاعي.

(٨) في (هـ) و(ح): «آخر»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٨١.

اعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه(١)، ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير كثر فيها أسماء المبهمات(٢)، والخلاف فيها دون بيان [سديد](٣) مستند يرجع إليه أو عرف يعتمد عليه؛ ألفت [الكتاب](٤) الذي ألفته مذكوراً فيه عزو كل قول إلى قائله من الصحابة والتابعين، وغيرهم(٥) معزواً إلى أصحاب الكتب الذين خرجوا ذلك بأسانيدهم، مبيناً فيه ما صح سنده وما ضعف، فجاء لذلك(٦) كتاباً حافلاً لا نظير له في نوعه، وقد رتبته على ترتيب القرآن(٧). انتهى.

وظاهر(٨) كلامه الأول أن كتابه في المبهمات مختصراً، وهذا الكلام مصرح بأنه حافل، فلعله ألف فيه كتابين، ولم أقف على شيء منهما(٩).

وهو علم شريف، وقد كان السلف يبحثون عنه. قال عكرمة: طلبت الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة(١٠).

قال الزركشي في البرهان(١١): لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه(١٢)، كقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]

---

(١) انظر: مفحمات الأقران: ٢.

(٢) في (هـ) و(ح): «اسم المبهمات» وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٨١.

(٣) ساقط من الإتقان: ٤/ ٨١.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح) وهو: «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» المذكور.

(٥) في (هـ) و(ح): «أو»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٨١.

(٦) في (هـ) و(ح): «بذلك»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٨١.

(٧) الإتقان: ٤/ ٨١.

(٨) كلام المؤلف.

(٩) وفهمت من كلام السيوطي هذا، غير ما فهمه المؤلف، وهو أن السيوطي ألف في مبهمات القرآن كتاباً واحداً وهو المسمى بـ«مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» وهذا الكتاب مطابق لما وصفه مؤلفه من أنه مختصر وحافل، وهو أجمل من كتاب السهيلي ـ والله أعلم ـ.

(١٠) أورده ابن حجر في الإصابة: ٢/ ٢١٢: وقال بعده: رواه أبو أحمد الزبيري، عن محمد بن شريك، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رجل يقال له (ضمرة) أو (ابن ضمرة) فذكره.

(١١) البرهان: ١/ ١٥٥.

(١٢) في (هـ) و(ح): «لا شيء من مبهم أضمر الله بإشارة يعلمه»، وفي الإتقان: ٤/ ٨٠: «لا يحث من مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه»، وما أثبته من البرهان: ١/ ١٥٠.

قال: والعجب ممن تجرأ وقال: إنهم قريظة[1]، وقيل[2]: من الجن[3].

وأجاب السيوطي بأن المنفي علم أعيانهم لا أجناسهم فلا جرأة[4].

وهو على قسمين[5]:

الأول: فيما أبهم من رجل أو[6] امرأة أو ملك أو جني، أو مثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم أو من أو الذي إذا لم يرد به العموم.

قوله تعالى[7]: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. هو[8] آدم[9].

---

(١) قاله مجاهد. انظر: تفسير ابن جرير: ١٠/ ٢٢. وقريظة: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥ ـ ٢٧]. انظر: سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٢٣. وهي: فخذ من حذام إخوة النضير ونزلوا بجبل يقال له: قريظة فنسبوا إليه، وقيل: إن قريظة اسم جدهم بقرب الخندق، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ صلح فنقضوه، ومالوا مع قريش. تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٥٢.

(٢) في الإتقان: «أو»، وفي (هـ) و(ح): «هو»، وما أثبته من البرهان: ١/ ١٥٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: المطالب العالية لابن حجر: ٣/ ٣٣٥، قال في مجمع الزوائد: ٧/ ٢٧ رواه الطبراني وفي إسناده مجاهيل.

قال ابن اليمان: الشياطين التي في الدور أخرجه ابن أبي حاتم، وفي سنده إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٢٨ ذكر هذه الأقوال السيوطي في مفحمات الأقران: ٣، واختار ابن جرير أن أقرب الأقوال وأشبهها بالصواب قول من قال: عني به الجن. انظر: تفسير ابن جرير ١٠/ ٢٢.

(٤) انظر: الإتقان: ٤/ ٨١ باختصار.

(٥) كلام السيوطي.

(٦) في (هـ) و(ح): «و»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٨١.

(٧) في (هـ) و(ح) زيادة كلمة: «في» هكذا: «في قوله تعالى»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٨٢.

(٨) في (هـ) و(ح): «وهو».

(٩) وفيه خلاف كثير، والظاهر أنه لم يرد آدم عيناً، إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، فإذن المراد بالخليفة هو بنو آدم. قاله سفيان الثوري. انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٢٢.

﴿وَزَوْجُكَ﴾[1] هي حواء بالمد، لأنها خلقت من حي[2].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٧٣] اسمه عاميل[3].

﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] هو النبي ﷺ[4].

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة: ١٣٢] هو إسماعيل وإسحاق ومدين وزمران وشوح، ونفش ويقشان وأميم وكيشان وشروخ ولوطان ونافش[5].

﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٢٦، ١٤٠] أولاد يعقوب[6] وهم[7] اثنا عشر رجلاً: يوسف، وروبيل، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ودان، ونفتالي بفاء ومثناة، وجاد، وأشير ويشجر، وريالون، وبنيامين[8].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٠٤] هو الأخنس بن شريق[9].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٧] هو صهيب[10][11].

---

(١) في الإتقان: ٤/ ٨١: «وزوجه»، وكذلك في (هـ) و(ح)، وما أثبته من مفحمات الأقران: ٤. وهو من قوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ [البقرة: ٣٥].

(٢) روى ابن جرير في تفسيره: ١/ ١٨٢ من طريق السدي بأسانيده: قالت له الملائكة: ما اسمها؟ قال: حواء، قالوا: ولِمَ سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حي.

(٣) ذكره الكرماني في العجائب. انظر: مفحمات الأقران: ٤.

(٤) ولذلك قال ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم» أخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ١٢٧، وابن جرير في تفسيره: ١/ ٤٣٥، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦٠٠ وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) انظر: طبقات ابن سعد: ١/ ٤٧، والبداية والنهاية: ١/ ١٩٠، ومفحمات الأقران: ٦ باختلاف يسير في بعض الأسماء.

(٦) في (هـ) و(ح): «بالواو» هكذا: «وأولاد يعقوب».

(٧) انظر: البداية والنهاية: ١/ ٢١٤.

(٨) في أسماء الأسباط أي أولاد يعقوب عليه السلام اختلاف بين في الروايات. انظر: تفسير ابن جرير: ٣/ ١١٢، والبداية والنهاية: ١/ ٢١٤، ومفحمات الأقران: ٦، والإتقان: ٤/ ٨٢، ومع الأنبياء في القرآن لعفيف طبارة: ١٥٥.

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢/ ١٨١، وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ١/ ٢٣٨، وأسباب النزول للواحدي: ٣٩. والأخنس بن شريق هو حليف بني زهرة أقبل إلى النبي ﷺ إلى المدينة، فأظهر له الإسلام.

(١٠) هو: صهيب بن سنان بن مالك النمري التميمي الرومي، كانت منازل أبيه وعمه على دجلة عند الموصل فأغارت الروم عليهم، فأسرته وهو صغير، ثم اشتراه بنو كلب وباعوه بمكة، توفي بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة. انظر: البداية والنهاية: ٧/ ٣١٨، والإصابة: ٢/ ١٩٥، والمعارف لابن قتيبة: ٢٦٤.

(١١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢/ ٣٢١، وأورده ابن حجر في المطالب العالية: =

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ [البقرة: ٢٤٦] هو شمويل(١)، وقيل: شمعون(٢)، وقيل: يوشع(٣)(٤).

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٢] قال مجاهد: موسى(٥).

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٢] قال(٦): محمداً(٧).

﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨] نمرود بن كنعان(٨).

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] عزير(٩)، وقيل: أرمياً(١٠)، وقيل: حزقيل(١١).

﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران: ٣٥] حنة(١٢) بنت فاقوذ(١٣).

= ٣/ ٣٠٩. وانظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٢٨، وأسباب النزول للواحدي: ٣٩.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢/ ٥٩٥.

(٢) هو الذي دعت أمه الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب لها دعاءها فرزقها غلاماً فسمته شمعون تقول: الله تعالى سمع دعائي. انظر: تفسير ابن جرير: ٢/ ٥٩٥.

(٣) هو: يوشع بن نون بن أفراييم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. انظر: تفسير ابن جرير: ٢/ ٥٩٦.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير: ٢/ ٥٩٥، ٥٩٦، ومفحمات الأقران: ٧، والإتقان: ٤/ ٨٢.

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣/ ٢. وانظر: الدر المنثور: ١/ ٣١٨، ومفحمات الأقران: ٨، والإتقان: ٤/ ٨٢.

(٦) في (ح): «هو»، وما أثبته من مفحمات الأقران: ٨.

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣/ ٢. وانظر: الدر المنثور: ١/ ٣١٨، ومفحمات الأقران: ٨، والإتقان: ٤/ ٨٢.

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣/ ٢٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ١/ ٣٣١. وانظر: مفحمات الأقران: ٨، والإتقان: ٤/ ٨٢.

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٢٨٢ وصححه، ووافقه الذهبي.

(١٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣/ ١٩.

(١١) ذكره السيوطي في مفحمات الأقران: ٨.

(١٢) في (ح): «فاقودي»، وما أثبته من مفحمات الأقران: ٨.

(١٣) هي: حنة بنت فاقوذ بن قنبل، أم مريم ابنة عمران أم عيسى ابن مريم ـ صلوات الله عليه ـ. انظر: تفسير ابن جرير: ٣/ ٢٣٥، والدر المنثور: ٢/ ١٨، ومفحمات الأقران: ٨، والإتقان: ٤/ ٨٢.

﴿وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞ﴾ [آل عمران: ٤٠] هي أشياع، أو أشيع بنت فاقوذ[(١)].

﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٦١] وهم الحسن، والحسين.

﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٦١] وهي فاطمة[(٢)].

﴿وَأَنفُسَنَا﴾ وهو محمد ﷺ وعلي[(٣)] [رضي الله عنه وكرم وجهه][(٤)].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي﴾ [آل عمران: ١٩٣] هو[(٥)] محمد ﷺ.

[الطاغوت في قوله تعالى][(٦)] ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]. قال ابن عباس رضي الله عنهما[(٧)] هو كعب بن الأشرف[(٨)] أخرجه أحمد[(٩)].

﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾[(١٠)] [النساء: ٧٢] هو عبد الله[(١١)] بن أبي[(١٢)].

---

(١) انظر: مفحمات الأقران: ٨، والإتقان: ٤/ ٨٢.

(٢) هي: فاطمة بنت الرسول ﷺ أمها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، توفيت سنة إحدى عشرة وكان عمرها سبعاً وعشرين سنة. انظر: تهذيب النوري: ١/ ٣٥٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران: ٥/ ٢٢٥ وصححه. انظر: أسباب النزول للواحدي: ٦٧، وفتح القدير: ١/ ٣٤٧.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٨٢، ومفحمات الأقران: ٨.

(٥) في (ح) بالواو «وهو».

(٦) ساقط من الإتقان: ٤/ ٨٢.

(٧) ساقط من الإتقان: ٤/ ٨٣.

(٨) هو: كعب بن الأشرف الطائي، شاعر جاهلي، أمه من بني النضير، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو أكثر من هاجم النبي ﷺ، وأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. انظر: الكامل لابن الأثير: ٢/ ١٤٣، والأعلام: ٦/ ٧٩.

(٩) لم أعثر عليه في المسند، وهذا منقول عن تفسير ابن جرير: ٥/ ٨٤، وأسباب النزول للواحدي: ١١٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٦، وقال: رواه الطبراني، وفيه يونس بن سليمان الحجال، لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأورده النحاس في معاني القرآن: ١/ ٢٦٩ عن مجاهد. (المدقق).

(١٠) التبطئة والإبطاء: التأخر، والمراد به المنافقون؛ كانوا يقعدون عن الخروج ويقعدون غيرهم. انظر: فتح القدير: ١/ ٤٨٢.

(١١) هو: عبد الله بن أبيّ ابن سلول المعروف بابن سلول، وهو رأس المنافقين، ولما مات تقدم النّبي ﷺ فصلّى عليه، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم ...﴾ [التوبة: ٨٤]. انظر: طبقات ابن سعد القسم الثاني: ٣/ ٩٠.

(١٢) قاله مقاتل. أخرجه ابن أبي حاتم وغيره. انظر: مفحمات الأقران: ١١، وفتح القدير: ١/ ٤٨٧.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]، هو عامر بن الأضبط الأشجعي[١]، وقيل: مرداس[٢]، والقائل ذلك[٣] [نفر من المسلمين منهم][٤]: أبو قتادة[٥] ومحلّم[٦] بن جثّامة[٧]، وقيل: إن الذي باشر القول محلم. وقيل: إنه الذي باشر قتله أيضاً[٨]. وقيل:[٩] قتله المقداد بن الأسود[١٠].

---

(١) هو: عامر بن الأضبط الأشجعي الذي سلّم على أبي قتادة الأنصاري ومن معه في بطن أضم. انظر: طبقات ابن سعد: ٤/ ٢٨٢.

(٢) هو: مرداس بن عمرو الفدكي وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وهو الذي قتله أسامة بن زيد في سرية إلى بني ضمرة، وقيل غير ذلك.

انظر: الإصابة: ٣/ ٤٠٠، وأسد الغابة: ٣٤٦/٤. أورده الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن اسم المقتول: مرداس ذكره السيوطي في مفحمات الأقران: ١١.

قلت: إن هذا الإسناد من أوهى الأسانيد وأضعفها. انظر: التفسير والمفسرون: ١/ ٨.

(٣) أي: لست مؤمناً.

(٤) في (ح): «هو من المسلمين فيهم»، وما أثبته من مفحمات الأقران: ١١، والإتقان: ٤/ ٨٣.

(٥) هو: الحارث وقيل: النعمان، وقيل: عمرو بن ربعي بن بلدهه أبو قتادة الخزرجي السلمي، فارس رسول الله ﷺ، شهد أُحداً وما بعدها، توفي بين الخمسين والستين. انظر: الإصابة: ٤/ ١٥٩.

(٦) هو: يزيد بن قيس بن ربيعة (محلم بن جثامة) أخو الليثي الصعب بن جثامة وهو الذي قتل عامر بن الأضبط الأشجع على بعير له، توفي في حياة النبي ﷺ فلفظته الأرض مرة بعد أخرى وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة: ٣/ ٣٦٩، وأسد الغابة: ٤/ ٣٠٩.

(٧) كما رواه الإمام أحمد في مسنده: ٦/ ١١، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٧، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات.

(٨) كلمة «أيضاً» ساقط من (ح) رواه ابن جرير في تفسيره: ١/ ١٤٠.

(٩) رواه البزار عن ابن عباس. انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار برقم (٢٢٠٢)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٧ وقال: إسناده جيد.

(١٠) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة من اليمن أبو معبد المعروف بابن الأسود الصحابي الجليل، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين للهجرة.

انظر: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٨٥، والمعارف: ٢٦٢.

وقيل: أسامة[١] ابن زيد[٢][٣].

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٠٠]، هو ضمرة بن جندب[٤][٥]، وقيل: ابن العيص[٦]؛ رجل من خزاعة[٧]، وقيل: أبو ضمرة بن العيص، وقيل: اسمه سبرة، وقيل: هو خالد بن حزام[٨]، وهو غريب جداً.

وقوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢][٩]، هم

---

(١) هو: أسامة بن زيد بن حارثة أبو محمد، صحابي، كان الرسول ﷺ يحبه حباً جماً. انظر: طبقات ابن سعد: ٤/ ٤٢، والإصابة: ١/ ٢٩.

(٢) انظر: سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء: ٥/ ٢٤٠، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٣٦٣، وتفسير القاسمي: ٥/ ٣٩٠.

(٣) قلت: القول الذي تطمئن به النفس هو ما ذهب إليه القفال في الجمع بين هذه الأقوال حيث يقول: ولا منافاة بين هذه الروايات، فلعلّها نزلت عند وقوعها بأسرها، فكان كل فريق يظن أنها نزلت في واقعته. انتهى. نقلاً عن تفسير القاسمي: ٥/ ٣٩٠.

(٤) هو: ضمرة بن جندب من بني ليث وقيل: ضمر بن أبي العيص أو ابن العيص وقيل غير ذلك. اختلف في اسمه واسم أبيه على أكثر من عشرة أوجه، فأدركه الموت وهو عند التنعيم فدفن عند مسجد التنعيم.

انظر: الإصابة: ٢/ ٢١٢، ١/ ٢٥١ في ترجمة جندع بن ضمرة، وأسد الغابة: ١/ ٣٠٨.

(٥) أخرجه أبو يعلى، والأثر أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وابن حجر في المطالب العالية: ٣/ ٢٢١. قال السيوطي في مفحمات الأقران: ١٢: رجاله ثقات عن ابن عباس.

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٥/ ٢٣٨.

(٧) خُزاعة: اسم للقبيلة المعروفة وهي بضم الخاء وتخفيف الزاي. وهم بنو عمرو بن ربيعة وسموا بذلك لأنهم انخرعوا عن قومهم حين أقبلوا من مآرب فنزلوا ظهر مكة. انظر: تهذيب النووي: ١/ ٢٨٩.

(٨) هو: خالد بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي، أخو الحكيم بن حزام، أسلم يوم الفتح وهو الذي قيل: إنه نزل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية، لكنه غير متفق عليه. انظر: الإصابة: ١/ ٤٠٣، وأسد الغابة: ٢/ ٧٨.

(٩) وفي أسماء النقباء اختلاف في المراجع واعتمدت ما في مفحمات الأقران حيث إنه عمدة للسيوطي. وانظر: تفسير ابن جرير: ٦/ ١٥٠، ومفحمات الأقران: ١٤، والإتقان: ٤/ ٨٣.

والنقيب: كبير القوم العالم بأمورهم الذي ينقب عنها وعن مصالحهم فيها. فتح القدير: ٢/ ٢١.

شموع بن زكور من سبط روبيل، وشوقط بن حوري من سبط شمعون، وكالب بن يوفنا من سبط يهودا، ويعوول[1] بن يوسف من سبط أساخر[2]، ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف، وبلطي بن زوفو[3] من سبط بنيامين، وكرابيل بن سودي[4] من سبط زبالون، وكدي بن سوسا[5] من سبط منشا بن يوسف، وعمائيل بن كسل من سبط دان، وستور بن مخائيل من سبط شيز[6]، ويحيى بن وقوسي من سبط تفتال[7]، وآل[8] بن موخا من سبط كاذلو.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [المائدة: ٢٣] هما يوشع وكالب[9].

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧] هما: قابيل[10] وهابيل، وهو المقتول[11].

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] بلعم، ويقال: بلعام بن آبر، ويقال: باعر، ويقال: باعور[12] وقيل: هو

---

(١) في الإتقان: ٤/ ٨٣: «بعورك».

(٢) في الإتقان: ٤/ ٨٣: «اشاجر».

(٣) في الإتقان: ٤/ ٨٤: «بلطي بن روفو».

(٤) في الإتقان: ٤/ ٨٣: «سورى» بالراء.

(٥) في الإتقان: ٤/ ٨٣ «شاس».

(٦) قي الإتقان: ٤/ ٨٣: «أشير».

(٧) في الإتقان: ٤/ ٨٣: «نفتالي».

(٨) في الإتقان: ٤/ ٨٣: «وال».

(٩) انظر: تفسير ابن جرير: ٦/ ١١٢، والدر المنثور: ٢/ ٢٧٠، ومفحمات الأقران: ١٤، والإتقان: ٤، ٨٣، وفتح القدير: ٢٨٢.

(١٠) تأتي ترجمته في قصص الأنبياء صفحة (١٧٠).

(١١) وهو قول الجمهور من الصحابة.

انظر: تفسير ابن جرير: ٦/ ١٨٦، ومفحمات الأقران: ١٤، والإتقان: ٤/ ٨٣، وتفسير الشوكاني: ٢/ ٣٠.

(١٢) كذا في (هـ) و(ح) والإتقان: ٤/ ٨٤.

وفي المستدرك: ٢/ ٣٢٥: «باعوراء»، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٠/ ٢٦٥: ويقال: بلعام بن باعوراء، وقال: ابن آبر، ويقال: ابن أور، ويقال: ابن باعر؛ كان يسكن قرية من قرى البلقان، وهو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم، فانسلخ من دينه، له ذكر في القرآن. =

أمية بن أبي الصلت[1]، وقيل: صفي بن الراهب[2]، وقيل: فرعون[3] وهو أغربها[4].

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨][5] عني[6] سُراقة[7] بن جعشم[8].

قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ١٢]، قال قتادة[9] هم: أبو سفيان[10]، وأبو جهل، وأمية بن خلف، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن ربيعة.

= وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٢٥، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره: ٩/ ٨٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ١٠/ ٢٦٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/ ١٤٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وغيره.

(١) هو: أمية بن أبي الصلت عبد الله بن ربيعة الثقفي كان يتعبد في الجاهلية ويؤمن بالبعث، وينشد في أبياته الشعر المليح، وأدرك الإسلام ولم يسلم. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٢٦.

(٢) في االإتقان بدون «ال».

(٣) حكاه الكرماني في العجائب. انظر: مفحمات الأقران: ١٧.

(٤) انظر هذه الأقوال في: تفسير ابن جرير: ٩/ ١١٩، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٢٥٠، ومفحمات الأقران: ١٧، والإتقان: ٤/ ٨٤.

(٥) ومعنى الجار هنا: الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار. فتح القدير: ٢/ ٣١٥.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) هو: سراقة بن مالك بن جعشم سيد بني مدلج أبو سفيان المدلجي الصحابي، أسلم عند النبي ﷺ بالجعرانة حين انصرف من حنين والطائف، توفي سنة أربع وعشرين على الأصح. انظر التهذيب للنووي: ١/ ٢١٠.

حيث إن الشيطان (إبليس) تبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ١٠/ ٨٨، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٣٢، ومفحمات الأقران: ١٧، والإتقان: ٤/ ٨٤، وفتح القدير: ٢/ ٣١٤.

(٩) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي البصري التابعي، وهو ثقة مأمون حجة في الحديث. قاله ابن سعد، توفي سنة سبع عشر ومائة من الهجرة. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ٥٧.

انظر قول قتادة في: تفسير ابن جرير: ١٠/ ٦٢، وتفسر ابن كثير: ٢/ ٣٣٩، والإتقان: ٤/ ٨٤، وفتح القدير: ٢/ ٣٤٣. قال ابن كثير: والصحيح أن الآية عامة وإن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم: ٢/ ٣٣٩.

(١٠) هو: صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان القرشي الأموي الصحابي الجليل، =

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] هو أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ[1].

﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧][2] قال مجاهد[3] هم: عبد الله بن أبي ابن سلول، ورفاعة بن التابوت[4]، وأوس بن قيظي[5].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾[6] [التوبة: ٤٩] هو الجد[7] بن قيس[8].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾[9] [التوبة: ٥٨] هو ذو الخويصرة[10][11].

= وأم حبيبة أم المؤمنين، توفي سنة إحدى وثلاثين من الهجرة بالمدينة. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ٢٣٩.

(١) ففي صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ...﴾. قال أبو بكر ﷺ: كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «ما ظنّك باثنين الله ثالثهما».

(٢) سمّاعون لهم: أي عيون يسمعون لهم الأخبار وينقلونها إليهم. تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٦١.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١٠/ ١٠٢، وفي تفسير مجاهد: ١/ ٢٨٠ زيادة: «عبد الله بن نبتل».

(٤) هو: رفاعة بن تابوت الأنصاري. انظر: أسد الغابة: ٢/ ١٧٧، والإصابة: ١/ ٥١٧.

(٥) انظر: تفسر ابن جرير: ١٠/ ١٤٤، والإتقان: ٤/ ٨٤، وفتح القدير: ٢/ ٣٦٨.

(٦) ائذن لي في التخلف عن الجهاد. فتح القدير: ٢/ ٣٦٧.

(٧) هو: جد بن قيس بن صخر أبو عبد الله الأنصاري، كان منافقاً ونزل فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾ وتخلف عن البيعة يوم الحديبية وعن غزوة تبوك، ثم تاب وحسنت توبته وتوفي في خلافة عثمان.

انظر: الإصابة: ١/ ٢٢٩، وأسد الغابة: ١/ ١٧٤.

(٨) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٣٠، وقال: أخرجه الطبراني وفي إسناده يحيى الحماني وهو ضعيف. وأخرجه ابن جرير أيضاً: ١٠/ ١٠٤، وانظر: تفسير الشوكاني: ٢/ ٣٦٨.

(٩) واللمز: الاغتياب وتتابع المعاب، والمراد هنا: الطعن: أي يطعن عليك في الصدقات.

انظر: المفردات للراغب مادة: (لمز): ٤٥٤، وتفسير الشوكاني: ٢/ ٣٧٣.

(١٠) هو: حرقوص بن زهيري ذو الخويصرة التميمي وهو الذي قال للنبي ﷺ عندما كان يقسم قسماً: يا رسول الله اعدل، فقال ﷺ: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل»، فقال عمر: ائذن لي لأضرب عنقه! قال: لا، إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية... الحديث وهو أصل الخوارج. انظر: أسد الغابة: ٢/ ١٤٠.

(١١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف...: ٨/ ٥٢.

قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾[(1)] [التوبة: ٦٦] هو مخشي[(2)] بن حِمْيَر[(3)].

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥]، هو ثعلبة[(4)]..........................

---

(١) الطائفة من الناس: الجماعة منهم، ومن الشيء القطعة. المفردات للراغب مادة: (طوف): ٣١١.

(٢) هو: مخشي بن حمير حليف بني سلمة من الأنصار الأشجعي، كان من المنافقين ومن أصحاب مسجد الضرار، ثم تاب وحسنت توبته، فغير النبي ﷺ اسمه فسماه عبد الله بن عبد الرحمٰن، واستشهد يوم اليمامة.

انظر: الإصابة: ٣/ ٣٩١، وأسد الغابة: ٤/ ٣٣٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن كعب بن مالك. انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٦٧، والإتقان: ٤/ ٨٤.

(٤) هو: ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد، آخى الرسول ﷺ بينه وبين معتب بن الحمراء من خزاعة، شهد بدراً وأُحداً.

انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٤٦٠، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣٣٤، والثقات لابن حبان: ٣/ ٣٦.

أما ما ذكره السيوطي وتبعه المؤلف من أن ثعلبة بن حاطب هو المعني في سبب نزول هذه الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ . . .﴾ [التوبة: ٧٥]، فهو خطأ، فإن ثعلبة بن حاطب بدري فقد جاء في شأن أهل البدر الحديث القدسي: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر.

قال ابن حزم في المحلى: ١١/ ٢٠٧، ٢٠٨. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ قال: وهذه أيضاً صفة أوردها الله تعالى، يعرفها كل من فعل ذلك من نفسه، وليس فيها نص ولا دليل على أن صاحبها معروف بعينه.

على أنا قد روينا أثراً لا يصلح، وفيه أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب، وهذا باطل؛ لأن ثعلبة بدري معروف. . . وأخرج الحديث من رواية معان بن رفاعة وقال: وهذا باطل لا شك؛ لأن الله تعالى أمر بقبض زكوات أموال المسلمين، وأمر عليه السلام ـ عند موته ـ أن لا يبقى في جزيرة العرب دينان. فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلماً، ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد، ولا نسخ في ذلك. وإن كان كافراً، فلا يقر في جزيرة العرب، فسقط هذا الأثر بلا شك.

وفي رواته معان بن رفاعة، والقاسم بن عبد الرحمٰن، وعلي بن يزيد وهو أبو عبد الملك الألهاني، وكلهم ضعفاء.

وانظر: كتاب ثعلبة بن حاطب الصحابي المفتري لعداب الحمش: ٩١، ٩٢.

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ١/ ٦٩٨: ثعلبة بن حاطب. . . ذكره موسى بن =

ابن حاطب[1].

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾[2] [التوبة: ١٠٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما هم سبعة: أبو لبابة[3]. وأصحابه[4]، وقال قتادة: سبعة من الأنصار: أبو لبابة، وجد بن قيس وخذام[5]........................

= عقبة وابن إسحاق في البدريين وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: ١/ ٢٠٠: شهد بدراً وأحداً.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: ١/ ٢٨٣: شهد بدراً. قاله محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة.

ولقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدراً والحديبية». أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٦/ ٣٦٢.

أما الرواية في أن ثعلبة هو المعني في آية: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ وهو الذي سأل النبي ﷺ أن يدعو الله أن يرزقه مالاً.

قال المناوي في فيض القدير: ٤/ ٥٢٧ قال البيهقي: في إسناد هذا الحديث نظر ومشهور بين أهل التفسير. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٣/ ٢٢٦.. لكنه حديث ضعيف لا يحتج به.

وقال في تخريج الكشاف: ٤/ ٧٧ بعد أن ذكر من أخرجه، وكلهم من طريق علي بن يزيد الألهاني عن القاسم بن عبد الرحمٰن عن أبي أمامة، وهذا إسناد ضعيف جداً.

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٣٢، وقال: أخرجه الطبراني، وإسناده ضعيف جداً؛ لأن في إسناده علي بن يزيد الألهاني وهو متروك.

انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٧٤.

(٢) والاعتراف: الإقرار بالشيء. والمعنى أن هؤلاء الجماعة تخلفوا عن الغزو لغير عذر مسوغ للتخلف ثم ندموا على ذلك، ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة، كما اعتذر المنافقون، بل تابوا واعترفوا بالذنب، ورجوا أن يتوب الله عليهم.

وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلا أنها عامة في كل المذنبين الخاطئين المخلطين الملوثين. انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٨٠، وفتح القدير: ٢/ ٣٩٩.

(٣) هو: بشير بن عبد المنذر وقيل: رفاعة بن عبد المنذر أبو لبابة الأنصاري، شهد بدراً، ثم شهد أحداً وما بعدها، توف بعد مقتل عثمان. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ١٢/ ٢١٤، والمعارف: ٣٢٥.

(٤) هم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله ﷺ، فلما أنزل الله هذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أطلقهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم. انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٨٥.

(٥) هو: خذام بن وديعة الأنصاري الأوسي وقيل: خذام بن خالد، وهو والد خنساء بنت خذام الذي زوج ابنته خنساء بنت خذام وهي ثيب، فكرهت فأتت النبي ﷺ فرد نكاحه. انظر: الإصابة: ١/ ٤٢١، وأسد الغابة: ٢/ ١٠٧.

وأوس، وكردم، ومرداس[1][2].

[قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة: ١٠٦] هم هلال بن أمية[3]، ومرارة بن الربيع[4]، وكعب بن مالك[5] وهم الثلاثة الذين خلفوا][6][7].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾[8] [التوبة: ١٠٧]. قال ابن إسحاق[9]: اثنا عشر من الأنصار: خذام بن خالد، وثعلبة بن حاطب وهو من بني أمية[10]، ومعتب بن قشير[11]، وأبو حبيبة بن الأزعر[12]، وعباد بن

---

(١) هو: مرداس ـ بكسر أوله وسكون الراء ـ ابن مالك الأسلمي، كان من أصحاب الشجرة. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ١٠/ ٨٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٨٥، وفتح القدير: ٢/ ٤٠١، والإتقان: ٤/ ٨٤، ومفحمات الأقران: ١٩.

(٣) هو: هلال بن أمية بن عامر الصحابي الأوسي الأنصاري، شهد بدراً وأُحداً وهو الذي تاب الله عليهم. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٣٩.

(٤) هو: مرارة بن الربيع، ويقال: ابن ربيعة الأنصاري العمري الصحابي من بني عمرو بن عوف، شهد بدراً، وهو أحد الثلاثة الذي تاب الله عليهم. التهذيب للنووي: ١/ ٨٦.

(٥) هو: كعب بن مالك بن عمرو أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي السلمي، شهد العقبة وأُحداً وسائر المشاهد إلا بدراً وتبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم وأنزل فيهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ الآية [التوبة: ١١٨]، توفي بالمدينة سنة ثلاث وخمسين في زمن معاوية. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ٦٩.

(٦) ما بين المعكوفين ساقط من (ح).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٨٧، ومفحمات الأقران: ١٩، والإتقان: ٤/ ٨٤. وفتح القدير: ٢/ ٤٠٢.

(٨) والباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة، الأول: الضرار لغيرهم. والثاني: الكفر بالله والمباهة لأهل الإسلام؛ لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق. الثالث: التفريق بين المؤمنين؛ لأنهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعة المسلمين. الرابع: الإرصاد أي الإعداد لمن حارب الله ورسوله. انظر: فتح القدير: ٢/ ٤٠٣ بالاختصار.

(٩) انظر: سيرة ابن هشام: ٤/ ١٧٤.

(١٠) في الإتقان: ٤/ ٨٥ وهو من بني أمية، وما أثبته من مفحمات الأقران: ١٩.

(١١) معتب بن قشير: معتب بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد التاء، من الذين بنوا مسجد الضرار، وهو الذي قال الله فيه أنه قال: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]. انظر: أسد الغابة: ٤/ ٣٩٤، وجمهرة النسب للكلبي: ٦٢٤.

(١٢) هو: أبو حبيبة بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن صبعة الأنصاري، استدركه =

حنيف[1]، وجارية بن عامر[2] وابناه مجمع[3] وزيد[4]، ونبتل بن الحارث[5]، وبخرج[6]، وبجاد بن عثمان[7]، ووديعة بن ثابت[8][9].

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٧] هو أبو عامر الراهب[10][11].

= يحيى بن عبد الوهاب بن منده على جده، وقال: إنه ممن شهد أُحداً. انظر: الإصابة: ٤/ ٤١، وسيرة ابن هشام: ٤/ ١٧٤.

(١) هو: عباد بن حنيف أخو عثمان وسهل الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف. انظر: الإصابة: ٢/ ٢٦٤، وسيرة ابن هشام: ٤/ ١٧٤، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٤٠.

(٢) هو: جارية بن عامر بن مجمع بن العطاف وقد بايع النبي ﷺ هو وبنوه زيد، ويزيد ومجمع من بني ضبيعة. انظر: جمهرة النسب للكلبي: ٦٢٤، وسيرة ابن هشام: ٤/ ١٧٤.

(٣) هو: مجمع بن جارية بن عامر الأوسي الأنصاري وأبوه ممن اتخذ مسجد الضرار. انظر: أسد الغابة: ٤/٣٠٣، والإصابة: ٣/٣٦٦.

(٤) هو: زيد بن جارية بن عامر الأوسي الأنصاري، كان ممن استصغره رسول الله ﷺ يوم أُحد وكان أبوه من المنافقين ومن أهل مسجد الضرار. انظر: أسد الغابة: ٢/٢٢٣، والإصابة: ١/ ٥٦٢، وسيرة ابن هشام: ٤/ ١٧٤.

(٥) هو: نبتل بن الحارث بن قيس بن زيد بن طبيعة وكان منافقاً من بني ضبعة. انظر: جمهرة النسب للكلبي ٦٢٤، وسيرة ابن هشام: ٤/ ١٧٤.

(٦) هو: بخرج من بني ضبيعة من الذين بنوا مسجد الضرار.
انظر: سيرة ابن هشام: ٤/ ١٧٤، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٤٠، وتفسير الخازن: ٣/ ١٢٠.

(٧) هو: بجاد بن عثمان وهو من بني ضبيعة من الذين بنوا مسجد الضرار.
انظر: سيرة ابن هشام: ٤/ ١٧٤، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٤٠، وتفسير الخازن: ٣/ ١٢٠.

(٨) هو: وديعة بن ثابت، وهو من بني أمية بن زيد من الذين بنوا مسجد الضرار.
انظر: سيرة ابن هشام: ٤/ ١٧٤، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٤٠، وتفسير الخازن: ٣/ ١٢٠.

(٩) انظر: سيرة ابن هشام: ٤/ ١٧٤، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٣٨٨، وتفسير الخازن: ٣/ ١٢٠، ومفحمات الأقران: ١٩.

(١٠) هو: أبو عامر الراهب الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة، وكان أبو عامر قد ترهّب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر.
فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر وخرج هارباً إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجداً، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه. فبنوا مسجد الضرار. تفسير الخازن: ٣/ ١٢١.

(١١) انظر: تفسير ابن جرير: ١١/ ٢٣، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٣٨٨، وتفسير الخازن: ٣/ ١٢٠، وتفسير الشوكاني: ٢/ ٤٠٥.

[قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] هو مسجد المدينة وقيل مسجد قباء][(١)][(٢)].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧]، وهو[(٣)] محمد ﷺ[(٤)] ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] هو جبريل عليه السلام[(٥)] وقيل: هو القرآن[(٦)]، وقيل: أبو بكر[(٧)] وقيل: علي[(٨)] ـ رضي الله تعالى عنهما ـ.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢] اسمه كنعان[(٩)] وقيل: يام[(١٠)][(١١)].

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحج، من حديث حميد الخراط، أنه مسجد المدينة. ورواه أحمد في مسنده: ١١٦/٥، وابن جرير في تفسيره: ٢١/١١، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٣٤، وابن كثير في تفسيره: ٣٨٩/٢.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٥٤٢/٣: هذا نص بأنه المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في القرآن، ورد لما يقول بعض المفسرين: إنه مسجد قباء، وأما أخذه ﷺ الحصباء وضربه في الأرض، فالمراد به المبالغة في الإيضاح لبيان أنه مسجد المدينة.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الإتقان: ٤/ ٨٥.

(٣) في (ح): بدون الواو.

(٤) وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية، وصححه ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٤٤٠. وانظر: الإتقان: ٤/ ٨٥، ومفحمات الأقران: ٢٠، وتفسير الشوكاني: ٤٨٩/٢.

(٥) وهو قول ابن عباس ومجاهد وأبو العالية، وهو اختيار ابن جرير وصححه ابن كثير. انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/١٢، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٤٤٠، وتفسير الشوكاني: ٤٨٩/٢.

(٦) ساقط من (ح) وهو قول زيد بن أسلم. انظر: مفحمات الأقران: ٢٠.

(٧) ذكره الكرماني في عجائبه. انظر: مفحمات الأقران: ٢٠.

(٨) أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي ـ يعني علي بن أبي طالب ـ يا أبت: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ إن الناس يقولون: إنك أنت هو، قال: وددت أني أنا هو، لكنه لسانه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٧/٧: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه خليد بن دعلج، وهو متروك.

(٩) وهو قول قتادة أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: مفحمات الأقران: ٢٠، وتفسير الشوكاني: ٤٩٩/٢.

(١٠) هو ابنه الرابع واسمه يام، وكان كافراً رعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٤٣]. تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٣.

(١١) حكاه السهيلي في التعريف والإعلام: ٧٧. وانظر: مفحمات الأقران: ٢٠، والإتقان: ٤/ ٨٥.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ [هود: ٧١] اسمها سارة[١][٢].

«بنات لوط»[٣]: زيتاء وزعوراء[٤].

﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ [يوسف: ٨] هو بنيامين شقيقه[٥].

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [يوسف: ١٠] هو روبيل[٦]، وقيل: يهوذا[٧]، وقيل: شمعون[٨].

﴿فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ﴾[٩] [يوسف: ١٩] هو مالك بن ذعر[١٠].

---

(١) هي: سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعون بن فالغ وهي ابنة عم إبراهيم. تفسير ابن جرير: ١٢/ ٤٣.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/ ٤٣، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٥٦٣، ومفحمات الأقران: ٢١، والإتقان: ٤/ ٨٥.

(٣) من قوله تعالى في سورة هود: الآية (٧٨): ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾.

قال في روح المعاني: ١٢/ ١٠٧ في قول لوط ﷺ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ إن ذلك القول لم يكن منه ﷺ مجرياً على الحقيقة من إرادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم ووقاية ضيفه (بتصرف).

قلت: قيل: كان له ﷺ بنتان أو ثلاث بنات وكيف يعرض بناته على أولاد المهرعين ليزوجوهن مع القول بأنهم أكثر منهن. وعلى هذا فإن القول الذي تطمئن إليه النفس: المراد ببناته ﷺ نساء أمته؛ لأن كل نبي أب لأمته، ويؤيد هذا قراءة ابن مسعود ﷺ: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم».

انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/ ٥١، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٥٦٦، وتفسير الآلوسي: ١٢/ ١٠٧.

(٤) في (هـ) و(ح): «ريثا ورغوتا»، وما أثبته من روح المعاني للآلوسي: ١٢/ ١٠٧.

(٥) هو: بنيامين وكان شقيقه لأمه. وهو قول قتادة أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/ ٩٣، وتفسير ابن كثير: ٤/ ١١، ومفحمات الأقران: ٢١، والإتقان: ٤/ ٨٥.

(٦) أخرج ابن جرير في تفسيره: ١٢/ ٩٣ عن قتادة قال: كنا نحدث أنه روبيل، وهو أكبر إخوته وهو ابن خالة يوسف.

(٧) وهو قول السدي. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ١٢، ومفحمات الأقران: ٢١، والإتقان: ٤/ ٨٥.

(٨) وهو قول مجاهد أخرج ذلك ابن بي حاتم. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ١٢، ومفحمات الأقران: ٢١، والإتقان: ٤/ ٨٥.

(٩) والوارد: الذي يرد الماء ليسقي للقوم. انظر: تفسير الشوكان: ٣/ ١٣.

(١٠) هو مالك بن ذعر من العرب العاربة. انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/ ١٠٤، وتفسير الشوكاني: ٣/ ١٣، ومفحمات الأقران: ٢١، والإتقان: ٤/ ٨٥.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ [يوسف: ٢١] هو قطفير أو أطيير[(١)(٢)].

﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٢١] هي راعيل[(٣)]، وقيل: زليخا[(٤)(٥)].

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦] هما مجلت[(٦)] ونبو[(٧)] وهو الساقي[(٨)]، وقيل: راشان ومرطش[(٩)]. [وقيل: شرهم وسرهم][(١٠)(١١)].

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ[(١٢)] أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى﴾ [يوسف: ٤٢] [هو الساقي][(١٣)(١٤)].

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] هو الملك ريان[(١٥)] بن الوليد[(١٦)].

---

(١) قال ابن كثير في البداية: ١/٢١٩. قال ابن إسحاق: واسمه أي عزيز مصر: أطفير بن روحيب... وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/١٠٤، وتفسير الشوكاني: ٣/١٥.

(٣) قال ابن إسحاق: اسمها راعيل بنت راعائيل. أخرجه ابن أبي حاتم.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/١٠٤، والبداية والنهاية: ١/٢١٩، وفتح القدير: ٣/١٥، ومفحمات الأقران: ٢١.

(٤) وقال غيره: كان اسمها زليخا. قال ابن كثير: والظاهر أنه لقبها. انظر: البداية والنهاية: ١/٢١٩.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/١٠٤، والبداية والنهاية: ١/٢١٩، وفتح القدير: ٣/ ١٥، ومفحمات الأقران: ٢١.

(٦) كذا في (هـ) و(ح) وتفسير ابن جرير: ١٢/١٢٧، والإتقان: ٤/٨٥، ووقع في الدر المنثور: ٤/١٨: «مجلب» بالباء الموحدة.

(٧) في الإتقان: ٤/٨٥: «بنوه».

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/١٢٧، وتفسير ابن كثير: ٤/٢٥.

(٩) انظر: مفحمات الأقران: ٢١، والإتقان: ٤/٨٥.

(١٠) حكاه السهيلي في التعريف والإعلام: ٨١.

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(١٢) المراد بالظن العلم؛ لأنه قد علم من الرؤيا نجاة الشرابي وهلاك الخباز، والظان هو يوسف ﷺ. انظر: تفسير الشوكاني: ٣/٢٨.

(١٣) ساقط من (ح).

(١٤) قاله مجاهد وغيره. انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/١٣، وتفسير ابن كثير: ٤/٢٩.

(١٥) هو: الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشه بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ﷺ كما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٢٢٦.

(١٦) انظر: مفحمات الأقران: ٢٢، والإتقان: ٤/٨٥.

﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ [يوسف: ٥٩] هو بنيامين[١] وهو المكرر[٢] في السورة.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف: ٧٧] هو يوسف[٣].

﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ [يوسف: ٨٠] هو شمعون، وقيل: روبيل[٤].

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ [يوسف: ٩٩] هما أبوه وخالته ليا[٥] [وقيل أمه، واسمها راحيل][٦][٧].

﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] هو عبد الله[٨] بن سلام[٩].

وقيل[١٠]: جبريل[١١].

---

(١) انظر: مفحمات الأقران: ٢٢، والإتقان: ٤/ ٨٥، وفتح القدير: ٣/ ٣٧.

(٢) في الإتقان: ٤/ ٨٥: «المتكرر» وما أثبته من مفحمات الأقران: ٢٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٤١، ومفحمات الأقران: ٢٢، والإتقان: ٤/ ٨٥.

قال قتادة: كان يوسف ﷺ قد سرق صنماً لجده أبي أمه فكسره. نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٠ـ٥٠.

(٤) قال مجاهد: هو شمعون الذي تخلف، أكبرهم عقلاً. قال قتادة: هو روبيل، أكبرهم في السن. انظر: تفسير ابن جرير: ١٣/ ٢٣، ومفحمات الأقران: ٢٢، والإتقان: ٤/ ٨٥.

(٥) وهو قول السدي. انظر: تفسير ابن جرير: ١٣/ ٤٤، ومفحمات الأقران: ٢٢.

(٦) وهو قول قتادة. انظر: تفسير ابن جرير، ومفحمات الأقران: ٢٢.

قلت: القول الذي تطمئن به النفس ما قاله ابن جرير في تفسيره: ١٣/ ٤٤: كان أبوه وأمه يعيشان، ولم يقم دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدل على حياتها.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) هو: عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف الإسرائيلي الصحابي، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، كان اسمه الحصين، فسماه الرسول ﷺ عبد الله، مات سنة ثلاث وأربعين للهجرة. انظر: البداية والنهاية: ٨/ ٢٧، والإصابة: ٢/ ٣٢٠.

(٩) وهو قول عكرمة ومجاهد. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/١٠٦، ومفحمات الأقران: ٢٢.

قال ابن كثير: إن هذا القول غريب؛ لأن عبد الله بن سلام، أسلم في أول مقدم النبي ﷺ المدينة، وهذه الآية مكية. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/١٠٦.

(١٠) وهو قول سعيد بن جبير. انظر: مفحمات الأقران: ٢٢.

(١١) والصحيح أن المراد بـ«من عنده علم الكتاب»: علماء اليهود والنصارى الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ١٠٦.

قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٣٧] هو[1] إسماعيل عليه السلام[2].

﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [إبراهيم: ٤١] اسم أبيه: تارح، وقيل: آزر[3]، وقيل: يازر، واسم أمه: مشاني، وقيل: نوفا، وقيل: ليوثا[4].

قوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]. قال سعيد بن جبير[5]: هم خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل[6]، وأبو زمعة، والحارث بن قيس[7]، والأسود بن عبد يغوث[8].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾ [النحل: ٧٦] هو أسيد بن أبي العيص[9].

﴿وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: ٧٦] هو عثمان بن عفان[10].

﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾ [النحل: ٩٢] هي ريطة بنت سعيد بن زيد مناة بن

---

(١) في (ح): «وهو» بالواو.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١٣/١٥٢، ومفحمات الأقران: ٢٣، والإتقان: ٤/٨٦.

(٣) اختلف علماء النسب في اسم أب إبراهيم، فقيل: إنه تارخ، وقيل: آزر.

قلت: والقول الذي تطمئن به النفس ما ذهب ابن جرير في تفسيره: ٧/١٥٩، إلى أن اسم أبيه آزر؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/١٤٩، ومفحمات الأقران: ٢٣، والإتقان: ٤/٨٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٥٦٠.

(٦) هو: العاص أو العاصي بن وائل بن هاشم السهمي، أدرك الإسلام وظل على الشرك، وهو من المستهزئين، ومات كافراً في السنة الأولى من الهجرة.

انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ١٦١، والبداية والنهاية: ٣/٥٩.

(٧) هو: الحارث بن قيس بن عدي السهمي، كان من المستهزئين الذين يؤذون الرسول ﷺ، ثم أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة مع بنيه الحارث وبشر ومعمر.

انظر: الإصابة: ١/٢٨٢، وأسد الغابة: ١/٣٤٤.

(٨) هو: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف وهو ابن خال النبي ﷺ. انظر: الكامل: ٢/٧١.

(٩) انظر: تفسير ابن جرير: ١٤/١٠١، وأسباب النزول للواحدي: ١٨٩، وفتح القدير: ٣/١٨٣، والإتقان: ٤/٨٦، ومفحمات الأقران: ٢٤.

(١٠) هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص الخليفة الثالث رضي الله عنه، توفي رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين من الهجرة ودفن بالبقيع. انظر: الإصابة: ٢/٤٦٢، والمعارف: ١٦٤.

تميم[1].

﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] عنوا عبد ابن الحضرمي[2]، واسمه: يحنس[3]، وقيل: عبدين له: يسار وجبر. وقيل: عنوا قيناً[4] بمكة اسمه بلعام، وقيل[5]: سلمان الفارسي[6].

﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ﴾[7] [الكهف: ٩] تمليخا وهو رئيسهم، والقائل: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف: ١٦]، والقائل: ﴿رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ [الكهف: ١٩] وتكسلمينا، وهو القائل: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ﴾ [الكهف: ١٩]، ومرطوش وبراشق، وأيونس، وأريسطانس وشلططيوس[8].

﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ﴾ [الكهف: ١٩] هو تمليخا[9].

﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] هو عيينة[10] بن حصن[11].

---

(١) قاله السهيلي في التعريف والإعلام: ٩٥. وانظر: مفحمات الأقران: ٢٦، والإتقان: ٤/ ٨٦. قلت: والقول الذي تطمئن به النفس ما قاله ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٥٨٢: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده، وهذا هو الأرجح.

(٢) قاله مجاهد وقتادة كما صرح بذلك السيوطي في مفحمات الأقران: ٢٦.

(٣) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٤/ ٨٦: «مقيس» وما أثبته من مفحمات الأقران: ٢٦.

(٤) في (ح): «عبداً».

(٥) القول: أنه سلمان الفارسي ضعيف؛ لأن هذه الآية مكية وسلمان إنما أسلم بالمدينة. انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٨٦، ومفحمات الأقران: ٤/ ٨٦.

(٦) هو: سلمان أبو عبد الله الفارسي يقال له: سلمان ابن الإسلام، أصله من مجوس أصبهان، عمّر دهراً طويلاً، توفي بالمدينة سنة ست وثلاثين، وقيل: ثلاث أو اثنين وثلاثين وهو أصح.

انظر: الاستيعاب: ٢/ ٥٦، والإصابة: ٢/ ٦٢، والمعارف: ٢٧١.

(٧) الكهف: هو الغار الواسع في الجبل. انظر: فتح القدير: ٣/ ٢٧٢.

(٨) وذكر السهيلي أسماء أصحاب الكهف في التعريف والإعلام: ١٠٠. وانظر: مفحمات القرآن: ٢٦.

(٩) قاله ابن إسحاق. انظر: الإتقان: ٤/ ٨٧، ومفحمات الأقران: ٢٦.

(١٠) هو: عيينة بن حصن بن حذيفة أبو مالك الصحابي الجليل أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنيناً والطائف، عاش إلى خلافة عثمان. انظر: الإصابة: ٣/ ٥٤، وأسد الغابة: ٤/ ١٦٧.

(١١) انظر: التعريف والإعلام: ١٠١، وأسباب النزول للواحدي: ٢٢٤، والمطالب العالية: ٣/ ٣٣١.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢] هما تمليخاً ـ وهو الخير ـ وفطروس[1] وهما المذكوران في سورة (الصافات)[2].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠] هو يوشع بن نون[3]، وقيل: أخوه يثربي[4].

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ [الكهف: ٦٥] هو الخضر[5] واسمه: بليا[6].

﴿لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ [الكهف: ٧٤] اسمه جيسور ـ بالجيم ـ، وقيل: بالحاء[7].

﴿وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩][8] هو هدد بن بدد[9].

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠] اسم الأب كازدي

---

(١) انظر: التعريف والإعلام: ١٠٢، وزاد المسير: ٥/ ١٣٩.

(٢) في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾. وقيل: هما أخوان من بني إسرائيل وقيل غير ذلك.

قلت: والأولى بنا أن نعتبر من هذا المثل الذي ضربه الله تعالى لمن يفتخر بالدنيا ويستنكف عن مجالسة الفقراء بدون تعيين أسمائهما لعدم الفائدة.

انظر: الإتقان: ٤/ ٨٧، وفتح القدير: ٣/ ٢٨٥.

(٣) قال ابن عباس وغيره: هو يوشع بن نون. أخرجه ابن أبي حاتم.

انظر: التعريف والإعلام: ١٠٣، ومفحمات الأقران: ٢٦.

ورواية ابن عباس هذه جاءت مرفوعة في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ...﴾ [الكهف: ٦٠]: ٥/ ٢٣٠.

(٤) حكاه الكرماني نقلاً عن مفحمات الأقران: ٢٦.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ...﴾: ٥/ ٢٣٠، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر: ٧/ ١٠٣.

(٦) هو: الخضر اسمه بليا بن فالغ بن عابر بن شالح بن سام بن نوح أبو العباس، ولقبه الخضر؛ لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من تحته خضراء. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٧٦، وتفسر ابن كثير: ٤/ ٤١٦.

(٧) كما في فتح الباري، كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ...﴾: ٨/ ٤٢٠.

وانظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٠٣، ومفحمات الأقران: ٢٦، والإتقان: ٤/ ٨٧.

(٨) «وراءهم» قال المفسرون: يعني أمامهم. انظر: فتح القدير: ٣/ ٣٠٤.

(٩) كما في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب فلما جاوزا قال لفتاه: ٥/ ٢٣٢. وانظر: فتح الباري: ٨/ ٤٢٠، ومفحمات الأقران: ٢٦، والإتقان: ٤/ ٨٧.

والأم سهوى[1].

﴿لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ﴾ [الكهف: ٨٢] هما، أصرم وصريم[2].

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ [مريم: ٢٤] قيل: عيسى[3]، وقيل: جبريل عليه السلام[4].

﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [مريم: ٦٦] هو أبي[5] بن خلف[6]، وقيل: أمية بن خلف، وقيل: الوليد بن المغيرة.

﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [مريم: ٧٧] هو العاصي بن وائل[7].

﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا﴾ هو القبطي واسمه فاقون[8].

﴿ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥] اسمه موسى بن ظفر[9].

﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] هو جبريل عليه السلام[10].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ [الحج: ٣] هو النضر[11] بن الحارث[12].

---

(١) وفي فتح الباري، كتاب التفسير، باب ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا ...﴾: ٨/ ٣٢٠. وانظر: التعريف والإعلام: ١٠٥.

(٢) انظر: التعريف والإعلام: ١٠٥، ومفحمات الأقران: ٢٦، والإتقان: ٤/ ٨٧.

(٣) قاله مجاهد والحسن. انظر: تفسير ابن جرير: ١٦/ ٥٢، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٤٤٩، ومفحمات الأقران: ٢٧، والإتقان: ٤/ ٨٧.

(٤) وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك. انظر: تفسير ابن جرير: ١٦/ ٥٢، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٤٤٩، ومفحمات الأقران: ٢٧، والإتقان: ٤/ ٨٧.

(٥) أُبي بن خلف: كان على شر ما عليه أحد من أذى رسول الله ﷺ وتكذيبه. انظر: الكامل: ٢/ ٧٢.

(٦) حكاه الواحدي في أسباب النزول: ٢٢٧، وانظر: سيرة ابن هشام: ١/ ٢٦١.

(٧) كما أخرجه البخاري في صحيحه عن خباب بن الأرت، كتاب التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا ...﴾: ٨/ ٣٢٦.

(٨) انظر: مفحمات الأقران: ٢٧، والإتقان: ٤/ ٨٧.

(٩) انظر: التعريف والإعلام: ١١٢، ومفحمات الأقران: ٢٧، والإتقان: ٤/ ٨٧.

(١٠) كما أخرجه ابن أبي حاتم عن علي، وابن عباس ومجاهد. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٣٥، ومفحمات الأقران: ٢٧.

(١١) هو: النضر بن الحارث بن علقمة القرشي الكافر شديد الأذى للإسلام والمسلمين، قتل يوم بدرٍ كافراً على يد علي بن أبي طالب بأمر الرسول ﷺ. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٢٦، والكامل: ٢/ ٧٣.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٦١٣، ومفحمات الأقران: ٢٧.

﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ [الحج: ١٩] أخرج الشيخان[١] عن أبي ذر[٢] قال: نزلت هذه الآية في حمزة[٣] وعبيدة بن الحارث[٤] وعلي بن أبي طالب وعتبة[٥] وشيبة[٦] والوليد بن عتبة [لما تبارزوا يوم بدر وتلاقوا، والتثنية إشارة إلى الجمعين][٧].

﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾ [الحج: ٢٥][٨] قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله[٩] بن أنيس[١٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ [النور: ١١] هم حسان بن ثابت[١١]، ومسطح بن

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾: ٥/ ٢٤٢، وصحيح مسلم، كتاب التفسير باب في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾: ٨/ ٢٤٦.

(٢) هو: جندب بن السكن، وقيل غير ذلك أبو ذر الغفاري، أسلم بمكة، توفي رضي الله عنه سنة اثنين وثلاثين هجرية (٣٢هـ). انظر: المعارف: ٢٥٢.

(٣) هو: حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، استشهد يوم أُحد السنة الثالثة من الهجرة. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٦٨.

(٤) هو: عبيدة بن الحارث بن المطلب القرشي المطلبي أبو الحارث، أسلم قديماً، جرح عبيدة ببدر فمات بعد بالصفراء يوم بدر. انظر: الإصابة: ١/ ٤٤٩، وأسد الغابة: ٣/ ٣٥٦.

(٥) هو: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها، كان ذا رأي وحلم، وكان سبباً في إنهاء حرب الفجار، وكان أول المبارزين في بدر فقتله علي وحمزة ومات كافراً. انظر: البداية والنهاية ٣/ ٢٧٠، والأعلام: ٤/ ٢٠٠.

(٦) هو: شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من زعماء قريش في الجاهلية وحضر وقعة بدر، وهو الذي بارز حمزة بن عبد المطلب، وقتل يوم بدر كافراً. انظر: الكامل: ٢/ ١٢٥، والأعلام: ٣/ ٢٦٤.

(٧) ما بين اللمعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٨٧.

(٨) بإلحاد: بأمر فظيع من المعاصي الكبار.

(٩) هو: عبد الله بن أنيس بن أسعد أبو يحيى الصحابي الأنصاري، شهد العقبة في السبعين من الأنصار، توفي سنة أربع وسبعين. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ٢٦٠، والمعارف: ٢٨٠.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٦٣٠، وفتح القدير: ٣/ ٤٤٩، ومفحمات الأقران: ٢٧.

(١١) هو: حسان بن ثابت بن المنذر، أبو عبد الرحمن الصحابي الأنصاري شاعر رسول الله عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام، وتوفي بالمدينة سنة أربع وخمسين هجرية. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٥٦.

أثاثة[١]، وحمنة بنت جحش[٢] وعبد الله بن أبي[٣] وهو الذي تولى كبره[٤].

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ[٥] ٱلظَّالِمُ﴾ [الفرقان: ٢٧] عقبة[٦] بن أبي معيط[٧].

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ [الفرقان: ٢٧] هو أمية بن خلف، وقيل: أبي بن خلف[٨].

﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥][٩] قال الشعبي: هو أبو جهل[١٠].

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: ٢٣] هي بلقيس بنت شراحيل[١١].

---

(١) هو: مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف أبو عباد، شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها، وهو الذي قذف عائشة. انظر: المعارف: ٣٢٨.

(٢) هي: حمنة بنت جحش الأسدية أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش. انظر: الإصابة: ٤/ ٥٧٥.

(٣) في (ح): تقديم قوله: «الذي تولى كبره» على «عبد الله بن أُبيّ».

(٤) كما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك: ٥/ ٥٥، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف: ٨/ ١١٢.

(٥) العض: أزم بالأسنان وذلك عبارة عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك. قاله الراغب في المفردات مادة: (عض): ٣٣٧. وانظر: تفسير ابن كثير ٥/ ١٤٩.

(٦) هو: عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية القرشي الكافر، كان شديد الأذى للمسلمين عامة وللرسول ﷺ خاصة. انظر: البداية والنهاية: ٣/ ٤٤، ٤٦، والتهذيب للنووي: ١/ ٣٣٧.

(٧) أخرجه ابن حاتم. انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ١٤٩، ومفحمات الأقران: ٢٨، والإتقان: ٤/ ٨. وقال ابن كثير تعليقاً على هذا القول: سواء كان سبب نزول هذه الآية في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء فإنها عامة في كل ظالم.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ١٩/ ٦، ومفحمات الأقران: ٢٨، والإتقان: ٤/ ٨٨.

قال ابن كثير تعليقاً على القول في المراد بـ«فلان»: يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاة الضلالة، وسواء في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف أو غيرهما. تفسير ابن كثير: ٥/ ١٤٩.

(٩) الظهير: المظاهر أي المعاون على ربه بالشرك والعداوة؛ لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله. تفسير الشوكاني: ٤/ ٨٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم عن الشعبي. انظر: مفحمات الأقران: ٢٨، وتفسير الشوكاني: ٤/ ٨٧.

(١١) انظر: تاريخ الطبري: ١/ ٤٨٩، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٦٠، ومفحمات الأقران: ٢٩، والإتقان: ٤/ ٨٨.

[﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٦] اسم الجائي[١]: منذر[٢]].

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [النمل: ٢٩] اسمه كوزن[٣].

﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل: ٤] هو آصف[٤] بن برخيا كاتبه ـ رضي الله تعالى عنه ـ[٥]. وقيل: رجل يقال له: ذو النور[٦]. وقيل: أسطوم[٧]. وقيل: مليخا[٨]. وقيل: ضبة أبو القبيلة[٩]، وقيل: جبريل عليه السلام، وقيل: مَلَكٌ آخر، وقيل: الخضر[١٠] عليه السلام.

﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ هم: رعمى، ورعيم، وهرمي، ودأب، وصواب، ورآب، ومسطع، وقدار بن سالف عاقر الناقة[١١].

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٨][١٢] اسم الملتقط طابوت[١٣].

﴿ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٩] [هي][١٤]..............................

---

(١) اسم الجائي: منذر: ذكره الكرماني في عجائبه كما صرّح بذلك السيوطي في مفحمات الأقران: ٢٩.

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن شعيب الجبائي، ويزيد بن رومان. انظر: الدر المنثور: ٥/١٠٨، ومفحمات الأقران: ٢٩.

(٤) هو: آصف بن برخيا بن مشيعا بن منكيل، وكان كاتب سليمان عليه السلام.

انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٣/ ١٤٦٢، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٦٤، وتفسير القرطبي: ١٣/ ٢٠٤، وزاد المسير: ٦/ ١٧٤.

(٥) قاله ابن عباس وقتادة. انظر: تفسير ابن جرير: ١٩/ ١٠٣، وزاد المسير: ٦/ ١٧٤.

(٦) قاله زهير بن محمد. انظر: زاد المسير: ٦/ ١٧٤، ومفحمات الأقران: ٢٩.

(٧) وهو قول مجاهد. انظر: المصدر السابق.

(٨) حكاه الكرماني في العجائب. انظر: مفحمات الأقران: ٢٩.

(٩) حكاه الكرماني في العجائب. انظر: مفحمات الأقران: ٢٩.

(١٠) قاله ابن لهيعة. انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٦٤، وزاد المسير: ٤/ ١٧٥، ومفحمات الأقران: ٢٩. وقال ابن كثير عن هذا القول: وهو غريب جداً.

(١١) انظر: تفسير ابن جرير: ١٩/ ٢٢٦، والبحر المحيط: ٧/ ٨٣. وانظر: مفحمات الأقران: ٢٩، والإتقان: ٤/ ٨٨.

(١٢) قال ابن الجوزي: الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب. زاد المسير: ٦/ ٢٠٣، وانظر: تفسير الخازن: ٥/ ١٣٣.

(١٣) انظر: مفحمات الأقران: ٣٠، والإتقان: ٤/ ٨٩.

(١٤) ساقطة من الإتقان: ٤/ ٨٨.

آسية بنت مزاحم[1].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ١٠] هي يوحاند بنت يصهر بن لاوي[2]، وقيل: ياخوا، وقيل: أبا ذخت.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ [القصص: ١١] اسمها مريم، وقيل: كلثوم[3].

﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص: ١٥] هو السامري[4] ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] اسمه فاتون[5].

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠] هو مؤمن آل فرعون واسمه شمعان[6]، وقيل: شمعون، وقيل: جبر[7]، وقيل: حبيب، وقيل: حزقيل[8].

﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾[9] [القصص: ٢٣] وصفوريا[10] وهي التي نكحها[11]، وأبوها شعيب، وقيل: يثرون ابن أخي شعيب[12].

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ [لقمان: ١٣] اسمه باران[13] بالموحدة وقيل: داران،

---

(١) انظر: التعريف والإعلام: ١٣٠، وزاد المسير: ٦/٢٠٣، ومفحمات الأقران: ٣٠، والإتقان: ٤/٨٨.

(٢) قاله البغوي. تفسير البغوي في هامش تفسير الخازن: ٥/١٣٤. وانظر: تفسير الخازن: ٥/١٣٤، ومفحمات الأقران: ٣٠، والإتقان: ٤/٨٩.

(٣) انظر: مفحمات الأقران: ٣٠، والإتقان: ٤/٨٩.

(٤) حكاه الزمخشري في الكشاف: ٣/١٦٠.

(٥) حكاه الزمخشري في الكشاف: ٣/١٦٠.

(٦) وفي التعريف والإعلام: ١٣١: لا يعرف شمعان بالسين المعجمة إلا مؤمن من آل فرعون.

وفي تاج العروس: ٥/٤٠٣ مادة: (شمع) نقلاً عن شعيب الجبائي: «شمعان».

(٧) وفي تفسير ابن جرير: ٢٠/٤٠ أن اسمه: جبر.

(٨) انظر: مفحمات الأقران: ٣٠.

(٩) الذود: معناه الدفع والحبس، والمعنى: تحبسان أغنمهما من الماء حتى يفرغ الناس ويخلو بينهما وبين الماء.

انظر: تفسير ابن جرير: ٢٠/٥٥، وتفسير الشوكان: ٤/١٦٥.

(١٠) كذا في الأصول، وفي تفسير ابن جرير: ٢٠/٥٥.

(١١) انظر: التعريف والإعلام: ١٣٢.

(١٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٠/٥٥، والتعريف والإعلام: ١٣١، ومفحمات الأقران: ٣٠، والإتقان: ٤/٨٩.

(١٣) وفي التعريف والإعلام: ١٣٤: «ثاران» بالثاء.

وقيل: أنعم، وقيل: مشكم[1].

[﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] اشتهر على الألسنة أن اسمه عزرائيل. رواه أبو الشيخ[2] عن وهب][3].

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨] نزلت في علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه ـ والوليد بن عقبة[4].

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [الأحزاب: ١٣] قال السدي[5]: هما رجلان من بني حارثة: أبو عرابة بن أوس وأوس بن، قيظي.

﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] قال عكرمة: كانت تحته يومئذ تسع نسوة: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وصفية، وميمونة وزينب بنت جحش، وجويرية، وسودة [بنت زمعة][6] وأم سلمة[7].

[وبناته: فاطمة، وزينب[8]، ورقية[9]، ....

---

(١) ذكرهما البغوي في تفسيره في هامش تفسير الخازن: ٥/١٧٩، وانظر: مفحمات الأقران: ٣١.

(٢) انظر: تفسير البغوي في هامش تفسير الخازن: ٥/١٨٤، وتفسير الخازن: ٥/١٨٤، ومفحمات الأقران: ٣١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/٨٩.

(٤) انظر: التعريف والإعلام: ١٣٥، وتفسر ابن جرير: ٢١/١٠٧، وأسباب النزول للواحدي: ٢٣٦، ومفحمات الأقران: ٣١، والإتقان: ٤/٨٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: مفحمات الأقران: ٣١، والإتقان: ٤/٨٩.

السدي هو: إسماعيل بن عبد الرحمٰن السدي التابعي، حجازي الأصل، توفي سنة ثمان وعشرين بعد المائة للهجرة.

انظر: اللباب: ١/٥٧٣، والنجوم الزاهرة: ١/٣٠٨.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/٨٩.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٢١/١٥٧، وسيرة ابن هشام: ٢/٦٤٣، ومفحمات الأقران: ٣٢، والإتقان: ٤/٨٩.

(٨) هي: زينب بنت رسول الله ﷺ وهي أكبر بناته على الأصح وأمها خديجة بنت خويلد، ولدت سنة ثلاثين من مولده، وتوفيت سنة ثمان من الهجرة. انظر: سمط النجوم: ١/٤١٣.

(٩) هي: رقية بنت رسول الله ﷺ ولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده ﷺ أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد، توفيت سنة اثنين من الهجرة. انظر: سمط النجوم: ١/٤٢٠.

وأم كلثوم][1][2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. قال ﷺ: «هم علي وفاطمة والحسن والحسين»[3].

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٧] هو زيد[4] بن حارثة[5]، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٢٧] هي زينب بنت جحش[6].

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ هو آدم عليه السلام[7].

[﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤]][8] هما شمعون ويوحنا[9]. ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[10] [يس: ١٤] هو بولس، وقيل: هم صادق وصدوق وشلوم[11].

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ [يس: ٢٠][12] هو حبيب النجار[13].

---

(١) أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، لما توفيت رقية تزوّجها عثمان بن عفان في سنة ثلاث من الهجرة، توفيت سنة تسع من الهجرة. انظر: سمط النجوم: ١/٤٢١.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من مفحمات الأقران: ٣٢. انظر: التعريف والأعلام: ١٣٨.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير: ٥/٣٥١، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٢/٢٠٨.

(٤) هو: زيد بن حارثة بن شراحيل وكان يقال له: زيد بن محمد حتى أنزل الله سبحانه: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٥].
انظر: التعريف والإعلام: ١٣٩، والإصابة: ١/٥٦٣.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٢/٩، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٤٩٠، والتعريف والإعلام: ١٣٩.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٩٠، ومفحمات الأقران: ٣٢.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٢/٣٨، ومفحمات الأقران: ٣٢، والإتقان: ٤/ ٩٠.

(٨) الآية ساقطة من الإتقان: ٤/ ٩٠.

(٩) انظر: تفسير الخازن: ٦/ ٥، ومفحمات الأقران: ٣٤، والإتقان: ٤/ ٩.

(١٠) فعزّزنا أي قوّينا وشددنا. انظر: زاد المسير: ٧/ ١١.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم عن كعب ووهب. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٢/١٠٢، والتعريف والإعلام: ١٤٣، ومفحمات الأقران: ٣٤، والإتقان: ٤/ ٩٠.

(١٢) هو: حبيب بن مري النجار، كان به داء الجذام فدعا له الحواري فشفي، ولذلك قال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس: ٢٣]. انظر: التعريف والإعلام: ١٤٤، وتفسير الخازن: ٦/ ٥.

(١٣) وهو قول ابن عباس، وقتادة، وكعب ووهب. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٢/١٠٢، والتعريف والإعلام: ١٤٤، ومفحمات الأقران: ٣٤، والإتقان: ٤/ ٩.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [يس: ٧٧] هو العاصي بن وائل[١]، وقيل: أبي بن خلف[٢]، [وقيل: أمية بن خلف][٣][٤].

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] هو إسماعيل أو إسحاق قولان شهيران.

[﴿نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١] هما ملكان. قيل: إنهما جبريل وميكائيل[٥].

﴿جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤] هو شيطان يقال له أسيد[٦]، وقيل: صخر[٧]، وقيل: حبقيق[٨].

﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [ص: ٤١] قال نوف[٩]: الشيطان الذي مسه يقال له: مسعط[١٠].

---

(١) كما أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٤٢٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره: ٢٣/ ٣٠.

(٢) قاله مجاهد، وعكرمة، وعروة، والسدي، كما في مفحمات الأقران: ٣٤، وانظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٦٣٢.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) حكاه ابن عسكر كما في مفحمات الأقران: ٣٤. وانظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٦٣٢. وقال ابن كثير تعليقاً عل هذه الأقوال: وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أُبيّ بن خلف، أو العاصي بن وائل أو أمية بن خلف أو فيهم، فهي عامة في كل من أنكر البعث.

(٥) انظر: التعريف والإعلام: ١٤٩، ومفحمات الأقران: ٣٥.

قلت: إن الخصمان على الحقيقة من بني آدم ويأتي بيانه في قصة نبي الله داود عليه السلام النوع (١٣٦)، فليرجع إليها صفحة (٢٤٩) فما بعدها.

(٦) وهو قول قتادة كما في مفحمات الأقران: ٣٥.

(٧) وهو قول ابن عباس؛ كما في مفحمات الأقران: ٣٥. انظر: التعريف والإعلام: ١٥٠، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٥٩.

(٨) وهو قول السدي، كما في مفحمات الأقران: ٣٥. وانظر: التعريف والإعلام: ١٥٠، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٥٩.

قلت: هذا رأي خاطئ والصواب أنه ابن لسليمان عليه السلام. انظر: البخاري، كتاب الجهاد، باب من طلب الولد للجهاد ٣/ ٢٠٨، وكتاب النكاح، باب قول الرجل لأطوقن الليلة على ـ نسائه ـ: ٦/ ١٦٠، والإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٢٢٩، ٢٧٥، ٥٠٦.

(٩) هو: نوف بن فضالة الحميري البكالي أبو يزيد ابن امرأة كعب الأحبار، تابعي من أهل دمشق، توفي ما بين التسعين إلى المائة. انظر: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٤٩٠.

(١٠) انظر: مفحمات الأقران: ٣٥، والإتقان: ٤/ ٩١.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣] محمد[١]، وقيل: جبريل[٢].

﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣] محمد ﷺ[٣] وقيل: أبو بكر[٤].

﴿الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ [فصلت: ٢٩] إبليس وقابيل[٥].

﴿رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣١] عنوا الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود[٦] بن عمرو الثقفي[٧]، وقيل: عروة بن مسعود من الطائف[٨].

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ٥٧] الضارب له عبد الله[٩] بن الزبعري[١٠].

﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: ٤٤][١١] قال ابن جرير: هو أبو جهل[١٢].

---

(١) وهو قول قتادة. انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٩٣، ومفحمات الأقران: ٣٥.

(٢) وهو قول السدي. انظر: المصدر السابق.

(٣) حكاه السهيلي في التعريف والإعلام: ١٥١.

(٤) وأميل إلى ما ذهب إليه مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قال أصحاب القرآن: المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون: هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا. تفسير ابن كثير: ٦/ ٩٣، وانظر: التعريف والإعلام: ١٥٠، ١٥١.

(٥) فإبليس يدعو به كل صاحب شرك، وقابيل يدعو به كل صاحب كبيرة. فإبليس الداع إلى كل شر من شرك فما دونه، وابن آدم الأول كما ثبت في الحديث: «ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل». تفسير ابن كثير: ٦/ ١٧٣. وانظر: تفسير ابن جرير: ٢٤/ ٧٥.

(٦) هو: مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي، وهو المراد برجل من ثقيف في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾. انظر: الإصابة: ٣/ ٤١٢.

(٧) وهو قول ابن عباس كما في مفحمات الأقران: ٣٦. وانظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٢٥.

(٨) وهو قول قتادة. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٥/ ٤٠، والتعريف والإعلام: ١٥٢، ومفحمات الأقران: ٣٦. وانظر: ابن كثير في تفسيره: ٦/ ٢٢٥.

(٩) هو: عبد الله بن الزِّبعرى ـ بكسر الزاي ـ ابن قيس السهمي الشاعر المشهور الصحابي الجليل، كان من أشد الناس على رسول الله ﷺ قبل إسلامه، وأسلم بعد الفتح وحسن إسلامه، واعتذر عن زلاته حين أتى النبي ﷺ. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ٢٦٦، والأعلام: ٤/ ٨٧.

(١٠) انظر: سيرة ابن هشام: ١/ ٣٥٩، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٢٣٢، ومفحمات الأقران: ٣٦، والإتقان: ٤/ ٩١.

(١١) الأثيم: ذو إثم، والإثم: من أثم يأثم فهو أثيم، والمراد بالإثم هنا الكفر دون غيره من الآثام، فالأثيم: الكافر. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٥/ ١٣٠، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٢٥٩.

(١٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٥/ ١٣٠، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٢٥٩، ومفحمات =

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأحقاف: ١٠] هو عبد الله بن سلام[١].

﴿أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أصح الأقوال أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ[٢].

﴿يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾ [ق: ٤١] هو إسرافيل[٣][٤].

﴿ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] قال عثمان بن محصن: كانوا أربعة من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، [وعزرائيل][٥][٦].

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] قال الكرماني: أجمع المفسرون على أنه إسحاق[٧].

﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] جبريل[٨].

﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ [النجم: ٣٣] هو العاصي بن وائل، وقيل: الوليد بن المغيرة[٩].

= القرآن: ٣٦، والإتقان: ٤/ ٩١. وعلق ابن كثير على هذا، حيث يقول: وذكر غير واحد أنه أبو جهل، ولا شك في دخوله في هذه الآية، ولكن ليست خاصة به.

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٦/ ٩، وتفسير ابن جرير: ٦/ ٢٧٨. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ١٠٥، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٧، ومفحمات الأقران: ٣٧، والإتقان: ٤/ ٩١.

(٣) هو: أحد حملة العرش، وهو الذي ينفخ بالصور النفخات الثلاث بأمر الله نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث. انظر: البداية والنهاية: ١/ ٤٥.

(٤) انظر: التعريف والإعلام: ١٦١، وروح المعاني: ٢٦/ ١٩٤، ومفحمات الأقران: ٣٨.

(٥) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٤/ ٩١: «رفائيل»، وما أثبته من مفحمات الأقران: ٣٧.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤/ ١٢٧، ومفحمات الأقران: ٣٧، والإتقان: ٤/ ٩١.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٦/ ٢٠٨، ومفحمات الأقران: ٣٨، والإتقان: ٤/ ٩١.

وهذا القول هو الصحيح؛ لأن البشارة كانت بالولد من سارة، أما القول بأنه إسماعيل فهو غير موافق للسياق فإن إسماعيل لهاجر، لا لسارة.

(٨) قاله الربيع والسدي. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٧/ ٢٦، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٤٤٣، ومفحمات الأقران: ٣٧.

(٩) وقيل غير ذلك، والأشهر والأنسب أنه نزل في الوليد بن المغيرة لما بعده من قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ إلى آخره. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٧/ ٧٠، وأسباب النزول للواحدي: ٢٦٧، وروح المعاني: ٢٧/ ٦٥.

﴿يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] هو إسرافيل(١).
﴿قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ [المجادلة: ١] هي خولة بنت ثعلبة(٢).
﴿فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: ١] هو أوس(٣) بن الصامت(٤).
﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم: ١] هي سُرِّيته مارية(٥)(٦).
﴿أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ [التحريم: ٣] هي حفصة(٧).
﴿نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾ [التحريم: ٣](٨) أخبرت عائشة(٩).
﴿إِن تَتُوبَآ﴾ [التحريم: ٤] ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾ [التحريم: ٤] هما: عائشة وحفصة(١٠).
﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [التحريم: ٤] هما أبو بكر وعمر، أخرجه الطبراني في الأوسط(١١).

---

(١) انظر: روح المعاني: ٢٧/ ٧٩، ومفحمات الأقران: ٣٧.
(٢) هي: خولة بنت ثعلبة، وقيل: بنت مالك بن ثعلبة، وقيل: بنت خويلد، أنصارية امرأة أوس بن الصامت راوية كفارة الظهار، وهي المجادلة. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ٣٤٢.
(٣) هو: أوس بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري الصحابي، شهد بدراً والمشاهد كلها، وهو الذي ظاهر من امرأته، سكن بيت المقدس، وقيل: الرملة، وتوفي بالرملة سنة اثنتين وثلاثين هجرية. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٣٠، والأعلام: ٣/ ٢٥٨.
(٤) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٨/ ٦، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٥٧٢، والتعريف والإعلام: ١٦٤.
(٥) هي: مارية القبطية مولاة رسول الله ﷺ وسريته، وهي أم ولده إبراهيم ابن النبي ﷺ، توفيت سنة ست عشرة في خلافة عمر وكان يحشر الناس لشهود جنازتها ودفنت بالبقيع.
انظر: أسد الغابة: ٥/ ٥٤٣، والإصابة: ٤/ ٤٠٤.
(٦) وقيل: إن هذه الآية نزلت في قصة العسل الذي يشربه الرسول ﷺ في بيت بعض أزواجه، فحرمه لإرضاء بعض أزواجه.
انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٥٠، وفتح الباري: ٨/ ٦٥٧، وتفسير الشوكاني: ٥/ ٢٤٥.
(٧) انظر: التعريف والإعلام: ١٧٣، ومفحمات الأقران: ٣٧.
(٨) نبأت به: أي أخبرت به غيرها. انظر: فتح القدير: ٥/ ٢٤٣.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٥٢، وفتح القدير: ٥/ ٢٤٣.
(١٠) كما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ...﴾: ٦/ ٦٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه فقال تلك: حفصة وعائشة...
وانظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٥٣، وفتح القدير: ٥/ ٢٤٣.
(١١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ١٢٧، ولم ينص فيه على أنه في «الأوسط» =

﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ [التحريم: ١٠] والِعة ﴿وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم: ١٠] والهة، وقيل: واعلة[١].

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ [القلم: ١٠] نزلت في الأسود بن عبد يغوث، وقيل: الأخنس بن شريق، وقيل: الوليد بن المغيرة[٢].

﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ [المعارج: ١] هو النضر بن الحارث[٣].

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨] اسم أبيه لمك بن متوشلح، واسم أمه شمخا بنت أنوش[٤].

﴿سَفِيهُنَا﴾ [الجن: ٤] هو إبليس[٥].

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١][٦] هو الوليد بن المغيرة[٧].

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] الآيات نزلت في أبي جهل[٨].

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] هو آدم[٩].

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠] قيل: هو إبليس[١٠].

= وفي سنده عبد الرحيم بن زيد العمي، وهو متروك. كما قاله الهيثمي.

وانظر: التعرف والإعلام: ١٧٣، ثم قال السهيلي تعليقاً على هذا القول: ولفظ الآية عام فالأولى حمله عل العموم.

(١) انظر: البداية والنهاية: ١/ ١٨١، ومفحمات الأقران: ٣٧، والإتقان: ٤/ ٩٤.

(٢) انظر: فتح القدير: ٥/ ٢٦٣، ومفحمات الأقران: ٣٧.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ١١٠، وفتح القدير: ٥/ ٢٨٣.

(٤) انظر: مفحمات الأقران: ٣٧.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٩/ ٦٧، وتفسير ابن كثير: ٧/ ١٣١.

(٦) ذرني: أي دعني، وهي كلمة تهديد ووعيد. انظر: فتح القدير: ٥/ ٣١٦.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٩/ ١٥٢، والتعريف والإعلام: ١٧٩، وفتح القدير: ٥/ ٣١٦.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٩/ ١٩٩، وتفسير ابن كثير: ٧/ ١٧٥، ومفحمات الأقران: ٣٧.

(٩) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٩/ ٢٠٢، ومفحمات الأقران: ٣٧.

(١٠) انظر: روح المعاني: ٣٠/ ٢٢، ومفحمات الأقران: ٣٧.

قلت: المراد هنا كل كافر، ولا شك أن إبليس ـ لعنه الله عليه ـ دخل فيها دخولاً أولياً.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ [عبس: ٢] هو عبد الله[1] بن أم مكتوم[2].

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ [عبس: ٥] هو أمية بن خلف، وقيل: هو عتبة بن ربيعة[3].

﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير: ١٩] قيل: جبريل[4]، وقيل: محمد ﷺ[5].

«وأما الإنسان إذا ما ابتلاه...» الآيات [الفجر: ١٥]، نزلت في أمية بن خلف[6].

﴿وَوَالِدٖ﴾ [البلد: ٣] هو آدم[7].

﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] هو صالح[8].

﴿ٱلۡأَشۡقَى﴾ [الليل: ١٥] هو أمية بن خلف][9][10].

﴿ٱلۡأَتۡقَى﴾ [الليل: ١٧] هو أبو بكر الصديق[11].

---

(١) هو: عبد الله، وقيل: عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم، ونسب إلى أمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله من بني محزوم بن يقظة، الصحابي الجليل، توفي بالمدينة قبل وفاة عمر بن الخطاب سنة ثلاث وعشرين للهجرة. انظر: طبقات ابن سعد: ٤/ ١٥٣، والتعريف والإعلام: ١٧٩.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٣٠/ ٣٤، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٢١١.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ٣٠/ ٣٤، وفتح القدير: ٥/ ٣٧٥.

(٤) قاله الضحاك، والربيع، والسدي، وغيرهم. انظر: تفسير ابن جرير: ٣٠/ ٥١، وفتح القدير: ٥/ ٣٧٩. وهذا هو الصواب لما بعده ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾، كقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ﴾ [النجم]، وهو قول السهيلي في التعريف والإعلام: ١٨٠.

(٥) انظر: فتح القدير: ٥/ ٣٧٩.

(٦) وقيل: أبي بن خلف، وقيل: عتبة بن ربيعة، وأبي حذيفة ابن المغيرة.
انظر: التعريف والإعلام: ١٨٣، وفتح القدير: ٥/ ٤٢٦.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٣٠/ ١٢٥، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٢٩٣.

(٨) انظر: التعريف والإعلام: ١٨٤، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٣٠٣.

(٩) ما بين المعقوفين من ص ١٣٧ إلى هنا قوله: «نبا الخصم» ساقط من (ح).

(١٠) انظر: فتح القدير: ٥/ ٤٥٣، ومفحمات الأقران: ٣٧.
قلت: والأولى حمل الأشقى على كل متصف بالشقاء، ويدخل أمية بن خلف دخولاً أولياً.

(١١) انظر: المستدرك للحاكم: ٢/ ٢٢٥، وتفسير ابن جرير: ٣/ ١٤٢، وسيرة ابن هشام: ١/ ٣١٩.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا﴾ [العلق: ٩، ١٠] هو أبو جهل، والعبد هو النبي ﷺ[(١)].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣][(٢)] هو العاصي بن وائل، وقيل: أبو جهل[(٣)]، وقيل: عقبة بن أبي معيط، وقيل: أبو لهب[(٤)] وقيل: كعب بن الأشرف[(٥)].

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤][(٦)] [امرأة أبي لهب][(٧)] واسمها[(٨)] أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية[(٩)] ـ والله أعلم ـ.

القسم الثاني في مبهمات الجموع الذين عرفت أسماء بعضهم:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٨] سمي منهم رافع بن حرملة[(١٠)].

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢] سمي منهم رفاعة بن قيس، وقردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن حرملة، والحجاج بن عمرو،

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ٣٠/ ١٦٣، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٣٢٧.

(٢) الأبتر: المنقطع ذكره، إنهم اعتقدوا إذا مات ذكور الرجل قالوا بتر. تفسير ابن كثير: ٧/ ٣٩٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٣٩٠. ثم قال تعليقاً على هذه الأقوال: وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم.

(٤) هو: عبد العزى بن عبد المطلب، وزوجته أم جميل ـ حمالة الحطب ـ بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب.

انظر: التعريف والإعلام: ١٨٨، وسمط النجوم: ١/ ٣٤٩.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٣٩٠. ثم قال تعليقاً على هذه الأقوال: وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم.

(٦) هذه الآية ساقطة من (ح).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٩٣.

(٨) وفي التعريف والإعلام: ١٨٨ : وامرأته هي: أم جميل بنت حرب بن أمية عمة معاوية واسمها العوراء. انظر: سمط النجوم: ١/ ٣٤٩.

(٩) انظر: التعريف والإعلام: ١٨٨، وفتح القدير: ٥/ ٥١٢.

(١٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٤٠٧، وابن إسحاق وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ١/ ١١٠.

والربيع بن أبي الحقيق، [وكلهم من اليهود][1][2].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا . . .﴾ الآية [البقرة: ١٧٠]، سمي منهم رافع[3]، ومالك[4] بن عوف[5].

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩] سمي منهم معاذ بن جبل[6] وثعلبة[7] بن[8] عثمة[9].

﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣١٥] سمي منهم عمرو[10] بن الجموع[11].

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] سمي منهم عمر ومعاذ وحمزة رضي الله عنهم[12].

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠] سمي منهم عبد الله[13]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٩٣.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٢/ ٣، ومفحمات الأقران: ٦، والإتقان: ٤/ ٩٣.

(٣) هو: رافع بن خارجة.

(٤) هو: مالك بن عوف بن سعد أبو علي، كان رئيس المشركين يوم حنين.
انظر: أسد الغابة: ٤/ ٢٩٠، والإصابة: ٣/ ٣٥٢.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٢/ ٤٧، وسيرة ابن هشام: ١/ ٥٥٢، والدر المنثور: ١/ ١٦٧.

(٦) هو: معاذ بن جبل بن أوس أبو عبد الرحمٰن الخزرجي الصحابي الجليل، شهد بدراً وهو ابن عشرين سنة، توفي سنة ثمان عشرة من الهجرة. انظر: المعارف: ٢٥٤.

(٧) في مفحمات الأقران: ٦: «ثعلبة بن غنمة»، وفي (هـ) و(ح) والإتقان: ٤/ ٩٣: «ثعلبة بن غنم»، وما أثبته من فتح القدير: ١/ ١٨٨.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ٢/ ١٠٨، وزاد المسير: ١/ ١٩٥، وفتح القدير: ١/ ١٨٨.

(٩) انظر: الدر المنثور: ١/ ٢٠٣، ومفحمات الأقران: ٦، والإتقان: ٤/ ٩٣.

(١٠) هو: عمرو بن الجموح ـ بفتح الجيم ـ ابن زيد الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة، واستشهد يوم أُحد، ودفن هو وعبد الله والد جابر في قبر واحد وكانا صهرين. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ٢٥.

(١١) انظر: زاد المسر: ١/ ٢٢٣، وأسباب النزول للواحدي: ٤٠، ومفحمات الأقران: ٧، والإتقان: ٤/ ٩٣.

(١٢) انظر: البحر المحيط: ١/ ١٥٧، وأسباب النزول للواحدي: ٤٨، ومفحمات الأقران: ٧، والإتقان: ٤/ ٩٤.

(١٣) هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة أبو محمد وقيل: أبو رواحة الأنصاري، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة. انظر: تهذيب النووي: ١/ ٢٦٤.

ابن رواحة(١).

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] سمي منهم ثابت بن الدحداح(٢) وعباد بن بشر(٣) وأسيد بن الحضير(٤) [مصغر](٥)(٦).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٢٣] سمي منهم النعمان بن عمرو(٧)، والحارث(٨) بن زيد(٩).

﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] سمي منهم: فطرس ويعقوبس، وبحنس وأندرايس، وفيلس، [وابن ثلما، ومتنا، ويوقاس، ويعقوب بن خلقيا، وبداويس ومانيا وبودس](١٠) ودرنايوطا وسرجس وهو الذي ألقي عليه شبهه(١١).

---

(١) انظر: البحر المحيط: ١/ ١٦١، ومفحمات الأقران: ٧، والإتقان: ٤/ ٩٤.

(٢) هو: ثابت بن الدحداح بن نعيم حليف الأنصار أبو الدحداح، إنه جرح يوم أحد، ثم برأ ومات بعد ذلك على فراشه، وقيل: إنه مات يوم أحد، والأول أشهر.
انظر: الإصابة: ١/ ١٩١، وأسد الغابة: ١/ ٢٢٢.

(٣) هو: عباد بن بشر بن وقش الخزرجي الأنصاري الصحابي، أسلم في المدينة، وشهد المشاهد كلها، وكان الرسول ﷺ يبعثه إلى القبائل لجمع الصدقات واستعمله على حرسه بتبوك، استشهد يوم اليمامة. انظر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٩٠٠، والأعلام: ٤/ ٢٨.

(٤) هو: أسيد بن الحضير بن سماك أبو يحيى الصحابي الأوسي، توفي سنة عشرين من الهجرة بالمدينة ودفن بالبقيع.
انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٦٠٣، والأعلام: ١/ ٣٣٠.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) انظر: تفسير ابن جرير: ٢/ ٢٢٤، والتعريف والإعلام: ٢٨، والبحر المحيط: ١/ ١٦٦، ومفحمات الأقران: ٧، والإتقان: ٤/ ٩٤.

(٧) هو: النعمان بن عمرو بن رفاعة وهو الذي يقال: نعيمان الصحابي، شهد العقبة الثانية في السبعين وبدراً والمشاهد كلها، كان كثير المزاح يضحك النبي ﷺ. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٣٠.

(٨) هو: الحارث بن زيد بن الحارث أبو عداس النمري، شاعر جاهلي، من الرؤساء من بني النمر بن قاسط. انظر: الأعلام: ٢/ ١٥٤.

(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ١٤٥، والتعريف والإعلام: ٣٢، والبحر المحيط: ٢/ ٤١٦، والدر المنثور: ٢/ ١٤.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٩٤.

(١١) انظر: سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٠٨.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟﴾ [آل عمران: ٧٢] هم اثنا عشر من اليهود، سمي منهم: عبد الله بن الصيف، وعدي بن زيد[(١)]، والحارث[(٢)] بن عوف[(٣)].

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٧] قال عكرمة: نزلت في اثني عشر رجلاً، منهم: أبو عامر الراهب، والحارث بن سويد بن الصامت[(٤)]، ووحوح بن الأسلت، زاد ابن عسكر: وطعيمة بن أبيرق[(٥)].

[﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ١٥٤] سمي من القائلين عبد الله بن أبي][(٦)][(٧)].

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] سمي من القائلين عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير[(٨)].

---

(١) هو: عدي بن زيد بن حماد العبادي التميمي، توفي سنة خمس وثلاثين من الهجرة تقريباً.

انظر: خزانة الأدب: ١/ ١٨٤، والنجوم الزاهرة: ١/ ٢٤٩، وجمهرة النسب للكلبي: ٢٤٩.

(٢) هو: الحارث بن عوف بن أبي الحارثة المزني من فرسان الجاهلية. انظر: الإصابة: ١/ ٢٨٦، وأسد الغابة: ١/ ٢٤٢.

وفي الإتقان: ٤/ ٩٣: «الحارث بن عمرو».

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ٣/ ٢٢٠، والتعريف والإعلام: ٣٤، وسيرة ابن هشام: ١/ ٥١٤.

(٤) هو: الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي، كان مسلماً ثم ارتد ولحق بالكفار فنزلت هذه الآية: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ فحملها رجل فقرأها عليه فقال الحارث: والله إنك لصدوق وإن الله أصدق الصادقين. انظر: الإصابة: ١/ ٢٨٠، وأسد الغابة: ١/ ٣٣٢.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٣/ ٢٤٢، والبحر المحيط: ٢/ ٥١٨، ومفحمات الأقران: ٩، والإتقان: ٤/ ٩٤. وقال أبو حيان تعليقاً على هذا القول: وألفاظ الآية تعم كل من ذكر وغيرهم.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٤/ ٩٤. وانظر: مفحمات الأقران: ٩، والإتقان: ٤/ ٩٤.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ٤/ ٩٤، والتعريف والإعلام: ٣٦، ومفحمات الأقران: ٩، والإتقان: ٤/ ٩٤.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧] القائل ذلك عبد الله والد جابر بن عبد الله الأنصاري[١]، والمقول لهم عبد الله بن أبي وأصحابه[٢].

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٧٢] هم سبعون، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير[٣]، وسعد[٤]، وطلحة[٥]، وابن عوف[٦]، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو عبيدة[٧] بن الجراح[٨].

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٢] سمي من القائلين نعيم[٩] بن مسعود الأشجعي[١٠].

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] قال ذلك

---

(١) هو: عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي والد جابر بن عبد الله الصحابي المشهور، معدود في أهل العقبة وبدر، وكان من النقباء استشهد يوم أُحد. انظر: الإصابة: ٢/ ٣٥٠.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٤/ ١١١، ومفحمات الأقران: ١٠، والإتقان: ٤/ ٩٤.

(٣) هو: الزبير بن العوام بن خويلد أبو عبد الله الأسدي القرشي الصحابي، توفي يوم الجمل، قتله ابن جرموز غيلة. انظر: الأعلام: ٣/ ٧٤.

(٤) هو: سعد بن مالك بن أهيب بن كنانة أبو إسحاق رضي الله عنه وهو من المبشرين بالجنة وأحد أصحاب الشورى، توفي سنة خمس وخمسين من الهجرة، وهو آخر العشرة موتاً، ودفن بالبقيع رضي الله عنه. انظر: المعارف: ٢٤١.

(٥) هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كنانة أبو محمد، توفي رضي الله عنه سنة (٣٦هـ). انظر: المعارف: ٢٢٨.

(٦) هو: عبد الرحمن بن عوف بن الحارث ابن كنانة أبو محمد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين ذكروا للشورى، ولد بعد الفيل بعشر سنين، ومات سنة اثنتين وثلاثين هجرية. انظر: المعارف: ٢٣٥.

(٧) هو: أبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح وهو أمين هذه الأمة، توفي سنة ثمان عشرة من الهجرة. انظر: المعارف ٢٤٧.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ٤/ ١١٧، والدر المنثور: ٢/ ١٠٢، ومفحمات الأقران: ١٠، والإتقان: ٤/ ٩٥.

(٩) هو: نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي الصحابي أبو سلمة، توفي في آخر خلافة عثمان. انظر: تهذيب النووي.

(١٠) قاله السهيلي في التعريف والإعلام: ٣٦. وانظر: مفحمات الأقران: ١٠، والإتقان: ٤/ ٩٥.

فنحاص[1]، وقيل[2]: حيي بن أخطب[3]، وقيل[4]: كعب بن الأشرف[5].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] نزلت في النجاشي[6]، وقيل[7]: في عبد الله بن سلام وأصحابه ـ رضي الله تعالى عنهم ـ[8].

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١] قال ابن إسحاق: أولاد آدم لصلبه أربعون في عشرين بطناً، كل بطن ذكر وأنثى، وسمي من بنيه قابيل، وهابيل، وأيادن، وشبويه، وهند، ومرانييس، وفحور، وسند، وبارق، وشيت، وعبد المغيث، وعبد الحارث، وود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر.

ومن بناته: أقليمة، وأشوف، وجزوزة، وعزورا، وأمَة المغيث[9].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [النساء: ٤٤]، قال عكرمة: نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت، وكردم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن أبي رافع[10]، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب[11].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن جرير عن السدي. وقاله السهيلي في التعريف والإعلام: ٣٧. انظر: تفسير ابن جرير: ٤/ ١٢٩.

(٢) قاله قتادة. أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٤/ ١٣٠.

(٣) هو: حيي بن أخطب اليهودي والد أم المؤمنين صفية ﵂، كان من رؤساء اليهود ـ لعنهم الله ـ. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٧٢.

(٤) حكاه ابن عساكر كما في مفحمات الأقران: ١٠.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٤/ ١٢٩، ١٣٠، والتعريف: ٣٧، ومفحمات الأقران: ١٠، والإتقان: ٤/ ٩٥.

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٤/ ١٤٦ رقم (٨٣٧٦) ط. شاكر، وقال الشيخ أحمد شاكر: وهذا الحديث ضعيف. وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٦.

(٧) قاله ابن جريج. أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٤/ ١٤٦. وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٦.

(٨) الترضي ساقط من الإتقان: ٤/ ٩٥.

(٩) أخرجه ابن جرير في تاريخه: ١/ ١٤٥. وانظر: مفحمات الأقران: ١٠، والإتقان: ٤/ ٩٥.

(١٠) هو: رافع بن أبي رافع الطائي، توفي سنة ثلاث وعشرين من الهجرة. انظر: الإصابة: ١/ ٤٩٧، وأسد الغابة: ٢/ ١٥٦.

(١١) انظر: تفسير ابن جرير: ٥/ ٧٤، وزاد المسير: ٢/ ٧٩، ومفحمات الأقران: ١١، والإتقان: ٤/ ٩٥.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ [النساء: ٦٠] نزلت في الجلاس بن الصامت[١]، ومعتب بن قشير، ورافع بن زيد[٢]، وبشر[٣].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧] سمي منهم عبد الرحمن بن عوف[٤].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ [النساء: ٩٠] قال ابن عباس: نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك المدلجي، وفي خزيمة بن عامر بن عبد مناف[٥].

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ [النساء: ٩١] قال السدي: نزلت في جماعة، منهم نعيم بن مسعود الأشجعي[٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] سمّى عكرمة منهم: علي بن أمية بن خلف[٧]، والحارث بن زمعة[٨]، وأبا قيس بن الوليد بن المغيرة[٩]، وأبا العاص بن منبه بن الحجاج[١٠]، وأبا قيس[١١]..............

---

(١) هو: جلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري، كان منافقاً ومن الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في تبوك، واعترف بذنبه، ثم تاب، وحسنت توبته. انظر: الإصابة: ١/ ٢٤١، وأسد الغابة: ١/ ٢٩٢.

(٢) هو: رافع بن زيد بن كرز الأنصاري الأوسي، شهد بدراً، وقتل يوم أُحد. انظر: الإصابة: ١/ ٤٩٦، وأسد الغابة: ٢/ ١٥٢.

(٣) لم أعثر على المرجع إلا مفحمات الأقران: ١٢.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٠٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وانظر: تفسير ابن جرير: ٥/ ١٧٠.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٥/ ١٢٤، والأثر فيه عن عكرمة لا عن ابن عباس كما في مفحمات الأقران: ١٢.

(٦) انظر: فتح القدير: ١/ ٤٩٧، ومفحمات الأقران: ١٢، والإتقان: ٤/ ٩٥.

(٧) هو: علي بن أمية بن خلف، قتل هو وأبوه أمية بن خلف يوم بدر كافرين. انظر: جمهرة النسب للكلبي: ٩٥، وسيرة ابن هشام: ١/ ١٢٦.

(٨) هو: الحارث بن زمعة بن الأسود من بني المطلب بن أسد بن عبد العزى، قتل يوم بدر كافراً. انظر: جمهرة النسب للكلبي: ٧٢، وسيرة ابن هشام: ١/ ١٢٦.

(٩) هو: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، قتل يوم بدر كافراً. انظر: جمهرة النسب للكلبي: ٨٨، وسيرة ابن هشام: ١/ ١٢٦.

(١٠) هو: أبو العاص بن منبه بن الحجاج بن حذيفة بن سعد بن سهم، قتل يوم بدر كافراً. انظر: تفسير ابن جرير: ٥/ ١٤٨، وجمهرة النسب للكلبي: ١٠٢.

(١١) هو: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ ويعين =

ابن الفاكه[1].

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٩٨] سُمي منهم ابن عباس، وأمه أم الفضل[2]، وعياش ابن أبي ربيعة[3]، وسلمة[4] بن هشام[5].

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧] بنو أبيرق[6]: بشر[7] وبشير ومبشّر[8].

﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]، هم أسيد بن عروة وأصحابه[9].

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ١١٣] سمّي من المستفتين خولة[10] بنت

= أبا جهل على أذاه، قتله حمزة يوم بدر. انظر: الكامل: ٢/ ٧٢، وجمهرة النسب للكلبي: ٨٧.

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١٤٨/٥، وسيرة ابن هشام: ١٢٦/١، وفتح القدير: ١/ ٥٠٦، ومفحمات الأقران: ١٢، والإتقان: ٤/ ٩٥.

(٢) هي: لبابة بنت الحارث أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب، أم ابن عباس الهلالية، وهي أول امرأة آمنت بعد خديجة أم المؤمنين، وهي شقيقة ميمونة أم المؤمنين، توفيت في خلافة عثمان. انظر: الإصابة: ٤/ ٤٨٤، وأسد الغابة: ٥/ ٦٠٨.

(٣) هو: عياش بن أبي ربيعة ابن المغيرة القرشي المخزومي ابن عم خالد بن الوليد، مات سنة خمس عشرة بالشام في خلافة عمر وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة: ٣/ ٤٧، وأسد الغابة: ٤/ ١٦١.

(٤) هو: سلمة بن هشام بن المغيرة أبو هاشم المخزومي الصحابي من السابقين، وهو أخو أبي جهل بن هشام، حبسه كفار قريش عن الهجرة وآذوه، فهرب منهم، وشهد بعض الوقائع، ثم خرج إلى الشام فاستشهد بمرج الصفر. انظر: طبقات ابن سعد: ٤/ ١٣٠، وجمهرة النسب للكلبي: ٨٦، والأعلام: ٣/ ١١٤.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٥/ ١٥٠، والتعريف والإعلام: ٤٣، وفتح الباري، كتاب التفسير، باب ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ...﴾: ٨/ ٢٦٣.

(٦) بنو أبيرق: هم بطن من الأنصار من الأزد من القحطانية، كما في «معجم قبائل العرب» لعمر رضا كحالة: ١/ ٤، وأبيريق لقب، وهو الحارث بن عمرو بن حارثة بن الهيثم بن رفاعة. جمهرة النسب للكلبي: ٦٤١.

(٧) كان بشر رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ٥/ ١٦٥، والتعريف والإعلام: ٤٤، وسنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء: ٥/ ٢٤٥، وفتح القدير: ٥/ ٥١.

(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٩١.

(١٠) هي: خولة بنت حكيم الأنصارية، وهي التي سألت رسول الله ﷺ: يا رسول الله =

حكيم[1].

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٥٣]، سمّي منهم ابن عسكر: كعب بن الأشرف، وفنحاصاً[2].

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [النساء: ١٦٢] منهم، قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: هم عبد الله [بن سلام][3] وأصحابه ـ رضي الله تعالى عنهم ـ[4].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦][5]، سُمّي منهم جابر[6] بن عبد الله[7].

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، سُمّي منهم الحطم[8] بن هند البكري[9].

= المرأة ترى في المنام ما يرى الرجل؟ قال: «إذا رأت ذلك فلتغتسل». انظر: الإصابة: ٤/ ١٩١، وأسد الغابة: ٥/ ٤٤٤.

(١) لم أعثر على المرجع إلا في مفحمات الأقران: ١٣، والإتقان: ٤/ ٩٦.
وهناك رواية أخرجها البخاري نعتمد عليها في سبب نزول هذه الآية.

(٢) انظر: مفحمات الأقران: ١٣، والإتقان: ٤/ ٩٦.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتّه من مفحمات الأقران: ١٣، كما في الإتقان: ٤/ ٩٦.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢/ ١٥١، وفتح القدير ١/ ٥٣٧، ومفحمات الأقران: ١٣، والإتقان: ٤/ ٩٦.

(٥) الكلالة: هو الميت الذي لا ولد له ولا والد. انظر: فتح القدير: ١/ ٤٣٤.

(٦) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمٰن الأنصاري صحابي ابن صحابي، توفي سنة ثمان وسبعين من الهجرة. انظر: الإصابة: ١/ ٢١، وأسد الغابة: ١/ ٢٥٦.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦/ ٢٨، وفتح الباري: ٨/ ٢٦٨.

(٨) هو: شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرشد بن سعد بن مالك بن ضبيعة، من بكر بن وائل ـ والحطم لقب له ـ. انظر: جمهرة الأنساب: ٣٠١.
قال الشيخ محمود شاكر في هامش تفسير ابن جرير: ٩/ ٤٧٢: الحطم لقب، واسمه شريح بن ضبيعة... وقوله هنا: الحطم بن هند، أتى بذكر أُمّه... وهي هند بنت حسان بن عمرو بن مرشد.

(٩) انظر: تفسير ابن جرير بتحقيق أحمد شاكر: ٦/ ٣٨، والتعريف والإعلام: ٤٧، وفتح القدير: ٢/ ٨، ومفحمات الأقران: ١٣، والإتقان: ٤/ ٩٦.

﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾ [المائدة: ٤]، سُمّي منهم عدي بن حاتم[١]، وزيد بن المهلهل[٢] الطائيّان، وعاصم بن عدي[٣]، وسعد[٤] بن خيثمة[٥]، وعُوَيْمر[٦] بن ساعدة[٧].

﴿إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ﴾ [المائدة: ١١]، سُمّي منهم كعب بن الأشرف وحُيَيّ بن أخطب[٨].

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ...﴾ [المائدة: ٨٢] الآيات، نزلت في الوفد الذين جاؤوا من عند النجاشي وهم اثنا عشر، وقيل: ثلاثون، وقيل: سبعون، وسُمّي منهم إدريس، وإبراهيم، والأشرف، وتميم، وتمّام، ودُريد[٩][١٠].

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ [الأنعام: ٨]، سُمّي منهم زمعة بن الأسود[١١]،

---

(١) هو: عدي بن حاتم بن عبد الله أبو طريف الطائي الصحابي، وأبوه حاتم المشهور بالكرم، توفي سنة تسع وستين من الهجرة بالكوفة. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ٣٢٧.

(٢) هو: زيد بن مهلهل بن منهب أبو مكنف الطائي زيد الخليل. انظر: الإصابة: ١/ ٥٧٢، والأعلام: ٢/ ١٠٢.

(٣) هو: عاصم بن عدي بن الجدّ بن العجلان أبو عمرو حليف الأنصار، وكان سيّد بني عجلان، وهو أخو معن بن عديّ، شهد أُحداً وما بعدها. مات سنة خمس وأربعين. انظر: الإصابة: ٢/ ٢٤٦، والمعارف: ٣٢٦.

(٤) في (هـ) و(ح): «سعد بن حكمة»، وما أثبته من مفحمات الأقران: ١٣.

(٥) هو: سعد بن خيثمة بن الحارث الأوسي الأنصاري أبو عبد الله، الصحابي الجليل، أحد النّقباء الاثني عشر بالعقبة، واستشهد يوم بدر. انظر: الإصابة: ٢/ ٢٥، والأعلام: ٣/ ١٣٣.

(٦) هو: عُويمر بن ساعدة بن عابس حليف بني أُمية الأوسي الأنصاري، توفي في خلافة عمر بن الخطاب، وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة: ٣/ ٢٤، وأسد الغابة: ٤/ ١٥٨.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٦/ ٥٧، وفتح القدير: ٢/ ٦١، ومفحمات الأقران: ١٣، والإتقان: ٤/ ٩٦.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ٦/ ٩٣، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٥٢٣، والإتقان: ٤/ ٩٧، ومفحمان الأقران: ١٣.

(٩) انظر: تفسير ابن جرير: ٧/ ٣، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٦٢٣.

(١٠) واختار ابن جرير أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة، سواء كانوا من الحبشة أو غيرها. انظر: تفسير ابن جرير: ٧/ ٤.

(١١) هو: زمعة بن الأسود بن عامر القرشي من بني عامر بن لؤي، وهو ممّن عقد له أبو بكر الصدّيق من أمراء الأجناد، قال أبو بكر له: أنت مع يزيد بن أبي سفيان، ثم أمر =

والنّضْر بن الحارث بن كلدة، وأُبيّ بن خلف، والعاصي بن وائل[1].

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢]، سمي منهم صُهيب، وبلال[2]، وعمّار[3]، وخباب[4]، وسعد بن أبي وقّاص، وابن مسعود، وسلمان الفارسي[5] - رضي الله تعالى عنهم -[6].

﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، سمي منهم فنحاص، ومالك بن الضيف[7].

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، سمي منهم أبو جهل، والوليد بن المغيرة[8].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، سمّي منهم حمل[9] بن قشير، وشمويل بن زيد[10].

= يزيد أن يوليه مقدمته، وقال: إنه من صلحاء قومك ومن الفرسان. انظر: الإصابة: ٥٠٥/١.

(١) انظر: زاد المسير: ٨/٣، وفتح القدير: ١٠٢/٢، ومفحمات الأقران: ١٥، والإتقان: ٩٧/٤.

(٢) هو: بلال بن رباح أبو عبد الله الصحابي الحبشي، توفي بدمشق سنة عشرين هجرية وقيل غير ذلك. انظر: التهذيب للنووي: ١٣٦/١.

(٣) هو: عمار بن ياسر بن عامر وأبوه ياسر من اليمن وأمّه سُميّة كانت أمَة لأبي حذيفة المخزومي، توفي ﷺ شهيداً يوم صفّين سنة سبع وثلاثين من الهجرة. انظر: المعارف: ٢٥٦.

(٤) هو: خباب بن الأرتّ أبو عبد الله من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، توفي ﷺ سنة سبع وثلاثين من الهجرة. انظر: المعارف: ٣١٦.

(٥) قلت: ذكر سلمان الفارسي في هذه الآية غريب، فإن هذهالآية مكيّة، وإنما أسلم سلمان بالمدينة.

(٦) انظر: تفسير ابن مثير: ٢٧/٣، وسيرة ابن هشام: ٣٩٢/١، وكشف الأستار بزوائد البزار للهيثمي: ٤٨/٣.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ١٧٧/٥، وسيرة ابن هشام: ٥١٤/١، وفتح القدير: ١٤١/٢، ومفحات الأقران: ١٥، والإتقان: ٩٧/٤.

(٨) انظر: زاد المسير: ١١٨/٣، والإتقان: ٩٧/٤.

(٩) في مفحمات الأقران: ١: «ممل بن أبي قشير».

(١٠) انظر: تفسير ابن جرير: ٩٣/٩، ومفحمات الأقران: ١٧، والإتقان: ٩٧/٤.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١][1]، سمي منهم سعد بن أبي وقاص[2].

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥]، سمي منهم أبو أيوب الأنصاري[3]. ومن الذين لم يكرهوا المقداد[4].

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]، سمي منهم أبو جهل[5].

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠]، وهم[6] أهل دار الندوة[7]، وسمّي منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان، وأبو جهل، وجُبير بن مطعم، وطعيمة بن عدي[8]، والحارث بن عامر، [والنضر بن الحارث][9]، وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام[10]، وأُميّة بن خلف[11].

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ...﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، سمي

---

(١) الأنفال: جمع نفل وهو الغنيمة. انظر: فتح القدير: ٢/ ٢٨٣.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٩/ ١١٧، وقال أحمد شاكر في تعليقه على تفسير ابن جرير رقم (١٥٦٥٧): إسناده صحيح. وتفسير ابن كثير: ٣/ ٢٧٤، ومفحمات الأقران: ١٧، والإتقان: ٤/ ٩٧.

(٣) هو: خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري من بني النجار، الصحابي الجليل، توفي سنة اثنتين وخمسين للهجرة. انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٤٩، والإصابة: ١/ ٤٠٥، والمعارف: ٢٧٤.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٨١، ومفحمات الأقران: ١٧، والإتقان: ٤/ ٩٧.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٩/ ١٣٨، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٧، ومفحمات الأقران: ١٨، والإتقان: ٤/ ٩٧.

(٦) في الإتقان بدون الواو.

(٧) هي الدار التي تشاورت فيها قريش في أمر النبيّ ﷺ. انظر: فتح القدير: ٣/ ٣٠٤.

(٨) هو: طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف من رؤساء قريش في الجاهلية، شهد بدراً، وقتل فيه كافراً قتله حمزة وعلي. انظر: نسب قريش: ١٩٨، والأعلام: ٣/ ٢٢٧.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتّه من الإتقان: ٤/ ٩٧.

(١٠) هو: حكيم بن حزام بن خويلد أبو خالد القرشي الأسدي أسلم يوم فتح مكّة سنة ثمان من الهجرة، توفي سنة أربع وخمسين من الهجرة بالمدينة. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٦٦.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ...﴾: ٥/ ١٩٩، وابن جرير في تفسيره: ٩/ ٢٥٢، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٣١١، ومفحمات الأقران: ١٨، والإتقان: ٤/ ٩٨.

منهم أبو جهل، والنضر بن الحارث[1].

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: 49]، سمي منهم: عتبة بن ربيعة، وقيس بن الوليد، وقيس بن الفاكه، والحارث بن زمعة، والعاصي بن منبه[2].

﴿قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ﴾ [الأنفال: 70]، كانوا سبعين، منهم العباس[3]، وعُقَيْل[4]، ونوفل بن الحارث[5]، وسهيل بن بيضاء[6].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]، سمي منهم سلام بن مشكم[7]، ونعمان بن أوفى، ومحمد بن دحبة، وشأس بن قيس[8]، ومالك بن الصيف[9].

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ [التوبة: 79]، سمي من المطوّعين عبد الرحمٰن بن عوف، وعاصم بن عدي[10].

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: 79]، أبو عقيل[11]،

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام: 1/ 481، وتفسير ابن كثير: 3/307، ومفحمات الأقران: 18، والإتقان: 4/98.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره: 10/16، وانظر: تفسير ابن كثير: 3/ 334، ومفحمات الأقران: 18، والإتقان: 4/98.

(3) هو: العباس بن عبد المطلب أبو الفضل عمّ رسول الله ﷺ، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وقيل غير ذلك. انظر: التهذيب للنووي: 1/257.

(4) هو: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطّلب القرشي الهاشمي، ابن عمّ الرسول ﷺ، توفي في خلافة معاوية، ودُفن بالبقيع. انظر: التهذيب للنووي: 1/337.

(5) هو: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أبو الحارث القرشي الهاشمي، ابن عمّ الرسول ﷺ، توفي بالمدينة سنة خمس عشرة من الهجرة. انظر: التهذيب للنووي: 1/ 134.

(6) انظر: سيرة ابن هشام: 2/ 3، وتفسير ابن كثير: 3/349، والإتقان: 4/ 98.

(7) هو: سلام بن مشكم اليهودي والد شعثاء. انظر: هامش سيرة ابن هشام: 4/ 64.

(8) هو: شأس بن قيس بن عبادة بن زهير بن عطية بن زيد من أشراف الأوس في الجاهلية، وكان قد تهوّد، وكان رأساً فيهم. جمهرة النسب للكلبي: 648.

(9) انظر: تفسير ابن جرير: 10/78، وأورده السيوطي في الدرّ المنثور: 2/ 229، وزاد نسبته لابن إسحاق وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

(10) انظر: التعريف والإعلام: 71، وتفسير ابن كثير: 3/ 430، والإتقان: 4/ 98.

(11) هو: سهل بن رافع بن خديج بن مالك أبو عقيل الأنصاري الحبحاب، صاحب الصاع الذي لمزه المنافقون. انظر: الإصابة: 2/ 87.

ورفاعة[(١)] بن سهل[(٢)].

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ﴾ [التوبة: ٩٢]، سمي منهم العرباض بن سارية[(٣)]، وعبد الله بن مغفل المزني[(٤)]، وعمرو المزني[(٥)]، وعبد الله بن الأزرق الأنصاري، وأبو ليلى[(٦)] الأنصاري[(٧)].

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبة: ١٠٨]، سمي منهم: عويم[(٨)] بن ساعدة[(٩)].

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، نزلت في جماعة منهم: عمار بن ياسر، وعياش بن أبي ربيعة[(١٠)].

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ [الإسراء: ٥]، هم طالوت وأصحابه[(١١)]، [كذا

---

(١) هو: رفاعة بن سهل صاحب الصاع الذي لمزه المنافقون. انظر: الإصابة لابن حجر: ١/ ٥١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ . . .﴾: ٥/ ٢٠٥، وفي فتح الباري: ٨/ ٣٣١: «سهل». قال الحافظ ابن حجر: فيحتمل أن يكون اسم أبي عقيل «سهل»، ولقبه «حبحاب» أو هما اثنان. وانظر: المطالب العالية: ٣/ ٣٤١، والتعريف والإعلام: ٧١.

(٣) هو: العرباض بن سارية أبو نجيح السلمي الصحابي كان من أهل الصفة، توفي سنة خمس وسبعين، وقيل: في أيام الزبير. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ٣٣٠.

(٤) هو: عبد الله بن مغفل المزني الصحابي الجليل من أصحاب الشجرة، توفي فيها سنة ستين، وقيل: إحدى وستين من الهجرة. انظر: تهذيب التهذيب: ٦/ ٤٢، والأعلام: ٤/ ١٤٠.

(٥) هو: عمرو بن أبي عمرو المزني والد رافع. انظر: الإصابة: ٣/ ٨.

(٦) هو: أبو ليلى والد عبد الرحمٰن بن أبي ليلى الأنصاري، واختلف في اسمه، صحب النبيّ ﷺ، توفي يوم الصفّين. انظر: الإصابة: ٤/ ١٦٩، وأسد الغابة: ٥/ ٢٨٦.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ١٠/ ١٤٦، والتعريف والإعلام: ٧١، ومفحمات الأقران: ٢٤، والإتقان: ٤/ ٩٨.

(٨) في (هـ) و(ح): «عويمر» وما أثبتّه من: الإتقان: ٤/ ٩٨، كما في مفحمات الأقران: ٢٤. هو: عويمر بن ساعدة. انظر: سيرة ابن هشام: ٤/ ٣١٠.

(٩) انظر: التعريف والإعلام: ٧٣، ومفحمات الأقران: ٢٤، والإتقان: ٤/ ٩٨.

(١٠) انظر: تفسير ابن جرير: ١٤/ ١٢٢، ومفحمات الأقران: ٢٤، والإتقان: ٤/ ٩٨، وفتح القدير: ٣/ ١٩٨.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في مفحمات الأقران: ٢٤.

قيل. والصحيح أنه بخت نصّر وأصحابه][1][2].

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: نزلت في رجال من قريش منهم أبو جهل وأُميّة بن خلف[3].

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ [الإسراء: ٩٠]، سمي ابن عباس من قائلي ذلك عبد الله بن أُمية[4] وذريّته[5].

[﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، سمي منهم ثبر[6]، والأعور[7]، وزلنسبور[8]، ومشوط[9]، وداسم[10]][11].

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [القصص: ٥٧]، سمي منهم الحارث[12] بن عامر بن نوفل[13].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٩٩.

(٢) في تفسير ابن كثير: ٤/ ١٨١ أنه بختنصّر، ثم قال: «وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب، وهذا هو المشهور». وانظر: التعريف والإعلام: ٩٨، والإتقان: ٤/ ٩٩.

(٣) في تفسير ابن جرير: ١٥/ ٨٨، عن ابن عباس: أنهم من ثقيف.

وانظر: فتح القدير: ٣/ ٢٤٨، ومفحمات الأقران: ٢٤، والإتقان: ٤/ ٩٩.

(٤) هو: عبد الله بن أُميّة بن حذيفة بن المغيرة، كان شاعراً. انظر: جمهرة النسب للكلبي: ٨٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٤٩، ومفحمات الأقران: ٢٤، والإتقان: ٤/ ٩٩.

(٦) صاحب المصائب.

(٧) صاحب الزّنا.

(٨) صاحب الأسواق، وقيل: الذي يفرّق بين الناس، ويبصر الرجل عيوب غيره.

(٩) صاحب الأخبار يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس، ولا يجدون لها أصلاً.

(١٠) الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلّم، ولم يذكر الله؛ بصره من المتاع ما لم يرفع، وإذا أكل لم يذكر اسم الله أكل معه. أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره: ١٥/ ١٧١. وانظر: التعريف والإعلام: ١٠٣.

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٩٩.

(١٢) هو: الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وفيه قتل خبيب وصلب. انظر: جمهرة النسب للكلبي: ٦٣، وديوان حسان بن ثابت: ١/ ١٣٥.

(١٣) رواه ابن جرير في تفسيره: ٢٠/ ٩٤، وأورده السيوطي في الدر: ٥/ ١٣٤، وزاد نسبته للنسائي وابن المنذر، وذكر ابن كثير عن رواية النسائي. انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٢٩٣.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ [العنكبوت: ٣][١]، هم المؤذون على الإسلام بمكّة منهم عمار بن ياسر[٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ [العنكبوت: ٢]، سمي منهم الوليد بن المغيرة[٣].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]، سمي منهم النّضْر بن الحارث[٤].

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣][٥]، [سمي][٦] منهم أنس[٧] بن النضر[٨].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣]، أوّل من يقول جبريل فيتبعونه[٩].

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ﴾ [صَ: ٦]، [سمي][١٠] منهم عقبة بن أبي معيط، وأبو جهل، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطّلب[١١]، والأسود بن يغوث[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥/ ٣٠٧.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٠/ ٨٣، والدرّ المنثور: ٥/ ١٤١، ومفحمات الأقران: ٣١، والإتقان: ٤/ ٩٩، وفتح القدير: ٤/ ١٩٥.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٣١، ومفحمات الأقران: ٣٠، والإتقان: ٤/ ٩٩.

(٤) انظر: التعريف والإعلام: ١٣٤، ومفحمات الأقران: ٣١، والإتقان: ٤/ ٩٩.

(٥) نَحْبه: قال بعضهم: أجله، وقال البخاري: عهده. انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٤٣٨.

(٦) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتّه من الإتقان: ٤/ ٩٩.

(٧) هو: أنس بن النضر بن ضمضم الصحابي، لم يشهد بدراً، وشهد أُحداً، واستشهد يوم أُحد وضرب بضع وثمانون ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، قال أنس: كنّا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ١٢٨.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: ٦/ ٢٢. وانظر: التعريف والإعلام: ١٣٧.

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢٢/ ٦٣، مرفوعاً من حديث النواس بن سمعان. وانظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٥٥١، ومفحمات الأقران: ٣٣، والإتقان: ٤/ ٩٩.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتّه من الإتقان: ٤/ ٩٩.

(١١) هو: الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي أبو زمعة، وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبيّ ﷺ. انظر: الكامل: ٢/ ٧٤.

(١٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٣/ ٨٠، والمطالب العالية: ٣/ ٣٦٣، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٤٦، ومفحمات الأقران: ٣٧، والإتقان: ٤/ ٩٩.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ [ص: ٦٢]، سمي من القائلين أبو جهل، ومن الرجال عمار (بن ياسر)[١]، وبلال[٢].

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، سمّي منهم زوبعة، وحسي، ومسي، وشاصر، وماصر، والأرد، وإينان، والأجقم، وسرف[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤]، سمّي منهم الأقرع بن حابس[٤]، والزبرقان بن بدر[٥]، وعُيينة بن حصن، وعمرو[٦] بن (الأهم)[٧][٨].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٤]، قال السديّ: نزلت في عبد الله بن نبتل[٩] مِنَ المنافقين[١٠].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/ ٩٩.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢٣/ ١١٦، وانظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٧٣، ومفحمات الأقران: ٣٧، والإتقان: ٤/ ٩٩.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٦/ ٢٠، ومجمع الزوائد للهيثمي: ٧/ ١٠٦، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات»، والتعريف والإعلام: ١٥٦، ومفحمات الأقران: ٣٧، والإتقان: ٤/ ٩٩.

(٤) هو: الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي التميمي الصحابي، قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني دارم من تميم فأسلموا، شهد حنيناً، وفتح مكّة والطائف استشهد بالجوزجان. انظر: الأعلام: ١/ ٣٤٣.

(٥) هو: الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس التميمي السعدي، قدم على النبيّ ﷺ في وفد تميم، ثم أسلم وعاش إلى خلافة معاوية. انظر: الإصابة: ١/ ٥٤٤، وأسد الغابة: ٢/ ١٩٤.

(٦) هو: عمرو بن سنان بن سمي التميمي المنقري، أبو ربعي أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام من أهل نجد. انظر: البيان والتبيين للجاحظ: ١/ ٢٧، والتعريف والإعلام: ١٦٠، والشعر والشعراء لمصطفى الشعكة: ٢٤٠.

(٧) في (هـ) و(ح): «الأصم»، وما أثبتّه من الإتقان: ٤/ ٩٩.

(٨) رواه أحمد في مسنده: ٣/ ٤٨٨ و٦/ ٣٩٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ١٠٨: رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح. وانظر: الدر المنثور: ٦/ ٨٦، والإتقان: ٤/ ٩٩.

(٩) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٩٩: «نفيل»، وهو خطأ، والمثبت من مفحمات الأقران: ٤٠.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٨/ ١٩٦، ومفحمات الأقران: ٤٠، والإتقان: ٤/ ٩٩.

﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، نزلت في قتيلة[1] أُمّ أسماء بنت أبي بكر[2].

﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ [الممتحنة: ١٠]، سمّي منهم أُمّ كلثوم[3] بنت عقبة بن أبي معيط[4]، وأُمية بنت بشر[5].

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟﴾ [المنافقون: ٦]، ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ [المنافقون: ٧]، سمّي منهم عبد الله بن أُبيّ[6].

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ . . .﴾ الآية [الحاقة: ١٧]، سمّي من حملة العرش إسرافيل، ولبنان، وروفيل[7].

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البروج: ٤][8]، ذو نواس[9]، وزرعة[10] بن أسد الحمير[11] وأصحابه[12].

---

(١) هي: قتيلة بنت سعد من بني عامر بن لؤي امرأة أبي بكر الصديق، وهي أُمّ عبد الله وأسماء. انظر: الإصابة: ٤/ ٣٨٨، وأسد الغابة: ٥/ ٥٣٢.

(٢) كما في المستدرك للحاكم: ٢/ ٤٨٥، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: تفسير ابن جرير: ٢٨/ ٤٣، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٦٢٨، ومفحمات الأقران: ٤٠، والإتقان: ٤/ ٩٩.

(٣) هي: أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، أسلمت وهاجرت وبايعت النبيّ ﷺ. انظر: التهذيب للنووي: ١/ ٣٦٦.

(٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ١٢٣ وقال: إسناده ضعيف. وانظر: الدرّ المنثور: ٦/ ٢٠٦.

(٥) وفي فتح الباري: ٨/ ٦٣٧: أُميمة بنت رقيقة، بقافين، مصغراً.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ . . .﴾ [المنافقون: ١]، والأبواب السبعة التي بعده: ٦/ ٦٣.

(٧) انظر: مفحمات الأقران: ٤٢، والإتقان: ٤/ ١٠٠، ولم أعثر على غيرهما من المراجع.

(٨) الأخدود وجمعه أخاديد، وهي الحفر في الأرض. تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٥٤.

(٩) هو: ذو نواس الحميري آخر ملوك حمير في اليمن صاحب الأخدود، كان يدين باليهودية وبلغه أن أهل نجران يدخلون على النصرانية فحفر أخاديد وملأها ناراً، فعرض أعيان المتنصّرين على النار، فمن رجع إلى اليهودية نجا، ومن أَبى أدخله في الأخاديد.
انظر: الكامل: ١/ ٤٢٥، والأعلام: ٣/ ٢٨.

(١٠) هو: زرعة ذو نواس بن تبان أسعد بن كرب.

(١١) انظر: التعريف والأعلام: ١٨١، والإتقان: ٤/ ١٠٠.

(١٢) هم الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة. فتح القدير: ٥/ ٤٩٥.

«أصحاب الفيل» [الفيل: ١]، هم الحبشة[١]، قائدهم برهة الأشرم[٢]، ودليلهم أبو رغال[٣][٤].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، نزلت في الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأُميّة بن خلف[٥].

﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ [الفلق: ٣][٦]، بنات لبيد الأعصم[٧].

---

(١) الحبشة: هم جيل معروف ويرجع نسبهم إلى حام بن نوح ﷺ، وهم أكثر الناس، وبلادهم أكثر البلاد. انظر: تهذيب النووي: ١/٢٨٨.

(٢) هو: أبرهة الأشرم ملك الحبشة الذين قتلوا ذا نواس وغلبوه على ملك اليمن. انظر: التعريف والأعلام: ١٨٦.

(٣) هو: قسي بن منبه بن البيت بن يقدم أبو رغال صاحب القبر الذي يرجم إلى اليوم بين مكّة والطائف ودليل الحبشة لما غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم. انظر: المسعودي: ١/٢١٧، والأعلام: ٦/٤٢.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير: ٣٠/١٩٦، وسيرة ابن هشام: ٢/٤٧، ومفحمات الأقران: ٤٥، والإتقان: ٤/١٠٠.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٣٠/٢١٤، والتعريف والإعلام: ١٨٨، ومفحمات الأقران: ٤٥، والإتقان: ٤/١٠٠.

(٦) قال السهيلي في التعريف: ١٩٨: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ يعني السواحر يعقدن في الحرير وغيره في سحرهن وينفثن فيه. انظر: فتح القدير: ٥/٥٢١.

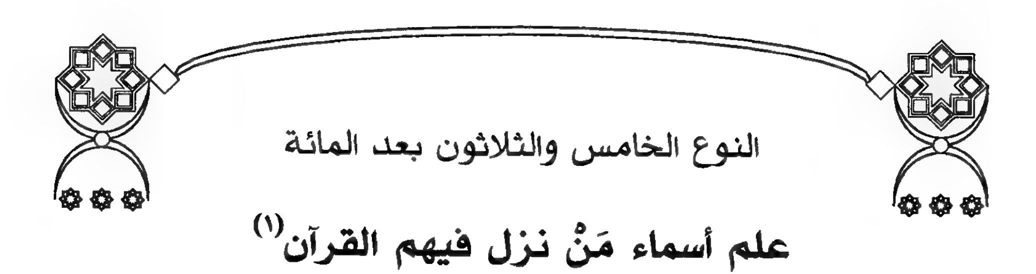
وانظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده: ٤/٩١.

(٧) انتهى النقل من الإتقان: ٤/٧٩ ـ ١٠٠، وانظر: مفحمات الأقران: ٣ ـ ٤٦.



النوع الخامس والثلاثون بعد المائة

علم أسماء مَنْ نزل فيهم القرآن



النوع الخامس والثلاثون بعد المائة

علم أسماء مَنْ نزل فيهم القرآن[1]

قال الإمام الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الإتقان»: رأيت فيهم[2] تأليفاً مفرداً لكنه غير محرّر، وكتاب «أسباب النزول»[3] و«المبهمات»[4] يُغْنيان عن ذلك.

وقد قال ابن أبي حاتم: ذكر عن الحسين بن زيد الطحّان، أنبأنا إسحاق بن منصور، أنبأنا قيس[5]، عن الأعمش[6]، عن المِنْهال[7]، عن عباد بن عبد الله[8]، قال: قال عليّ: ما في قريش أحد إلّا وقد نزلت فيه آية، قيل له:

---

(١) هذا النوع منقول عن: الإتقان: ٤/١٠١، النوع الحادي والسبعين «في أسماء من نزل فيهم القرآن».

(٢) في (هـ) و(ح): «فيه»، وما أثبتّه من الإتقان: ٤/١٠١.

(٣) يشير إلى كتابه المسمّى بـ«لباب النقول في أسباب النزول»، وهو كما قال مؤلفه: تلخيص من جوامع الحديث والأصول، وتحرير من تفاسير أهل النقول، وهو كما قال، وهو مطبوع ط٢، سنة ١٩٧٩، دار إحياء العلوم، بيروت.

(٤) يريد بكتابه المسمّى بـ«مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» ذكرته في النوع: ١٣٤: «علم مبهمات القرآن». وهذا الكتاب مطبوع: ط١، عام ١٣٢٦، مطبعة السعادة، بمصر.

(٥) هو: قيس بن الربيع أبو محمد الكوفي الأسدي، توفي سنة سبع أو ثمان وستين ومائة. انظر: تذكرة الحفاظ: ١/٢٢٦، وطبقات الحفاظ: ٩٦.

(٦) هو: سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي الكوفي أبو محمد، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة. انظر: تذكرة الحفاظ: ١/١٥٤، وطبقات الحفاظ: ٦٧، والشذرات: ١/٢٢٠.

(٧) هو: المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي، قال ابن حجر: صدوق ربما وهم. انظر: تهذيب التهذيب: ٣١٩/١، وتقريب التهذيب: ٢٧٨/٢.

(٨) هو: عباد بن عبد الله الأسدي الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات، قال علي بن المديني: ضعيف الحديث، قال ابن حجر في التقريب: هو ضعيف. =

ما نزل فيك؟ قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧][١].

ومِنْ أمثلته ما أخرجه أحمد[٢] والبخاري في «الأدب»[٣]، عن سعد بن أبي وقاص قال: نزلت فيَّ أربع آيات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، وآية تحريم الخمر[٤]، وآية الميراث[٥].

وأخرج ابن أبي حاتم عن رفاعة القرظي[٦]، قال: نزلت: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١]، في عشرة، أنا أحدهم[٧].

وأخرج الطبراني[٨] عن أبي جمعة جُنَيْد بن سبع[٩] ـ وقيل: حبيب بن سباع[١٠] ـ قال: فينا نزلت: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ [الفتح: ٢٥]، وكنّا تسعة نفر؛ سبعة رجال وامرأتين[١١].

انتهى[١٢] كلام الحافظ السيوطي ـ رحمة الله عليه ـ.

= انظر: تهذيب التهذيب: ٥/٩٨، وتقريب التهذيب: ١/٢٩٢.

(١) الحديث أورده السيوطي في الدرّ المنثور: ٣/٣٢٤، والشوكاني في فتح القدير: ٢/٤٨٩، وفي إسناده عباد بن عبد الله الأسدي الكوفي. قال ابن حجر عنه في التقريب: ١/٢٩٢: هو ضعيف.

(٢) في مسنده: ١/١٨١: من حديث سعد بن أبي وقاص، في حديث طويل.

(٣) الأدب المفرد، باب برّ الوالد المشرك: ١٧، باختصار.

(٤) سورة المائدة: الآيتان (٩٠، ٩١).

(٥) سورة النساء: الآيتان (١١، ١٢).

(٦) هو: رفاعة بن قرظة القرظي، وهو الذي قال: نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم. أخرجه ابن أبي حاتم والبارودي والطبراني من حديث يحيى بن جعدة. انظر: الإصابة: ١/٥١٩، وأسد الغابة: ٢/١٨٤. في (ح): «بن القرظي».

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٠/٨٨، والدرّ المنثور: ٥/١٣١، قال السيوطي: إسناده جيّد.

(٨) انظر: المعجم الكبير للطبراني: ٤/٢٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١٠٧: رواه الطبراني بإسنادين في المعجم الكبير: ٣/٣٢٦ و٤/٢٩، رجال أحدهما ثقات.

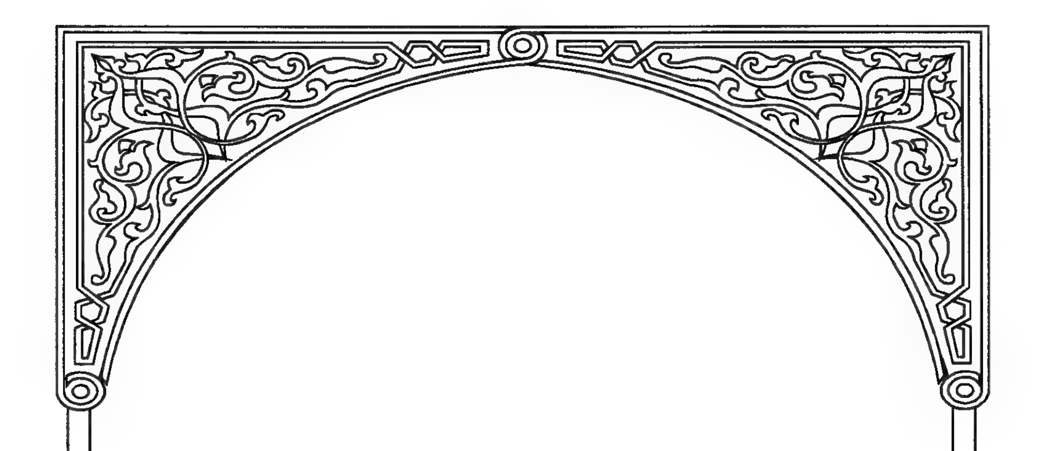
(٩) في (هـ) و(ح): «جندب بن سبع ويقال هذا».

انظر: أسد الغابة: ١/٣٠٠.

(١٠) هو: جنيد بن سبع، ويقال: حبيب بن سباع أبو جمعة الأنصاري. انظر: أسد الغابة: ١/٣٠٨.

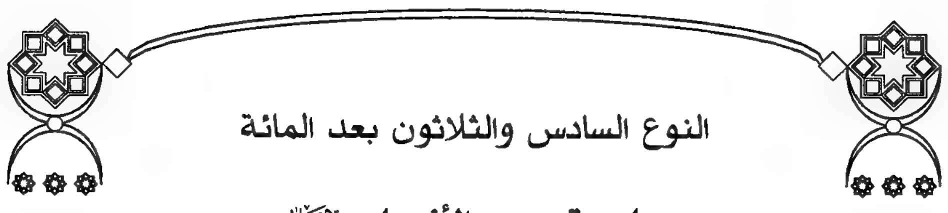
(١١) المعجم الكبير للطبراني: ٣/٣٢٦، ٤/٢٩، قال في مجمع الزوائد: ٧/١٠٧: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات.

(١٢) انتهى النقل من: الإتقان: ٤/١٠١.



النوع السادس والثلاثون بعد المائة

علم قصص الأنبياء عليهم السلام المذكورين في القرآن العظيم



النوع السادس والثلاثون بعد المائة

علم قصص الأنبياء عليهم السلام المذكورين في القرآن العظيم(1)

أمّا صفة خلق آدم عليه السلام: فإنّ الله لمّا أراد إيجاد آدم أمر مَلَكاً(2) مِنْ ملائكته أن يقبض قبضة من الأرض، فانضمّت الأرض بعضها إلى بعض واجتمعت، فقبض منها قبضة وارتفع بها إلى الملأ الأعلى، ثم أمر الله تبارك وتعالى أن يُلقى على ذلك التراب ماءٌ حتى يصير طيناً، ثم صوّر الله عز وجل من ذلك الطين صورة آدم، وسائر أعضائه وجوارحه، فأقام على ذلك برهة من الزّمن، وهو كالفخار(3) المجوّف(4) جماداً لا

---

(1) هذا النوع لم يذكره الحافظ السيوطي في الإتقان.

(2) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٨٥، ٨٦: ذكر السدي من حديث ابن عباس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: فبعث الله عز وجل جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني، فرجع ولم يأخذ، وقال: ربّ إنها عاذت بك فأعذتها... فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفّذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلطه ولم يأخذ من مكانٍ واحد، وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به فبلّ التراب حتى عاد طيناً لازباً... الحديث.

قال ابن كثير تعليقاً على هذه الرواية: إن لبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث، وإنْ كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات.

فقد روى الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة: ٥/ ٢٠٤ من حديث أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيّب». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(3) وذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمٰن]، والفخار: الخزف الذي طُبخ بالنار، وهو: الجرّ.

انظر: تفسير الشوكاني: ٥/ ١٣٣، ومختار الصحاح للرازي: ١٩٣.

(4) في (ح): «كالفخار المجوفة».

إحساس له ولا شعور[1]، ثم نفخ فيه من روحه؛ فأوّل ما اتّصلت به الروح بدماغه وسرت إلى خيشومه عطس، فقال: الحمد لله، فهي أوّل كلمة نطق بها، فأجاب الله ﷻ: يرحمك الله يا آدم، وللرحمة خلقتك[2]، ثم سَرَت الروح في سائر أجزائه، واستحال لحماً ودماً وعظاماً، فقام في أحسن تقويم يمجّد الله ﷻ ويُعظّمه، ثم إنّ الله ﷻ علّمه المعاني الدالّة على كل شيء المميّزة عن غيره، فما مِنْ شيء أو لون أو مسمّى إلّا وقد علّمه الله ﷻ ذلك[3] عزَّ مِنْ قائل: ﴿وَعَلَّمَ

---

(١) روى ابن عساكر من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طيناً، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوّره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار قال: فكان إبليس يمرّ به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم...». نقلاً عن البداية والنهاية: ١/ ٨٦.

وأخرج الحاكم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لمّا صوّر الله آدم تركه فجعل إبليس يطيف به فينظر إليه، فلمّا رآه أجوف قال: ظفرت به خلق لا يتمالك»، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك: ٢/ ٥٤٢، كتاب التاريخ، باب ذكر آدم.

(٢) وفي العرائس للثعلبي: ٢٢: فأوّل ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه... ثم نزلت في خياشيمه فعطس... فلقنه الله تعالى أنْ قال: الحمد لله ربّ العالمين، فكان ذلك أوّل ما جرى على لسانه، فأجابه ربّه ﷻ فقال: يرحمك ربُّك، يا آدم للرحمة خلقتك... ثم انتشرت الروح في جسده كلّه فصار لحماً ودماً وعظاماً وعروقاً وعصباً....

وانظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: ١/ ٣٩.

إن لبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث، وإن كان كثير منه متلقّى من الإسرائيليات، قاله ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٨٦.

فقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله». صحيح ابن حبان، لم أهتد إلى تخريج الحديث، وهذا نقل عن البداية والنهاية: ١/ ٨٦.

(٣) قال ابن عباس: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وجمل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. انظر: البداية والنهاية: ١/ ٧٧، وتفسير ابن كثير: ١/ ٧٣.

ويؤيّده ما رواه البخاري من حديث أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك...» الحديث. انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]: ٨/ ١٢٢.

ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١]، يعني مسمّيات الأشياء الموجودة ذلك الوقت، فلم يعرفوا تمييز الأشياء بعضها عن بعض، ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣].

واعلم أيها الأخ أن تعليم الله ﷻ لآدم ليس من باب الإقراء، والبيان، والتمثيل، والتفهيم، إنَّما مِنْ باب أنّ ﷻ وضع في استعداده معرفة الأشياء وألهمه المعاني الدالّة على تمييز الأشياء بعضها عن بعض[1].

فإن قلت: يمكن أن يُقال من طرف الملائكة: إنّك لو علَّمتنا كما علَّمت آدم الأسماء كما علّم (آدم)[2] ولم يكن له علينا فضل.

فالجواب: إن الملائكة إنما لم يقولوا ذلك لكونهم علموا أنه ليس في استعدادهم ولا في قوابلهم[3]، ما هو في استعداد آدم ﷺ من السِّعة لسائر أسماء الأشياء، فإن الملائكة استعدادهم مقصور على معاني التقديس والطهارة، فلو سُئلوا عن معنى الغضب أو الشهوة لم يعلموا؛ لأنها ليست في قوابلهم، فهذا الاتّساع فاق آدم عليهم، فإنّ آدم جامع فيه ما فيهم زيادة، فهو من حيث روحه مَلَك، ومِنْ حيث جسده جماد، ومن حيث المجموع له معنى وهو الإنسانية.

ثم لمّا أوجده الله ﷻ بهذه[4] الوجوه، وأتْقنه بهذا الإتقان، وزيّن شكله بالجوارح الحِسان، وعلَّمه الأسماء كلّها، وظهر تمييزه على العالم الإنسي فعرفت الملائكة قدره وفضله، فأمرهم ﷻ بالسجود له[5] على التعظيم

---

(١) وفي روح المعاني: ٢٠٦/١: اختلفت كيفية التعليم لآدم ﷺ، فقيل: بأنْ خلق فيه ﷺ بموجب استعداده علماً ضرورياً تفصيلياً بتلك الأسماء وبمدلولاتها، وبدلالتها، ووجه دلالتها. وقيل: .... والقول الذي تميل إليه النفس القول الأول.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) قال أبو السعود في تفسيره: ٦٨/١: في قوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾: اعتراف منهم بالعجز عمّا كلّفوه؛ إذ معناه لا علم لنا إلا ما علّمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا، ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا».

(٤) في (هـ) و(ح): «بهذا».

(٥) السجود في اللغة: الخضوع والتطامن. وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة. =

والخضوع، والامتثال لأمر الله ﷻ، فبادروا إلى طاعة الله ﷻ، فسجدوا كلّهم أجمعون إلا إبليس أبَى واستكبر وكان مِنَ الكافرين، قال: أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين[1]، فهو أوّل مَن امتنع وخالف أمر الله ﷻ، وتكبّر وطعن في حكمة الله ﷻ، واستدلّ على الله ﷻ بالدّليل الفاسد[2]، فهو مبدأ الشرّ، والعناد، والكفر، والشكّ، والشقاق، والنّفاق؛ نسأل الله العافية.

ثم إنّ الله ﷻ أسكن آدم ﷺ جنّة الفردوس[3]، فاستوحش لعدم الإلف، فألقى الله جلّ شأنه عليه النوم وانتزع من إحدى جنبيه حوّاء ليأنس إليها، فلمّا

= واختلف في المراد بالسجود هنا على أقوال: قيل: إنه تكريم لآدم، وطاعة لله، ولم يكن عبادة لآدم. وقيل: السجود لله، وآدم قبلة. وقيل: السجود لآدم عبادة بأمر الله، وفرضه عليهم، وقيل غير ذلك.

قلت: والذي تميل إليه النفس من أن المراد بالسجود هنا أنه سجود تعظيم وتكريم وتحيّة لآدم، فسجود الملائكة كان لآدم بأمر الله تعالى وفرضه عليهم، وهو عبادة لله وطاعة وقُرْبة يتقرّبون بها إليه.

وفي محاسن التأويل للقاسمي: ٢/١٠١: قال أهل العلم: السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه، وعلى هذا إجماع كلّ مَنْ يسمع قوله.

(١) انظر: سورة الأعراف: ١٢، وسورة الإسراء: ٦١، وسورة صَ: ٧٦.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٧٢: قال محمد بن سيرين: أوّل من قاس إبليس، وما عُبِدت الشمس ولا القمر إلّا بالمقاييس. ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم، فرأى نفسه أشرف فامتنع من السجود له مع وجود الأمر ولسائر الملائكة بالسجود، والقياس إذا كان مقابلاً بالنصّ كان فاسدَ الاعتبار».

(٣) وقيل غيرها، وهو الراجح، وهو أن الجنّة التي أسكن الله فيها آدم كانت في الأرض لأنه ﷻ خلق آدم في الأرض حيث يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ولم يذكر الله أنه نقله إلى السماء، وجنّة الفردوس هي في السماء حيث إن الفردوس مكان من الجنّة من أفضلها، وقد وصف الله الجنّة الموعودة في السماء (جنة الخلد)، ولو كانت كذلك لما تجرّأ إبليس أن يقول لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وجنّة الفردوس دار نعيم وليست بدار تكليف، وقد كلّف الله آدم وحواء بأن لا يأكلا من الشجرة. ولا يمنع أن تكون الجنّة التي أسكنها الله لآدم مرتفعة عن سائر بقاع الأرض ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم، وهي التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه].

انظر: فتح الباري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنّة والنار: ١٠/٤٢٣، وكتاب مع الأنبياء: ٣٩.

أفاق مِنْ نومه رآها عنده فاستأنس إليها واستأنست به[1]، وأقاما يمجِّدان الله ﷻ ويُعظِّمانه برهة من الزّمن، وأمرهما الله سبحانه جلَّ شأنه أن يأكلا من سائر ثمار الجنّة خلا شجرة واحدة، فجاءهما إبليس اللّعين، فوسوس لهما[2] في الأكل مِنْ هذه الشجرة وحلف لهما بالله وأظهر النّصح والشفقة والمحبَّة، فظنّا صدقه واعتقدا أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً، فأوّل مَنْ أكل من الشجرة حوّاء[3]، ثم أشارت إلى آدم عليه السلام قائلة: إني أكلت من هذه الشجرة فلم يُصِبْني شيء، فكُلْ أنت، فأكل، فلمّا أكلا انتزع عنهما اللّباس، وتنكّر لهما المكان والزَّمان، وبدت سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة، يريدان ستر عورتهما من الأشجار، فتمتنع[4] الأشجار قائلة: لا نطيع مَنْ

---

(١) وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٧٤ بتصرّف قليل عن ابن عباس، وعن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنّة وأسكن آدم الجنّة، فكان يمشي فيها وحشي ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه ـ وفي رواية ابن إسحاق: أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر ـ ليسكن إليها واسمها حوّاء لأنها خلقت من شيء حيّ.

ومصداق هذا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً».

صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته: ٤/ ١٠١، وصحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء: ٤/ ١٧٨.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف]. كما قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه].

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٧٨ بعد ذكره قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]: كانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم، وهي التي حثّته على أكلها، والله أعلم. وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة: قال ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم يخنز ـ أي لم ينتن ـ اللحم، ولولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها». صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذرّيته: ٤/ ١٠١.

(٤) وفي تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: ١/ ٥٠: ذكر ما حصل لآدم وحوّاء =

عصى الله سبحانه، ثم تناولا من شجرة التين أوراقاً فاستترا بها، فناداهما جلّ شأنه: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، اخرجا عن جواري؛ فإنه لا يجاورني مَنْ عصاني، فأُهْبِطا إلى الأرض متفرّقين، وأهبط إبليس معهما[١]، ونُودي عليهما: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف: ٢٤]، وأُخبرا ببغض إبليس لهما والحذر منه، فنزل آدم بأرض سرانديب[٢]، وحوّاء بجدّة[٣]، فبكى آدم على فراق الجنّة وحضرة العالم العلويّ كثيراً، وأسف على ما فاته من العزم، فألهمه الله جلّ شأنه كلمات وهي قوله عزّ مِن قائل: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧][٤]، فعفا الله ﷻ، وأقبل عليه، وأوحى إليه، وعلّمه أسباب صلاح معاشه ومعاده.

= بعد أكلهما الشجرة المنهيّة وانتزاع اللّباس عنهما، فقال: ومدّ يده ليتناول ورقة من أوراقها ليستر بها عورته، فارتفعت الورقة فبكى، فما قصدا شجرة ليأخذا من أوراقها إلا امتنعت عنهما، وقالت: ما كنت لأستر مَنْ كشفه الله، ودعتهما شجرة التين إلى نفسها ترحماً على حالهما، فأخذا من ورقها وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة. . . .

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٧٨: عن ابن عباس: وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة. ورق التين، وهذا إسناد صحيح إليه، وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب، وظاهر الآية يقتضي أعمّ من ذلك.

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾. قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٧٩: وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس.

(٢) هي: جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند. معجم البلدان: ٣/٢١٦.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: ٣/٢٠٦ تعليقاً على ما ذكره المفسّرون من الأماكن التي هبط فيها آدم وزوجته: ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات ـ والله أعلم بصحتها ـ، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلّفين في أمر دينهم أو دنياهم؛ لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ.

(٤) المراد بالكلمات هي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، قاله ابن عباس والحسن وابن جُبير ومُجاهد وأُبي بن كعب والبخاري وغيرهم.

وقيل: هي ما رواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس: فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه، قال: قال آم: يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى، وكتبت عليّ أن أعمل هذا؟ قيل له: بلى، قال: أفرأيت إن تُبتُ هل أنت راجعي إلى الجنّة؟ قال: نعم؛ قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قلت: المراد كلا القولين.

انظر: تفسير ابن كثير: ١/٨١، وفتح الباري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذرّيته: ٦/٣٦١.

ثم إنّ آدم عليه السلام لمّا نزل بسرنديب جاءه جبريل عليه السلام فأمره بالحجّ، وسار معه، حتى أتيا المزدلفة اجتمع بحوّاء، فلهذا سمّي جمعاً، وتعارفا بعرفة؛ فلهذا سمّي عرفة[1]، فوقفا بها إلى أن غربت الشمس من اليوم التاسع ثم أفاضا إلى مزدلفة فباتا بها، ثم أتيا مِنى فرميا الجِمار وحلقا ونفرا، ثم أتيا البيت الشريف وطافا به.

ثم إن آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض أفضى إلى حوّاء عليها السلام فأولدها، وكان جملة ما ولدت حوّاء لآدم أربعين بطناً[2]، في كل بطن ولد وبنت، أوّلهم قابيل وتوأمته قليما، وآخرهم عبد المغيث وأخته أمة المغيث.

وكان آدم عليه السلام يزوّج ولد البطن الثاني البنت الأولى، وولد البطن الأول لبنت البطن الثاني؛ لأنه لم يكن مِنَ البشر سوى أولاد آدم.

فأمر آدم عليه السلام[3] قابيل أن يزوّج ليود، وأن يتزوج هابيل من أُخته قليما، فأبَى قابيل لكون توأمته كانت أجمل من توأمة هابيل، أو لكونه على أحد الأقوال ولدا في الجنّة[4] قبل أن يهبط آدم عليه السلام إلى الأرض، فقال: أختي أجمل من أخته ونحن من أولاد الجنّة، وهو من أولاد الأرض، فلا أقبل

---

(١) قلت: لم أجد دليلاً من الكتاب ولا السنّة يؤيّد على هذا.

(٢) والأوْلى بنا أن لا نحدّد عدد أولاد آدم، حيث إننا لم نجد من الكتاب والسنّة ما يؤيّد على ذلك.

وذكر ابن جرير في تاريخه: ١/ ١٤٥ عن بعضهم: أنّ حواء ولدت لآدم عشرين ومائة بطن أوّلهم قابيل وتوأمته قليما، وآخرهم عبد المغيث، وقال ابن إسحاق: إنهم أربعون ولداً في عشرين بطناً، وذكر أسمائهم.

(٣) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٩٢: عن ابن عباس وعن ناس من الصحابة أن آدم كان يُزَوِّج ذكرَ كلِّ بطنٍ بأنثى الأخرى، وأنّ هابيل أراد أن يتزوّج بأخت قابيل وكان أكبر من هابيل، وأخت قابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوّجه إيَّاها فأبَى، فأمرهما أن يقرّبا قرباناً، وذهب آدم ليحجّ إلى مكّة، واستحفظ السماوات على بنيه فأبَيْن، والأراضين والجبال فأبَيْن، فتقبّل هابيل بحفظ ذلك؛ فلما ذهب قرّبا قربانهما، فقرّب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم، وقرّب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنّك حتى لا تنكح أختي، فقال: إنما يتقبّل الله مِنَ المتّقين. وانظر: تفسير ابن جرير: ٦/ ١٢٠.

(٤) وهو قول أهل الكتاب رواه ابن إسحاق، ينظر عن: ابن كثير ١/ ٤٢، وتاريخ الطبري: ١/ ١٣٩.

ذلك؛ فجاءه إبليس ـ نسأل الله السلامة ـ وهو الكبر والعجب الذي أخرجاه من حضرة الله تعالى، فقال آدم عليه السلام: إنّ الله عز وجل قد أمرني لذلك فأبى، وقال: هذا من رأيك[1]، فأمرهما آدم عليه السلام أن يقرّب كل منهما ـ أيّ من هابيل وقابيل ـ قرباناً لله تعالى، وكان في الأُمم السالفة توضع القرابين على جبل عالٍ فتنزل نارٌ من السماء فتُحرق المُتقَبَّل وتُبقي الغير المتقبّل، فقرّب قابيل من خبيثِ زَرْعه، وكان زارعاً، وقرّب هابيل من طيب غنمه، وكان صاحب غنم، فنزلت النار فأحرقت قربان هابيل وتركت الآخر، فحسده عند ذلك[2].

وتأكّدت عداوته له، وأضمر أن يقتل أخاه، فانتظر خلوة وفراغاً، فلمّا وجد والدَه توجّه إلى الحجّ أتى إلى أخيه، واغتاله، ووضع رأسه بين حجرين فشدخه ورضّ دماغه فمات، فهو أوّل من سنّ القتل[3] في بني آدم، فحزن آدم عليه السلام على قتل هابيل كثيراً، وفرّ قابيل بأُخته وتزوّج بها وأولد منها أولاداً كثيراً، وبَعُد من مساكن أبيه من الأرض. ثم إن آدم عليه السلام أفضى إلى حوّاء، فحملت بشيت[4] عليه السلام، وعاش آدم عليه السلام من العمر قريباً من ألف عام[5]،

---

(١) وفي تفسير ابن كثير ٢/ ٤٢: يقول بعض أهل العلم بالكتاب الأوّل: كانت أخت قابيل من أحسن الناس فضنّ بها على أخيه وأرادها لنفسه ـ والله أعلم أيّ ذلك كان ـ فقال له أبوه: يا بنيّ إنها لا تحلّ لك. فأبى قابيل أن يقبل ذلك مِنْ قول أبيه، قال له أبوه: يا بنيّ قرّب قرباناً، ويقرّب أخوك هابيل قرباناً فأيّكما يُقبل قربانه فهو أحقّ بها، وكان قابيل على بذر الأرض، وكان هابيل على رعاية الماشية، فقرّب قابيل قمحاً، وقرّب هابيل أبكاراً من أبكار غنمه، فأرسل الله ناراً بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، وبذلك كان يُقبل القربان إذا قبله. رواه ابن جرير في تفسيره: ٦/ ١٨٨.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة].

(٣) روى البخاري من حديث ابن مسعود عن النبيّ ﷺ قال: «لا تقتل نفس إلّا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ منها». صحيح البخاري، كتاب الديّات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢]: ٨/ ٣٥.

(٤) هو: شيت بن آدم لصلبه وهو نبيّ ووصيّ أبيه آدم عليه السلام، ويقال: إن أنساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيت، وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا. انظر: تاريخ الطبري: ١/ ١٦٥، والبداية والنهاية: ١/ ١٠٧.

(٥) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٩٩: واختلف في مقدار عمره عليه السلام؛ ففي الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعاً: أن عمره اكتتب في اللوح المحفوظ ألف سنة، وهذا لا يعارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة؛ لأن قولهم مطعون فيه =

واستخلف ابنه شيث عليه السلام، وأُنزل عليه في هذه المدة خمسون صحيفة[١] من حضرة الله تعالى ـ عليه سلام الله تعالى ورحمته ورضوانه آمين ـ.

[قصة نبيّ الله شيث عليه السلام

ومعناه في العربية هبة الله وعطيّته[٢]، وهو خليفة آدم ووصيّه، عمل بوصايا الحقّ تعالى، وعاش مِنَ العمر تسعمائة واثنتي عشرة سنة[٣]، وأنزل عليه عشرون صحيفة[٤]، وتزوّج ليود أخت هابيل، وكان النور الإلٰهي الرّباني ظاهراً في وجهه عليه السلام][٥].

[واستخلفه إدريس[٦] ـ عليه الصّلاة والسلام ـ، وهو المسمّى بخنون في لسان الأُمم السالفة، وهو أوّل مَنْ أُعطي السعة، والبراعة في العلوم، والتكلّم في حقائق الأشياء[٧]، ومسير الأفلاك، ومنازل الكواكب، وتقسيم البروج،

= ومردود إذا خالف النص، ويمكن الجمع بينهما، فإنّ ما في التوراة محمول على مدّة مقامه في الأرض بعد الإهباط، وذلك تسعمائة وثلاثون سنة شمسية، وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة فيكون الجميع ألف سنة. وانظر: تهذيب الأسماء: ١/ ٩٥.

(١) وفي البداية والنهاية: ١/ ٩٩: فلمّا مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام، وكان نبيّاً بنصّ الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذرّ مرفوعاً: أنه أنزل عليه خمسون صحيفة.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٩٨: ومعنى شيث هبة الله، وسمّياه ذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل.

(٣) وفي تاريخ الطبري: ١/ ١٦٣: وكانت وفاته عليه السلام وقد أتت وله تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة.

(٤) وقيل: أنزل عليه خمسون صحيفة كما في حديث أبي ذرّ مرفوعاً: «إنّ الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف، على شيث خمسون صحيفة»، رواه ابن حبان في صحيحه نقلاً عن قصص الأنبياء لابن كثير: ١/ ٦٧.

لم أعثر على الحديث.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح)، وهو من بداية القصة.

(٦) قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم].

(٧) وفي البداية والنهاية: ١/ ٩٩: فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوّة والصديقة، وهو حنون هذا. . .، ويزعم كثير من علماء التفسير أنّه أوّل مَنْ تكلّم في حقائق الأشياء، ويسمّونه هرمس الهرامسة، ويكذّبون عليه أشياء كثيرة، كما كذّبوا على غيره من الأنبياء.

وهو أوّل مَنْ أحسن الخطّ[1]، ومنه استفيد علم الرمل والهيئة وإخراج ما في الضمائر، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة[2] من حضرة الله تعالى.

وسمّي إدريساً لكثرة دراسته[3] كُتُب الله تعالى، وهو المسمّى عند اليونان ولسان الأُمم السالفة هرمس.

وقد اختلف العلماء في إدريس، هل كان قبل نوح أو بعده؟ وسياق كثير من الأخبار يقتضي أنه قبل نوح عليه السلام[4].

[والذي يظهر][5] ـ والله أعلم ـ أنّ مسمّى إدريس مِنَ الأنبياء ثلاثة: [إدريس][6] الأوّل، وهو الذي قبل الطوفان، وإدريس الثاني، وإدريس الثالث وهو النبيّ إلياس[7].

ورفع إدريس عليه السلام بعد أن بلغ من العمر ثلاثمائة وخمساً وستين عاماً[8]؛

---

(١) وقيل: إن إدريس عليه السلام هو المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي، قال: قلت: يا رسول الله، ومنّا رجال يخطّون؟ قال: «كان نبيّ من الأنبياء يخطّ، فمن وافق خطّه فذاك»، رواه أبو داود في سننه كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير: ١٦/٤، وانظر: البداية والنهاية: ٩٩/١.

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه من حديث أبي ذرّ الغفاري، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذرّ، أربعة ـ يعني من الرُّسل ـ سريانيون: آدم، وشيث، ونوح، وأخنون؛ وهو أوّل من خطّ بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنون ثلاثين صحيفة».

(٣) وفي تفسير الخازن: ٢٤٩/٤: سمّي إدريس لكثرة دراسة الكتب، وكان خيّاطاً، وهو أوّل مَنْ خطَّ بالقلم. . . .

قال أحمد الدينوري في الأخبار الطوال: ١: وسمّي إدريس، لكثرة دراسته.

(٤) ومما يؤيّد أن إدريس قبل نوح ما قاله ابن كثير في قصص الأنبياء: ٧١/١: وكان ـ أي إدريس ـ أوّل بني آدم أُعطي النبوّة بعد آدم وشيث عليهما السلام. وانظر: البداية والنهاية: ٩٩/١.

وفي الأخبار الطوال: ١: وكان أوّل نبيّ بعد شيث واسمه أخنون بن يرد بن مهليل.

(٥) في (هـ) غير واضح، وما أثبتناه في (ح).

(٦) في (هـ) غير واضح، وما أثبتناه في (ح).

(٧) عن ابن مسعود أنّه قال: «إلياس هو إدريس»، قال ابن كثير تعليقاً على قول ابن مسعود والصحيح أنه غيره. انظر: قصص الأنبياء: ٢٤٦/٢.

قلت: قد ذكرت أن إدريس من الأنبياء واحد، وليس كما ذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ. انظر: صفحة ٢١.

(٨) وفي تاريخ الطبري: ١٧٠/١: إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلاثمائة سنة وخمس وستين سنة مضت من عمره. وانظر: المختصر في أخبار البشر: ٩/١.

كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، فرفع وهو حيّ بجسده، وأدخل الجنّة، ثم وضع في السماء الرابعة[١]، وبعد رفعه أسف عليه أتباعه فقدوا بركة وجوده، ورأوا أنه قد فات أهل الأرض خير عظيم في وجوده بها، فوضعوا على هيئته وشكله [تماثيل][٢] يضعونها في مواضع متعبّداتهم ومحل استفاداتهم، يتواضعون لها، ويتذكّرون بها نبيّ الله إدريس عليه السلام.

ثم وضع مِنْ بعدهم شكل إدريس، وشكل نظرائه من أهل المعرفة، وكان مقصدهم التذكّر والتبرّك فقط.

ثم أتى مَن بعدهم، فاتّخذهم آلهة فعبدهم، فشاع وذاع عبادة الأصنام من ذلك الزمان إلى أن بعث الله نوحاً ـ عليه وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة والسلام][٣].

قصة نبيّ الله نوح
ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ[٤]

وسمّي نوحاً لكثرة نياحته[٥]، وكان قد كثر الفساد، والفسوق، والعصيان لله جلّ شأنه في زمانه، واختلط بأولاد آدم عليه السلام أولاد ابنه قابيل، وكانوا هم أوّل

---

(١) وقيل: رفعه معنوي ـ يعني الرفعة بعلوّ المرتبة في الدنيا ـ، والأصح أن رفعه بجسده حيّاً إلى السماء؛ لأن الرفعة المقترنة بالمكان لا تكون معنوية غالباً، ويؤيّده ما روى الشيخان من حديث أنس بن مالك بن صعصعة عن النبيّ ﷺ أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج.

انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج: ٤/٢٤٨، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الإسراء: ٢/٢٠٩.

(٢) في (هـ): «مثالاً»، وما أثبته من (ح).

(٣) ما بين المعقوفين ـ وهو من أول قصة شيث عليه السلام من قوله: «واستخلفه إدريس» ص(١٧٢) ـ ساقط من (ح).

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/١٠٠: وقد ذكر قصة نوح عليه السلام وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير موضع من كتابه العزيز: الأعراف: ٥٩ ـ ٦٤، يونس: ٧١ ـ ٧٣، هود: ٢٥ ـ ٤٩، الأنبياء: ٧٦ ـ ٧٧، المؤمنون: ٢٣ ـ ٣٠، الشعراء: ١٠٥ ـ ١٢٢، العنكبوت: ١٤ ـ ١٥، الصافات: ٧٥ ـ ٨٢، القمر: ٩ ـ ١٧، نوح: ١ ـ ٢٨ سورة كاملة.

(٥) وفي تفسير الخازن: ١/٢٢٩: «وإنما سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه».

مَن اتَّخذ آلات الطرب[1] والغناء، وأباح الخمور والمعازف وسائر المنكرات، وكانت الأُمم طوائف؛ فمنهم عبدة النار، ومنهم عبدة الكواكب، ومنهم عبدة الأصنام، فنبأ الله ـ جلّ شأنه ـ نوحًا عليه السلام[2]، فدعاهم إلى الله تعالى وأرشدهم وحذّرهم عقاب الله وغضبه وسخطه[3]، وأقام يدعوهم إلى الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاماً[4]، فلم يسمعوا ولم يجيبوا ولم يمتثلوا أوامر الله جلّ شأنه، بل أصرّوا على عبادة المخلوقات من دون الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه باتّخاذ السفينة، فغرس شجر الساج[5] بأمر الله تعالى، ثم صنع منه سفينة عظيمة كبيرة، فحمل فيها نفسه وأولاده ومَنْ آمَنَ به، وكانوا نحو السبعين أو الثمانين وأزواجهم[6] ومِنْ سائر الحيوانات، وجميع ما يحتاج إليه، ودعا إليه

---

(١) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٣/ ٤٨٣: أن بطنين من ولد آدم، كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل. . . وأن إبليس ـ لعنه الله ـ أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام، فآجر نفسه منه فكان يخدمه فاتّخذ إبليس شيئاً من مثل الذي يزمر فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله، فبلغ ذلك من حوله، فأتوهم يسمعون إليه واتّخذوا عيداً يجتمعوا إليه في السنة، فيتبرّج النساء للرجال ويتزين الرجال لهنّ، وأن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء وصباحتهنّ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحوّلوا إليهنّ فنزلوا معهنّ وظهرت الفاحشة فيهنّ. . . . ورواه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٥٤٨ بنحوه.

(٢) وفي البداية والنهاية: ١/ ١٠٦: إن الفساد لمّا انتشر في الأرض وعمَّ البلاء بعبادة الأصنام فيها، بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه.

(٣) كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود]، وغيرهما من الآيات.

(٤) فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت].

(٥) وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٤٤٤: وذكر محمّد بن إسحاق عن التوراة: أن الله أمره أن يصنعها من خشب الساج وأن يجعل طولها ثمانين ذراعاً وعرضها خمسين ذراعاً.

(٦) وفي البداية والنهاية: ١/ ١١١: واختلف العلماء في عِدّة مَنْ كان معه في السفينة؛ فعن ابن عباس: كانوا ثمانين نفساً ومعهم نساؤهم، وعن كعب الأحبار: كانوا اثنين وسبعين نفساً، . . . =

عليهم قائلاً: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦ ـ ٢٧]، كشف الله ـ جلّ شأنه ـ له عليه السلام عن حقائقهم وحقائق ذراريهم، فلم يجد فيهم قبولاً للخير والإيمان، فدعا إلى الله سبحانه وتعالى، وركب في السفينة، وكان طولها ستمائة ذراع[1]؛ فأنزل الله ـ جلّ شأنه ـ الأمطار وفجّر الأرض بالأنهار، فأغرقت الأرض[2]، وارتفع الماء عن أعلى جبل شاهق في الأرض أربعين ذراعاً[3]، وأهلك الله ـ جلّ شأنه ـ تلك الأُمم جميعاً، وبقي النَّسل من نوح عليه السلام ومَنْ معه[4]، ولم يتّصل عقب الذين كانوا معه مِنْ آدم الثاني[5]،

= قلت: الأسلم تفويض علم ذلك إلى الله تعالى: لأن الله أبهمه في كتابه؛ كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود].

(١) وهو قول الحسن البصري، كما ذكر ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٤٤٤: وعن الحسن: طولها ستمائة ذراع، وعرضها ثلاثمائة، وعنه عن ابن عباس: طولها ألف ومائتا ذراع في عرض ستّمائة، وقيل: طولها ألفا ذراع وعرضها مائة ذراع، فالله أعلم.

أقول: الأسلم تفويض علم ذلك إلى الله تعالى.

(٢) كما قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر].

(٣) وقيل غير ذلك كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ١١١: قال جماعة من المفسّرين: ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعاً، وهو الذي عند أهل الكتاب. وقيل: ثمانين ذراعاً وعمّ جميع الأرض طولها والعرض سهلها وحزنها وجبالها وقفارها ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض ممّن كان بها من الأحياء عين تطرف، ولا صغير ولا كبير.

(٤) القرآن يذكر أن النّسل من ذرّية نوح فقط، ولم يذكر ذرية مَنْ آمن معه؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات].

وذكر ابن كثير في تفسيره: ٤/ ١٢ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام، وقال قتادة: الناس كلّهم من ذرية نوح عليه السلام. وروى الترمذي وغيره من حديث سمرة رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ قال سام، وحام، ويافث، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الصافات: ٥/ ٣٦٤، ورواه الحاكم وصحح نحوه في المستدرك، كتاب التاريخ، باب ذكر نوح: ٢/ ٥٤٦.

(٥) آدم الثاني هو: شيث بن آدم عليه السلام، سمّي بذلك لأن أنساب بني آدم اليوم كلّها تنتهي =

وبين الطوفان وخلق آدم ألفا عام ومائتان واثنان وأربعون عاماً ـ عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ.

قصّة نبيّ الله هود عليه السلام[1]

وكان مرسلاً إلى قومه[2]، وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح[3]. وكانوا قبائل عظيمة وأمماً جليلة، وكانت مساكنهم أحقاف[4]

= إلى شيث عليه السلام، وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا. انظر: البداية والنهاية: ١/١٠٧.

(١) ذكر الله ﷻ قصة هود عليه السلام في عدّة مواضع من القرآن؛ ففي سورة (الأعراف) قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

وانظر قصّته أيضاً في: سورة هود: ٥٠ ـ ٦٠، وسورة المؤمنون: ٢١ ـ ٤١، وسورة الشعراء: ١٢٢ ـ ١٤٠، وسورة حم السجدة (فصلت): ١٥ ـ ١٦، وسورة الأحقاف: ٢١ ـ ٢٥، وسورة الذاريات: ٤١ ـ ٤٢، وسورة النجم: ٥٠ ـ ٥٥، وسورة القمر: ١٨ ـ ٢٢، وسورة الحاقة: ٦ ـ ٨، وسورة الفجر: ٦ ـ ١٤.

(٢) وفي البداية والنهاية: ١/١٢١: أن عاد الأولى كانوا أوّل مَنْ عبد الأوثان بعد الطوفان... فبعث الله فيهم أخاهم هوداً عليه السلام، فدعاهم إلى الله تعالى، كما قال تعالى بعد ذكر قوم نوح في سورة (الأعراف): ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ...﴾.

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره: ٢٧/١٧.

وفي (هـ) و(ح) تقديم عوص على إرم هكذا: «عاد بن عو بن إردم بن سام»، وما أثبتّه من تفسير ابن جرير، وتفسير القرطبي: ٩/١٢٠، وتفسير ابن كثير: ٤/٢٥٩.

(٤) كما قال تعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف].

والأحقاف جمع حقف، وهو من الرمل ما استطال، ولم يبلغ أن يكون جبلاً.

وانظر: تفسير ابن جرير: ١٦/٢، وتفسير ابن كثير: ٤/١٦٠.

حضرموت[1] ممتدّة إلى أرض عُمان، وكانت أرضهم أخصب أرض الله وأحسنها، وفيهم الملوك الجبابرة، وبعض ملوكهم ملك الأرض جميعها، فدعاهم إلى الله ﷻ وعرّفهم وحدانيته وعظمته وكبرياءه، فلم يستجب له فيهم إلّا القليل، فأهلك الله طغاتهم بالريح العقيم؛ فأرسل الله ـ جلّ شأنه ـ عليهم ريحاً حارّة شديدة، فأهلكت كل جبار عنيد وباغٍ متمرّد، ولم تبقِ منهم أحداً؛ كما قال عزّ مِنْ قائل: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة]، بعد أن ابتلاهم الله ﷻ بإمساك الغَيْث عنهم ثلاث سنين[2]، حتى أجهدهم ذلك، وقد أهلك بدعاء هود عليه السلام عاداً الأولى السابق ذكر أبيهم، وهو عاد بن إرم بن عوص[3]، وهو أبو قبائل عاد جميعها.

وعاد الثانية[4]، وهو من أولاد عاد الأكبر، ويقال له: عاد الأصغر، وهو

---

(١) حضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تُعرف بالأحقاف. معجم البلدان: ٢/ ٢٧٠.

(٢) وذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ١/١٢٦: قال ابن إسحاق: فلما أبوا ـ أي قوم هود ـ إلا الكفر بالله ﷻ أمسك عنهم المطر ثلاث سنين حتى أجهدهم ذلك....

(٣) هو: إرم بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام، كانوا عرباً يسكنون الأحقاف، ويسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر]، وهم أوّل مَنْ عبد الأصنام بعد الطوفان، فبعث الله فيهم هوداً عليه السلام فكذّبوه وخالفوه، فأهلكهم الله بريح صرصر. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٧/٧٧، وتفسير القرطبي: ٩/ ١٢٠، والبداية والنهاية: ١/ ١٣٧، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٢٥٩.

(٤) قلت: ما ذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن عاداً اثنتان عاد الأولى وعاد الثانية، هذا الكلام خطأ؛ فإن عاداً واحدة وهو قوم هود عليه السلام وليس هناك عاد ثانية. فلعلّ الذي جعل المؤلف يفهم أن هناك عادين اثنتين نتج من خطأ الفهم عن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [النجم]، حيث ذكرت الآية عاداً الأولى، فعلى ذلك هناك عاد ثانية، وهذا خطأ؛ فإن معنى الأولى أي الأولى في الإهلاك بعد قوم نوح عليه السلام، وبعدها ثمود. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [النجم].

قال البيضاوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾: القدماء؛ لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح عليه السلام.

انظر: تفسير البيضاوي في هامش حاشية الشهاب: ٨/١١٨، وتفسير الشوكاني: ٥/ ١١٧.

عاد بن صدا بن عاد الأكبر، ومن أولاد الأصغر لقمان بن عاد، وكان في زمن هود عليه السلام.

وبعد أن أهلك الله ـ جلّ شأنه ـ عاداً توجّه هود إلى مكّة لزيارة البيت الشريف[1]، وأقام يعبد الله تعالى، ويطوف ببقعة البيت الشريف، كانت ربوة خضراء عالية؛ لأنه بعد الطوفان لم يعمر البيت أحد إلى عهد إبراهيم[2] ـ عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة والسلام ـ.

قصة نبيّ الله صالح ـ عليه الصّلاة والسلام ـ[3]

أرسله الله إلى قومه، وهم ثمود[4]، ومسكنه الحجر[5] وما والاها، ممتدّة

(١) ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: ١/١١٩: عن ابن عباس قال: حجّ رسول الله ﷺ فلما أتى وادي عسفان قال: «يا أبا بكر، أي وادٍ هذا؟» قال: هذا وادي عسفان، قال: «لقد مرَّ بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حُمر خطمهم اللّيف أزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجّون البيت العتيق». قال ابن كثير: فيه غرابة.

(٢) روى ابن أبي حاتم من حديث عمرو بن العاص قال: لما كان زمن الطوفان رفع البيت، وكان الأنبياء يحجّونه ولا يعلمون مكانه حتى بوّأه الله لإبراهيم وأعلم مكانه.

وروى البخاري من حديث ابن عباس الطويل، وفيه: وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول. . . .

انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]: ٦/ ٢٨٤.

(٣) وقد ذكر الله تعالى قصة صالح عليه السلام في مواضع من القرآن: هود ٦١ ـ ٦٨، الحجر: ٨ ـ ٨٤، الإسراء: ٥٩، الشعراء: ١٤١ ـ ١٥٩، النمل: ٤٥ ـ ٥٣، فصلت: ١٧ ـ ١٨، القمر: ٢٣ ـ ٣٢، الشمس: ١١ ـ ١٥.

وكثيراً ما يقرن الله في كتابه بين ذكر عاد وثمود، كما في: التوبة: ٧٠، إبراهيم: ٩، الحج: ٤٢، الفرقان: ٣٨، غافر: ٣١، النجم: ٥١، الحاقة: ٤.

(٤) وفي البداية والنهاية: ١/ ١٣٠: وهم قبيلة مشهورة يقال: ثمود، باسم جدهم ثمود أخي جديس، وهما ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح؛ وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر.

(٥) هو: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام. انظر: معجم البلدان: ٢/ ٢١٩.

إلى طرف الشام، وكانوا أُمماً عظيمة وقبائل فخيمة، فدعاهم إلى الله ﷻ، وأمرهم بتوحيد الصانع، وترك عبادة ما سواه، ونهاهم عن المعاصي، والفسوق، والجور، والبغي، والعدوان. وندبهم إلى الصدقة والبرّ والإحسان، فكذّبوه وبالغوا في إنكار ما جاء به، وطلبوا علامة على صدق ما جاء به[1]؛ فخلق الله ﷻ ناقة عظيمة ولها فصيل صغير.

وكانت تحلب اللبن[2] الكثير المقيت لجمع كبيرٍ منهم، بحيث يتعذّر ولا يمكن في المعتاد أن تحلب ناقة من نِياق الخلق، وكانت هذه معجزة وكرامة من الله ﷻ لنبيّه صالح عليه السلام، وأخرج الله ـ جلّ شأنه ـ تلك الناقة من صخرة صمّاء[3]، وكانت في غاية الكِبر والعظم، واستخرج منها فصيلها، وكانت تَرِد بئر الحجر يوماً وقبائل ثمود يوماً[4]، وتشرب جميع ما في البئر وتحلب[5] كما تقدّم، وتكفيهم جميعهم، فلم يفدهم ذلك، بل أصرّوا على الإنكار والعناد، وينسبون ذلك إلى السِّحر والخيال، وعقروا ناقته، وذبحوا فصيلها؛ فغضب الله ـ جلّ شأنه ـ لذلك، وأمر ملَكاً[6] من ملائكته، فصاح بهم صيحة عظيمة، فهلكوا عن أمرهم غير صالح عليه السلام ومَنْ آمن به، ورفع المدائن وقلبها على وجهها، وكانوا أقوى الأُمم أجساداً وأعظمهم أجساماً، كذلك قوم عاد، حتى كانت بيوت ثمود [وهؤلاء][7] كلّها من الصخر المنقور، فأهلكهم الله ﷻ.

---

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء].

(٢) في (ح) زيادة كلمة: «والعسل»، وهذه الزيادة لم يقل بها أحد.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: ٣/ ٣٤٤: إنهم ـ أي قوم ثمود ـ اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربّهم، وقد اجتمع ملؤهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء، من صفتها كذا وكذا، فعند ذلك أخذ عليهم نبيّ الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به وليتبعنه، فأعطوه ذلك، فقام نبيّ الله صالح عليه السلام فصلّى ثم دعا الله ﷻ أن يجيبهم إلى سؤالهم، فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها. . . .

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء].

(٥) قال ابن كثير في تفسيره: ٣/ ٣٤٤: فمكثت الناقة بين أظهرهم حيناً من الدهر ترد الماء. . . ويتنفعون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم شرباً وريّاً. . . .

(٦) وفي روح المعاني: ٢٧/ ٩٠ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [القمر: ٣١]: هي صيحة جبريل عليه السلام.

(٧) ساقط من (هـ).

وتوجّه صالح ﷺ إلى البيت الشريف[1] (هو)[2] ومَنْ آمن به، وكانوا نحواً من أربعة آلاف رجل بعد هلاك قومه، فأقام يعبد الله ﷻ ويمجّده إلى أن توفي، ودُفن عند البيت الشريف ـ عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ.

قصة نبيّ الله إبراهيم
ـ عليه الصلاة والسلام ـ[3]

بعثه الله رسولاً إلى الأُمم الطاغية من قوم نمرود بن كنعان[4]، فدعا إلى الله ﷻ

---

(١) وفي البداية والنهاية: ١/١٣٨: أن صالحاً ﷺ انتقل إلى حرم الله، فأقام به حتى مات.
وعن ابن عباس قال: لما مرّ النبيّ ﷺ بوادي عسفان حين حجّ، قال: «يا أبا بكر أيّ وادٍ هذا؟» قال: وادي عسفان، قال: «لقد مرّ به هود وصالح ﷺ على بكرات خطمها الليف أزرهم العباء وأرديتهم النمار يلبّون يحجّون البيت العتيق». إسناده حسن.
وفي أخبار الدول: ٢٩: ولحق صالح ﷺ ومَنْ آمن مِنْ قومه بمكّة، وكان آمن بصالح مِنْ قوم ثمود أربعة آلاف نفس... وتوفي بمكّة ودُفِن بالحجر.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) وذكرت قصة إبراهيم في عدة مواضع من القرآن، تارة باختصار، وتارة بالتطويل، وتارة بذكر شأن من شؤونه في سورة، ثم شأن آخر من شؤونه في سورة أخرى. قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار: ٧٩.
دعوة إبراهيم لأبيه وقومه. انظر: سورة الأنبياء: (٥١ ـ ٥٦).
تبيت إبراهيم الإضرار للأصنام. انظر: سورة الأنبياء: (٥٧ ـ ٦٠).
المحاكمة. انظر: سورة الأنبياء: (٦١ ـ ٧٢).
احتجاج إبراهيم لدينه وتزييف دين قومه، انظر: سورة الأنعام: (٧٤ ـ ٨٣).
محاجة إبراهيم للملك نمرود. انظر: سورة البقرة: (٢٥٨).
تعدّد مواقف إبراهيم. انظر: سورة الصافات: (٨٤ ـ ٩٩)، وسورة الشعراء: (٦٩ ـ ٨٩)، وسورة مريم: (٤١ ـ ٤٨).
حبّ الاستطلاع في إبراهيم. انظر: سورة البقرة: (٢٦٠) وغير ذلك.

(٤) هو: نمرود بن كنعان بن كوش ملك بابل، كان أحد ملوك الدنيا واستمرّ في ملكه أربعمائة عام، وادّعى الربوبية، وهو الذي حاجّ الخليل ﷺ في ربّه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. انظر: تاريخ الطبري: ١/٢٨٧، والبداية والنهاية: ١/١٤٨.

وجاهد في الله حقّ جهاده فأُوذي كثيراً، ثم نصره الله تعالى، فدعا قومه إلى الله ﷻ، وتركِ ما هم عليه من عبادة الأصنام، وحاجّهم في ذلك، وبكّت عليهم، وبيَّن لهم فساد ما هم عليه، وأرشدهم إلى أن الذي يستحق العبادة هو من ينفع ويضرّ[1]، فلم يُجْدِ ذلك فيهم، فتركهم إلى أن ذهبوا لمجتمع لهم وعيد من أعيادهم، فعمد إلى أصنامهم فكسرها جميعاً إلّا صنماً واحداً كبيراً[2].

فلما جاؤوا ووجدوا آلهتهم على[3] تلك الحالة حزنوا لذلك كثيراً، وتشاوروا فيما بينهم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٥٩]، فقال: إبراهيم ﵇ تبكيتًا عليهم: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، ثم قالوا فيما بينهم وتحقّقوا أن الفاعل لذلك إبراهيم ﵇ لما سبق منه من الطعن في آلهتهم وتقبيح ما هم عليه[4]، فعرضوا[5] أمرهم على ملكهم، وكان ملكهم نمرود بن كنعان، وكان من طغاة الملوك وجبابرتهم، قد مدّ الله ﷻ له في العمر وبسط له في الرّزق وأعطاه من القوّة والشوكة أمراً عظيماً وحالاً فخيماً، فطغى بذلك، وبغى وتكبّر، وكان قد ملك من الأرض جانباً عظيماً[6]، فأخبر بفعل إبراهيم ﵇ بآلهتهم، فبعث إليه وهدّده وخوّفه،

---

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾ [الأنبياء].

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء].

وفي تفسير ابن كثير: ٣/ ١٩١: قال ابن إسحاق عن عبد الله قال: لمّا خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مرّوا عليه، فقالوا: يا إبراهيم ألا تخرج معنا؟ قال: إني سقيم، وقد كان بالأمس قال: «تالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين» فسمعه ناس منهم.

(٣) في (ح): «إلى».

(٤) وفي الكامل لابن الأثير: ١/ ٩٧: فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم راعهم ذلك وأعظموه: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء]، يعنون يسبها ويعيبها، ولم نسمع ذلك من غيره، وهو الذي نظنّه صنع بها هذا، وبلغ ذلك نمرود وأشراف وقومه. وانظر: تاريخ الطبري: ١/ ٣.

(٥) كذا في (ح).

(٦) يقال: لم يجتمع ملك الأرض إلا لثلاثة: نمرود، وذي القرنين، وسليمان بن داود. تاريخ الطبري: ١/ ٢٣٣، والكامل لابن الأثير: ١/ ٩٤.

فلم يخف ولم يرجع، بل نوّه حينئذ بشأن التوحيد وأعلن بصادق التفريد، وحقّر آلهتهم التحقير العظيم، ونقض آراءهم وعقولهم، فأرهبه الملك ولم يفتك فيه لكون أبيه آزر كان من أتباعه، فلم يرجع إبراهيم عليه السلام لما منحه الله عز وجل من قوّة اليقين، وما خصّه به من الوصول والتمكين، فلم يزل الملك يخوّفه بالقتل، ويعرضه على السجن، فلم يزده ذلك إلّا قوة في توكّله على الله تعالى واعتماداً عليه، وطرح ما سواه[1] لعلمه أنّه إنْ نفعه الله فلا ضارّ له، وإن ضرَّه[2] فلا مانع له، كل ذلك لقوّة إيمانه وخلوص يقينه، فإنّ التوكّل ثمرة اليقين.

فلمّا رأى الملك أنه لا يرجع عمّا هو عليه[3]، جعل له منجنيقاً، والمنجنيق: عبارة عن أخشاب يربط أطرافها بالسلاسل والحبال ويُرْمى بها من محلٍّ شاهق، فهو الشيء الذي يُرمى بها إلى محل بعيد بغاية الشدّة والقوَّة، فأمر الملك وهو نمرود بن كنعان[4] بجمع الحطب والأخشاب[5]، فجُمِعت وأوقدها في حفرةٍ عظيمة بعد أن حفرت تلك الحفرة القامات الطّويلة، فوضعت الأخشاب فيها والحطب الكثير، وأوقدت أياماً عديدة حتى صارت في أشدّ ما يكون من الحرارة، بحيث لا يمكن أن يمرّ بها ولو من البعد، فأمر بالمنجنيق من بعْد، ووضع إبراهيم عليه السلام فيه، وهدّد بذلك فلم يرجع إلى تصميمه فرمي من بُعْد، فلما فارق المنجنيق وهو في الهواء نازلاً إلى مستوقد النار يعرض له ملك من ملائكة الله عز وجل[6]، فقال له: ألك حاجة يا إبراهيم الخليل؟ فقال أما إليك فلا[7]، فقال له: الآن تدعو الله تعالى. فقال: عِلْمه

---

(١) في (ح): «وطرح سواه».

(٢) في (ح): «وإن خذله».

(٣) في (ح): «لما هو عليه».

(٤) في (ح): «فأمر الملك نمرود بن كنعان».

(٥) وفي البداية والنهاية: ١/١٤٦: أنهم شرعوا يجمعون حطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له... ثم عمدوا إلى جوبة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب، وأطلقوا فيه النار... فالتهبت وعلاها شرر لم يُرَ مثله قطّ، ثم وضعوا في كفّة المنجنيق مقيداً مكتوفاً ثم ألقوه منه إلى النار، قال عليه السلام: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. كما رواه البخاري، يأتي تخريجه: ١٨٤.

(٦) في (ح): «جلّ شأنه».

(٧) في البداية والنهاية: ١/١٤٦: وذكر بعض السلف: أن جبريل عرض له في الهواء =

بحالي يُغْني عن سؤالي[1]، فلمّا وصل إلى النار جعلها الله ـ جلّ شأنه ـ عليه برداً وسلاماً، فجلس فيها يقدّس الله ﷻ ويُعظِّمه[2]، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فأقام فيها سبعة أيام[3] يرزق من فضل الله ﷻ وإحسانه وجوده، وأنزل الله ـ جلّ شأنه ـ في تلك النار روضة من رياض لطفه وكرمه، فلمّا رأوا ذلك رجعوا إلى ملكهم وأخبروه بذلك وأخرجوا إبراهيم عليه السلام وجاؤوا به إلى الملك، فتعجّب من ذلك، وقال لإبراهيم عليه السلام: مَنْ أنجاك؟ فقال: أنجاني الله الذي لا إلٰه إلّا هو ربّنا وربّ كل شيء له السماوات والأرض، فترك حال إبراهيم (عليه السلام)[4] ومَنْ آمن به ممّن هدى الله قلبه بالإيمان.

= فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا.

وانظر: تاريخ الطبري: ١/٢٤٣، والكامل: ١/٩٩.

(١) في تاريخ الخميس: ١/٨٣: عن كعب الأحبار... ثم رموه بالمنجنيق في النار فاستقبله جبريل، فقال: يا إبراهيم هل لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال جبريل: فسَلْ ربّك، قال إبراهيم: حسبي مِنْ سؤالي علمه بحالي. وأورده البغوي في تفسيره، قال ابن عراق الكناني: قال ابن تيمية: إنه حديث موضوع، وهو حديث ينافي الأمر بالدعاء، ولا يصدر من مسلم، فكيف يصدر ممن سمّانا المسلمين.

انظر: تفسير البغوي: ٤/٣٠١، وتنزيه الشريعة: ١/٢٥٠، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١/٢٨.

(٢) روى البخاري من حديث ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قوله تعالى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار. صحيح البخاري مع فتح الباري: ٨/٢٢٩، كتاب التفسير، باب ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣].

(٣) وفي تاريخ الخميس: ١/٨٣: قال كعب الأحبار... وكان عليه السلام في ذلك الموضع سبعة أيام، قال إبراهيم: ما كنت في أيام قطّ أنعم من الأيام التي كنت في النار.

وفي البداية والنهاية: ١/١٤٦: عن المنهال بن عمرو أنّه قال: أخبرت أن إبراهيم مكث هناك إمّا أربعين وإما خمسين يوماً، وأنّه قال: ما كنت أيّاماً وليالي أطيب عيشاً إذ كنت فيها، وودت أن عيشي وحياتي كلّها مثل إذ كنت فيها.

قلت: القول إن مكث إبراهيم عليه السلام سبعة أيام، أو أربعين أو خمسين، لم أجد ما يؤيّده من المعصوم حتى نعتمد عليه، والأحرى بنا أنْ لا نجزم حيث لم يذكر الله ﷻ في كتابه، وما ذكره المؤلف هو من الإسرائيليّات، قاله كعب الأحبار.

(٤) ساقط من (ح).

وأمّا الملك، فلم يزده هو ومَنْ تابعه مِنْ أهل الشقاء[1] رؤية هذه الآية إلّا إصراراً على العناد والكُفر، وأمّا نبيّ الله إبراهيم ﷺ فإنه بعد أن يَئِس مِنْ إيمانهم خرج هو ومَنْ تبعه على التوحيد لله والإيمان من أرض بابل[2]، وكانت هي مسكنه، وأمر بقصد الشام واتّخاذها وطناً وداراً والسَّكن بأُوْرِيْشَلِم[3]، وهي بيت المقدس، (فسار)[4] قاصداً نحوها، وكان ممّن صَحِبه ابن أخيه لوط ﷺ وزوجته سارة، فمرّ في طريقه بجبار[5] من الملوك، فأعجبته سارة زوجة إبراهيم ﷺ وأراد أخذها وغصبها، وكان إذا أعجبته امرأة أخذها، فإنْ كان لها زوج قتله، فلمّا فهم إبراهيم ﷺ منه ذلك قال لها: إن سألك عني فقولي: هو أخي؛ فإني أخوك في الإسلام والإيمان بالله تعالى، فأرسل الملك إلى إبراهيم ﷺ وقال له: ما هذه منك؟ فقال: أختي، فطلبها الملك وخلى بها، فلما أراد أن يمدّ يده إليها، سألت الله ﷻ قائلة: اللّهمّ[6] إن كنتَ تعلم أنّي آمنت بنبيّك ﷺ وحصّنت فرجي إلَّا على زوجي فامنعه عنّي، فأرسل الله ـ جلّ شأنه ـ شيئًا فغطّه[7]، حتى كاد يموت، فدعت الله بأن يطلقه، فإنه إنْ

---

(١) في (ح): «من الشقاء».

(٢) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السِّحر والخمر. انظر: معجم البلدان: ١/ ٣٠٩، واللسان مادة: (ببل).

(٣) أُوْرِيْشَلِم: اسم للبيت المقدّس، بالعبرانية. انظر: معجم البلدان: ١/ ٢٧٩.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) في الكامل لابن الأثير: ١/ ١٠٠: ثم إن إبراهيم والذين اتّبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم فخرج مهاجراً إلى الله وكان معه لوطاً وزوجته سارة تطلب الأمان على عبادة الله تعالى حتى نزل حران، فمكث بها ما شاء الله تعالى، ثم خرج مهاجراً حتى قدم مصر، وبها فرعون من الفراعنة الأولى، كان اسمه سنان. . . وكانت سارة من أحسن النساء وجهاً. . . ، إلى آخر القصة يأتي ذكرها قريباً فيما رواه الإمام أحمد.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ١٥٠: ذكر أهل الكتاب أنه لما قدم الشام. . . ثم انطلق مرتحلاً إلى التيمن وأنه كان جوع ـ أي قحط وشدّة وغلاء ـ فارتحلوا إلى مصر، وذكروا قصة سارة مع ملكها، وأن إبراهيم قال لها: قولي: أنا أخته، ثم أخرجهم منها، فرجعوا إلى بلاد التيمن، يعني أرض بيت المقدس وما والاها ومعه دواب وعبيد وأموال.

(٦) في (هـ) و(ح): «إليهم» وهو تصحيف، وما أثبته من مسند الإمام أحمد: ٢/ ٤٠٣.

(٧) غطّ الشيء: كبسه أي ضغطه، وعصره عصراً شديداً. انظر: القاموس المحيط: ٢/ ٣٩٠، والمعجم الوسيط: ٢/ ٦٦٢.

هلك قالوا: قتلته، ففرّج الله تعالى عنه، فعاد إلى حاله، وعادت هي إلى الدعاء أيضاً، فعاد كحاله الأُولى ثلاث مرات، فلما رأى ذلك أطلقها وأمر بإخراجها، ووهب لها هاجر أمّ النبيّ إسماعيل عليه السلام[1]، وكانت من القبط، فسار إبراهيم ـ عليه الصّلاة والسلام ـ هو وسارة وهاجر إلى بيت المقدس، وكان ممّن سار معه كما تقدّم لوط عليه السلام، فنزل إبراهيم عليه السلام بأرض فلسطين ونزل لوط بأرض الأردن[2].

قصة نبيّ الله لوط ـ عليه الصّلاة والسلام ـ[3]

أرسله الله ـ جلّ شأنه ـ إلى أهل سدوم، وهي بلدة عظيمة بالأردن، ويقال: كان المُرسل إليهم سبع مدائن كبار[4]، فدعاهم إلى توحيد الله وتعظيمه،

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ١/ ٢٤٥، والكامل: ١/ ١٠٠. روى أحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: قوله حين دعي إلى آلهتهم، فقال: «إني سقيم»، وقوله: «بل فعله كبيرهم هذا»، وقوله لسارة: «إنها أختي»، قال: ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك، أو جبّار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه الملك أو الجبار: مَنْ هذه معك؟ قال: أختي، قال: فأرسل بها، قال: فأرسل بها إليه، وقال: لا تكذبي قولي، فإني قد أخبرته أنك أختي؛ ليس على الأرض مؤمن غيري وغيرك، فلما دخلت عليه قام إليها فأقبلت تتوضأ وتصلي وتقول: اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلّط عليّ الكافر، قال: فغطّ حتى ركض برجله. قالت: اللّهمّ إن يمت يقل: هي قتلته، قال: فأرسل. فقال في الثالثة أو الرابعة: . . . أرجعوها إلى إبراهيم، وأعطوها هاجر. . .». قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ١٥١: تفرّد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط الصحيح. مسند أحمد: ٢/ ٤٠٣. وقد رواه البخاي مختصراً. ، انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]: ٦/ ٣٨٨.

(٢) وفي تاريخ الطبري: ١/ ٢٩٣: وذكر أن إبراهيم ـ بعد رجوعه ومَنْ آمن معه وفي مقدمتهم لوط من مصر ـ نزل فلسطين، وأنزل ابن أخيه لوطاً الأردن. . . .

(٣) ذكر الله تعالى قصّته عليه السلام في مواضع من القرآن الكريم: الأعراف: ٨٠ ـ ٨٤، هود ٦٩ ـ ٨٣، الحجر: ٥١ ـ ٧٧، الشعراء: ١٦٠ ـ ١٧٥، النمل: ٥٤ ـ ٥٨، العنكبوت: ٢٨ ـ ٣٥، الصافات: ١٣٣ ـ ١٣٨، الذاريات: ٣١ ـ ٣٧، القمر: ٣٣ ـ ٤٠.

(٤) قلت: ولم أعثر على ما قاله المؤلف من أن مدائن قوم لوط سبع، فقد روى الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، باب أحوال قوم لوط عليه السلام: ٢/ ٥٦٢: قال الواقدي: =

وأمرهم باجتناب المناكر والفواحش، وكان قد فشي في أهل هذه الأرض اللواط، فنهاهم لوط عليه السلام عن ذلك، وحذّرهم غضب الله وسخطه عليهم، فلم ينتهوا عمّا هم عليه(١)، وكانوا يتجاهرون(٢) بذلك في مجالسهم ونواديهم، ويفعلون الفاحشة بمن وصل إليهم من غريبٍ أو ابن سبيل، وكان لوط عليه السلام على سنّة إبراهيم عليه السلام في الكرم وإيواء الغريب والضّيف، وكان من سنّة إبراهيم الخليل عليه السلام(٣) أنْ لا يأكل إلّا مع ضيف ولو جلس طاوياً، وكان يتطلّب الضيف الفراسخ البعيدة عن منزله، فإذا وجده أتى به وأكل معه، فلما لم ينتبه الأُمم(٤) التي أرسل الله عز وجل إليهم لوطاً عليه السلام ولم يقبلوا نصيحته وأرادوا إيذاءه وإخراجه من أرضهم لنصحه لهم، أرسل الله تعالى ملائكة في صورة البشر، فنزلوا على إبراهيم عليه السلام فنحر لهم عجلاً سميناً، فقرّبه إليهم فلم يأكلوا لأن ذوات الملائكة وقوابلهم لا تقبل ذلك، لما رأى ذلك منهم استوحش وخشي منهم(٥)، فلمّا علموا ذلك منه بيّنوا له أنهم رُسُل من حضرة الله، وأنّهم مأمورون بإهلاك الأُمم التي أرسل إليهم لوطاً، فراجعهم

= وبلغني أن إبراهيم عليه السلام لما هاجر إلى الشام وأخرجوه منها طريداً فانطلق ومعه سارة ـ فذكر قصة طويلة ـ منها أن لوطاً نبّأه الله وبعثه إلى المؤتفكات رسولاً وداعياً إلى الله وهي خمس مدائن أعظمها سدوم ثم عمود ثم أروم ثم صعور ثم صابور... فنزل لوط سدوم، فلبث فيهم بضعاً وعشرين سنة يأمرهم وينهاهم ويدعوهم إلى الله وإلى عبادته وترك ما هم عليه من الفواحش والخبائث... الحديث.

وذكر الطبري في تاريخه: ٣٠٧/١، وابن الأثير في الكامل: ١٢٢/١: أن مدائن قوم لوط خمس.

(١) في الكامل لابن الأثير: ١١٨/١: أقام لوط عليه السلام بسدوم، أرسله الله إلى أهلها، وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب الفواحش وإتيان الذكور في الأدبار وقطع السبيل، وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الأمور التي يكرهها الله منهم، ويتوعّدهم على إصرارهم وترك التوبة بالعذاب الأليم. بتصرّف قليل.

(٢) في (ح): «وكانوا يتظاهرون».

(٣) في (ح): «إبراهيم عليه السلام».

(٤) في (هـ): «فلمّا لم ينتبهوا الأمم»، وهو خطأ نحوي.

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود]، وانظر: سورة الذاريات: ٢٤ ـ ٢٨.

إبراهيم عليه السلام قائلاً: إن فيهم لوطاً وأهله، فكيف يكون الإهلاك؟ فقالوا: قد أمرنا الله عز وجل بذلك، ولوط وأهله محفوظون من الهلاك مُبْعدون عنه، فلمّا علم أنّ الأمر من الله ـ جلّ شأنه ـ مُبرم سكت ولم يراجع[١].

وكانت سارة قائمة، فضحكت من مراجعة إبراهيم عليه السلام ومخاطبته لهم، وعجبت من ذلك[٢]، ثم ذهب أولئك المرسلون من عند الله، فلما رآهم لوط عليه السلام خشي عليهم من فساد أهل المدينة، فذهب بهم إلى منزله وأخفاهم في داره، وكانت امرأته ممن يميل إلى صنيع أهل المدينة، ولم تكن من المخلصين [مع لوط][٣]، ويقال: إنها أشارت إلى أهل المدينة بالأضياف، فأقبلوا يهرعون إليه يريدون الأضياف[٤]، فمنعهم عن ذلك وعرض عليهم بناته

---

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هود]. وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت].

وفي البداية والنهاية: ١/ ١٩٤: وذكر سعيد بن جبير والسدي وقتادة ومحمد بن إسحاق: أن إبراهيم عليه السلام جعل يقول: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: فأربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا. قال ابن إسحاق: إلى أن قال: أفرأيتم إنْ كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا...﴾ الآية. وانظر: تاريخ الطبري: ١/ ٢٩٧، والكامل لابن الأثير: ١/ ١١٩.

(٢) قلت: إن إعجاب سارة ليس من مراجعة إبراهيم ضيوفه في شأن لوط، وإنما هو من عدم تناولهم الطعام وبشارة الولد وهما على هذه الحالة كبر سارة وشيخوخة إبراهيم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود].

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في الكامل لابن الأثير: ١/ ١٢٠: ثم مضت الملائكة نحو سدوم قرية لوط، فلما انتهوا إليها لقوا ابنته.. فقالوا: يا جارية هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم... فأتت أباها، فقالت: يا أبتاه أدرك فتياناً على باب المدينة ما رأيت أصبح وجوهاً منهم لئلا يأخذهم قومنا فيفضحوهم. فجاء بهم فلم يعلم إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، وقالت لهم: قد نزل بنا قوم ما رأيت أحسن وجوهاً =

فلم يقبلوا، وألحّوا[1] في طلبهم، فلما رأى ذلك منهم وعجزه عن مقاومتهم قال كما قال الله تعالى في كتابه العزيز حاكياً عنه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠]، يعني قبيلة ومنعة ناصرين. وأمّا قوله[2]: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً . . .﴾ إلى آخره، فلعلّه قصد بذلك استنزالهم واستعطافهم والإشارة إليهم، بأنّي[3] رجل ضعيف مسكين. . .[4]، وإلَّا فأنبياء الله معترفون في جناب الالتجاء إلى الله تعالى، فلم يُفِد ذلك[5]؛ فلما رأت الملائكة ما يُقاسيه لوط عليه السلام مع قومه أفصحوا له بالمقصود، وأبدوا له حقيقة الحال، وأخبروه أنهم مُرْسلون مِنْ جناب الحقّ ـ جلّ شأنه ـ لإهلاك هؤلاء القوم[6]، وأرسل الله

= منهم. . . فجاءه قومه يهرعون فقال: يا قوم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود: ٧٨]. فنهاهم ورغبهم وقال: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ﴾ [٧٨] مما تريدون. ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩﴾.

أخرج الحاكم في المستدرك: ٢/٥٦٣ وصححه على شرط مسلم ولم يخرجاه: عن ابن مسعود: أن الملائكة خرجت من عند إبراهيم نحو قرية لوط وأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي. . الحديث.

(١) في (هـ): «ولحوا»، وما أثبته من (ح).

(٢) في (ح): «وأن قوله».

(٣) في (ح): «فإني».

(٤) أسقطت بعض الكلمات هنا، لأنها غير واضحة في النسختين وغير مفهومة.

(٥) قال ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: ٤/٩: ظن بعض الفرق أن ما جاء في الحديث الصحيح من قوله ﷺ: «رحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد» أخرجه مسلم. . . وقد أخرج البخاري نحوه في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ . .﴾. إنكار على لوط عليه السلام ولا تخالف بين القولين، بل كلاهما حق، لأن لوطاً عليه السلام أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش، من قرابة أو عشيرة أو أتباع مؤمنين. وما جهل قط لوط عليه السلام أنه يأوي من ربه تعالى إلى أمنع قوة، وأشد ركن. ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس، فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٖ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فهذا الذي طلب لوط عليه السلام، وقد طلب رسول الله ﷺ من الأنصار والمهاجرين منعة، حتى يبلغ كلام ربه تعالى، كيف ينكر على لوط أمراً هو فعله عليه السلام تالله ما أنكر ذلك رسول الله ﷺ وإنما أخبر أن لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد، يعني من نصر الله بالملائكة. . .

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٖ مِّنَ الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾ [هود].

ـ جلّ شأنه ـ عليهم العمى وطُمِست أبصارهم فلم يروا لوطاً ولا أضيافهم[(١)]، فاشتغلوا بأنفسهم عنه، وقالوا: سحرنا لوط، ولم يرجعوا لله ولا أنابوا إليه[(٢)]، وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام، وأمرت الملائكة لوطاً أن يتحمّل بأهله ويخرج عن أرضهم، وأمروه أن لا يلتفت أحد إلى ورائه، فساروا، واحتملت الملائكة مدائنهم حتى بلغت (بها)[(٣)] إلى الجوّ، فقلبت عاليها سافلها وحصبوا بالحجارة من السماء، فلم يبق أحد منهم، فالتفتت امرأة لوط، فرأت ما أصابهم، فأصابها حجر فأهلكها ـ نعوذ بالله من غضبه ـ[(٤)].

قصة نبيّ الله إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ[(٥)]

لمّا حملت به هاجر [غارت سارة][(٦)] منها غيرة عظيمة، وأمرت

---

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ [القمر].
أخرج الحاكم في المستدرك: ٥٦٣/٢ وصححه على شرط مسلم ولم يخرجاه من حديث ابن مسعود الطويل وفيه: ... ولما قال لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، بسط حينئذ جبريل جناحيه، ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عمياناً، يقولون... : إن في لوط أسحر قوم في الأرض، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ...﴾.

(٢) كلمة «إليه» ساقطة من (ح).

(٣) في (هـ): «بهم».

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود].

(٥) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٩٢/١: وقد أثنى الله تعالى عليه، ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقيهم العذاب مع ما كان يدعو إليه من عبادة رب الأرباب. انظر: سورة مريم: (٥٤، ٥٥)، وسورة صٓ: (٤٨)، وسورة الأنبياء: (٨٥). وغير ذلك.
وأما قصة الذبيح فقد ذكرها الله تعالى في سورة (الصافات): (٩٩ ـ ١١٣).
وقصة بناء البيت العتيق فمذكورة في سورة (البقرة): (١٢٥ ـ ١٢٩).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) والسياق يقتضي إثباته.

إبراهيم ﷺ أن يُخرجها عنها هي وابنها، فذهب بهما، وأمره الله ﷻ أن يجعلهما بمكّة ـ شرّفها الله ـ، فذهب بهما فوضعهما بمكّة، وكانت أرضاً قفراً ليس فيها ماء ولا كلأ، ثم ذهب راجعاً عنهما، فقالت له هاجر: أتتركنا حيث لأن الله أمرك [بذلك][1]؟ قال: نعم. قالت: هو حَسْبنا وكفى[2]، فأقامت هي

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/١٥٤: إن هاجر ﷺ لما ولد لها إسماعيل اشتدت غيرة سارة منها، وطلبت من الخليل أن يغيب عنها، فذهب بها وبولدها فسار بهما حتى وضعها حيث مكة اليوم.

وقد روى البخاري هذه القصة في صحيحه من حديث ابن عباس قال: أول ما اتخذ النساء المنطق ـ هو ما يشد به الوسط ـ من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتخفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحة ـ أي شجرة كبيرة فوق زمزم في أعلى المسجد ـ وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ثم قفى ـ أي ولّى راجعاً ـ إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيّعنا، ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية ـ أي الموضع الذي دخل النبي ﷺ مكة منه وهو بأسفل مكة عند قعيقعان ـ حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ . . .﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يلتوي.. فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدَتْ الصفا... فقامت عليه ثم استقبلت الوادي... فلم تر أحداً فهبطت من الصفا..، ثم أتت المروة، فقامت عليها... فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات... فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً... فقالت: قد أسمعت صوتاً إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـ أو قال: بجناحه ـ حتى ظهر الماء فجعلت تحوض وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها... قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» أو قال: «لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً»، فشربت وأرضعت ولدها... وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول... حتى مرت بهم رفقة من جرهم... فقالوا: تأذنين لنا أن ننزل عندك، قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم....

صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾: ٤/١١٠.

وابنها حتى لحقها الظمأ، واشتدّ بها العطش، فخرجت تلتمس لابنها ماء، فذهبت إلى الصفا ثم إلى المروة فلم تجد، فتردّدت في المحلات سبع مرات، وفي غيبتها أمر الله ﷻ جبريل عليه السلام، فضرب بجناحه تحت قدم إسماعيل عليه السلام، فنبع الماء، ففحص إسماعيل عليه السلام الماء برجله، وأقبلت (أمّه)[1] وعندها أنه قد مات من الظّمأ، فوجدت الماء يسيل تحت قدمه (فجمعت)[2] وقالت: زمزم[3]، أي: اجتمع، فلذلك سُمّي زمزماً، وأقامت هاجر وإسماعيل عليه السلام يشربان من ذلك الماء، حتى وفد عليها ناس من جُرْهم، فلما رأوا الماء ولم يكونوا يعهدونه في ذلك الوقت استأذنوا (هاجر)[4] أن ينزلوا معها على الماء، فأذنت لهم وأقاموا معها واستأنست بهم.

وكان إبراهيم عليه السلام يزورهما في كل شهر مرّة على البراق[5]، فلمّا رأى ما حصل لهم فرح بذلك ودعا لهم[6] قائلاً: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ودعا أيضاً بوجود محمّد ﷺ قائلاً: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وكان إبراهيم عليه السلام يتردّد عليهم، وشبّ إسماعيل عليه السلام وكبر، فأُمر إبراهيم عليه السلام بذبحه في منامه مراراً، فامتثل أمر الله ﷻ، وأتى إليه وشاوره في

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من (ح).

(٣) روى البخاري من حديث ابن عباس ضمن حديث طويل: ... فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه ـ أي تجعله مثل الحوض ـ وتقول بيدها هكذا...
صحيح البخاري: ٤/ ١١٠.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) وفي أخبار الدول للقرماني: ٣٥: إن إبراهيم كان يزور إسماعيل وهاجر في كل شهر على البراق يأتي مكة غدوة ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام. انظر: البداية والنهاية: ١/ ١٥٩.

(٦) قلت: بل كان دعاء إبراهيم بهذا الدعاء بعد وضعهما في الوادي وقبل حصول هاجر على الماء للحديث الذي ذكرته قريباً نقلاً عن البخاري.

ذلك، فقال: يا أبتِ افعل ما تُؤمر ولا تتوقف في أمر الله، فأضجعه إبراهيم عليه السلام وحدّ الشفرة واستسلم إسماعيل عليه السلام لمُراد الله عز وجل وقضائه، ومرّ بها على حنجرة إسماعيل مراراً، وهي تنقلب في يده، ثم نُودي من خلفه، وأهبط الله تعالى ملائكة، وأنزل معهم كبشاً عظيماً فداء إسماعيل عليه السلام، وقيل له: اذبح هذا مكان ابنك، وإنّما أراد الله تعالى ابتلائك وامتحانك، وقد ظهر كمال امتثالك لأمر الله تعالى[1]، ثم أقام إسماعيل عليه السلام بمكّة، وماتت (أمه)[2] هاجر ودُفنت بالحطيم[3] أو الحجر ـ رحمها الله ـ، وكَبُر إسماعيل عليه السلام، فتزوّج امرأة من جرهم، فأتى أبوه إبراهيم عليه السلام وإسماعيل غائب[4]، فسألها عن حالهم ومعاشهم، فذكرت شرّاً ولم تُجبه بخير، فقال لها: إذا جاء بعلك فسلّمي عليه، وقولي له: حوّل عتبة بابك، فلمّا جاء إسماعيل عليه السلام أخبرته، فقال لها: أنت عتبة الباب وأنت طالق. ثم تزوّج امرأة أخرى، فأتى إبراهيم عليه السلام، فسألها عن حالهم ومعاشهم، فذكرت خيراً وأثنت على الله بما هو أهله، فقال لها: إذا أتى بعلك فقولي له: ثبّت عتبة بابك، فأخبرته بذلك[5]، وأولد إسماعيل عليه السلام أولاداً

---

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١١﴾ [الصافات].

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/١٥٨ تعليقاً على قصة الذبيح: ثم غالب ما ههنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات، وفي القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر...

(٢) ساقط من (ح).

(٣) هو الذي فيه الميزاب، وإنما سمي حطيماً لأن البيت ربع وترك محطوماً. معجم البلدان: ٢/٢٧٣.

(٤) في (هـ): «غائباً» وما أثبته من (ح).

(٥) روى البخاري من حديث ابن عباس الطويل وفيه: قال ابن عباس: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «فألفى ـ أي وجد ـ ذلك أم إسماعيل، وهي تحب الأنس فنزلوا... وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شبّ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوّج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وصبأتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في =

كثيرين[1]، منهم: نابت بن إسماعيل، وكان إسماعيل عليه السلام قد نبغ في العربية لمخالطته جرهم، ففاق عليهم، من ذرّيته القبائل العدنانية جميعهم.

قصة نبيّ الله إسحاق
ـ عليه الصلاة والسلام ـ

ولمّا بلغ إبراهيم عليه السلام من العمر ما بلغ[2]، حملت زوجته سارة بإسحاق نبيّ الله عليه السلام، وهو أبو الأنبياء ـ عليهم الصّلاة والسلام ـ من بني إسرائيل، نبّأه الله جلَّ شأنه واصطفاه فخلف هو وإسماعيل[3] أباهما إبراهيم عليهما السلام، وكان إسماعيل عليه السلام مُرسلاً إلى قبائل العرب من جرهم والعمالقة[4]، وإسحاق إلى

= ضيق وشدة، فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، يقول: غير عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟. قالت: اللحم. قال: فما شربكم؟. قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء». قال النبي ﷺ: «ولم يكن يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه»... قال: «إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه». فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة ـ وأثنت عليه ـ فسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، وهو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك.... صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: ٤/ ١١٠.

(١) في تاريخ الطبري: ١/ ٣١٤: عن ابن إسحاق قال: ولد لإسماعيل بن إبراهيم اثنا عشر رجلاً. وانظر: الكامل: ١/ ١٢٥.

(٢) في البداية والنهاية: ١/ ٢١٠: أن إسحاق عليه السلام ولد ولأبيه مائة سنة، بعد أخيه إسماعيل بأربع عشر سنة، وكان عمر أمه سارة حين بشرت به تسعين سنة.

(٣) في (هـ) و(ح): «وإسحاق»، والصواب ما أثبته.

(٤) «نبأ الله عز وجل إسماعيل، فبعثه إلى العمالق ـ فيما قيل ـ وقبائل اليمن». انظر: تاريخ الطبري: ١/ ٣١٤، والكامل: ١/ ١٢٥١.

أهل فلسطين وبيت المقدس[١].

وقد اختلف أهل العلم في الذّبح مِنْ أولاد إبراهيم عليه السلام، فذهب أهل الكتاب وجمع من أهل الإسلام إلى أنه نبيّ الله إسحاق عليه السلام، والمشهور الصحيح عند المحدثين أنه إسماعيل عليه السلام[٢]. ويمكن الجمع، بأن إبراهيم عليه السلام بعد أن أُمِر بذبح إسماعيل، واتّفق له ما اتّفق، ففعل ذلك بإسحاق تيمّناً وتبرّكاً، ثم فدا من عنده، فصار يطلق على كل منهما الذّبيح[٣]، والله أعلم.

قصة نبيّ الله يعقوب
ـ عليه الصلاة والسلام ـ

وهو مسمّى بإسرائيل[٤]، خلف أباه إسحاق عليه السلام، ودعا الناس إلى توحيد الله عز وجل وتعظيمه والتمسّك بسنّة الخليل إبراهيم عليه السلام، وأوصى بذلك بنيه وأتباعه[٥]، وله من الولد اثنا عشر ولداً، وهم الأسباط[٦]، ومن هؤلاء

---

(١) في أنس الجليل: ١/٦٥: ثم إن إسحاق عليه السلام تزوّج بنت عمه وولد له العيص ويعقوب، ولم يمت إبراهيم عليه السلام حتى بعث الله إسحاق عليه السلام إلى أرض الشام، وبعث يعقوب إلى أرض كنعان، وإسماعيل إلى جرهم، ولوطاً إلى سدوم، فكانوا كلهم أنبياء على عهد إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ.

(٢) سبقت مناقشة هذه القضية في النوع الثاني والثلاثين: علم تاريخ الأنبياء المذكورين في القرآن: انظر: صفحة ٣٢.

(٣) هذا الجمع قيّم غير أنه لم يرد فيه حديث صحيح عن المعصوم حتى نعتمد عليه.

(٤) في الأنس الجليل: ١/٦٥: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النبي ابن النبي ابن أبي الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ، وهو الذي يسمى إسرائيل. قيل: معناه: صفوة الله. أخرج الحاكم في المستدرك: ٢/٢٦٩، كتاب التاريخ، باب ذكر يعقوب من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم هو إسرائيل عليهما السلام. وسمي إسرائيل، لأنه كان يسري بالليل ويكمن بالنهار هرباً من أخيه العيص إلى خاله. انظر: الكامل: ١/١٢٧.

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة].

(٦) ذكرت معنى الأسباط في النوع (١٣٢) علم تاريخ الأنبياء.

الاثنا عشر الولد سائر قبائل بني إسرائيل، وأسماؤهم: يوسف عليه السلام، بنيامين، يهوذا، أشير، لاوي، دان، نفتالي، أيشاخر، روبائيل، شمعونن، زابلون، جاد[1].

قصة نبيّ الله يوسف عليه السلام[2]

ولمّا وُلِد يوسف أحبّه والده يعقوب عليه السلام وشغف به، وكان يقرب منه ويُدْنيه إليه، فلمّا ترعرع رأى رؤيا كأنه غرس عصاه في الأرض فتنبت وأورقت وأثمرت، وغرس إخوتهم[3] عصيّهم فلم تنبت ولم تُورق، ثم مالت عصاه على عصيهم فابتلعتها جميعاً[4]، فأخبر والده بالرؤيا، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه وبشّره بالكرامة والرقيّ إلى مقامات (آبائه)[5] الكرام، وبلغ إخوته ذلك

---

(١) وقد أخرج الحاكم في المستدرك: ٢/ ٥٧٠، كتاب التاريخ، باب ذكر يعقوب عليه السلام من حديث عبد الله بن مسعود قال: وأما الأسباط فهم بنو يعقوب: يوسف، وبنيامين، وروبي، ويهوذا، وشمعون، ولاوي، ودان، وفهات (وبقيتهم: نفتالي، وكاد، وأشير، وأيساجر) فكانوا اثني عشر رجلاً...

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢١٤: وقد أنزل الله عز وجل في شأنه عليه السلام وما كان من أمره سورة من القرآن؛ ليتدبر ما فيها من الحكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم.

(٣) في (هـ): «وغرسوا إخوتهم» وهو خطأ نحوي، وما أثبته من (ح).

(٤) في العرائس: ٨٦: كان بدء محبة يعقوب ليوسف وإيثاره على سائر ولده... رأى يوسف فيما يرى النائم... كأن قضيبه ـ أي غصنه ـ غرس في الأرض فعلق وتدلت أغصانه وأثمرت من كل ثمرة، ثم أتى بأغصان إخوته فغرست حوله فلم تعلق، ولم تفرع، ولم تثمر، وإذا بغصن يوسف... يطوف حتى طال أغصان إخوته، ثم هبت الريح فاقتلعت أغصان إخوته من أصولها... وثبت غصن يوسف في الأرض قائماً. فانتبه فزعاً مرعوباً؟ فقال له أبوه: ما الذي دهاك يا بني؟ فقص عليه رؤياه، فبلغ إخوته... فشقّ عليهم رؤياه وحسدوه بعض الحسد.

قال وهب: رأى يوسف هذه الرؤيا؛ يعني الغصن وهو ابن سبع سنين.

قلت: هذه القصة من الإسرائيليات كما صرح بذلك الثعلبي أنها عن وهب بن منبه، وذكرت ما في العرائس استئناساً لا اعتماداً، وليعرف أن المؤلف ينقل منه.

(٥) في (ح): «آياته».

فحسدوه وأضمروا له السوء، وبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة[1] رأى في منامه كأن السماء قد انفتحت، فنزلت الشمس في أحسن هيئتها[2]، وكذلك القمر، وأحد عشر كوكباً (من الكواكب)[3] نزلوا وسجدوا جميعهم له، وعظّموه (بأحسن تعظيم)[4]، فلما أخبر يوسف بذلك أباه حمد الله تعالى، وأثنى عليه، وأمره أن لا يفشي هذا السرّ ولا يُخبر به إخوته، وذلك قول الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾[5] [يوسف: ٤] إلى آخر الآيات. فبلغت أيضاً هذه الرؤيا إخوته، فازداد حسدهم وتأكّدت عداوتهم ليوسف ﷺ، وطلبوا له الغوائل والمُهلكات، ورأوا أنهم إذا تخلّصوا من نصب الغيرة والحسد أن يستريحوا ويسلم لهم دينهم ودنياهم، فلمّا جنحوا إلى ما جنحوا إليه وطلبوا منه أن يذهب معهم إلى المرعى فيلعب ويستريح، فمال إلى ذلك واستأذنوا أباه، وقالوا له: ليذهب معنا يرتع وليس عليه خلاف ولا بأس، فقال: إني أخشى عليه أن يأكله الذئب، وذلك قول الله ﷻ: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢١٦: قال المفسرون وغيرهم: رأى يوسف ﷺ وهو صغير قبل أن يحتلم، كأن أحد عشر كوكباً وهم إشارة إلى بقية إخوته، والشمس والقمر وهما عبارة عن أبويه قد سجدوا له، فهاله ذلك.

فلما استيقظ قصها على أبيها، فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة، بحيث يخضع له أبوه وإخوته فيها. فأمره بكتمانها وأن لا يقصّها على إخوته؛ كيلا يحسدوه ويكيدوه بأنواع الحيل والمكر. وانظر: تفسير ابن جرير: ١٢/ ٩١.

أما ما ذكره المؤلف من تحديد عمر يوسف ﷺ باثنتي عشرة سنة عندما رأى هذه الرؤيا لم أجد مرجعاً معتمداً، إلا أنني وجدت ذلك في العرائس للثعلبي: ٧٨، وتفسير الخازن: ٣/ ٢١٤، وتفسير البغوي بهامش الخازن: ٣/ ٢١٤، وتفسير الخطيب الشربيني: ٢/ ٨٩. ومعلوم أن هذه الكتب مدارها على الثعلبي وهو يذكر كل شيء صحيحه وضعيفه. وليس هنا ما يؤيده من الكتاب ولا من السنّة حتى نعتمد عليه.

(٢) في (هـ) و(ح): «هيئته».

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في (هـ): «أحسن هيئته» وما أثبته من (ح).

(٥) وباقي الآيتين: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾.

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾
قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا
غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن
يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ
إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يوسف: ٧ ـ ١٤].

فتوجّهوا بيوسف عليه السلام، فلما توسّطوا في الطريق طلب الماء، فلم يسقوه[1]، وطلب الطعام فلم يعطوه وأجمعوا حينئذ على قتله، واستغاث بهم فلم يغيثوه، فاستغاث بأخيه يهودا، ورمى بنفسه عليه، فقالوا: لئن لم تذهب عنه، وإلّا قتلناك وإيّاه، فطلب منهم يهودا أن يلقوه في بئر ولا تقتلوه، فأجابوه إلى ذلك فدلّوه بحبل ورموه في بئر، فبكى يوسف عليه السلام، فأنزل الله ـ جلّ شأنه ـ عليه سكينة ونوراً ولطفاً من عنده، وخاطبه إخوتُه من أعلى البئر قائلين له: أين رؤياك الكاذبة، فقد مكر الله منك، وقد بغيت علينا وأردت وأنت أصغرنا أن (تكون)[2] أكبرنا وأرأسنا، وحقيق لمن بغى أن يصير إلى ما صرت إليه.

فقال لهم: لم أكذب في رؤياي، ولكن أصبر لما قضى الله تعالى عليّ. ثم تركوه وذبحوا شاة وأكلوا لحمها وألطخوا بدمها قميصه، ورجعوا بالقميص إلى أبيهم، وأقبلوا يبكون وزعموا أن الذّئب أكلٍ يوسف، فبكى يعقوب عليه السلام بكاءً شديداً وحزن حزناً عظيماً، ولما أفاق مِنْ بكائه نظر إلى القميص، وقال ائتوني بالذئب الآكل له، فخرجوا فاصطادوا ذئباً وجاؤوا به إليه، فقال له: سألتك بالذي لا إلٰه إلّا هو إلٰه إبراهيم وإسحاق إلّا ما نطقت هل أكلت ابني؟ فأنطقه الله تعالى فقال: لا والله يا نبيّ الله لم آكله، وإن لحوم الأنبياء وأبناءهم محرّمة علينا، وإني ذئب غريب أتيت لزيارة أخ لي، ولست مِنْ أهل هذه

---

(١) في العرائس: ٨٩: عن كعب الأحبار وعن سعيد بن أبي عروبة وعن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا: أرسل يعقوب يوسف مع إخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة، فلما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة، وضربوه فجعل يستغيث بهم واحداً بعد واحد... وعطش عطشاً شديداً فقال لهم: اسقوني... فلم يسقوه... فلما هموا بقتله، قال لهم يهودا: أليس أنكم قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه.

(٢) في (ح): «يكون».

البلدة، فأمر به يعقوب عليه السلام ففكّ وذهب[1]، ومرّت قافلة فأرسلوا شخصاً منهم يأتيهم بماء، فلما ألقى الدلو فعلق يوسف عليه السلام بالدلو، فلما رأى الرجل ثقل الدلو نادى، أعينوني، فأعانوه، فلما طلع رأوا غلاماً ذا بهاء وحُسن لم ير الناظرون أبهى ولا أجمل منه، وكان الله عز وجل قد أعطاه من حُسْن الصورة والشكل ما لم يكن في أحدٍ غيره، وكان أخوه بنيامين الذي هو أصغر منه بعده في الحسن والجمال، فذهبوا به في القافلة، وكان كبير القافلة شخصاً يقال له: مالك بن دعر الخزاعي[2].

وجاء أولاد يعقوب، فرأوا يوسف في القافلة فادّعوا أنه[3] عبدهم فاشتراه منهم مالك بعشرين درهماً[4]، وكتب بذلك كتاباً: هذا ما اشتراه (مالك بن درع الخزاعي من أولاد يعقوب، وهم يهودا ولاوي وشمعون غلاماً عبرانياً بكذا وكذا. فلما أراد المسير به، قال له: دعني أودع أسيادي، فجاء يودّعهم ويبكي ثم انصرف به مالك، فلمّا كان في أثناء الطريق رأى قبر أُمّه، وكان

---

(١) في العرائس: ٦٥، وتفسير القرطبي: ٢/١٥١: فقال لهم يعقوب: إن كنتم صادقين أن الذئب أكله فأين الذئب: ائتوني به، فعمدوا إلى حبالهم وعصيّهم فأخذوها... فاصطادوا ذئباً.. ثم حملوه إلى يعقوب.. فقال له يعقوب: أيّها الذئب أكلت ولدي وقرة عيني.. فتكلم الذئب قال: لا وحق شيبك يا نبي الله ما أكلت لك ولداً، وإن لحومكم ودماءكم معشر الأنبياء لمحرمة علينا، وإني لمظلوم مكذوب عليّ وإني لذئب غريب.. جئت لأجل قرابة لي من الذئاب أزورهم. قلت: ولم أجد لرواية الذئب الذي جاءوا به سنداً مطلقاً، يعول عليه ولا حاجة بنا إلى اعتبارها لتكلف الكلام فيها. وما في القرآن فيه كفاية وذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف].

(٢) في روح البيان: ٤/٢٢٨: الذي يرد الماء ليستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي.

(٣) في (هـ) و(ح): «أنّهم».

(٤) في البداية والنهاية: ١/٢١٠: قاله ابن مسعود وابن عباس، وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهماً، وقال عكرمة ومحمد بن إسحاق: أربعون درهماً ـ والله أعلم ـ. قلت: والتعبير القرآني: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف] حسبنا عن غيره.

على الطريق فوقع من فوق الجمل، ومضى إليها، وبكى عندها كثيراً، ففقده مالك فرجع إليه فوجده يبكي، فأنهره ولطمه على وجهه، وساقه سوقاً عنيفاً، فانكسر خاطر يوسف عليه السلام لذلك ودعا قائلاً: اللّهمّ إن وقع مني ذنب فألحقني بآبائي، فأصابت القافلة ظلمة وزلزلة ووقف الرَّكب وقالوا: مَنْ منّا أذنب ذنباً، فليرجع إلى الله عز وجل ولْيَتُب إليه، فعلم مالك أنما أصيبوا منه، فرجع إلى يوسف عليه السلام فقال له: أيّها الغلام أنا قد لطمتك، فها وجهي فالطمني، فقال له: إني لا أقتصّ منك بل أعفو عنك، ولكن تعاهد الله عز وجل أن لا تلطم مملوكاً، ودعا الله عز وجل فارتفعت الظلمة والزلزلة(١).

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى رحمة هذا السيد الجليل وقوله لمالك: عاهد الله أن لا تلطم مملوكاً، لا جرم أنّ الله عز وجل اصطفاه واجتباه ورفع شأنه وأعزّه بعد أن سار به ووصل به إلى أرض مصر، وكانت في ذلك الوقت أجدب أرض الله وأحطمها، فلما دخل يوسف عليه عليه السلام أنزل الله ـ جلّ شأنه ـ الأمطار وأرخص الأسعار ورحم البلاد والعباد ببركته عليه السلام.

---

(١) في روح المعاني: ١٢/ ٢٠٥: . . . فلما جاء وقت ارتحالهم بكى عليه السلام فقال له التاجر: ما لَكَ تبكي؟ فقال: أريد أن أصل إلى الذين باعوني لأودعهم. . . فقال: جئتُ لأودعكم وأسلم عليكم. . . ثم طلب القافلة، فبينما هو على الراحلة إذا مر بقبر أمه راحيل فلما أبصر القبر لم يتمالك أن رمى بنفسه عليه. . . فالتفت العبد فلم يره، فرجع فرآه على القبر. . ثم لطمه فغشي عليه، ثم أفاق. . . فقال: اللهم إن كانت لي خطيئة أخلفت وجهي عندك فبحرمة آبائي الكرام إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب أن تعفو عني وترحمني يا أرحم الراحمين. . . فهبت ريح حمراء وكسفت الشمس وأظلمت الغبراء فلم ير أهل القافلة بعضهم بعضاً. . .

فقال التاجر: فمن أصاب منكم ذنباً فليتب منه، فما أصابنا إلا بذنب اقترفناه، فأخبره العبد بما فعل مع يوسف، فتقدم إليه التاجر وقال: يا غلام إنا ظلمناك حين ضربناك فإن شئت أن تقتص منا فها نحن بيديك. فقال يوسف: ما أنا من قوم إذا ظُلموا يقتصون، ولكني من أهل بيت إذا ظُلموا عفوا ولقد عفوت عنكم رجاء أن يعفو الله تعالى عنّي، فانحلّت الظلمة وسكنت الريح وأسفرت الشمس. . . فساروا حتى دخلوا مصر آمنين وكان هذا التاجر فيما قيل: مالك بن دعر الذي أخرجه من الجب.

قلت: هذه القصة فيها ركاكة ولم أجد حديثاً واحداً يؤيدها، ومع هذا فإنه ذكر فيها موت أم يوسف راحيل وهذا يخالف النص القرآني فإنها على قيد الحياة حتى لقيه أبوه وأمه في بلاد مصر فقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. قال ابن جرير: بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه يومئذ، فلا يعول على نقل أهل الكتاب فيما خالفه ـ وهذا قوي ـ والله أعلم.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٣/ ٦٧، والبداية والنهاية: ١/ ٢٣٧.

ولمّا اشتهر حال ما أعطاه الله ـ جلّ شأنه ـ من البهاء والجمال بأرض مصر اشتراه عزيز مصر بأفضل القيمة وأعظمها بإشارة امرأته زليخا، لما رآه أعجب الإعجاب الكامل واستحسن رؤيته وربّاه واتّخذه ولداً(١).

فلمّا بلغ الحلم أفاض الله ـ جلّ شأنه ـ عليه من المعارف الإلٰهيّة والأنوار الربانيّة، وعلّمه (وفهّمه)(٢) وفتح عليه، وأوحى إليه (وزيّن)(٣) باطنه بالأنوار والأسرار، كما زيَّن ظاهره بالمحاسن والكمال، وكانت زليخا زوجة العزيز، قد تعلّقت به وأحبَّته لما رأت من حُسْنه وجماله، وكانت تراوده عن نفسه(٤)، وتريد منه ما لا يليق به، وكان يمتنع من ذلك، فهيّأت محلّاً وزينة بأفضل الزينة، وتزيَّنت هي كلك بأحسن الزينة وحلّت به في ذلك الموضع، فعصمه الله ﷻ عن ذلك، فلمّا أكثرت عليه همَّ بالفتك بها ووقعت في الدار ضجة ففرّ هارباً متوجّهاً، (ففتح الباب)(٥) فأدركته فشقّت قميصه من خلفه، وورد الملك في ذلك الحال، فزعمت أنه راودها (عن نفسها)(٦)، وأنه يريد الفاحشة بها، فغضب الملك لذلك، وأراد الفتك به، فاستشهد يوسف عليه السلام (بطفل رضيع)(٧)، فأنطق الله ـ جلّ شأنه ـ الطفل، فقال: انظروا في قميصه إنْ

---

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف].

(٢) في (ح): «ونعمه».

(٣) في (هـ) و(ح): «وزن».

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف].

(٥) في (هـ): «ففتح الأبواب» وما أثبته من (ح).

(٦) كذا في (هـ): «عن نفسها».

(٧) في (هـ): «بطفل صغير»، وما أثبته من (ح) وهو الأنسب للسياق.

كان مشقوقاً من وجهه فهي الصادقة، وإنْ كان القميص مشقوقاً من خلفه فهو الصادق وهي الكاذبة، فلمّا رأى الملك هذه المعجزة انتهرها وأعرض عن يوسف عليه السلام، ولم يتعرّض له بأذى[1]. وأمّا زليخا، فلم تزل (مغرية)[2] مولعة بيوسف عليه السلام ولم تترك محبّتها وولوعها به، وبلغ نساء الأكابر مِنْ قومها[3] وحاشيتها وولوعها به، فأنكروا ذلك عليها فجمعتهنّ[4] في بيتٍ عظيم، وأعطت كل واحدة سكيناً وأترجّة ليقطعوها، ودعت يوسف عليه السلام فأقبل، فلمّا رأته النسوة اشتغلن بالنظر إليه وصرن يقطعن أيديهن وليس لهنّ شعور بذلك، وقالوا جميعهم: حاشا لله ما هذا نوع البشر، وما هذا إلا ملك عظيم، وروح فخيم، فأقامت الحجّة عليهم في لومهم إيّاها في محبّته أو اشتغالها به تعتذرها، ولمّا لم يوافقها على مرادها أوغرت صدر العزيز عليه، ولقيت في نفسه منه أشياء، وكان ذلك تيمّن من يوسف عليه السلام كما قال عزّ من قائل: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣ ـ ٣٤].

ولمّا دخل السجن ضاق ذرعاً، فقال له الملك: أنت اخترت ذلك، هلّا سألت الله العافية مِنْ كيدهنّ ومن جميع البلاء، فحُبِس في السجن، وحُبِس في تلك المدة معه غلامان من غلمان الملك، أحدهما شرّاب الملك، وهو الذي

---

(١) قال ابن كثير: وأكثر أقوال المفسرين هاهنا ملتقى من كتب أهل الكتاب فالإعراض عنه أولى بنا والذي يجب أن يعتقد: أن الله تعالى عصمه وبرّأه، ونزّهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها، ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾. قصص الأنبياء: ١/ ٣٢١.

(٢) في (ح): «مغرة».

(٣) وذلك قول الله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف].

(٤) في (هـ) و(ح): «فجمعته»، والصواب ما أثبته.

يصنع الشرّب للملك، والآخر خباز، فقال له الشرَّاب: إنّي رأيت البارحة رؤيا أحبّ (أن أقصّها)[1] عليك وتُعبّرها لي: إني رأيت أن الملك قد أطلقني من السجن، فبينما أنا دور في بيته إذ رأيت شجرة عنب مُثمرة وإلى جنبها نخلاً، قد اختلطت بها، فأخذت ثلاثة عناقيد من العنب وثلاثة شماريخ من الرطب وعصرتها في كأس، فدعاني الملك، فقال: اسقني، فسقيته من ذلك الشراب، فقال يوسف عليه السلام: نِعْم الرؤيا رؤياك، وسيخرجك الملك غداً، ويُعيدك إلى ما كنت عليه من الكرامة والمنزلة، فإذا عدت إلى ذلك فلا تَنْس وخاطبه في شأني.

وقال له الغلام الآخر: إني رأيت أن الملك أعطاني طبق خبز فحملته على رأسي ومشيت به إلى محل عالٍ من الأرض، فنزلت طيور سود فنقيت الخبز وأكلت منه؟ فقال له يوسف عليه السلام: سيخرجك الملك ويصلبك على محل عال (فتنزل)[2] طيور، فتأكل من رأسك. فقال له: لم أصدق في الرؤيا ولكن كذبتُ عليك، فقال له: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، فتمّ الأمر، فكان الحال كما قال يوسف عليه السلام، أخرج الملك الشرَّاب وأعاده إلى حاله، وصلب الخبّاز[3]، وأقام يوسف في السجن؛ كما قال تعالى: ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾، وأكثر أهل الأخبار على أنها سبعة أعوام، وكانت تلك المدة من الله عز وجل رياضة وجلوة وكرامة له، وتكريماً لبشريّته وتطهيراً لروحانيّته، وقد جرت عادة الله تعالى شأنه، أنما يختصّ أنبياءه وأولياءه بعد الابتلاء

---

(١) في (ح): «أن أفقهها».

(٢) في (ح): «فنزلت».

(٣) وذلك قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف].

والامتحان، ولما أتى أوان خروجه من السجن رأى الملك في منامه[١]: سبع بقرات عجاف ضعاف، وسبع بقرات سمان، فابتلعت كل واحدة من الضّعاف واحدة من السمان، ورأى سبع سنابل عظام حسان (قد انعقد حبّها)[٢]، ورأى قريباً منهم سبع سنبلات يابسات ففرك واحدة منهنّ فلم يجد فيها شيئاً، فهبّ من منامه فزعاً، وطلب المعبّرين للرُّؤيا، فأخفى الله ـ جلّ شأنه ـ عنهم معرفتها، ولم يهتدوا إلى تعبيرها، ونسبوا رؤياه إلى أنها أضغاث أحلام؛ فأقبل الشرّاب وقبّل الأرض بين يدي الملك، فأخبره أنه قادر على تأويل هذه الرؤيا، وأن بالسجن غلاماً حاذقاً في تعبير الرؤيا[٣]، فأرسل الملك الغلام إلى يوسف عليه السلام فأخبره بما رأى الملك، فقال يوسف: هذه الرؤيا تدلّ على خصب ورخاء سبع سنين، ثم يكون بعدها سبع سنين قحط وجهد، فأخبر الغلام الملك بقول يوسف عليه السلام، فاعتقد صحّة ما قال، وألقى الله في قلبه استحسان ما أشار إليه يوسف عليه السلام، فأرسل إليه يطلب ويريد أن يستخلصه لنفسه[٤] ويجعل محلّ نظره ومرجع أمره، فثبت يوسف عليه السلام ولم يجيء إليه لقصد أن تنكشف التُّهمة، وترتفع إشاعة امرأة العزيز[٥]، فطلب منه أن يسأل النّسوة اللّاتي قطعن أيديهن، هل رأيت من يوسف ريْبة؟ فأجابوه قائلين:

(١) قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف].

(٢) في (هـ) و(ح) بياض، وما أثبته من تفسير الخازن: ٣/ ٣٣٤.

(٣) وذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف].

(٤) يستخلصه لنفسه: أي يجعله من خاصته ومن أكابر دولته.

(٥) قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف].

حاش لله ما علمنا عليه مِنْ سوء، وألقى الله ـ جلّ شأنه ـ في قلب امرأة العزيز الرجوع والإنابة عن ما اتّهمت به يوسف عليه السلام، وأذعنت بأنها هي التي راودته عن نفسه، وذلك كله بتقدير الله عز وجل حيث أراد ليوسف عليه السلام زوال الغمّ وكشف الكربة ودفع المُصيبة، فلما تمّ الوقت السابق في العلم والمدة المختومة في الإرادة، وأمر الملك بتهيئة الجنود والأتباع، وأرسل إليه بأفضل الكرامة وأعظم الأُهبة، وزيّنت مصر بأشرف الزينة يوم خروجه، وأجلسه معه على سرير ملكه وتحت عزّه[1]، وأخبره أنه عزيز لديه، مكين عنده، مقبول الكلمة مسموع الإشارة، فطلب[2] يوسف عليه السلام من الملك أن يفوّض أمر السياسة وتدبير الأرض والبلاد، فأعطاه ذلك، وأقام يوسف عليه السلام على ذلك مدّة، وأمر بأن تزرع الأرض في سنين الخصب جميعها، وجمع هو مِنَ الحبوب الزائدة عن الحاجة قدراً كبيراً، فلمّا مضت سبعة أعوام قلّ النِّيلُ وامتنعت الأمطار، فأكل الناس ما خزنوه جميعه في ثلاثة أعوام، ثم رجعوا يسألون أن يشتروا طعاماً فلم يجدوه إلّا عند يوسف عليه السلام، فاشتروه منه بالنقد والعقار والدوابّ والحلي والنساء حتى باعوا منه أولادهم وأنفسهم[3]، ومات

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢١٠: وعند أهل الكتاب أن فرعون عظّم يوسف عليه السلام جداً، وسلطه على جميع أرض مصر، وألبسه خاتمه، وألبسه الحرير، وطوقه الذهب، وحمله على مركبه الثاني، ونودي بين يديه: أنت رب ومسلط، وقال له: لستُ أعظم منك إلا بالكرسي.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف].

(٣) وفي تاريخ الخميس: ١/١٣٧، والعرائس: ١٠١: ... وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير، ثم بالحلي، ثم بالدواب، ثم بالعبيد والإماء، ثم بالدور والعقار، بأولادهم، ثم برقابهم... ثم أعتق أهل مصر جميعاً ورد عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم.

قال ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٥٠٠ تعليقاً على هذا الكلام: وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم بالأموال وبالمتاع حتى باعهم بأنفسهم وأولادهم بعدما تملك عليهم جميع ما يملكون، ثم أعتقهم ورد عليهم أموالهم كلها؛ الله أعلم بصحة ذلك، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

عزيز مصر واستولى ابنه، وكان الملك ليوسف عليه السلام حقيقة ولابن العزيز صورة.

وممّن احتاج في هذا الزمن وافتقر زليخا امرأة العزيز، وكانت قد أسنّت، وكان يوسف عليه السلام يطوف في مملكته ويتفقّد أحوال رعيّته، ويسأل عن أسباب المصالح فيفيضها، وأسباب المفاسد فيدرؤها، وكان يطوف بمدينة مصر، فنادته امرأة مظلومة، فأمر بحملها إليه، فلما وصلت إلى داره دعا بإرسالها، فقالت له: أمَا عرفتني؟ فلم يعرفها، فقالت: أنا زليخا امرأة العزيز، فاسترجع!! ثم قال: أنت لم تزالي تتبعيني أبداً، فكشفت إليه ما تجده من الشدّة والفاقة، وسألته أن يسأل الله تعالى لها أن يُعيد عليها شبابها وجمالها، وأن يتزوّج بها، فأمر الله ـ جلّ شأنه ـ أن يدعو بذلك لها، فدعا لها، فأعادها الله تعالى على ما كانت عليه، فتزوّج بها، (وهيّأ لها موضعاً)[1] وزينة بأحسن الزينة مقابلاً للموضع الذي هيّأته له هي للمعصية، وأولدها ولدين عظيمين اسمهما: أفرم وأفريتم[2].

وفي هذه المدة وقع غلاء عظيم وقحط بالشام وأرض كنعان، فأمر يعقوب عليه السلام بنيه أن يذهبوا إلى أرض مصر فيمتارون لهم طعاماً يقتاتون به، فراجعوه قائلين له: كيف نذهب إلى مصر وهي أرض الفراعنة وموضع الجبابرة؟ فقال لهم: قد بلغني أن ملكها الآن عدل حسن السيرة، فتوجّهوا إلى

---

(١) في (هـ): «وهيأ له موضعاً» والصواب ما أثبته..

(٢) فقد ذكر القرطبي في تفسيره: ٩/٢١٤ بنحو ما ذكره المؤلف، وهذا الكلام من الإسرائيليات كما صرح بذلك ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٢٢٨.

وعند أهل الكتاب: أن فرعون عظم يوسف عليه السلام جداً، وسلطه على جميع أرض مصر، وألبسه الحرير وطوقه الذهب، وحمله على مركبه الثاني...

وقيل: إنه لما مات قطفير زوّج الملك يوسف امرأته زليخا فوجدها عذراء؛ لأن زوجها لا يأتي النساء، فولدت ليوسف عليه السلام رجلين وهما أفرايم ومنشا. واستوثق ليوسف ملك مصر وعمل فيهم بالعدل فأحبه الرجال والنساء.

قلت: وما دام هذا الكلام من الإسرائيليات فالأولى بنا الاعتماد على ما حكاه القرآن لنا، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف].

أرض مصر، فلمّا وصلوا أبواب المدينة أرسل صاحب الدرب يخبر الملك أنه قدم (علي)[1] أناس من الشام نيرة وجوههم وذواتهم وأشكالهم يزعمون أنهم أولاد يعقوب بن إسحاق، فما يأذن الملك في شأنهم، فأرسل يوسف عليه السلام وهو يأمره أن يأذن لهم قائلاً له: ما أتى عليّ وفد أكرم مِن هؤلاء، وأمر صاحب المضيف بضيافتهم[2] ثلاثة أيّام وإكرامهم غاية الإكرام، ثم اجتمعوا بالملك بعد ذلك، فأكرمهم وتلطّف بهم، وسألهم عن حالهم وحال أبيهم فأخبروه أنهم أحد عشر ولداً وأن واحداً منهم عند والده، فسألهم وأكّد عليهم أن يعودوا ويستصحبوا أخاهم معهم أيضاً ليراه (كما رآهم)[3]، وأكرمه كما أكرمهم، ثم كال لهم الطعام، وأمر الخازن أن يضع ما استلمه منهم من الدّراهم في وسط الحبوب، كل واحد دراهمه في حمله[4]، فلما رجعوا إلى أبيهم أخبروه بإكرام العزيز إيَّاهم وطلبه أن يأتوا بأخيهم بنيامين، فاعتذر يعقوب عليه السلام وقال: أخشى عليه أن يقع عليه ما وقع على يوسف ولا أستطيع مفارقته[5].

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) في (ح): «بإضافتهم».

(٣) في (ح): «كما يراهم».

(٤) وذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف]. قال ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٥٠٠: ذكر السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين: أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر أن يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ومضت السبع السنين المخصبة ثم تلتها السبع السنين المجدبة وعمّ القحط بلاد مصر بكاملها ووصل إلى بلاد كنعان... وحينئذ احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلاتهم وجمعها أحسن جمع فحصل من ذلك مبلغ عظيم وهدايا متعددة وورد عليه الناس من سائر الأقاليم، يمتارون لأنفسهم وعيالهم، فكان لا يعطي الرجل أكثر من حمل بعير في السنة، وكان عليه السلام لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار حتى يتكفأ الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين، وكان رحمة من الله على أهل مصر.

(٥) وذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف].

ثم لما فتحوا حمولهم وجدوا الدراهم قد أعيدت عليهم، فأخبروا (إياه)[1] بذلك، وألزموا (بأن يرسل معهم أخاهم)[2] لكون العزيز قد بالغ في كرامتهم وأعاد عليهم دراهمهم، وقالوا له: إن في رجوعنا إليه فوائد: منها: أن نشتري لأهلنا وأقاربنا ما يكفيهم من الطعام، ويزيد معنا وفد بعير بمراح بنيامين معنا، فتوثق منهم فأقسموا له بالله أن يعودوا به معهم، فودعهم وأمرهم أن لا يدخلوا من باب مصر جميعاً خشية عليهم من العين[3].

فلما وفدوا على يوسف عليه السلام أكرمهم غاية الإكرام وأضافهم وباسطهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة، وجلس هو مع بنيامين[4]، فحسدوه لذلك وغاروا (وتكلموا)[5] بالعبرانية بكلام يفهم منه الغيرة والحسد، فخشي عليه من وقوع الكيدة منهم، فأمر لهم بالكيل، فكيل لهم جميعاً، وأمر خادمه أن يضع الصاع في رحل بنيامين، وكان قد أخبره بأنه هو أخوه وكشف له عن حقيقة الحال. فلما توجّهوا إلى خارج المدينة، أرسل يوسف عليه السلام جماعة فأدركهم ونادوا فيهم: قد سرقتم صاع الملك فارجعوا أيها الركب[6]، فرجعوا ففتشت رحالهم جميعاً، فوجدوا الصاع في رحل بنيامين، فقال يوسف عليه السلام: هذا سرق صاعي فأنا آخذه وأتخذه عبداً وخادماً، فطلبوا منه أن يعيده عليهم ويرحم غربتهم وضعف والدهم، فامتنع من ذلك، فسألوه أن يأخذ أحدهم بدله فلم يرض أيضاً، فتعبوا لذلك كثيراً، ورجعوا على بنيامين يوبخونه ويشتمونه

---

(١) في (ح): «إياهم».

(٢) في (ح): «بأن يرسل أخاهم معهم».

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف].

(٤) وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

(٥) في (ح): «ويكلموا».

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يوسف].

ويقولون: يا لِصُّ يا أخا اللِّصِّ[1]، وكان يوسف عليه السلام إذا جلس في صغره معهم على السفرة يأخذ شيئاً من الخبز خفية لأجل أن يتصدق به على المساكين به، فلهذا سمّوه يا سرقة[2].

ولما صمم يوسف عليه السلام على عدم إعطائه إياهم، قال يهودا: أما أنا فلا يمكنني العود إلى أبي إلا أن يأذن منه أو فكاك أخي، فرجعوا إلى أبيهم، وأخبروا بما صار عليهم، فحزن لذلك كثيراً، وتجدد له الحزن على يوسف عليه السلام فبكى عليهما كثيراً، وكان قد بكى على يوسف عليه السلام أولاً حتى ضعف بصره، وتقرَّحت أجفانه، وابيضّت عيناه من الحزن والتعب على يوسف عليه السلام[3]، ولما

---

(١) قال سبحانه:

﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف].

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢٣١:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ..﴾ يعنون يوسف.

قيل: كان قد سرق صنم جده أبي أمه فكسره، وقيل: كانت عمته قد علقت عليه بين ثيابه ـ وهو صغير ـ منطقة كانت لإسحاق، ثم استخرجوها من بين ثيابه، وهو لا يشعر بما صنعت، وإنما أرادت أن يكون عندها وفي حضانتها لحنينها له.

وقيل: كان يأخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء.

قلت: إن هذه الأقوال لا تنقص درجته عليه السلام وتسميتهم إياه بـ«سرقة» تجاوزاً.

(٣) وذلك قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ =

مضت بعد ذلك مدة من الزمن ألقى الله في روعه عود يوسف وأخيه بنيامين، وقرب مدة الاجتماع بهما، فأمر بنيه أن يرجعوا ويتعطفوا بالعزيز ويأخذوا بخاطره، ويطلبوا منه فكاك أخيهم، وأن يتفحصوا ويتحسسوا عن يوسف عليه السلام فأجابوه أن يوسف قد أكله الذئب مدة، فأين نجد يوسف عليه السلام وأنّى له أن يعود؟ فقال لهم: لا تيأسوا من روح الله[1]، وحسنوا الظن بالله وكتب معهم كتاباً إلى العزيز، يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد الكروب الحزين يعقوب (إسرائيل بن إسحاق)[2] صفي الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر، أيّها العزيز إنا قوم موكل بنا البلاد وما صفت لنا الدنيا، ولا تزال أبداً ولا نزال مغمورين، أما جدي إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإنه ابتلاه بنار نمرود، وأما أبي إسحاق فابتلاه الله بالذبح[3] فصبر وفداه الله بذبح

= ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُا۟ تَذۡكُرُ یُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَـٰلِكِینَ ۝٨٥ قَالَ إِنَّمَاۤ أَشۡكُوا۟ بَثِّی وَحُزۡنِیۤ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨٦﴾ [يوسف].

(١) وذلك قوله تعالى:
﴿یَـٰبَنِیَّ ٱذۡهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن یُوسُفَ وَأَخِیهِ وَلَا تَا۟یۡـَٔسُوا۟ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا یَا۟یۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ۝٨٧﴾.

(٢) في (هـ): «إسرائيل الله بن إسحاق»، والصواب ما أثبته كما في (ح).

(٣) إن هذا الكلام من الإسرائيليات، حيث إن أهل الكتاب حسدوا العرب لأنهم من ذرية إسماعيل عليه السلام وحرفوا ما في كتبهم وقال: إن الذبيح هو إسحاق عليه السلام لأنه أبوهم.
وقد قدمنا الكلام في قصة الذبيح فليراجع ص(٤٢٨).
وعلى هذا ذكر ابن كثير الرواية التي وردت في هذا الشأن وعلّق عليه في تفسيره: ٢/ ٤٨٧ من حديث الأحنف بن قيس أن النبي ﷺ قال: «إن داود عليه السلام قال: يا رب إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فاجعلني لهم رابعاً فأوحى الله تعالى إليه أن يا داود إن إبراهيم ألقي في النار بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك، وإن إسحاق بذل مهجة دمه بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك، وإن يعقوب أخذت منه حبيبَه فابيضت عيناه من الحزن فصبر وتلك بلية لم تنلك».
قال ابن كثير: وهذا مرسل وفيه نكارة؛ فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح. وفي سنده علي بن زيد بن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة، والله أعلم.
وأقرب ما في هذا أن الأحنف بن قيس حكاه عن بعض بني إسرائيل ككعب ووهب ونحوهما ـ والله أعلم ـ فإن بني إسرائيل ينقلون أن يعقوب كتب إلى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له في رد ابنه، ويذكر له أنهم أهل بيت مصابون بالبلاء، فإبراهيم ابتلي بالنار، وإسحاق بالذبح، ويعقوب بفراق يوسف، في حديث طويل لا يصح، والله أعلم.
وانظر نحو هذه القصة في: الدر المنثور: ٤/ ٢٩.

عظيم، وأما أنا فابتلاني الله ـ جلّ شأنه ـ بفقد يوسف فبكيت حتى ذهب بصري ونحل جسمي، وكنت أتسلى بهذا الغلام الذي حبسته عندك، فزعمت أنه سارق، وإن الله تعالى قد طهرنا من جميع الرذائل، فالله منّ عليّ به ولا تفقدني إياه، واتق دعوة المظلوم فإنها لا تحجب عن الله، فإن لم ترسل إليّ ابني دعوت عليك دعوة تلحقك وتلحق السابع من ابنك.

فلما وصل الكتاب إلى يوسف وعدهم[١] في غد أن يعيد لهم الجواب. ثم خرج في اليوم الثاني في أحسن الهيئة[٢] وأعظم الزينة، ودعا أولاد يعقوب عليه السلام فسألهم هل تعرفون شيئاً من اللغات، وقراءة الكتب؟ وكان روبائيل وهو أكبرهم يعرف من اللغات سبعين لغة، فقال له: أنا أعرف سبعين لغة، فأمر فأتي بحُق ففتحه، فاستخرج منه كتاباً فدفعه إلى روبائيل، فلما نظر روبائيل الكتاب وتأمله تغيّر لونه وسقط من يده، فنظر فيه يهودا ودار الكلام بينهم، فقالوا: هذا الكتاب الذي كتبناه يوم بيع يوسف. فقال لهم العزيز: ما لكم تتشاورون؟ فأجاب شمعون: بأن الكتاب قد تقادم عهده، وقد امتحى الخط. فقال لهم: كذبتم ليس الشأن كذلك، وإنما هذا كتاب بيعكم أخاكم، وقد استحققتم بفعلكم غاية التأديب والعقوبة، فلما رأوا تشديده وتصميمه عليهم، وكانت لهم همم عظيمة وأحوال فخيمة، قال شمعون: أنا أكفيه هو وجنوده وأهل بلده، وكان إذا صاح صيحة الغضب وقع على وجهه كل من يسمعه، ولا يسكن غضبه إلا إذا وضع أحد من أولاد يعقوب عليه السلام يده عليه أو لمسه، فلما توجّه ليفعل ذلك وعلم يوسف عليه السلام منه ما أراده أرسل ابنه أفرائيم[٣]، وقال: اذهب إلى هذا الشيخ المبارك وأدخل يدك فيه إلى أن تمس

---

(١) في (ح): «أودعهم».

(٢) في (ح): «التهنئة».

(٣) في الدر المنثور: ٤/٢٩:

قال وهب بن منبه: إن شمعون كان أشد بني يعقوب بأساً وإنه كان إذا غضب قام شعره وانتفخ فلا يطفئ غضبه شيء إلا أن يمسه أحد من آل يعقوب، وإنه كان قد أغار مرة على أهل قرية قدمّرهم، وإنه غضب يوم أخذ بنو يعقوب بالصواع غضباً شديداً حتى انتفخ، فأمر يوسف عليه السلام ابنه أن يمسه فسكن غضبه قال: قد مسني يد من آل يعقوب.

قلت: لم أجد حديثاً صحيحاً يؤيد هذه القصة حتى نعتمد عليه وقد عرفنا أن بعض هذا الكلام من كلام وهب بن منبه، فإذاً هذه القصة من الإسرائيليات التي لا تصدّق ولا تكذّب.

بدنه وقل: بسم الله إله إبراهيم الخليل، فلما أراد أن يصيح وضع أفراثيم يده عليه، فوقع مغشياً عليه، فلما أفاق من (غشيه)[1]، قال لإخوته: (من مسّني منكم)[2] ولأي شيء مسستموني؟. ثم أمر يوسف بالأخشاب، فوضعت وأمر بهم أن يصلبوا عليها، فبكوا لذلك وحزنوا، فعطف عليهم ودعاهم وكشف لهم عن حقيقة الحال، وبيّن لهم الأمر والشأن[3]، ثم أمرهم أن يتوجهوا بقميصه إلى يعقوب عليه السلام، فلما أقبلوا بالقميص شمّ يعقوب عليه السلام ريح يوسف عليه السلام من عشرة مراحل، فأخبر من عنده بأنه شم ريح يوسف عليه السلام فاستبعد الحاضرون ذلك.

فلما وصلوا بالقميص بشَّروه بوجود يوسف وسلامة أخيه بنيامين، وشمّ القميص ووضعه على بصره عاد بصره ونشطت قواه[4]. وطلب يوسف عليه السلام من إخوته أن يتوجهوا جميعاً، وأن يتحملوا بأهلهم وأتباعهم، فلما وصلوا إلى أرض مصر تلقاهم يوسف عليه السلام[5] وكان يوماً عظيماً، ورفع أباه وخالته[6] على سرير عظيم، وحمد الله تعالى قائلاً: ﴿يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ

---

(١) في (ح): «تخشونه».

(٢) في (ح): «من شيء منكم».

(٣) وذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

(٤) ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف].

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿... وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾... فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ...﴾ [يوسف: ٩٣ ـ ١٠٠].

(٦) القول: بأن خالته جاءت مع أبيه، لأن أمه ماتت، هو قول علماء التوراة. وظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه يومئذٍ، فلا يعول على نقل أهل الكتاب، فيما خالفه وهو قول ابن جرير وغيره، وقوّاه ابن كثير. انظر: تفسير ابن جرير: ١٣/ ٣٥٤، والبداية والنهاية: ١/ ٢١٨. وقد ناقشت هذه القضية ص(٢٠٤).

ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠٠، ١٠١].

قصة نبي الله أيوب
ـ عليه الصلاة والسلام ـ

هو أيوب بن موص بن زراح بن روم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وجده العيص هذا أخ يعقوب عليه السلام ولدا في بطن واحد، فخرج العيص متقدماً، وتعقبه يعقوب عليه السلام فلذا سمي يعقوب[(١)]، وكان الله عز وجل قد اصطفى أيوب عليه، ونبأه[(٢)] ورزقه دنيا عريضة وسعة الرزق عظيمة وأرغد له في العيش، وكان له من الأموال ما لا يعد ولا يحد، ومن المواشي والمزارع والدور كذلك[(٣)]، كان في ذلك شاكراً لأنعم الله عز وجل معترفاً بفضل الله مثنياً على الله، يبذل ما أعطاه الله لأسباب الخير، يُؤي الغريب ويكرم الضيف ويحسن إلى السائل، لم تغره الدنيا ولم تطغه ولم تفرد. وكانت الملائكة والعالم الإنسي يثنون عليه ويذكرون فضله، وكان قد سبق في علم الله عز وجل أن يبتليه ويمتحنه ليكون قدوة للصابرين، وإماماً للمريضين، وتسلية لأهل البلاء، وتعزية لأهل القضاء، فابتلاه الله ـ جلّ شأنه ـ[(٤)] وسلط عليه الصوارف والمهلكات، فذهب ماله ومواشيه وزرعه وهو في كل ذلك مثنياً

---

(١) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢١٠: وذكر أهل الكتاب: إن إسحاق لما تزوج «رفقا» بنت بتوابيل في حياة أبيه. . . فكانت عاقراً، فدعا الله لها فحملت، فولدت غلامين توأمين: أولهما سموه «عيصو» وهو الذي تسميه العرب «العيص»، وهو والد الروم. والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه «يعقوب».

(٢) ونبوته بنص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ﴾ [النساء: ١٦٣].

(٣) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢٤٠:

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه، من الأنعام، والعبيد، والمواشي والأراضي المتسعة. . .

(٤) في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل»، وقال: «يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في =

على الله راضياً بمواقع قضائه وقدره، ثم ابتلي بفقد أولاده وأهل بيته فحزن لذلك عند تفقد أولاده، ثم آب إلى الله تعالى وأسرع في الرجوع، ثم ابتلي في جسده بأنواع الأمراض والأسقام، ولم يكن يخدمه غير امرأته[(١)]، وهي رحمة بنت أفريشم بن يوسف عليه السلام وكانت ذات جاه وجمال، وكانت من الأخيار الصابرات الراضيات، وكانت هي التي تسعى في خدمته ومعاشه وتقدم ذلك إليه، فلما طال مرضه واشتد بها الحال عرضت عليه التداوي، وطلبت منه أن يستعمل شيئاً من الأدوية ليزول ما به من الأمراض، فغضب لذلك[(٢)] لعلمه أن الذي هو فيه، ليس من قبيل الأمراض الطبيعية، وإنما هو ابتلاء إلٰهي، وامتحان رباني لا تنفع فيه الأدوية، ولا يفيد فيه الطب، فقال عند ذلك: لئن شفاني الله عز وجل لأجلدتها مائة جلدة، فلما شفاه الله تعالى أمره أن يأخذ قضيباً من نخل فيه مائة عرجون فيضربه ضربة واحدة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [صۤ: ٤٤].

ولما طال البلاء وهو في كل ذلك راض من الله تعالى صابراً على ما أولاه المولى مستغرقاً متلذذاً، فلما قارب أن يتصل إلى غلبة شيء من الاشتغال عن التعظيم والتفكر في الآلاء، فإن القلب هو الطريق إلى ذلك، فإذا وصله الألم

= بلائه». رواه الترمذي في سنن كتاب الزهد: ٥٧.

(١) وعندما نراجع كتب التفسير نجد فيها قصة ابتلاء أيوب ما يتنافى مع منصب النبوة وهذا يجب علينا الحذر منها لأن الأنبياء منزهون على الأمراض المنفرة، ولهذا رد المراغي قول بعض المفسرين الذين ينسبون المرض إلى أيوب إلى حد النفرة منه.

فيقول: وما روي من مقدار ما لحقه من الضر في نفسه حتى وصل إلى حد النفرة منه، وأن الناس جميعاً تحاموه وطردوه من مقامه إلى ظاهر المدينة في موضع الكناسة ولم يكن يتصل به إلا امرأته التي تذهب إليه بالزاد والقوت، فكل ذلك من الإسرائيليات التي يجب الاعتقاد بكذبها؛ لأنه ليس من سند صحيح يؤيدها، ولأن من شروط النبوة ألا يكون في النبي من الأمراض والأسقام ما ينفر الناس منه، ولأنه متى كان كذلك لا يستطيع الاتصال بهم وتبليغ الشرائع والأحكام. تفسير المراغي: ١٧/ ٦١.

(٢) قال الآلوسي في تفسيره: ٢٣/ ٢٠٨: ذهبت ـ زوجة أيوب ـ لحاجة فأبطأت أو بلغت أيوب عن الشيطان أن يقول كلمة محذورة فيبرأ، أو أشارت عليه بذلك، فقالت له: إلى متى هذا البلاء كلمة واحدة، ثم استغفر ربك فيغفر لك، أو جاءته بزيادة على ما كانت تأتي به من الخبز، فظن أنها ارتكبت في ذلك محرماً فحلف ليضربنها إن برئ مائة ضربة. . . .

اشتغل عن هذا المعنى، فلم يطق أيوب عليه السلام هذه البلية، لكونه سبباً إلى إفساد المشاهدة والمعاينة والمكالمة، فحينئذ قال عليه السلام: ﴿رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣][1] فاستجاب الله ـ جلّ شأنه ـ دعاءه وشفاه، وذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤][2].

قصة نبي الله موسى
ـ عليه الصلاة والسلام ـ

ولما قرب ظهور موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخبر المنجمون والكهّان فرعون[3] بأنه سيولد مولود في بني إسرائيل يكون زوال ملكه على يده، فخشي

---

(١) وفي سبب سؤاله العافية أقوال:

أ ـ أنه اشتهى إداماً فلم تصبه امرأته حتى باعت قرناً من شعرها.

ب ـ أن الله تعالى أنساه الدعاء مع كثرة ذكره تعالى، فلما انتهى أجل البلاء، يسر له الدعاء فاستجاب له.

جـ ـ أن نفراً من بني إسرائيل مروا به، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا إلا بذنب عظيم، فعند ذلك قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾. انظر: زاد المسير: ٥/ ٣٧٧. قلت: إن هذه الأقوال ليس لها من سند صحيح يؤيدها حتى نعتمد عليها.

(٢) قال المراغي في تفسيره: ١٧/ ٦١: وخلاصة ما سلف ـ من قصة امتحان أيوب ـ أن أيوب ابتلي في نفسه وولده وماله، فابتلي بالمرض، وهلاك الأولاد، وضياع الأموال امتحاناً منه تعالى، واختباراً له، ثم كشف عنه ما به من ضر فشفي من أمراضه التي أصيب بها، وأنجب من الأولاد ضعف ما كان، وحسن حاله في ماله فزال ما به من عدم وإقتار.

(٣) وفي الكامل لابن الأثير: ١/ ١٧: أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون إليه فقالوا: اعلم أنا نجد في علمنا أن مولوداً من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك. فأمر بقتل كل مولود يولد في بني إسرائيل.

قال الرازي في تفسيره: ٢٤/ ٢٢٤ رداً على هذا الكلام:

اعلم أن هذا الوجه ضعيف لأن إسناد مثل هذا الخبر إلى الكاهن اعتراف بأنه قد يخبر عن الغيب على سبيل التفصيل، ولو جوزناه لبطلت دلالة الإخبار عن الغيب على صدق الرسل وهو بإجماع المسلمين باطل. =

من ذلك كثيراً، وأمر أن تذبح الأطفال التي تولد في ذلك الزمن، فذبح أطفالاً كثيراً. ولما آن أوان ولادة أم موسى صنعت تابوتاً[1] من خشب؛ لأن العامل لهذا التابوت رجل اسمه حبيب النجار، وقد كان سأل أم موسى ما تصنع بالتابوت، فأخبرته أنها تريد وضع ابن لها فيه كيلا يقتله فرعون، فتوجه يريد أن يخبر فرعون لذلك، فعقد الله لسانه عن النطق ثلاث مرات، فلما رأى ذلك؛ علم أنها كرامة من الله ﷻ، فتاب إلى الله ـ جلّ شأنه ـ، وأناب وعزم على موالاة هذا العبد الصالح وأتباعه، فهو أوّل من آمن بموسى عليه السلام[2].

= قلت: والقول الذي تميل إليه النفس ما حكاه الرازي في تفسيره في الموضع السابق: أن الأنبياء كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بمجيئه، وفرعون كان قد سمع ذلك فلهذا كان يذبح أبناء بني إسرائيل، وهذا الوجه هو الأول بالقبول. تفسير الرازي: ٢٤/ ٢٢٤.

(١) وذلك بإرشاد وإلهام من الله تعالى كما قال:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص].

والتابوت: الصندوق يحفظ فيه المتاع، ومنه صندوق الميت.

وهو فعلوت من التوب وهو الرجوع لما أنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاجه من مودعاته، فتاؤه مزيدة كتاء ملكوت وأصله توبوت فقلبت الواو ألفاً. انظر: تفسير الشوكاني: ١/ ٢٦٥، وتفسير الآلوسي: ٢/ ١٦٨.

(٢) قصة التابوت مأخوذة من العرائس: ٩٦. وانظر: تفسير الرازي: ٢٤/ ٢٢٧.

قال إسحاق بن بشر: إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون طلب الولدان خافت على ولدها فاشترت تابوتاً من نجّار، فقال لها النّجّار: ما تصنعين بهذا التابوت؟ فقالت: أخبئ فيه ابنا لي أخشى كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وانطلقت، انطلق النّجّار إلى الذّبّاحين ليخبرهم بأمرها، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق، فلما انتهى النجار إلى موضعه ردّ الله عليه لسانه فتكلم ـ هكذا ثلاث مرات ـ، وعلم أن ذلك من الله تعالى فآمن به وصدّقه.

قلت: إن القرآن يقرر هنا حقيقة ما حدث في قصة التابوت الذي وضع فيه موسى عليه السلام، ولا يثبت من المعصوم ﷺ حديث يجب الاعتماد عليه، فعلينا أن نكتفي بما جاء في القرآن الكريم في هذه القصة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝٣٧ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ [طه]. وأيضاً قد صرح الحاكم في المستدرك كتاب التاريخ باب ذكر ولادة موسى: ٢/ ٥٧٤ أن هذه القصة عن وهب بن منبه، ومعلوم أنه من رجال أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام. ومع ذلك فإن الحاكم والذهبي سكتا عن هذا الحديث.

ثم لما وضعت موسى، وضعته في التابوت وألقته في البحر وذلك بالإلهام[١] الإلٰهي وقع في نفسها، فألقته الأمواج في البحر إلى موضع كان فيه بنات فرعون ونساؤه يغتسلن، ففتحوا التابوت، فرأوه، فألقى الله ـ جلّ شأنه ـ في قلوبهم محبته، فذهبوا به إلى دار فرعون[٢]، وعرضوا عليه المراضع فأبى، فجاءت أخته مستخفية فعرفته وأخبرت أمه، ثم جاءت إليهم أمه فأرضعته على أنها مرضعة، فلم يزل يربى في دار فرعون ولم يشعر به[٣].

فلما علم به أراد قتله فمنعوه من ذلك، وألقى الله ﷻ عليه الشفقة[٤]، وتربّى وأحبته ابنة فرعون[٥] وامرأته آسية، وهي آسية بنت مزاحم[٦]، وقد

---

(١) في (ح): «بإلهام».

(٢) وفي البداية والنهاية: ١/٢٥٩: وذكر المفسرون: أن الجواري التقطنه من البحر في تابوت مغلق عليه، فلم يتجاسرن على فتحه، حتى وضعنه بين يدي امرأة فرعون. . . . وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص].

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص].

(٤) فلما رآه فرعون همّ بقتله لأنه خاف أن يكون من بني إسرائيل الذين كان يتوقع هلاكه على أيديهم، فتدافعه امرأته لحبها إليها. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص]. قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٢٤٠: فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية. . فلما رأته، ووقع نظرها عليه أحبته حباً شديداً جداً. فلما جاء فرعون قال: ما هذا وأمر بذبحه، فاستوهبته منه ودفعت عنه «وقالت قرة عين لي ولك» فقال لها فرعون: أما لك فنعم، وأما لي فلا، أي لا حاجة لي به والبلاء موكل بالمنطق.

(٥) ما ذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من أن لفرعون بنت تحب موسى ﵇ مستبعد مع قول آسية امرأة فرعون كما حكى القرآن: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٢٤٠ عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وذلك أنهما تبنياه؛ لأنه لم يكن يولد لهما ولد.

(٦) هي: آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن =

آمنت بموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما رأت (مع وقع له مع السحرة)[1].

ثم لما شبَّ وترعرع أسلمته امرأة فرعون وابنته إلى من يعلِّمه، فتعلم العلم والحكمة، وكانت مصر دار العلم والحكمة، فأحدق جميع العلوم، وكان بمصر حكيمان أحدهما يسمى ياسين والآخر عرائيس، فأسلمته ابنة فرعون إليهما، وتعلم منهما الحكمة، وبعد أن كبر رأى رجلين يختصمان أحدهما قبطي والآخر إسرائيلي، والقبطي يتجرأ على الإسرائيلي، فالتفت موسى عليه السلام فلم يرَ أحداً فقتل القبطي[2]، ثم بعد أيام رأى رجلين يختصمان أيضاً، فأنكر عليهما فقالا: من ولّاك علينا أتريد أن تقتلنا كما قتلت بالأمس رجلاً، فخشي أن يبلغ فرعون ذلك، فخرج فاراً من مصر متوجهاً إلى أرض مدين[3]، وهو مدين بن إبراهيم[4] عليه السلام وهم قبائل عظيمة، فتوجه نحو أرضهم فوصل إلى بئر

= يوسف وهي من الصديقات المشهورات وإحدى سيدات أهل الجنة. انظر: البداية والنهاية: ١/ ٢٣٩.

(١) في (ح): «ما وقع مع السحرة».

(٢) وذلك قوله تعالى:
﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص].

وموسى عليه السلام لم يرد قتله بالكلية وإنما أراد زجره وردعه فطعنه بجمع كفه ـ كما قاله مجاهد ـ أو بعصا كانت معه ـ قاله قتادة ـ فمات منها.

ومع هذا قال موسى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص].

(٣) وذلك قوله تعالى:
﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص].

(٤) هو: مدين بن إبراهيم وأمه قنطورا بنت يقطن الكنعانية وإليه تنسب قبيلة قوم شعيب، وهي على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لبنات شيخ مدين. انظر: معجم البلدان: ٥/ ٧٧، والبداية والنهاية: ١/ ١٧٥.

يردها قبيلة من أولاد مدين بعد أن مشى سبعة أيام ليس له[١] فيها زاد[٢]، فجلس قريباً من البئر، فرأى امرأتين ولهما ماشية تنتظران خلو البئر عن الواردين، فتقدم إليهما[٣] موسى عليه السلام قائلاً لهما: ما لكما لا تسقيان؟ فقالتا: إنّا ضعاف ووالدنا شيخ كبير، فسقي لهما ماشيتهما، وكان موسى عليه السلام صاحب قوة وجلادة، ثم رجع إلى فيء شجرة فنام تحتها[٤]، وسأل الله تعالى أن يرزقه قوتاً، فعادت إليه إحدى المرأتين قائلة: إن والدي يدعوك إلى الضيافة[٥] فأجابها[٦]، فكان الشيخ هو[٧] نبي الله شعيب[٨] عليه السلام.

---

(١) كلمة «له» ساقطة من (ح).

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما سار موسى عليه السلام من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً فسقطت نعلا قدميه من الحفاء وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه، وأن بطنه لاصق بظهره من الجوع؛ وأن خضرة البقل لترى من داخل جوفه، وأنه لمحتاج إلى شق تمرة. ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢٤٣.

(٣) في (هـ): «عليهما» وما أثبته من (ح).

(٤) كلمة «تحتها» ساقطة من (ح).

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص].

(٦) في (ح): «فأجابهما».

(٧) كلمة «هو» ساقطة من (ح).

(٨) في البداية والنهاية: ١/ ٢٤٤:

وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو؟، فقيل: هو شعيب عليه السلام وهذا هو المشهور عند كثيرين، وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس.

وقيل: إن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين. وقيل: رجل اسمه يثرون ابن أخي شعيب صاحب مدين.

قلت: والقول الذي تطمئن إليه النفس ما يميل إليه سيد قطب حيث يقول: في حاشية تفسيره: ٥/ ٢٦٨٧.

قلت: إن هذا الرجل هو شعيب. وقلت مرة: إنه قد يكون النبي شعيباً أو لا يكون... وأنا الآن أميل إلى ترجيح أنه ليس هو، وإنما هو شيخ آخر من مدين، والذي يحمل على هذا الترجيح أن هذا الرجل شيخ كبير، وشعيب شهد مهلك قومه، المكذبين له، ولم يبق =

ثم إن شعيباً لما جاء موسى اتّخذه ابناً، واستأجره لرعي ماشية، وأن يزوّجه ابنته، فلما مضت سبعة أعوام[1] زوّجه ابنته، فحصل لموسى العلوم الكسبية من مصر والعلوم الوهبية من صحبته شعيب.

ثم توجه موسى من عند شعيب بزوجته، فلما كان قريباً من طور سيناء خرج يلتمس لأهله ناراً، فرأى نوراً عظيماً قد شعشع الوادي، فلما رآه[2] ظنه ناراً[3] فخوطب: اخلع نعليك، كما قال الله تعالى ذلك في كتابه العزيز بقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه].

وخاطبه الله ـ جلّ شأنه ـ قائلاً: ما هذه التي بيمينك؟ قال: عصاي، فأمر الله ـ جلّ شأنه ـ أن يلقيها، فألقاها، فانقلبت حية عظيمة، فقال: خذها، فأخذها فانقلبت عصاه في يده[4]، فأمره الله ﷻ أن يذهب إلى فرعون، فيعظه

= معه إلا المؤمنون به، فلو كان هو شعيب ـ النبي ـ بين بقية قومه المؤمنين، ما سقوا قبل بنتي نبيهم الشيخ الكبير، فليس هذا سلوك قوم مؤمنين، ولا معاملتهم لنبيهم وبناته من أول جيل! يضاف إلى هذا أن القرآن لم يذكر شيئاً عن تعليمه لموسى صهره، ولو كان شعيباً النبي لسمعنا صوت النبوة في شيء من هذا مع موسى وقد عاش معه عشر سنوات.

(١) والصواب عشر سنين لما رواه البخاري من حديث سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما؛ إن رسول الله إذا قال فعل. صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد: ٣/١٦٢.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ...﴾ [القصص].

(٢) في (ح): «فلما يراه».

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾ [القصص].

(٤) وذلك قوله تعالى:

﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١﴾ [طه].

وينصحه وينهاه عن الطغيان والكفر والعناد واستعباده بني إسرائيل، فقال موسى عليه السلام: إن لساني ألثغ[1] وبي لكنة[2]، وأحتاج إلى مُعين، فأعانه الله بهارون عليه السلام ونبأه[3] وأمرهما أن يذهبا إلى فرعون، وأن يشتغلا بذكره ولا ينيا في ذلك، ولا يقصرا، وأن يكون الله ـ جلّ شأنه ـ منهما على بال، وأن يستشعرا معينه لهما وحفظه ويعلما أنه ناظِرٌ إليهما، فامتثلا أمره، وقصدا فرعون ودخلا عليه، وأخبراه أن الله أوحى إليهما بما أوحى، وألانا له في القول بأمر الله تعالى بذلك[4]، فطغى وتمرد ولم يقبل وطلب منهما برهاناً

---

(١) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢٤٩:

قيل: إنه أصابه عليه السلام لثغة بسبب تلك الجمرة التي وضعها على لسانه التي كان فرعون أراد اختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو صغير فهم بقتله، فخافت عليه آسية وقالت: إنه طفل، فاختبره بوضع تمرة وجمرة بين يديه، فهم أن يأخذ التمرة، فصرف الملك يده إلى الجمرة، فأخذها فوضعها على لسانه فأصابه لثغة بسببها فسأل زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله، ولم يسأل زوالها بالكلية. وانظر: المستدرك كتاب التاريخ، باب ذكر ولادة موسى عليه السلام: ٢/ ٥٧٤، وسكت عنه الحاكم والذهبي، وصرح الحاكم أن هذه الرواية عن وهب بن منبه.

والأرجح ما ذكره سيد قطب في ظلال القرآن: ٥/ ٤٧٠ قال: وطلب موسى إلى ربه أن يحل عقدة لسانه فيفقهوا قوله، وقد روي أنه كانت بلسانه حبسة، والأرجح أن هذا هو الذي عناه، ويؤيده ما ورد في سورة أخرى من قوله: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]. وقد دعا ربه في أول الأمر دعاءً شاملاً بشرح الصدر وتيسير الأمر، ثم أخذ يحدد ويفصل بعض ما يعينه على أمره وييسر له تمامه.

(٢) اللكنة: هي عجمة في اللسان وعِيّ، يقال: رجل ألكن بَيّن اللكن. انظر: مختار الصحاح مادة: (ل ك ن) ص(٦٠٣).

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه].

وقوله تعالى:

﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ . . .﴾ الآية [القصص].

(٤) وذلك قوله تعالى:

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى =

وعلامة على صدقهما، فألقى موسى العصا فصارت حيّة عظيمة تمشي، وأخرج يده من كمه فإذا هي بيضاء تلمع، ثم أدخلها ثانياً فإذا هي عليه[1]. فلما رأى ذلك استشار أصحابه وجلساءه في أمرهما، فقالوا له: إن هذا سحر، فأرسل السحرة في كل أرض وأجمعهم فسيعلوه، فأرسل فرعون فجمعهم، فكانوا أكثر من الصعيد، فاجتمع عنده نحواً من أربعين ألف ساحر[2]، فخرجوا هم وموسى عليه السلام وألقى كل منهم ما بيده من الحبال والعصا، فانقلبت ثعابين وحيات، وأقبلت نحو موسى عليه السلام فارتاع لذلك[3].

= ﴿مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ [طه].

(١) وذلك قوله تعالى:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى:

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

(٢) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢٥٤: يخبر تعالى عن فرعون أنه ذهب فجمع من كان ببلاده من السحرة، وكانت بلاد مصر في ذلك الزمان مملوءة سحرة فضلاء في فنهم غاية، فجمعوا له من كل بلد ومن كل مكان، فاجتمع منهم خلق كثير وجم غفير. فقيل: كانوا ثمانين ألفاً. قاله محمد بن كعب. وقيل: سبعين ألفاً. قاله القاسم بن أبي بردة. وقال السدي: بضعة وثلاثين ألفاً....

(٣) وذلك قوله تعالى:

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى:

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه].

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢٥٥ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه]: أي خاف الناس أن يفتتنوا بسحرهم ومحالهم قبل أن يلقي ما في يده، فإنه لا يضع شيئاً قبل أن يؤمر.

فأوحى الله ـ جلّ شأنه ـ إليه في سرّه ألق عصاك فألقاها، فانقلبت حية عظيمة وابتلعت جميع تلك الحيات المموهة، فلما رأى السحرة ذلك علموا أن مثل هذا الشأن لا يكون إلّا المؤيد بتأييد إلهيّ، فأذعنوا حينئذ وآمنوا به وعلموا أنه مرسل من عند الله ﷺ، وأنكر[1] فرعون عليهم ما صنعوا من الإيمان بموسى واتباعه، وقال لهم: إن هذا هو الذي علّمكم السحر فلهذا أطعمتوه وآمنتم به، وهددهم وخوفهم فلم يرجعوا؛ بل أصروا على الإيمان وصرحوا بالتوحيد، وقالوا: افعل ما شئت فلا نرجع من ذلك أبداً[2].

فلما رأى ذلك فرعون منهم، ورأى إيمان كثير من بني إسرائيل واتباعهم لموسى، استشار فرعون أصحابه في قتل موسى هو ومن اتبعه، فأشاروا عليه بالفعل إلا رجل مؤمن يخفي الإيمان، واسمه خرقيل، وهو الذي قال الله ـ جلّ شأنه ـ فيه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ إلى آخر الآية [غافر: ٢٨][3]، فإنه قال له: قد جاءه هذا الرجل بهذه الآيات الواضحات فلا ينبغي الفتك فيه؛ فإنه إن يكن كاذباً فما

---

(١) في (ح): «وانكسر».

(٢) وذلك قوله تعالى:

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى:

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ [طه].

وانظر سورة الشعراء: (٤٥ ـ ٥١).

(٣) وتمام الآية: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

يضرك كذبه، وإن يكن صادقاً يصبك أمر عظيم، ويخشى عليك من الخطر فوعظه كثيراً، فأعرض عن موسى ولم يتعرض له بسوء، وبقي مُصِرّاً على تجبره وادعائه الربوبية، واستضعافه بني إسرائيل. وكان المؤمنون بموسى عليه السلام مستضعفين مستخفين في أرض مصر لقوة فرعون وجنوده، فدعا موسى لربه قائلاً كما قصّ الله ـ جلّ شأنه ـ خبره في كتابه[1] المكنون بقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس].

ثم إن موسى عليه السلام كان يدعو فرعون وقومه إلى توحيد الله تعالى وتعظيمه، ويطلب منهم أن يرسلوا معه بني إسرائيل ليذهب بهم إلى وطنهم الأصلي، ومسكن أبيهم الخليل عليه السلام، فأبوا عن ذلك فدعا عليهم، فأرسل الله ـ جلّ شأنه ـ عليهم طوفاناً عظيماً فأغرق بيوتهم ودخل الماء عليهم في كل موضع فالتجؤوا إلى موسى عليه السلام وسألوه أن يسأل الله ـ جلّ وعلا ـ أن يكشف ما بهم، إن كشف عنهم آمنوا به، وأرسلوا معه بني إسرائيل، فكشف الله ـ جلّ شأنه ـ عنهم ذلك، وأنبتت الأرض أضعاف ما تنبته من المعتاد فطغوا بذلك، وقالوا: هذه كانت علينا نعمة، فدعا عليهم بالجراد فأتاهم من كل موضع وأكل زروعهم، فسألوا موسى عليه السلام أن يدعو لهم ويؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل، فلما كشف ما بهم عادوا إلى ما هم عليه.

فدعا عليهم بالقمل فكَثُر فيهم، وأهلكهم وأتبعهم، فسألوا موسى عليه السلام كشف ذلك وأن يؤمنوا، فدعا لهم فكشف عنهم فلم يرجعوا عما هم عليه.

فدعا عليهم بالضفادع فامتلأت منازلهم وأماكنهم بها، فسألوه كشف ذلك ويؤمنوا، فكشف الله ـ جلّ شأنه ـ عنهم فلم يرجعوا.

فدعا عليهم بالدم فامتلأت منازلهم ومواطنهم دماً، فسألوا كشف ذلك، وأن يؤمنوا، فدعا لهم، فكشف الله عنهم فلم يرجعوا[2].

---

(١) في (ح): «كتاب».

(٢) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢٦٥ بنحو ما ذكره المؤلف:

فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوباً مفلولاً، ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر، وتتابع الله عليه بالآيات، فأخذه بالسنين، فأرسل عليه الطوفان ثم =

ثم إن موسى عليه السلام طلب منهم أن يصنع عيداً لله تعالى ويخرج هو وبنو إسرائيل إلى خارج مصر، فاستعار بنو إسرائيل من القبط مصاغاً وحلياً لعرس لهم[1] على أنهم يصنعوه ويعودوا إلى مصر، فتوجه موسى عليه السلام بهم وكانوا ستمائة ألف رجل والنساء والأطفال، وتوجهوا إلى خارج مصر وقصد المسير إلى الأرض المقدسة، وكانت ليلة خروجهم ألقى الله ـ جلّ شأنه ـ الموت على أبكار القبط فماتوا جميعهم[2]، فاشتغل القبط بدفنهم، وسار موسى عليه السلام في ساقة بني إسرائيل، وسار هارون في مقدمتهم، فبلغ فرعون قصدهم، فخرج

= الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات:

فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على الأرض ثم ركد لا يقدرون على أن يخرجوا ولا يعلموا شيئاً فلما بلغهم ذلك ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] فدعا موسى ربه فكشفه عنهم، فلما لم يفوا به بشيء فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغني حتى أن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد فقالوا مثل ما قالوا: فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم القمل... حتى غلب على البيوت الأطعمة ومنعهم النوم والقرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له، فدعا ربه فكشف عنهم. فلما لم يفوا له بشيء مما قالوا أرسل الله عليهم الضفادع، فملأت البيوت الأطعمة والآنية...، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربّه فكشف عنهم فلم يفوا بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً لا يسقون من بئر ولا نهر يغترفون من إناء إلا عاد دماً.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف].

(١) هذا الكلام مأخوذ من أهل الكتاب كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢٧٠ حيث يقول:

قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب: استأذن بنو إسرائيل فرعون في الخروج إلى عيد لهم، فأذن لهم وهو كاره ولكنهم تجهزوا للخروج وتأهبوا له، وإنما كان في نفس الأمر مكيدة بفرعون وجنوده ليتخلصوا منهم ويخرج عنهم، وأمرهم الله تعالى ـ فيما ذكره أهل الكتاب ـ أن يستعيروا حلياً منهم فأعاروهم شيئاً كثيراً فخرجوا بليل فساروا مستمرين ذاهبين من فورهم طالبين بلاد الشام.

(٢) وقد ذكره الثعلبي في العرائس: ١١١ بنحو ما ذكره المؤلف.

وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢٧٥ أنه عن أهل الكتاب:

وعند أهل الكتاب.. قالوا: وقتل الله عز وجل في تلك الليلة أبكار القبط وأبكار دوابهم؛ ليشتغلوا عنهم... فخرجوا وهم ستمائة ألف رجل سوى الذراري بما معهم من الأنعام.

في طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف، فلما رأى بنو إسرائيل قرب فرعون منهم وقدموا[1] على موسى عليه السلام قائلين: كنا راضين بعبودية القبط ولا يهلكونا، وكان البحر أمامهم وليس طريق غيره، فضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه فانفلق بإذن الله عز وجل، وصار لهم طريق فيه، فمروا فيه، وأتى فرعون وجنوده فمشوا في البحر، فلما خرج بنو إسرائيل من الطريق الآخر انطبق البحر على فرعون وجنوده فأغرقهم جميعاً، وورث بنو إسرائيل أموال القبط ودورهم ومساكنهم وصاروا ملوكاً بعد أن كانوا مملوكين[2].

وأوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام أن يتوجه إلى طور سيناء، فيأتي بني إسرائيل بكتاب من عند الله فيه جميع ما يحتاجون إليه من الأحكام والشرائع والنواميس، وهي التوراة، وهي أول كتاب أنزل من عند الله ـ جلّ شأنه ـ وما

---

(١) الواو ساقطة من (هـ).

(٢) هذا القول عن أهل الكتاب كما ذكر ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢/ ٩١ وهو موافق للقرآن:

قالوا: ولمّا خرج بنو إسرائيل من مصر خرجوا على طريق بحر فانتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر فنزلوا هنالك وأدركهم فرعون وجنوده، فقلق كثير من بني إسرائيل حتى قال قائلهم: كان بقاؤنا بمصر أحب إلينا من الموت بهذه البرية، فقال لهم موسى: لا تخشوا فإن فرعون وجنوده لا يرجعون إلى بلدهم بعد هذا. وأمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل في البحر واليبس، وصار الماء من هاهنا وهاهنا كالجبلين وصار وسطه يبساً؛ لأن الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم، فجاز بنو إسرائيل البحر وأتبعهم فرعون وجنوده فلما توسطوه أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه، فرجع الماء كما كان.

وكفانا ما حكاه الله تعالى عنه لنا في كتابه العزيز.

فقال تعالى:

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء].

وانظر سورة طه: (٧٧ ـ ٧٨)، وسورة الدخان: (٢٣ ـ ٢٨).

قبلها من كتب الأنبياء تسمى صحفاً، وكانت التوراة وقر بعير، وهي سبعون سفراً، يذكر في كل سفر منها نوعاً من الأنواع: مثل: المبدأ والمعاد والتوحيد والأحكام، فتوجه موسى عليه السلام ووعدهم[1] أن يغيب عنهم ثلاثين يوماً يناجي فيها ربّه ويأتيهم بكتاب من عنده، فتوجه إلى طور سيناء وأقام بجبل الطور تسعة وعشرين يوماً صائماً طاوياً، وفي اليوم التاسع والعشرين استاك بعود الحزون، فقال له الملائكة: قد تغيّر ريح فمك، وأمر بزيادة عشرة أيام، وكانت الثلاثين يوماً شهر ذي القعدة والعشر الزيادة هي العشر من ذي الحجة فتمم الأربعين يوماً على وجه الطي والسهر، وفي هذه العشرة اضطرب بنو إسرائيل: وقالوا: وعدنا موسى عليه السلام بثلاثين يوماً فلم يجئ، وزعموا أنه مات، وكان السامري: واسمه موسى بن ظفر[2] رجلاً صائغاً، فمر به فارس لا يمر ببقعة من الأرض إلا اخضرّت، فعلم أنه ليس من البشر، ووقع في نفسه أنه لا يوضع هذا التراب الذي وقع عليه حافر الفرس في شيء إلا حي، فأخذ منه قبضة واستعار من بني إسرائيل مصاغاً الذي أخذوه من القبط، وصبغه عجلاً ورصعه بالجواهر وألقى في جوفه شيئاً من ذلك التراب، فخار وتحرك، فدعى بني إسرائيل قائلاً: هذا إلهكم يا بني إسرائيل الذي ذهب موسى إليه، فعبدوا العجل في تلك المدة[3]، فلما عاد موسى عليه السلام ومعه الألواح مكتوب فيها جميع ما يحتاج، وكانت اثني عشر لوحاً.

---

(١) في (هـ): «وأوعدهم».

(٢) هو: موسى بن ظفر السامري كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة، وكان منافقاً يظهر الإيمان ويبطن الكفر. انظر: تفسير الآلوسي: ١٦/ ٢٤٤.

(٣) وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٥/ ٤٩١، ٤٩٣:

أخذ السامري الحلي فصاغ منها عجلاً، وجعل له منافذ إذا دارت فيها الريح أخرجت صوتاً كصوت الخوار، ولا حياة فيه ولا روح فهو جسد، فما كادوا يرون عجلاً من ذهب يخور حتى نسوا ربهم الذي أنقذهم من أرض الذل وعكفوا على عجل الذهب قالوا: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] راح عنه على الجبل، وهو هنا معنا، وقد نسي موسى الطريق إلى ربّه وضلّ عنه.

والذي يتردد كثيراً في هذه الروايات أنه رأى جبريل عليه السلام فقبض قبضة من تحت حافر فرسه، فألقاها على عجل الذهب، فكان له هذا الخوار، أو أنها هي التي أحالت كوم الذهب عجلاً له خوار..

والقرآن لا يقرر هنا حقيقة ما حدث، إنما هو يحكي قول السامري مجرد حكاية، ونحن =

فلما رأى ما صار منهم غضب لذلك، وألقى الألواح فتكسرت[1] وأقبل يوبخ أخاه، فاعتذر إليه بأنهم لم يقبلوا نصيحتي، وأمر موسى بالعجل فبرد[2] بالمياه وألقاه في النيل وأمرهم أن يشربوا منه[3]، فأوحى الله ـ جلّ شأنه ـ إليهم إن أرادوا قبول التوبة فليقتل بعضهم بعضاً فامتثلوا، وأنزل الله ـ جلّ شأنه ـ سحابة سوداء فصار لا يرى بعضهم قريبه أو أباه أو أخاه، فلما طال القتل فيهم تضرع موسى عليه السلام وأخوه هارون لحضرة الأزل، فكشف السحابة ونهوا عن القتل، فكان المقتول منهم نحواً من سبعين ألف رجل[4].

= نميل إلى اعتبار هذا عذراً من السامري وتملصاً من تبعة ما حدث، وأنه هو صنع العجل من الذهب الذي قذفه بنو إسرائيل من زينة المصريين التي أخذوها معهم، وأنه صنعه بطريقة تجعل الريح تصوت في فراغه فتحدث صوتاً كالخوار، ثم قال حكاية أثر الرسول يبرر بها موقفه، ويرجع الأمر إلى فطنته إلى أثر الرسول. وفي أية حال، فقد أعلنه موسى عليه السلام بالطرد من جماعة بني إسرائيل مدة حياته، ووكل أمره بعد ذلك إلى الله، وواجهه بعنف في أمر إلهه الذي صنعه بيده، ليرى قومه بالدليل المادي أنه ليس إلهاً، فهو لا يحمي صانعه، ولا يدفع عن نفسه.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طـه]، وعلى مشهد الإله المزيف يحرق وينسف، يعلن موسى عليه السلام حقيقة العقيدة: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه].

(1) ذهب المؤلف إلى أن ألواح موسى عليه السلام انكسرت حين ألقاها غضباً لقومه عندما رأى ما هم عليه من عبادة العجل، هذا القول هو ما قاله أهل الكتاب. واستدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ [الأعراف: ١٥٤] على أنها تكسرت وفي هذا الاستدلال نظر، وليس في اللفظ القرآني ما يدل على أنها تكسرت. انظر: البداية والنهاية: ١/ ٢٧٧، ٢٧٨.

(2) وهو قول علي وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم وهو نص أهل الكتاب. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/ ١٢٣.

(3) في (ح): «يشربون منه».

(4) فقد ذكر الله تعالى قصة العجل في القرآن الكريم، فقال تعالى:

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ =

ورجع موسى عليه السلام إلى طور سيناء ثانياً واختار كبار بني إسرائيل[1] سبعين رجلاً[2]، فجلسوا في آخر الجبل، وصعد موسى عليه السلام إلى أعلاه، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يرى الله هو وإياهم، فلما حصل التجلي الإلهي صار الجبل هباء[3] ومات السبعون جميعهم وغشي على موسى عليه السلام، فلما أفاق من

= يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه].

وانظر سورة الأعراف: (١٤٨ ـ ١٥٣)، وسورة البقرة: (٥١ ـ ٥٢).

(١) في (ح): «واختار بني إسرائيل».

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة].

وفي تفسير ابن كثير: ١/١٦٣، ٣/٢٢٦: قال محمد بن إسحاق: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخير فالخير، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال له السبعون حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربه: اطلب لنا نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهة موسى نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل، فلما فرغ إليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا: يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة، وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم فماتوا جميعاً، فقام موسى يناشد ربّه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل.

(٣) حصول التجلي الإلهي ليس في ذهاب موسى إلى طور سيناء الثاني، بل ذهابه الأول. وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف]. =

غشوته، سأل الله ـ جلّ شأنه ـ إحياء السبعين فأحياهم الله ـ تبارك وتعالى ـ[1]، ورجع موسى عليه السلام بالمواعظ والأحكام إلى بني إسرائيل، فأظهر فيهم أحكام الله ـ جلّ شأنه ـ، ودعاهم إلى عبادته، فامتنع من ذلك قومه ولم يمتثلوا، فرفع الله تعالى بدعاء موسى عليه السلام جبلاً عظيماً حتى أظلهم وعلا عليهم فحينئذ امتثلوا وانقادوا[2].

ووقع لموسى عليه السلام بمصر قصص جليلة:

منها: قصة البقرة[3]: وكان سبب هذه القصة أن رجلاً من بني إسرائيل كان غنياً، وكان له ابن عم فقير وليس له وارث غيره، فطال عمر الغني، واستبطأ وارثه ذلك فقتله ليلاً ورماه في محلة أخرى، وأصبح يدّعي أهل ذلك المنزل الذي وجد القتيل عندهم إلى موسى عليه السلام، واختلفوا بنو إسرائيل في ذلك،

= أما قصة موت السبعين فذلك عندما طلبوا من موسى أن يروا الله تعالى جهرة فأخذتهم الصاعقة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة]. وفي تفسير ابن كثير: ١/١٦٢: وقال السدي: فأخذتكم الصاعقة، فمات السبعون، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾، فأوحى الله إلى موسى: إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل، ثم إن الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجلاً رجلاً ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة].

(٣) ذكر الله تعالى قصة البقرة في كتابه العزيز فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة].

فأوحى الله ـ جلّ شأنه ـ إلى موسى عليه السلام أن اذبحوا بقرة، وخذوا قطعة منها واضربوا به قبر الميت؛ فإنه يخبركم من قتله، فلما أخبرهم موسى عليه السلام بذلك استبعدوا قوله، فسألوه عن صفة البقرة، فأخبرهم أنها بقرة لا كبيرة ولا صغيرة. فسألوه عن لونها، فأخبرهم أنها صفراء، وسألوه سائمة أم عاملة فأخبرهم أنها سائمة. وكان سؤالهم لحكمة إلٰهية؛ وهو أن هذه البقرة الموصوفة بهذه الصفة كانت لغلام يتيم لما قربت وفاة والده أخذ هذه البقرة، وذهب بها إلى غيضة[1] فاستودعها الله تعالى لابنه حتى يكبر، وكان ذلك الغلام شاباً باراً[2] بوالدته، فقالت له يوماً: إن أباك استودع لك في غيضة كذا البقرة فنادِها، فذهب فناداها فأتت إليه، فسار بها إلى أمه، فقالت له[3]: بعها بثلاثة دنانير بشورتي، فبعث الله ـ جلّ شأنه ـ ملكاً فقال له: بكم تبيع البقرة؟ فقال: بثلاثة دنانير وأستأمر والدتي، فقال له الملك: بستة دنانير ولا تستأمرها، فقال له: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذ إلا برضا والدتي، فردها إلى والدته، وأخبرها، فقالت: بِعها بستة دنانير مع الاستئمار، فراوده الملك بزيادة ضعف الثمن، فلم يفعل إلا باستئمار والدته، فقالت له أمه: إن الذي يأتيك هذا ملك، فاسأله: أبيعها أم أبقيها، فسأله فقال له: أبقها؛ فإن بني إسرائيل يحتاجون إليها فستبيعها بملء مسكها[4] ذهباً. فلما رآها بنو إسرائيل دفعوا إليه فيها ثمناً، فأبى أن يبيعها إلا بملء جلدها ذهباً، ووسع الله ـ جلّ شأنه ـ الجلد حتى حمل أضعاف ما هو حامل، ثم ذبحوها وضربوا ببعضها قبر الميت، واسمه عاميل، فأحياه الله ـ جلّ شأنه ـ، وقال: قاتلي فلان، ثم رجع ميتاً فعرفوا القاتل واقتصوا منه[5].

---

(١) غيضة: أي غابة ذات شجر كثير. انظر: اللسان، مادة: (غيض): ٧/ ٢٠٢.

(٢) في (ح): «البر».

(٣) كلمة «له» ساقطة من (ح).

(٤) المسك: بالفتح وسكون السين الجلد. انظر: اللسان مادة: (مسك): ١٠/ ٤٨٦.

(٥) إن قصة البقرة وردت فيها روايات ذكرها المفسرون في تفاسيرهم، وقد بسط ابن كثير في تفسيره: ١/ ١٨٨ روايات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم، وقد ذكر في البداية والنهاية: ١/ ٢٩٣، ٢٩٤ هذه القصة بنحو ما ذكره المؤلف.

وقال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر روايات عن عبيدة، وأبي العالية والسدي وغيره: =

ووقع لموسى عليه السلام أيضاً بمصر أنه قام خطيباً في بني إسرائيل[1]، فوعظهم وذكر علوماً عظيمة ومعارف جليلة، فقالوا له: يا نبي الله من أعلم النّاس؟ فقال: «أنا»، ولم يرد العلم إلى الله ـ جلّ شأنه ـ، فأوحى الله إليه، أنك ما أعدت العلم إليّ، وإن لي عبداً من عبادي هو أعلم منك يقال له: الخضر.

فلما قال الله ـ جلّ شأنه ـ له ما قال طلب من الحق أن يجتمع به، فقال له الحق ـ جلّ وعلا ـ: اطلبه عند مجمع البحرين[2]، فعلامة اجتماعك بأن تأخذ حوتاً فتنساه.

= هذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيره فيها اختلاف ما، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا، الله أعلم.

(١) قصة موسى والخضر عليهما السلام ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم.

فقال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

(٢) أصل هذه القصة في البخاري إلا أن المؤلف زاد بعض الأسماء التي لا توجد في القرآن ولا في الحديث. =

فتوجه موسى عليه السلام واستتبع معه تلميذه يوشع بن نون[1]، وقال له: أنا طالب الاجتماع بهذا الشخص، ولو مضى عليّ حقباً من السنين، فلما وصلا إلى مجمع البحرين نام موسى عليه السلام عند صخرة، وكان معهما حوت في مكتل[2]، ثم قام من نومه فتوجّه وتوجه معه يوشع، ونسيا الحوت في محله فسارا، وكان موسى قد تعب وجاع فطلب الحوت، فأخبر يوشع بنسيانه وخشي من ذلك، فقال موسى عليه السلام: هذا مطلوبنا، ورجعا فوجدا رجلاً عند مجمع البحرين، فسلّم موسى عليه السلام وقال له: إني أريد أتبعك وأتعلم منك،

= وهذه رواية صحيح البخاري:

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عمرو قال أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر.

فقال: كذب عدو الله، حدثنا أُبَيّ بن كعب عن النبي ﷺ: «قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم، فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يَرُدّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال: يا رب وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتاً في مكتل، فإذا فقدته فهو ثَمَّ. فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتاً في مكتل، حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما، فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وكان لموسى وفتاه عجباً، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ولم يجد موسى مساً من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به. فقال له فتاه: أرأيتَ إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت. قال موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدّا على آثارهما قصصاً، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب ـ أو قال: تسجى بثوب ـ فسلّم موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: هل أتبعك على أن تعلمني بما علمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علّمكه لا أعلمه. قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة، فكلموهم.. انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله: ١/ ٣٨.

(١) هو: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام. ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٣١٩.

(٢) المكتل والمكتلة: الزنبيل الذي يحمل فيه التمر أو العنب إلى الجرين. انظر: اللسان مادة: (كتل): ١١/ ٥٨٣.

فقال له: إنك لا تقدر على متابعتي وصحبتي. فقال له موسى ﷺ: ستراني إن شاء الله قادراً على صحبتك، فمرت بهم سفينة عظيمة فطلبوا أهلها أن يحملوهم[1]، فلما استقروا فيها أخذ الخضر ﷺ قدوماً فكسر لوحاً من ألواح السفينة وأخرجه، فأنكر عليه موسى ﷺ قائلاً له: قوم حملونا وأكرمونا تعيب سفينتهم! فقال له: ما قلت لك: إنك ما تقدر على مرافقتي، فاستغفر موسى ﷺ له، وقال: قد نسيت فلا تؤاخذني، ثم خرجا من السفينة ومشيا في مدينة، فرأيا غلاماً حسن الصورة بديع الشكل، واسمه حيسون، فجذب الخضر عنقه فاقتلعها من جسده فرماه ميتاً، فأنكر عليه موسى ﷺ قائلاً: أتقتل غلاماً بلا سبب؟ فقال له: ألم أخبر أنك لا تقدر على مرافقتي. فقال له موسى ﷺ: لا أعود، وإن عدت فلا تصحبني أبداً.

فخرجا مشياً وانتقلا من موضع إلى موضع حتى وصلا إلى مدينة أنطاكية وهما جياع، فطلب أن يضيفوهما فلم يضيفوهما، فخرجا منها فوجد الخضر ﷺ جداراً مائلاً يكاد[2] أن يقع، فمسح بيده عليه فاستقام كأحسن ما يكون، فقال له موسى ﷺ: لو أخذت أجره منهم فأكلنا بها فكان خيراً، فقال له الخضر: هذا فراق بيني وبينك، ولكن اجلس فسأخبرك عما صنعت معك.

أما السفينة فهي لمساكين يعملون في البحر، وأن ملكاً جباراً يغصب السفائن التي تعجبه، فخرقي لها حتى أعيبها فلا تعجبه ولا يأخذها.

وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين صالحين، وكان هو في علم الله شقياً كافراً، فعلم الله ـ جلّ شأنه ـ أنه يتعب أبويه ويؤذيهما، فأرحتهما منه بأمر الله تعالى، ويعوضهما الله ـ جلّ شأنه ـ خيراً منه.

قيل: إنه عوضهما الله ـ جلّ شأنه ـ بنتاً تزوجت بنبي من الأنبياء، فأتت بنبي عظيم هدى الله ـ جلّ شأنه ـ به أمماً عظيمة.

وأما الحكمة في عمارة الجدار؛ فإنه كان ليتيمين: واسمهما أصرم وصريم[3]، وكان تحته كنز لهما من ذهب، وكان أبو الغلامين رجلاً صالحاً،

---

(١) في (ح): «أن يحملو لهم».

(٢) في (ح): «لا يكاد».

(٣) ذكرهما السهيلي في التعريف والإعلام: ١٠٥. وانظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/١٤٩.

واسمه كاشخ[١]، قيل: كان بينهما وبين الأب الذي حُفظا به سبعة آباء[٢]، فعمرت الجدار كيلا ينكشف الكنز، وإذا بقي على حاله، كبر الغلامان فيأخذاه، ثم قال له الخضر عليه السلام: كل هذه الأشياء ما فعلتها إلا بأمر الله تعالى.

وقد كان الخضر عليه السلام أعدّ لموسى عليه السلام مائة مسألة من هذه المسائل، ولكن استحيى موسى فقال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾ [الكهف: ٧٦] يقول رسول الله ﷺ: «يرحم الله أخي موسى استحيى، فقال ذلك: لو لبث مع صاحبه لبصر عجب الأعاجب»[٣].

ووقع لموسى عليه السلام في هذه المدة قضية قارون[٤]، وكان موسى عليه السلام أمر بني إسرائيل بأمر فقبلوا ولم يقبل قارون. وقال: إنما أردت أن تتميز على بني

---

(١) انظر: التعريف والإعلام: ١٠٥، وقصص الأنبياء: ٢/١٤٩.

(٢) وقيل: الأب العاشر. قال ابن كثير: وعلى كل تقدير: فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته والله المستعان. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/١٤٩.

(٣) أخرجه البخاري بمعناه في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام: ٤/١٢٩.

(٤) هو: قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، كان من عشيرة موسى بن عمران عليه السلام وهو ابن عمه لأبيه وأمه، وموسى: هو ابن عمران بن قاهث، كذا نسبه ابن جريج. وقال: وهذا قول أكثر أهل العلم. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٠/١٠٥، والبداية والنهاية: ١/٣٠٩.

وقصة قارون مع موسى عليه السلام ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف].

إسرائيل بهذه الشارة، فتركه موسى عليه السلام ولم يتعرض له لقرابته.

ولما قطع موسى عليه السلام ببني إسرائيل البحر، فعاد إلى أرض مصر، أمره الله ـ جلّ شأنه ـ أن يتخذ لله بيتاً وهو المسجد[1]، وأن يفرش بالفرش العظيمة وتوقد فيه السراج، وأن يكون أمر خدمته وأمر القرابين التي تهدى إليه راجعاً إلى أخيه هارون وبنيه، وتسمى هذه الخدمة الحبورة، فازداد بغي قارون عند ذلك، وخاطب موسى عليه السلام قائلاً له[2]: لك الرسالة والنبوة ولأخيك الحبورة

---

(١) قلت: إن القول بأن موسى رجع إلى مصر بعد قطعه هو وبنو إسرائيل البحر واتخاذه المسجد، كلام غير صحيح ومخالف لظاهر القرآن.

أولاً: إن قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس] هذا الإيحاء قبل قطع موسى البحر حيث إن فرعون لم يزل جباراً متكبراً في الأرض بسبب كثرة زهرة الدنيا وحطامها حتى طلب موسى الله ﷻ أن يطمس على أموالهم وأن يشدد على قلوبهم. وذلك قوله تعالى بعد ذلك الإيحاء مباشرة: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس].

وقد أجاب الله دعاءهما أي موسى وهارون عليهما السلام وجاوز بهما وبني إسرائيل البحر، وأغرق فرعون وجنوده. قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

ثانياً: وفي البداية والنهاية: ٣٠١/١: إن موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس، وجد فيها قوماً من الجبارين، فأمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم ومقاتلتهم وإجلائهم إياهم عن بيت المقدس، فأبوا ونكلوا عن الجهاد، فسلط الله عليهم الخوف، وألقاهم في التيه يسيرون ويحلون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون أربعون سنة ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

ويقال: إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله، بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة، ولم يبق إلا ذراريهم، سوى يوشع وكالب عليهما السلام.

(٢) وفي روح المعاني: ٢٠/ ١١٠:

كان قارون أحفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم، لكنه نافق كما نافق السامري؛ وقال ـ أي قارون ـ: إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون فما لي؟.

وروي أنه لما جاوز بهم موسى عليه السلام البحر، وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرب القربان ويكون رأساً فيهم، وكان القربان إلى موسى عليه السلام فجعله لأخيه هارون عليه السلام وجد قارون في نفسه فحسدهما، فقال لموسى: الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر؟ =

وليس لي شيء؟! لا صبر لي. فقال له موسى عليه السلام: ليس ذلك مني إنما هو بأمر الله تعالى واختياره. فطلب من موسى علامة على ذلك، فطلب موسى عليه السلام عصا هارون وعصا قارون عصيًّا كثيراً من كبراء بني إسرائيل فحزمها وباتت جميعها عنده، فأصبح قضيب هارون معتزاً مورقاً خضراً فرآه الحاضرون فنسب قارون ذلك إلى السحر، وازداد حقده وحسده وبغيه، وأقبل على جمع الدنيا والغرور بها والامتثال إليها، فنصحه موسى عليه السلام والعاملون من قومه، وأخبروه أن هذه نعمة من الله عز وجل. ثم لما فرض الله ـ جلّ شأنه ـ الزكاة على بني إسرائيل[1] وطلبه موسى بذلك ازداد بغي قارون ولم تطاوعه نفسه على إعطاء

= قال موسى عليه السلام: هذا صنع الله تعالى، قال: والله لا أصدقك حتى تأتي بآية، فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه، فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها، وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا، وإذا بعصا هارون تهتز ولها ورق أخضر، وكانت من شجر اللوز. فقال قارون: ما هو أعجب مما تصنع من السحر.

(۱) وفي تفسير الآلوسي: ٢٠/ ١٢٢: عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: إن قارون كان ابن عم موسى عليه السلام، وكان يتبع العلم حتى جمع علماً، فلم يزل في ذلك حتى بغى على موسى عليه السلام وحسده، فقال موسى: إنّ الله تعالى أمرني أن آخذ الزكاة. فأبى، فقال: إن موسى عليه السلام يريد أن يأكل أموالكم؛ جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها فتحتملون أن تعطوه أموالكم، قالوا: لا نحتمل، فما ترى؟ فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغي ما بغايا بني إسرائيل فنرسلها إليه فترميه بأنه أرادها على نفسها، فأرسلوا إليها فقالوا لها: نعطيك حكمك على أن تشهدي على موسى أنه فجر بك. قالت: نعم. فجاء قارون إلى موسى عليه السلام قال: اجمع بني إسرائيل فأخبرهم بما أمرك ربك؟ قال: نعم، فجمعهم. فقالوا له: بما أمر ربك. قال: أمرني أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصلوا الرحم وكذا وكذا، وقد أمرني في الزاني إذا زنى وقد أحصن أن يرجم. قالوا: وإن كنت أنت؟ قال: نعم. قالوا: فإنك قد زنيت. قال: أنا! فأرسلوا إلى المرأة فجاءت. فقالوا: ما تشهدين على موسى عليه السلام، فقال لها موسى عليه السلام: أنشدك بالله تعالى إلّا ما صدقت، فقالت: أما إذ أنشدتني بالله تعالى، فإنهم دعوني وجعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي، وأنا أشهد أنك بريء وأنك رسول الله، فخر موسى عليه السلام ساجداً يبكي، فأوحى الله تعالى إليه ما يبكيك؟ قد سلطناك على الأرض، فمرها تطعك، فرفع رأسه، فقال: خذيهم فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذيهم فغيبتهم، فأوحى الله تعالى: يا موسى سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم.

رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفضائل، باب ما ذكر في موسى عليه السلام من الفضل: ١١/ ٥٣٢. =

حقوق الله ﷻ فجمع أصحابه وإخوانه واستشارهم قائلاً: إن موسى لم يكفه ما كلفكم به من الأوامر فأراد الآن أن يشارككم في أموالكم، قالوا له: الرأي ما ترى. فأحضر قارون امرأة بغياً وأوعدها أن يوسع لها في العيش، وأن يعطيها جانباً عظيماً من حطام الدنيا وأن تقذف موسى بنفسها، فامتثلت ما أشار به عليها قارون، فلما خرج موسى عليه السلام في مشهد من مشاهد بني إسرائيل، وقد اجتمع الناس في ذلك الموضع، فخطبهم موسى عليه السلام، وأمرهم ونهاهم وأخبرهم بحدود، فقال: من سرق قطعت يده، ومن زنى وهو محصن رجم، وإن لم يكن محصناً جلد مائة جلدة، ومن قذف مسلماً جلد ثمانين جلدة.

فقام إليه قارون قائلاً: وإن كان أنت يا نبي الله؟ فقال: نعم. فقال: إن قوماً يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي. فقال: ادعوها، فإن قالت ذلك فهو كما تقول، فلما أقبلت عزم موسى عليه السلام عليها القسم، وقال لها: أسألك بالذي لا إلٰه إلا هو الذي فلق البحر لبني إسرائيل فأنجاهم من فرعون وجنوده إلا ما صدقتني، فأوقع الله ـ جلّ شأنه ـ في قلبها التوبة والإنابة وسبقت لها العناية، فقالت: لا والله يا نبي الله لم يكن شيء من ذلك، وإنما قارون هو الذي أشار علي بالافتراء والبهتان، فغضب موسى عليه السلام من ذلك، ودعا عليه أن تأخذه الأرض، فأخذته الأرض، فاستغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه لشدة الغضب، ودعا أن تأخذه فلم يزل يناشده الله والرحم، وموسى لا يصغي إلى قوله إلى أن ذهبت به الأرض. وأصبح الملأ من بني إسرائيل يتحدثون أن موسى إنما دعا على قارون ليرث ماله ويأخذ ما عنده، فدعا موسى عليه السلام أن يخسف الله بما عنده وبما تحتوي به دوره من الأموال. وذلك قول الله ـ جلّ شأنه ـ في كتابه المبين: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١].

= والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تحريض قارون قومه على منع الزكاة: ٢/ ٤٠٨ وصححه ووافقه الذهبي. وانظر: تفسير ابن جرير: ٢٠/١١٦، وقصص الأنبياء لابن كثير: ٢/ ١٧٨.

قصة الخضر عليه السلام

واسمه بليا بن ملكان[1] وهو نبي من أنبياء الله تعالى وهو الصحيح[2]، وقيل: إنه ولي، وكان في زمن ذي القرنين الأول، وبقي إلى زمن موسى عليه السلام، والصحيح أنه حيّ يرزق إلى أن يذهب الله بالدنيا[3]؛ لأنّ الله ـ جلّ شأنه ـ أعطاه ذلك،

---

(١) هو: بليا بن ملكان بن فالغ بن عابرين شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ذكره ابن قتيبة في المعارف: ٤٢. وانظر: البداية والنهاية: ١/٣٢٦.

(٢) وتؤيد ما رجحه المؤلف الوجوه الآتية:

أولاً: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ [الكهف]. فإن المراد بالرحمة ـ على ما قيل ـ هي النبوة، وقد علّمه الله تعالى من علم الغيب الذي استأثر به. انظر: فتح القدير: ٣/٢٩٩.

ثانياً: قول موسى له: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ۝٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠﴾ [الكهف].

فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد. فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً، ولم تكن لموسى ـ وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة ـ كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمة.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ . .﴾ [الكهف]. إن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام، وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام. وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده؛ لأن خاطره ليس بواجب العصمة، إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨ ـ ٨٢]. إنه لمّا فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى، ووضح له عن حقيقة أمره قال بعد ذلك كله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ﴾ [الكهف: ٨٢]، يعني ما فعلته من تلقاء نفسي، بل أمرت به وأوحي إلي فيه. فدلت هذه الوجوه على نبوته ولا يتنافى ذلك حصول ولايته. انظر: البداية والنهاية: ١/٣٢٨.

(٣) هذا القول يرده ما رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: صلّى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد». صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم: ١/٣٧.

ويرده قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. =

وهو من جنود الله تعالى الذي ينفع به عباده وبلاده ويخرج عنهم الشدائد.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيه أحاديث كثيرة[1] أنه موجود معمر. وقد أخبر عنه جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب أنهم رأوه واجتمعوا به. وقد مرت قصته في قصة نبي الله موسى بالتفصيل[2].

قصة نبي الله هارون عليه السلام

هو هارون بن عمران أخو موسى[3] وشقيقه، أكبر منه بعام، نبّأه الله ـ جلّ

= فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله. انظر: البداية والنهاية: ١/٣٣٦، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥/١٦٨.

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٣٢٩ ـ ٣٣٤ الأخبار والروايات التي استشهد بها من قال: إن الخضر باقٍ إلى اليوم.

وبين إسنادها بياناً وافياً على ضعف الرويات؛ بل بعضها من الموضوعات.

ثم قال بعد ذكره الروايات:

وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد.

وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره؛ لأنه يجوز عليه الخطأ، والله أعلم.

ومن هذه الروايات: قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن بالويه، حدثنا محمد بن بشر بن مطر، حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك قال: لما قبض رسول الله ﷺ أحدق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا، فدخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فائت وخلفاً من كل هالك فإلى الله فأنيبوا وإليه فارغبوا ونظر إليكم في البلاء فانظروا؛ فإن المصاب من لم يجبر. وانصرف.

فقال بعضهم لبعض: تعرفون الرجل: فقال أبو بكر وعلي: نعم، هو أخو رسول الله ﷺ ـ الخضر ـ عليه السلام.

ثم قال البيهقي: عباد بن عبد الصمد ضعيف.

قال ابن كثير: عباد بن عبد الصمد هذا هو ابن معمر البصري، روى عن أنس نسخة، قال ابن حبان والعقيلي: أكثرها موضوع. انظر: البداية والنهاية: ١/٣٣٢.

(٢) انظر: صفحة (٢٣٢) فما بعدها.

(٣) هو: هارون بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن =

شأنه ـ واصطفاه وأرسله إلى فرعون والقبط وبني إسرائيل معيناً لموسى[(١)]. وكان مع موسى مدة حياته إلى أن توفاه الله ـ جلّ شأنه ـ، وقصة وفاته[(٢)] أن الله ـ جلّ شأنه ـ أوحى إلى موسى عليه السلام: إني متوفي هارون، فذهب هو وإياه إلى جبل عال فوجد هارون موضعاً حسناً، فنام فيه، فتوفاه الله تعالى، وتولت[(٣)] الملائكة غسله، ورفعته في سرير إلى حيث شاء الله. فلما رجع موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل سألوه عن هارون، فأخبرهم بوفاته، فنسبوه إلى قتله، فقالوا: حسدته إذ كان محبباً فينا، فدعا الله موسى فجاءت الملائكة بالسرير حتى وضعته بين أيديهم فعرفوا صحة قوله.

= إبراهيم عليه السلام وهو أخو موسى الشقيق. انظر: البداية والنهاية: ١/٢٣٧.

(١) قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص].

(٢) روى الحاكم من حديث ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب النبي ﷺ قالوا: إن الله أوحى إلى موسى بن عمران أني متوفي هارون فأت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون إلى ذلك الجبل، فإذا هم فيه بشجرة لم تر شجرة مثلها وإذا هم ببيت مبني، وإذا هم بسرير عليه فرش، وإذا فيه ريح طيبة. فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه. قال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير، قال له موسى: فنم عليه. قال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي. قال له: لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فنم. قال: يا موسى نم معي، فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعاً. فلما ناما أخذ هارون الموت. فلما وجد حسه قال: يا موسى خدعتني، فلما قبض رفع ذلك وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى قومه وليس معه هارون قالوا: فإن موسى قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له، وكان هارون أكف عنهم وألين لهم من موسى، وكان في موسى بعض الغلظة عليهم، فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم كان أخي أفتروني أقتله. فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين، ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه. قال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. المستدرك، كتاب التاريخ، باب ذكر وفاة هارون: ٢/٥٧٩. وانظر: البداية والنهاية: ١/٣١٨.

(٣) في (ح): «توالت».

قصة نبي الله يوشع بن نون
ـ عليه الصلاة والسلام ـ

وهو تلميذ موسى عليه السلام[1] نبأه الله ـ جلّ شأنه ـ وأرسله إلى بني إسرائيل، وأمره بقتال الجبابرة والطغاة من العمالقة[2] والكنعانيين، فقتلهم وفتح سائر الشام واستباح من ملوكهم أحداً وثلاثين ملكاً[3]، وخرب إحدى وثلاثين مدينة. وقسم الأرض الذي أخذها بين الأسباط وصارت الشام كلها لبني إسرائيل، ودبر أمر بني إسرائيل سبعاً وعشرين سنة بعد موسى عليه السلام[4].

وكان موسى قد وضع يده عليه فامتلأ بالنبوة والحكمة، وتوفي يوشع وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة ـ عليه سلام ورضوان ـ.

قصة نبي الله حزقيل[5]
ـ عليه الصلاة والسلام ـ

وهو ذو الكفل، وقد ذكر في القرآن صريحاً[6]، وبالإشارة، وهو المعني في

---

(١) هو: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وقد ذكره الله تعالى في القرآن، غير مصرح باسمه في قصة الخضر من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/ ١٩٩.

(٢) هم أمم كثيرة، ويرجع نسبهم إلى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكانت منازلهم من حدود مصر فطور سيناء إلى فلسطين، ثم تفرقت في البلاد، فكان منهم أهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر، ومنهم فراعنة مصر والجبابرة، ومنهم ملوك فارس وأهل خراسان. انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٧، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١/ ٣٤٥.

(٣) وفي قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/ ٢٠٧:
يقال: إن يوشع بن نون ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام.

(٤) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢/ ٢١٣: ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه، وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة.

(٥) هو: حزقيل بن بوذي، وهو ابن العجوز وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٣.

(٦) ذكر الله «ذا الكفل» في القرآن مرتين في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ =

قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[1] [البقرة]. ومساق القصة أنه وقع طاعون بأرضهم فخرج طائفة منهم وبقيت الأخرى، فسلم الذين خرجوا ووقع الطاعون في كثير ممن بقي، فأضمروا في نفوسهم إذا جاء طاعون آخر أن يخرجوا جميعهم، فوقع الطاعون ثانياً فخرجوا جميعهم، فلما كانوا بوادي أفيح ناداهم ملك من أعلى الوادي وملك من أسفله: موتوا فماتوا، فخرج حزقيل عليه السلام في حليهم بعد ثمانية أيام، فوجدهم موتى فبكى، وقال: يا رب كنت في قوم يسبحونك ويهللونك فبقيت وحدي، فأوحى الله ـ جلّ شأنه ـ إليه إني قد جعلت حياتهم

= ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء]. وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص] والتحقيق أن ذا الكفل ليس حزقيل كما ذهب إليه المؤلف، وإنما هو ابن نبي الله أيوب عليه السلام واسمه: بشر بن أيوب بن أموص بن زارح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام بعثه نبياً بعد أبيه وكان مقيماً بالشام. انظر: روح المعاني: ١٧/ ٨٢.

(١) أما ما ذكره المؤلف من أن حزقيل هو المعني في الآية [٢٤٣] من سورة البقرة فوافقه عليه كثير من العلماء. فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٣ قصته: عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ﴾. قالوا: كانت قرية يقال لها: داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها، فهلك من بقي في القرية وسلم الآخرون، فلم يمت منهم كثير، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً حتى نزلوا ذلك المكان وهو وادٍ أفيح، فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن موتوا، فماتوا، حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبي يقال له: حزقيل، فلما رآهم وقف عليهم، فجعل يتفكر فيهم ويلوي شدقيه وأصابعه. فأوحى الله إليه: تريد أن أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم. إنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم، فقيل له: نادِ، فنادى: يا أيتها العظام، إن الله يأمرك أن تجتمعي، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض حتى كانت أجساداً من عظام، ثم أوحى الله إليه أن: نادِ: يا أيتها العظام، إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً، فاكتست لحماً ودماً وثيابها التي مات فيها. . . إلى آخر القصة.

على يدك، فقال: احيوا بإذن الله تعالى فعاشوا(١).

قصة نبي الله شمويل(٢) عليه السلام

وهو مذكور في كتاب الله تعالى بالإشارة(٣)، ومساق القصة؛ إنه لما بلغ شمويل عليه السلام من العمر تسعاً وسبعين سنة قال(٤) له بنو إسرائيل: انصب لنا

---

(١) وقد ذكر الثعلبي نحو ما ذكره المؤلف في هذه القصة:

قال مقاتل والكلبي: كانوا قوم حزقيل، وقال: يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيداً لا قوم لي، فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك. قال الله تعالى: أتحب أن أفعل؟ قال: نعم يا رب، قال الله تعالى: قد جعلت حياتهم إليك، فقال لهم حزقيل: احيوا بإذن الله تعالى فعاشوا.

(٢) هو شمويل ويقال له: أشمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة بن ماحث بن عموصا بن عزريا وهو من ورثة هارون. انظر: تفسير ابن جرير: ٥/ ٢٩١، وتفسير القرطبي: ٢/٢٤٣، والبداية والنهاية: ٢/ ٥.

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة].

قال ابن جرير في تفسيره: ٥/ ١٩١، ٣٠٦:

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إن النبي الذي قال لهم ذلك «شمويل»، وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ...﴾ الآية يعني تعالى ذكره بذلك: وقال للملاء من بني إسرائيل نبيهم ـ شمويل ـ إن الله قد أعطاكم ما سألتم، وبعث لكم طالوتاً ملكاً..

وانظر: تفسير القرطبي: ٢/٢٤٣، وتفسير أبي حيان: ٢/ ٢٥٤، وتفسير الآلوسي: ٢/ ١٦٤. بل قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/٦.

قال أكثر المفسرين: كان نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو «شمويل».

(٤) في (ح): «قالوا» وهو خطأ.

ملكاً، فرفع الأمر إلى الله ـ جلّ شأنه ـ بقولهم، فأوحى الله ﷻ إليه: ما لهم وللملك؟ إن الملك يستعبد أولادهم ويستحيي بناتهم ويأكل زروعهم، فأخبر شمويل عليه السلام بقول الله ﷻ، فأبوا وألحوا في طلب الملك، وذلك قول الله ـ جلّ شأنه ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦] إلى آخر الآية.

وكان طالوت[١] قد ضل لوالده حمارٌ فذهب يتطلّبه، وكان معه غلام آخر فمروا بدار نبي الله شمويل عليه السلام[٢] فقال طالوت: دعْنا ندخل فنسأل نبي الله شمويل عن حمارنا، فلما دخل عليه قربه شمويل عليه السلام ومسح على رأسه، وأفاض عليه قرن دهن، وقال له: أنت ملك بني إسرائيل، فقال له: كيف لي بذلك وأنا من سبط بنيامين أضعف الأسباط وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل، فقال له: إنّ الله قد اصطفاك وأعطاك وأنت ملكهم، فملّكه الله ـ جلّ شأنه ـ عليهم، فلما أخبرهم شمويل قالوا له كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ . .﴾ [البقرة: ٢٤٧] إلى آخر الآية.

---

(١) كان اسم «طالوت» بالسريانية: شاول بن أبيال بن ضرار بن يحرب بن أفيح بن آيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

قاله ابن جرير في تفسيره: ٣٠٧/٥. وانظر: تاريخ الطبري: ٢٤٧/١، والدر المنثور: ٣٠٥/١.

(٢) أخرج ابن جرير في تفسيره: ٣٠٨/٥: عن وهب بن منبه قال: قالت بنو إسرائيل لشمويل: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل! قال: قد كفاكم الله القتال، قالوا: إنا نتخوف من حولنا، فيكون لنا ملك نفزع إليه، فأوحى الله إلى شمويل: أن ابعث لهم طالوتاً ملكاً، وادهنه بدهن القدس.

فضلت حمر لأبي طالوت، فأرسله وغلاماً له بطلباتها، فجاءا إلى شمويل يسألانه عنها، فقال: إن الله قد بعثك ملكاً على بني إسرائيل. قال: أنا؟ قال: نعم، قال: أما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل؟ قال: بلى، قال: أما علمت أن قبيلتي أدنى قبائل سبطي؟ قال: بلى، قال: أما علمت أن بيتي أدنى بيوت قبيلتي؟ قال: بلى، قال: فبأية آية؟ قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره، وإذا كنت بمكان كذا وكذا نزل عليك الوحي، فدهنه بدهن القدس. فقال لبني إسرائيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾.

ثم أخبرهم شمويل عليه السلام أن علامة اختيار الله عز وجل لطالوت أن يكون ملكاً عليهم أن يجيئهم التابوت[1] ويعود عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وكانت إعادته بعد مدة طويلة على بني إسرائيل في الوقت الذي قال لهم شمويل عليه السلام: إن الله اصطفى لكم طالوت ملكاً وأخبرهم أن اختيار الله عز وجل له مجيء التابوت.

قصة نبي الله داود[2]

ـ عليه الصلاة والسلام ـ

نبي الله ورسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نبّأه الله عز وجل واصطفاه، وملك

---

(١) مجيء التابوت الذي جعل الله آية لصدق شمويل على قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ هو التابوت كان عند عدو لبني إسرائيل كان سلبهموه. وذلك أن الله تعالى قال مخبراً عن نبيه في ذلك الزمان قوله لقومه بني إسرائيل: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ و«الألف واللام» لا تدخلان في مثل هذا من الأسماء إلا في معروف عند المخاطبين به.

فمعنى الكلام أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الذي قد عرفتموه، الذي كنتم تستنصرون به، فيه سكينة من ربكم. قاله ابن جرير في تفسيره: ٥/ ٣٢٤ واختياره.

وذكر الآلوسي في تفسيره: ١٦٨/٢ أقوالاً في المراد بالتابوت هنا، ثم رجح بعض الأقوال، فقال: وأقرب الأقوال التي رأيتها أنه صندوق التوراة تغلبت عليه العمالقة حتى رده الله تعالى.

وانظر: تفسير الشوكاني: ١/ ٢٦٥.

والتابوت في أصل اللغة: هو الصندوق الذيب يحفظ فيه المتاع، ومنه صندوق الميت.

وهو فعلوت من التوب وهو الرجوع لما أنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاجه من مودعاته، فتاؤه مزيدة كتاء ملكوت، وأصله توبوت فقلبت الواو ألفاً.

انظر: تفسير الشوكاني: ١/ ٢٦٥، وتفسير الآلوسي: ١٦٨/٢.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٩/٢:

هو: داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نخشون بن عمينا بن داب بن أرم بن حصرون بن فارس بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس.

بني إسرائيل سبعين سنة، واجتمعت كلمة بني إسرائيل عليه، وأعطاه الله الملك والحكمة والنّبوّة، ورفع شأنه، وأعزّ بني إسرائيل به، وأنزل الله ـ جلّ شأنه ـ عليه الزبور[1] وقد اشتمل على مواعظ وحكم ومعارف.

وكان داود عليه السلام إذا قرأ الزبور عكف عليه الطير والوحش والأوادم، ويركد الماء، ويسكن الريح، ويحمل من مجلسه جماعة كثيرون أمواتاً من رقة قوله وحسن صوته، وكانت الجبال والطير تسبح الله معه إذا سبح[2]. وكان الله عز وجل قد أعطاه ملكاً عظيماً وسلطاناً فخيماً، وكان الذين يحرسون محرابه من الجن ستة وثلاثين ألفاً[3].

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء].

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ١١:

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص]: أي عند آخر النهار وأوله، وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً، بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يرجّع بترجيعه ويُسبِّح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشياً ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

(٣) لم أجد مرجعاً يذكر فيه هذا القول إلا في العرائس للثعلبي ومعروف أنه يروي كل شيء صحيحه وضعيفه بل وموضوعه. انظر: العرائس: ١٥٩.

ويكفينا ما ذكره القرآن الكريم من تشريف الله إياه عليه السلام حيث إن الله أعطاه النبوة والملك، وهذان الأمران لم يجتمعا لأحد قبل داود عليه السلام.

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة].

وفي تفسير الجمل عند تفسير هذه الآية: ١/ ٢٠٤.

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الملك على بني إسرائيل والحكمة أي النبوة، ولم تجتمع النبوة والملك لأحد قبل داود عليه السلام، فقد كانت عادة بني إسرائيل أن نظام أمرهم لا يقوم إلا بملك ونبي، وكانت النبوة في سبط منهم لا توجد في غيره، والملك في سبط آخر كذلك، وكان داود من سبط المملكة ومع ذلك جمع الله تعالى له ولابنه سليمان بين الملك والنبوة.

ومن عجائب قصصه عليه السلام أن رجلاً من بني إسرائيل ادّعى على رجل عظيم كبير أنه غصب بقرته، فطلب من الرجل المدعي بينة، فلم يأت بها ولم يعترف الغاصب، فقال لهما داود عليه السلام: قوما حتى أنظر في أمركما فذهبا، فأوحى الله ـ جلّ شأنه ـ إليه في المنام أن يقتل الرجل الذي ادّعى على صاحبه أنه غاصب البقرة، فقال داود عليه السلام: هذه رؤية ولا أعمل. فلم يزل يؤمر بقتله ثلاثاً، فعلم أنه حق. فدعا الرجل: وقال له: إني قاتلك وقد أُمِرْتُ بذلك. فقال: كيف تقتلني بلا بيّنة ولا دليل، فقال له: لا بد أن أنفذ فيك أمر الله تعالى، فعلم أنه لا بدّ من ذلك، قال: لا تعجل عليّ حتى أخبرك، والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكنني قتلت أبا هذا الرجل خفية وغيلة، فأخذت بذلك، فأمر به داود عليه السلام فقتل.

فاشتدت هيبة داود عليه السلام وقوي ملكه. وقد أشار الله عز وجل إلى ذلك بقوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [صَ: ٢٠]. وهي الإصابة في الرأي، ومعرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه، وفصل الخطاب يعني البينة على المدعي واليمين على المنكر؛ لأنه يفصل الحكم، وهو فصل عظيم[1].

ومن القصص العجيبة الواقعة له قصة امرأة أرويا وهي مشهورة معروفة مذكورة في الكتاب العزيز، وذلك أن داود عليه السلام كان صاحب مقام عظيم في الوجه، ومحل جليل في الشوق (غابت الإحساس بسكر الحال في كثير من الأهوال)[2]، وكان لسان حاله يقول: وليس لي في سواك قصد، فكيف مما شئت فأخبرني!، فأراد الحق أن يبتليه لما سبق في علمه أن يبتلي أحبابه وأصفياءه وليكونوا قدوة للعارفين وتسلية للمحسنين وعزاء للمتأخرين، فرأى

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ١٢ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن رجلين تداعيا إلى داود عليه السلام في بقر ادّعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه، فأنكر المدعي عليه فأرجأ أمرهما إلى الليل، فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعي، فلما أصبح قال له داود: إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك فأنا قاتلك لا محالة، فما خبرك فيما ادعيته على هذا؟ قال: والله يا نبي الله إني لمحق فيما ادعيت عليه ولكني كنت اغتلت أباه قبل هذا، فأمر به داود فقتل، فعظم أمر داود في بني إسرائيل جداً وخضعوا له خضوعاً عظيماً. والمؤلف نقل هذه القصة عن العرائس للثعلبي: ١٥٦.

(٢) هذه من عبارات الصوفية.

في بعض الأحيان امرأة ذات حسن فائق وجمال رائق فأعجب بها كثيراً، فسأل عنها، فقيل له: هي سابع بنت شائغ امرأة أرويا بن حنان، وهو في غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود، فتمنّى داود عليه السلام أن تكون له، ومال خاطره لو كان زوجها مات عنها، أو قتل لأجل أن تحل له، فكان من قضاء الله وقدره أن قتل أرويا في تلك الغزاة. فلما مضت عدتها تزوج بها داود عليه السلام فلم يلبث وهو في محرابه[1] والحرس من الحجاب على أبوابه إلا ورجلين عنده، يدعي أحدهما أن لصاحبه وأخيه هذا تسعة وتسعين نعجة، ولي نعجة واحدة، فسأله أخوه، وطلب منه بوجه الغضب والقهر أن يأخذ نعجته ويضمها إلى نعاجه، فأنكر داود عليه السلام ذلك عليه، ونهاه عن التعرض لأخيه، وإن هذا لا ينبغي ولا يليق. فخرجا من عنده، فاستشعر داود أنهما ليسا رجلين، وإنما هما ملَكان بعثهما الله عز وجل لتنبيهه وتعريفه بأن ما صار منه هو عين ما نهى عنه، فندم واستغفر واعترف لله عز وجل، وكان يبكي من ذلك كثيراً، ويتضرع إلى الله تعالى يسبّح في الفيافي والقفار، ويبكي على نفسه وخطيئته[2]، وذلك قول الله عز وجل: ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ[3] فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) قلت: هذه القصة مكذوبة من الإسرائيليات، وإن كثيراً من المفسرين ذكروها في تفاسيرهم، منهم ابن جرير. ـ انظر: تفسيره: ٢٣/ ٩٣ـ، والقرطبي في تفسيره: ١٦٦/٧.

وإن هذه القصة لا تتناسب مع عصمة الأنبياء، إذ لو جاز وقوعهم في شيء مثل هذه القصة لبطلت الشرائع.

وقد قال ابن كثير في تفسيره: ٥٣/٦: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه...

والصحيح والذي يتناسب مع عصمة الأنبياء هو ما دل عليه ظاهر الآيات. انظر: سورة ص: (٢١ ـ ٢٤)، وقد ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في آخر القصة لو اكتفى بها لكان حسناً.

(٣) المراد بالفتنة خطيئة داود عليه السلام أنه ظن شراً بالخصمين حيث توقع أنهما يريدان قتله =

﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥﴾ [صٓ].

وروي أن داود عليه السلام لما تاب إلى الله ـ جلّ شأنه ـ بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلاً ونهاراً، وكان قد أصاب الخطيئة ابن سبعين سنة[1]، فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل، ويوم يسبح في الفيافي والجبال والسواحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه فيساعدونه على ذلك، فلو

= وهي التي يدل عليها ظاهر الآية. قال أبو حيان في البحر المحيط: ٧/٣٩٣: قال قوم: خر؛ لمن ركع وإن لم ينته إلى الأرض والذي يذهب إليه ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فزع منهم ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً في محرابه لعبادة ربه، فلما اتّضح له أنهم جاؤوا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قصّ الله تعالى، وأن داود عليه السلام ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة ابتلاء من الله له أن يغتالوه فلم يقع ما كان ظنه فاستغفر من ذلك الظن، حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونه وخر ساجداً أو رجع إلى الله تعالى، فغفر له ذلك الظن ولذلك أشار بقوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾، ولم يتقدم سوى قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ﴾ ويعلم أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة أن لو جاوزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع، ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم، فما حكم الله تعالى في كتابه يمر على ما أراده تعالى، وما حكى القصّاص مما فيه نقص عن منصب النبوة طرحناه.

(١) هذا الكلام لا أساس له من الصحة، ونقل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الكلام من العرائس للثعلبي: ١٥٩.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/١٤: وقد ذكر بعض المفسرين أنه عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوماً، وقاله مجاهد والحسن وغيرهما، وورد في ذلك حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشي وهو ضعيف متروك الرواية. . .

وفي تفسير القاسمي: ١٤/١٥٨ نقلاً عن البقاعي:

وقوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾: أي الوقوع في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع لكلامه، وهذه الدعوى تدريب لداود عليه السلام، تدريب له في الأناة في جميع أموره على الدوام، ولما ذكر هذا، ربما أوهم شيئاً في مقامه ﷺ فدفعه بقوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ فالقصة لم يجر ذكرها إلّا للترقية في رتب الكمال. وأول دليل على ما ذكرته، أن هذه الفتنة إنما هي في الحكم، لا بامرأة ولا غيرها، وأن ما ذكروه من قصة المرأة باطل وإن اشتهر، فكم من باطل مشهور ومذكور، هو عين الزور. انتهى.

عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله[١].

قصة لقمان الحكيم[٢]

وكان عبداً حبشياً[٣] فسح الله عليه وعلّمه وفهمه وأنطق بالمعرفة والحكمة، وكان يعين داود[٤] عليه السلام وينصت له ويعازره بحكمته ومعرفته.

وناهيك بثناء الله ـ جلّ شأنه ـ عليه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢ ـ ١٩][٥] إلى آخر الآيات.

قصة نبي الله سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ

وهو ابن داود بن إيشا، أعطاه الله الملك والحكمة والنبوة وهو صغير[٦]،

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ١٣: وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف هاهنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة.

(٢) هو لقمان بن عنقاء بن سدون، وقيل: لقمان بن ثاران كان رجلاً صالحاً ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة، ويقال: كان قاضياً في زمن داود عليه السلام، وهو على المشهور عن الجمهور كان حكيماً ولياً ولم يكن نبياً، وقد ذكره الله تعالى في القرآن فأثنى عليه وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ١٢٣ وما بعدها.

(٣) في البداية والنهاية: ٢/ ١٣٣ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ـ أي لقمان ـ عبداً حبشياً نجاراً.

(٤) وفي البداية والنهاية: ٢/ ١٢٣: يقال: كان قاضياً في زمن داود عليه السلام فالله أعلم.

(٥) وبقية الآيات هي: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

(٦) وفي الكامل لابن الأثير: ١/ ٢٢٩، ٢٤١: =

وسأل الله ﷻ قائلاً: إن قومي تعجز عن التدبير ولا علم لي بالقضاء، فارزقني عقلاً رزيناً، وقلباً فهماً، فأعطاه الله ـ جلّ شأنه ـ ذلك، وسأل الله تعالى شأنه أن يعطيه ملكاً لا يكون لأحد بعده، فأعطي ذلك.

وله في الحكومات العجيبة غرائب:

من ذلك قصة الحرث، وقد أشار الله ﷻ إلى ذلك في قوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

والقضية أن رجلين تحاكما إلى داود ﷺ أحدهما صاحب غنم، والآخر صاحب حرث، فدخلت الغنم ليلاً فرعته وأفسدته، فقضى داود ﷺ لصاحب الحرث بالغنم في مقابلة زرعه، فمرًّا بسليمان ﷺ فسألهما عن حكم أبيه، فأخبراه فقال: غير هذا كان أرفق بالرجلين. فأخبر داود ﷺ بقوله فقال له: بحق التوراة ما هو الرفق بالرجلين. فقال له: ارفع إلى صاحب الحرث الغنم ينتفع بدرها ونسلها وصوفها، ويبذر صاحب الغنم الأرض، فإذا صار الزرع كهيئته يوم أكل، دفع صاحب الحرث الغنم إلى صاحبها وأخذ زرعه، فقال داود ﷺ: القضاء ما قضيت به واستحسنه وحكم به[1].

ومن قصصه المشهورة المذكورة في الكتاب العزيز قصة الهدهد، وإسلام

= لما توفي داود ﷺ ملك بعده ابنه سليمان ﷺ على بني إسرائيل، وكان ابن ثلاث عشرة سنة، وأتاه الله مع الملك النبوة، وسأل الله أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب له، وسخّر له الإنس والجن والشياطين والطير والريح، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكف عليه الطير وقام له الإنس والجن حتى يجلس.

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس ﷺ: قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾... إلى قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فيقول: كنا لما حكما شاهدين. وذلك أن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي، فلم يبق من حرثي شيئاً، فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك، فقضى بذلك داود. ومر صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود، فدخل سليمان على داود فقال: يا نبي الله، إن القضاء سوى الذي قضيت، فقال: كيف؟ قال سليمان: إن الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث، فإن الغنم لها نسل في كل عام، فقال داود: قد أصبت القضاء كما قضيت، ففهمها الله سليمان. انظر: تفسير ابن جرير: ١٧/ ٥١، ٥٢.

بلقيس، وقصة النملة[1].

وهو أنه مر في بعض مسيره بواد السدير[2] وهو واد قريب من الطائف، فأتى على واد النمل فسمع نملة وهو على بعد منها، تقول لأصحابها وجماعتها: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ [النمل: ١٨، ١٩].

وسأل الله تعالى أن يوقظه وينبهه[3] ويشعره لمعرفة آلائه ونعمائه[4]؛ وإنما سأل الله في هذا الموطن لوجهين عظيمين:

أحدهما: تفهيم الله ـ جلّ شأنه ـ إياه لغات الطير والحيوان الذي لا يفهمه أحد من البشر إلا من علمه.

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٩/٢: يخبر تعالى عن عبده ونبيه سليمان بن داود ﷺ أنه ركب يوماً في جيشه جميعه من الجن والإنس والطير، فالجن والإنس يسيرون معه، والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره، وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة ـ أي نقباء ـ يردون أوله على آخره فلا تتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر عنه، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور.

وقد ذكر وهب: أنه مر وهو على البساط بوادٍ بالطائف، وأن هذه النملة كان اسمها «جرسا» وكانت من قبيلة يقال لهم: بنو الشيصبا، وكانت عرجاء، وكانت بقدر الذئب.

وفي هذا كله نظر، بل في هذا السياق دليل على أنه كان في موكبه راكباً في خيوله وفرسانه، لا كما زعم بعضهم من أنه كان إذ ذاك على البساط؛ لأنه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شيء ولا وطء؛ لأن البساط كان عليه جميع ما يحتاجون إليه من الجيوش والخيول والجمال والأثقال والخيام والأنعام والطير من فوق ذلك كله.

(٢) قال كعب: هو وادي السدير من أرض الطائف. وقيل: وادٍ بأرض الشام كثير النمل على ما روي عن قتادة ومقاتل، وقيل وادٍ بأقصى اليمن. وقيل: غير ذلك. انظر: البحر المحيط: ٧/ ٦٠، وروح المعاني: ١٩/ ١٧٥.

(٣) في (ح): «بتنبهه».

(٤) قال الرازي في تفسيره: ٢٣/١٨٨: أما قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ يعني تبسم شارعاً في الضحك، بمعنى أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك، وإنما ضحك لأمرين: أحدهما: إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده، وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى، وذلك قولها: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

والثاني: سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعناه.

ثانيهما: في معرفة الحيوانات والحشرات والبهائم التي لا تعقل بعظمة ما أعطاه الله ﷻ لسليمان، وما خصّه به من الملك والرفعة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٩)﴾ [النمل].

وأما قصة الهدهد[1]، فذلك في سيره بعدما توجه من زيارة البيت الشريف

---

(١) ذكر الله ﷻ قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وبلقيس في القرآن الكريم فقال: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٢٧) ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٤)﴾ [النمل].

ذكرت هذه الآيات لأنها فصلت القصة كاملة، وعندما أجد ما يخالفها أتركه وأعتمد ما ذكرته الآيات لأنه هو الحق.

قاصداً صنعاء اليمن، تفقد الهدهد[1]، وكان الهدهد[2] لما رأى نزول العسكر وارتفع في الهواء لينظر ماء للجنود، فرأى أرضاً عظيمة تهبط، وسأل هدهد آخر عنها وعن أهلها، فأخبره أن ملكة هذه الأرض امرأة تسمى بلقيس، وكانت ملكة عظيمة قد ملكت أرض اليمن جميعاً وهي بلقيس ابنة شراحيل من نسل يعرب بن قحطان[3]، فرأى الهدهد ما هم عليه من عبادة غير الله ﷻ، وكانوا يعبدون الشمس، فتفحص عن حالهم وأخبارهم، ففقده سليمان عليه السلام فغضب لذلك فقال كما أخبر الله ـ جلّ شأنه ـ عنه في كتابه المبين: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل]، فأقبل إليه الهدهد وأخبره بأن غيبته كانت لفائدة عظيمة؛ وهو أنه أتى أرض سبأ وأخبره بصفة ما هم عليه من القوة والشوكة والعظمة.

---

(١) قال الآلوسي في تفسيره: ١٩/١٨٣:

إن سليمان عليه السلام حين تمّ له بناء بيت المقدس تجهز ليحج بحشره فوافى الحرم، وأقام به ما شاء.. ثم عزم على السير إلى اليمن، فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء فكان ما كان.

وفي بعض الآثار ما يعارض حكاية الحج.

ولعل المقدار الذي يصح من الأخبار أنه عليه السلام لما تمّ له بناء بيت المقدس حج وأكثر من تقريب القرابين، وبشر بالنبي ﷺ وقصد اليمن، وتفقد الطير فلم ير الهدهد فتوعده بقوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

(٢) تفقد سليمان الهدهد، حيث إن وظيفته، أنهم كانوا إذا أعوزهم الماء في القفار في حال الأسفار يجيء فينتظر لهم بهذه البقاع من ماء؟ وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه، أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض. فإذا دلهم عليه، حفروا عنه واستنبطوه وأخرجوه، واستعملوه لحاجتهم. فلما طلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقده، ولم يجده في موضعه من محل خدمته، ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ تتوعده بنوع من العذاب، اختلف المفسرون فيه، والمقصود حاصل على كل تقدير... نقلاً عن البداية والنهاية: ٢/٢٢.

(٣) وفي البداية والنهاية: ٢/٢٠: هي بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد، وقيل: شراحيل بن ذي جدن بن السيرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان أبوها من أكابر الملوك وكان يأبى أن يتزوج من أهل اليمن، فيقال: إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن، فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمة ويقال لها: بلقيس.

وسبأ[1] هذه اسم رجل كان ملكاً من ملوكهم، واسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن شادخ بن غابر بن قحطان، وكان كثير الغزو والسبي؛ فلهذا سمي سبأ، وولد له أولاد كثيراً سمُّوا باسمه، وبنى مدينة أيضاً سميت باسمه. فسبأ اسم الملك أصالة وللأولاد والقبيلة تبعاً.

ثم قال الهدهد لسليمان عليه السلام: إن مرجع قبائل سبأ وأرضهم ومدار أحوالهم وإن التي تملكهم امرأة ومن معها يعبدون الشمس، فعفى سليمان عليه السلام[2] لذلك وكتب له كتاباً إلى بلقيس، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. من سليمان بن داود إلى بلقيس وقومها ألّا تعلوا علي وأتوني مسلمين.

فذهب الهدهد بالكتاب حتى ألقاه على صدر بلقيس، فقرأت الكتاب ورأت الخاتم، فألقى الله الرعب والتعظيم في قلبها لسليمان، فخرجت وجلست على سرير ملكها فاستشارت قومها في الحال وما يكون الأمر، فأشاروا عليها

---

(١) في البداية والنهاية: ٢/١٥٨: قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق: اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قالوا: وكان أول من سبي من العرب، فسمي سبأ لذلك. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمٰن، حدثنا ابن لهيعة، عن عبد الله بن دعلة، سمعت عبد الله بن عباس يقول: إن رجلاً سأل النبي ﷺ عن سبأ: ما هو؟ أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال: بل هو رجل ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمذحج وكنده والأزد والأشعريون وأنمار وحمير... الحديث.

قال ابن كثير: والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها.. وقد كان من جملة ملوك حمير بأرض اليمن بلقيس ـ صاحبة سليمان ـ عليه السلام.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٥/٢٢٩:

غاب الهدهد زماناً يسيراً ثم جاء فقال لسليمان: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، وجئتك من سبأ بخبر صدق حق يقين، ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثني عشر رجلاً، كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل، وكانت بأرض يقال لها: مأرب، على ثلاثة أميال من صنعاء.

﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ وكان هذا العرش ـ أي السرير ـ في قصر عظيم، وكان فيه ثلثمائة وستون طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة، وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صباحاً ومساءً، ولهذا قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ثم قال سليمان للهدهد: سننظر أصدقت في أخبارك هذا أم كنت من الكاذبين.

قائلين: إن لنا قوةً ومنعةً وشوكةً، وإن أراد سليمان الحرب فنحن أولو قوة وأولو بأس شديد، والأمرُ إليك فانظري ماذا تأمرين، فردت إليهم بأن الرأي الملاطفة والمحاسنة ودفع الضرر، فإن الملوك إذا دخلوا محلاً أفسدوه وأفسدوا برعاياه والضعفة من أهله، ولكن الرأي أن أرسل إليه هدية، وأنظر ماذا يأتي به المرسلون، وأتحقق بذلك حقيقة ما هو عليه وما هو فيه من القوة والمنعة، وهل هو ملك أو نبي مرسل؟ وألبست في جملة الهدية جواري ألبستهم لباس الرجال، وغلماناً ألبستهم لباس النساء لتختبر هل يميز بينهم بمجرد النظر أو لا[1].

ثم قالت للأمير المرسول إليه: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه، فإن نظر إليك نظر المغضب فاعلم أنه ملك، فلا يهولنّك منظره فأنا أعز منه، وإن رأيت الرجل باشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الأبواب[2].

فلما أقبلت الرسل أوحي إلى سليمان عليه السلام بحقيقة ما جاؤوا به، فأمر الجن أن يجعلوا مجلساً عظيماً وزينوه بأعظم الزينة، وصف فيه الجنود والأتباع وحشر فيه العوالم، فلما رأى المرسلون ما احتوى عليه مجلس سليمان هابوه وارتاعوا لذلك كثيراً وعظموا شأن ملكه، فلما دخلوا عليه رأوا من البشاشة واللطف ولين الجانب ما لا يعهد عند غيره من الملوك، ثم لما قدموا له

---

(١) قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما: أرسلت جواري في زي الغلمان وغلمان في زي الجواري، فقالت: إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي، قالوا: فأمرهم سليمان فتوضؤوا، فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء، وجعل الغلام يغترف فميزهم بذلك... انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٢٣٣.

وذكر ابن كثير أقوالاً في هذه القضية، ثم علّق عليها فقال: وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية، ولا أعتنى به، بل أعرض عنه، وقال منكراً عليه: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾: أي تصنعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم؟ ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾: أي الذي أعطاني الله من الملك، والمال، والجنود، خير مما أنتم فيه، ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: أي أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٥/ ٢٣٣: قال ابن عباس وغير واحد: قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبل فهو نبي فاتبعوه.

الهدية والوصائف[1] والوصيفان، ميز بين الوصيفان بنور النبوة وفراسة الولاية، وأعاد الرسل ورد الهدية، وقال: لا حاجة لي بالدنيا فإنّ الله ﷻ أعطاني ما لم يعطه لأحد غيري، وإنما حاجتي أن يدخلوا في طاعة الله وعبادته، ويتركوا عبادة ما سواه ويطيعوا أمري، فإن لم يفعلوا ذلك أتيناهم بجنود لا يقدرون على ملاقاتهم، وعساكر لا يستطيعون مدافعتهم.

فلما رجع الرسل إليها وأخبروها بما رأوا من جلالته وعظمته، وتمييزه بين الوصائف والوصيفان، وقوله لهم، أرسلت إليه قائلة: إني قادمةٌ عليك، فتوجهت في قومها وأكابر رهطها، فلما أقبلت قريباً من سليمان، قال لجلسائه من الجن والإنس: أيكم يقدر أن يأتيني بسريرها وتخت ملكها التي تجلس عليه ليكون ذلك سبباً إلى إيمانها وطريقاً إلى تقوية إيقانها؛ لأنها جعلته في موضع بعيد وأقفلت عليه سبعة أبواب، فقال واحد من الجان: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ [النمل: ٣٩]، فسكت سليمان ثم قال وزيره وصاحبه وهو آصف بن برخيا[2]، وكان من أولياء الله وخاصته وأهل التصريف التام والقول

---

(١) الوصائف جمع وصيفة وهي الخدامة، الوصيف: الخادم غلاماً كان أو جارية.

(٢) اختلف في تعيين هذا القائل، فالجمهور ومنهم ابن عباس على أنه آصف بن برخيا، كان وزير سليمان يعلم الاسم الأعظم. وقيل: جبريل عليه السلام وقيل: ملك آخر أيّد الله تعالى به سليمان عليه السلام. وقيل: سليمان نفسه عليه السلام. والقول الذي تميل إليه النفس هو القول الأخير على أنه هو سليمان نفسه عليه السلام للقرائن الآتية:

أ ـ أن قوله: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ﴾ جملة استئنافية من كلام سليمان عليه السلام حين قال العفريت: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ والخطاب في ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ للعفريت، وتخصيص الخطاب بالعفريت لأنه الذي تصدّى لدعوى القدرة بالإتيان به، وإنما لم يأت به أولاً بل استفهم القوم بقوله: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ ثم قال ما قال، وأتي به لأن يريهم أنه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلاً عن غيرهم.

ب ـ ثم أن الموصول في قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ موضوع في اللغة لشخص معين بمضمون الصلة المعلومة عند المخاطب، والشخص المعلوم بأن عنده علم الكتاب هو سليمان عليه السلام.

جـ ـ إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية، فلو حصلت لأحد من أمته دونه لاقتضى تفضيل ذلك عليه عليه السلام وأنه غير جائز.

د ـ أن ظاهر قوله: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ إلخ يقتضي أن الخارق قد أظهره الله تعالى بدعائه عليه السلام. انظر: روح المعاني: ٢٠٣/١٩.

النافذ في الوجوه، وكان صاحب اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى فقال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]. فلم يمض هذا القول إلا والسرير بين يدي سليمان عليه السلام، فلما رآه سليمان أثنى على الله تعالى خيراً وشكر تفضلاً لله ونعمائه كما قال تعالى حاكياً عن شأنه: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

ولما دخلت بلقيس على سليمان ورأت ما خصّه الله تعالى به ازدادت معرفتها به وإذعانها، وأمر سليمان عليه السلام أن يغير في السرير ويبدل لتجهيله[١] فلما رأت السرير، قيل لها: «أهكذا عرشك»؟ قالت: «كأنه هو»، ولم تقل: هو؛ لكونها ترددت[٢] في ذلك، وأخبر سليمان عليه السلام بجمال بلقيس وبهائها، فأعجب بها، وأخبر أنها كثيرة شعر الساقين[٣]، فأراد أن يختبر ذلك

---

(١) في (ح): «لتجهله».

(٢) في (هـ): «تتردت»، وما أثبته من (ح).

وفي روح المعاني: ١٩/٢٠٧:

﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ أجابت بما أنبأ عن كمال رجاحة عقلها، حيث لم تجزم بأنه هو، لاحتمال أن يكون مثله، بل أتت بكأن الدالة ـ كما قيل ـ على غلبة الظن في اتحاده معه مع الشك في خلافه، وليست «كأن» هنا للدلالة على التشبيه كما هو الغالب فيها.

(٣) فقد ذكر ابن جرير، والثعلبي، والخازن، وغيرهم:

أن سليمان أراد أن يتزوجها، فقيل له: إن رجليها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين، فأمرهم، فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة، فلما رأته لجة، وكشف عن ساقيها لتخوضه، فنظر سليمان، فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً، إلا أنها كانت شعراء الساقين فكره ذلك، فسأل الإنس: ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسى (هو الذي يزيل الشعر) فقالت بلقيس: لم تمسني حديدة قط، فكره سليمان ذلك، خشية أن تقطع ساقيها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين، فقالوا: إنا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا لها النورة (هي مادة يزال بها الشعر) والحمام من يومئذٍ. انظر: تفسير ابن جرير: ١٩/١٠٦، والعرائس: ١٨٠، وتفسير الخازن: ٥/١٢٥.

قال ابن كثير في تفسيره: ٥/٢٤٠:

قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: وقالت الشياطين: إن سليمان يريد أن يتخذها لنفسه، فإن اتخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد لم ننفك من عبوديته، قال: فجعلوا صرحاً ممرداً من قوارير فيه السمك، قال: فـ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ فإذا هي شعراء. فقال سليمان عليه السلام: هذا قبيح فما يذهبه؟. =

بالنظر، فأمر أتباعه أن يجعلوا موضعاً واسعاً كله بالبلور المموج الأبيض الصافي بحيث يظن الرائي أنه ماء، فجلس هو في صدر الموضع، وطلب بلقيس، فلما رأت الصرح[1] ظنته ماء فكشفت عن ساقيها فرأى الشعر كما ذكر له، وكان ذلك سبباً في إيمانها وزيادة في يقينها، فأسلمت هي ومن تبعها وتزوج بها سليمان عليه السلام[2]، وذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

= قالوا: الموسى، فقال: أثر الموسى قبيح، قال: فجعلت الشياطين النورة، قال: فهو أول من جعلت له النورة، ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة: ما أحسنه من حديث. قلت: بل هو منكر غريب جداً، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس رضي الله عنهما، والله أعلم.

قال الدكتور محمد أبو شهبة بعد أن ذكر ما ذكره ابن كثير في تفسيره من رواية عطاء بن السائب عن ابن عباس رضي الله عنهما وبعد ذكره تعليق ابن كثير القيم على هذه الرواية: التفسير الصحيح لبناء الصرح، والحق أن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أراد ببنائه الصرح أن يريها عظمة ملكه وسلطانه، وأن الله تبارك وتعالى أعطاه من الملك ومن أسباب العمران والحضارة ما لم يعطها، فضلاً عن النبوة التي هي فوق الملك، والتي دونها أية نعمة، وحاشا لسليمان عليه السلام وهو الذي سأل الله أن يعطيه حكماً يوافق حكمه ـ أي الله ـ فأوتيه أن يتحايل هذا التحايل، حتى ينظر إلى ما حرّم الله عليه، وهما ساقاها، وهو أجلّ من ذلك وأسمى. ولولا أنها رأت من سليمان ما كان من الدين المتين، والخلق الرفيع، لما أذعنت إليه لما دعاها إلى الله الواحد الحق، ولما ندمت على فرط منها من عبادة الكواكب والشمس، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين. انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ٣٥٠.

(١) الصرح: هو القصر المشيد المحكم البناء، المرتفع في السماء.

(٢) وفي البداية والنهاية: ٢/ ٢٤: أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن: وردها إليه، وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام، ثم يعود على البساط، وأمر الجان فبنوا له ثلاثة قصور باليمن غمدان، وسالحين، وبيتون ـ فالله أعلم ـ. وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه: أن سليمان لم يتزوجها بل زوجها بملك همدان وأقرها على ملك اليمن، وسخر زوبعة ملك جن اليمن فبنى لها القصور الثلاثة التي ذكرناها باليمن. قال ابن كثير: والأول أشهر وأظهر والله أعلم.

قصة نبي الله إلياس عليه السلام(1)

وهو إلياس بن ياسين من ولد هارون بن عمران(2) عليه السلام، أرسل إلى لاجب ملك العشرة الأسباط وامرأته أربيل(3)، وكان لاجب وأتباعه يعبدون الأصنام، وكان قد صنع صنماً، وسماه بعلاً، ودعا قومه وأجبرهم على عبادته، فنهاهم

---

(1) إن القرآن الكريم لم يذكر قصة إلياس عليه السلام مفصلة ولم يذكر إلا اليسير عنه.

فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات].

وقد رأينا كتب التفسير وكتب التاريخ تذكر الكثير عن إلياس بما هو مشبع بالإسرائيليات.

وقد ذكر الثعلبي في العرائس: ١٤٢ ـ ١٤٧ قصة إلياس عليه السلام مطولة كلها من الإسرائيليات، والمؤلف نقل كثيراً عن الثعلبي في هذه القصة دون نقد ولا تنبيه، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره نحو ما ذكره الثعلبي مختصراً فقال: وقال وهب بن منبه: بعث الله تعالى إلياس في بني إسرائيل بعد حزقيل عليه السلام، وكانوا قد عبدوا صنماً يقال له: بعل، فدعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما سواه، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتدّ، واستمروا على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد، فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين، ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم ووعدوه الإيمان به إن هم أصابهم المطر، فدعا الله تعالى لهم، فجاءهم الغيث، فاستمروا على أخبث ما كانوا عليه من الكفر، فسأل الله أن يقبضه إليه، وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليه السلام، فأمر إلياس أن يذهب إلى مكان كذا وكذا فمهما جاءه فليركبه ولا يهبه، فجاءته فرس من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش، وكان يطير مع الملائكة فصار ملكاً إنسياً سماوياً أرضياً.

هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب، والله أعلم بصحته.

(2) قال ابن جرير: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون عليه السلام فهو إسرائيلي من سبط هارون. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٣/ ٩١، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٣٣.

(3) وهذا منقول عن العرائس للثعلبي: ١٤٢ مختصراً، ففي العرائس:

لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام، عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وظهر فيهم الفساد، ونسوا عهد الله الذي عهد إليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى إليهم إلياس نبياً، وفيهم يومئذٍ ملك يقال له: «لاجب» قد ضلّ وأضلّ قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان هو وقومه يعبدون صنماً يقال له: «بعل». . .، وكان للاجب امرأة يقال لها: «أربيل»، وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم. . . .

إلياس عليه السلام عن ذلك، وأكثر عليهم، فهمُّوا بقتله[1] ففرّ هارباً إلى الفلاة والقفار، وأقام مدة شريداً وحيداً فريداً في الجبال الشوامخ يعبد الله عز وجل، ويقتات من الأشجار، ولما اشتدت به الكرب[2] من عدم إيمان من أرسل إليهم وتفرده عنهم، أوحى الله إليه: ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه، ألست أميني على وحيي، وحجتي على خلقي، ورحمتي في أرضي، فاسألني أعطك، فإنني ذو الرحمة الواسعة، فقال: تمتني وتلحقني بآبائي؛ فإني قد مللتُ هؤلاء القوم وملُّوني، فأوحى الله ـ جلّ شأنه ـ إليه ما هذا اليوم الذي أعري منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها بك وأشباهك، ولكن سلني أعطك،

---

(۱) منقول عن العرائس: ۱٤۳ بتصرف، وهذا نص العرائس مختصراً:

. . . ثم همّ ـ أي الملك لاجب ـ بتعذيب إلياس وقتله، فلما سمع إلياس ذلك، وأحس بالشر خرج عنه فلحق بشواهق الجبال. . . فارتقى إلياس إلى أصعب جبل وأشمخه، فدخل مغاراً، فيقال: إنه بقي فيه سبع سنين شريداً وحيداً فريداً خائفاً يأوى إلى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الأرض وثمار الأشجار، وهم في طلبه، وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره. . . .

(۲) وهذا أيضاً منقول من العرائس: ۱٤٥. وهذا نصه:

فلما طال عصيان قومه ضاق إلياس بذلك ذرعاً، وأجهده البلاء، فأوحى الله إليه بعد سبع سنين، وهو خائف مذعور مجهود: يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه، ألست أميني على وحيي، وحجتي في الأرض، وصفوتي من خلقي، فاسألني أعطك، فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم.

قال إلياس عليه السلام: تميتني وتلحقني بآبائي؛ فإني قد مللت بني إسرائيل وملوني.

فأوحى الله إليه: يا إلياس ما هذا اليوم الذي أعرى منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها وصلاحها بك. . . ولكن سلني أعطك.

قال إلياس: فإن لم تمتني يا إلٰهي، فأعطني ثأري من بني إسرائيل، فأوحى الله تعالى إليه، فأي شيء تريد أن أعطيك تمكنني من خزائن السماء سبع سنين، فلا تنشئ عليهم سحابة إلا بدعوتي، ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتي، فإنهم لا يذلّهم إلا ذلك، قال تعالى: يا إلياس أنا أرحم بعبادي من ذلك وإن كانوا ظالمين. . . ولكنني أعطيك ثأرك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك، ولا أنشر عليم سحابة إلا بدعوتك، ولا أنشر عليهم قطرة إلا بشفاعتك. . قال إلياس: قد رضيت، فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين، حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر، وجهد الناس جهداً شديداً. . .

قلت: وفي بعض الرواية: «أن الله أوحى إلى إلياس: إني جعلت أرزاقهم بيدك». والرواية التي ذكرها الثعلبي: إن الله أبى عليه ذلك مرتين وأجابه في الثالثة. وهذه الاختلافات المضطربة تدل على بطلانها، وكل هذا من أخبار بني إسرائيل.

فقال إلياس عليه السلام أن تمتني فأعطني ثأري منهم بأن تمنع القطر عنهم سبع سنين، فلا تنزل قطرة إلا بدعوتي، فقال الله عز وجل: أنا أرحم بخلقي من ذلك، فلم يزل حتى أعطاه ثلاث سنين، فامتنعت الأمطار واشتد القحط وهلكت البهائم والدواب. وفي هذه المدة[1] كان إلياس عليه السلام يأوي إلى بيت أم يونس بن متى، وكان قد مات، فدعا له فحيي بعد الموت ودعا له أيضاً بالبركة، فكان منه ما كان.

وفي هذه المدة[2] أيضاً كان يأوي إلى بيت أم اليسع ابن أخطوب وكان به ضرّ، فدعا له فعفي واتبعه اليسع وآمن به وصدقه وكان لا يفارقه أبداً، وكان يذهب معه حيث ما ذهب. ثم أوحى الله[3] ـ جلّ شأنه ـ إلى إلياس عليه السلام قد

---

(۱) منقول عن العرائس: ١٤٥ بتصرف وهذا نصه:

فلما طال الأمر على إلياس من المكث في الجبلِ والمقام به واشتاق إلى العمران والناس، فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بني إسرائيل، وهي أم يونس بن متى ذي النون فاستخفى عندها... ويونس ابنها يومئذٍ مولود رضيع، وكانت أم يونس تخدمه بنفسها.. فعاد إلياس إلى مكانه في الجبال، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى مات ابنها يونس حين فطمته... فخرجت في طلب إلياس، فلم تزل ترقى الجبال حتى عثرت عليه، فسلّمت عليه وقالت له: إني فجعت بعدك بموت ابني، واشتد لفقده بلائي فارحمني وادعُ ربك تعالى أن يحيي لي ابني فانطلق إلياس معها حتى أتى إلى منزلها فتوضأ إلياس وصلى ودعا، فأحيا الله يونس بن متى.

(۲) منقول عن العرائس: ١٤٥ ١٤٦ بتصرف وهذا النص في العرائس:

ثم أن إلياس أتى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل، لها ابن يسمى اليسع بن أخطوب، وكان به ضر، فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به، واتبع اليسع إلياس وآمن به وصدقه، فكان يذهب معه حيثما ذهب.

(۳) منقول عن العرائس: ١٤٦:

ثم إن الله تعالى أوحى إلى إلياس عليه السلام أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعصوني من البهائم والدواب والشجر بحبس المطر عن بني إسرائيل، فجاء إلياس إلى بني إسرائيل وقال لهم: ويلكم إنكم قد هلكتم جوعاً وجهداً، وقد هلكت البهائم والدواب والشجر بحبس المطر عنكم بخطاياكم وأنكم على باطل، فإن كنتم تحبون أن تعلموا أن أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تغني عنكم شيئاً فاخرجوا بأصنامكم هذه، فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتم عنها، ودعوت الله تعالى لكم أن يفرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا: أنصفت، فخرجوا ومعه أوثانهم، فدعوها فلم تستجب لهم، فدعا الله إلياس ومعه اليسع عليه السلام بالفرج مما هم فيه =

هلكت كثير من الخلق بدعائك، ومن الحيوانات ممن لم يعص، فسأل الله ﷻ أن يكون الفرج لهؤلاء العصاة، فأتاهم إلياس عليه السلام، وقال لهم: إنكم قد هلكتم من الجوع والجهد؛ وذلك بدعائي، وإن كنتم تريدون الفرج فاخرجوا بأصنامكم واستسقوا بها فإن استجابت علمتم أنكم على حق، وإلا دعوت الله لكم يفرج عليكم وعلمتم أنني على حق، ففعلوا ذلك وخرجوا بأوثانهم فدعوا فلم يستجب لهم.

ودعا إلياس عليه السلام هو واليسع فأنزل الله ـ جلّ شأنه ـ الأمطار، فآمن به من شرح الله صدره للإيمان وكفر به (من)[1] لم يهده الله ﷻ.

ولما كبر إلياس[2] عليه السلام استخلف اليسع عليه السلام ورفعه الله عن أعين الناس، ونزع عنه لذة المطعم والمشرب، وصار إنسانياً ملكياً سماوياً وهو كالخضر موجود في هذا العالم[3]، كما دلت على ذلك الأخبار النبوية والآثار عن خيار

= وأن يسقوا، فخرجت سحابة مثل الترس، ثم أرسل الله عليهم المطر، فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم...

(١) ما بين القوسين ساقط من (ح).

(٢) منقول من العرائس: ١٤٦ بتصرف.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٣٣٧ تعليقاً على هذه الرواية؛ وما ذكره وهب بن منبه وغيره أنه لما دعا ربّه ﷻ أن يقبضه إليه لما كذبوه وآذوه فجاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله له ريشاً وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكياً بشرياً سماوياً أرضياً، وأوصى إلى اليسع بن أخطوب. ففي هذا نظر وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة، والله أعلم.

(٣) وأما القول: إن إلياس والخضر عليهما السلام موجودان في هذا العالم حيان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهذا يرده الحديث الذي رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلّى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلّم قام فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد». صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم: ١/٣٧.

ويرده قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، فإلياس والخضر عليهما السلام إن كانا بشرين فقد دخلا في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصها منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر فيهما دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله. انظر: البداية والنهاية: ١/٣٣٦.

نعم هناك روايات تدل على أنهما حيان فمنها: قال مكحول عن كعب: أربعة أنبياء أحياء، اثنان في الأرض: إلياس والخضر، واثنان في السماء: إدريس وعيسى. =

الأبرار، وقد قص الله ـ جلّ شأنه ـ في القرآن العظيم بقوله ـ جلّ شأنه ـ: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات] إلى آخر الآية.

قصة نبي الله اليسع عليه السلام(1)

نبَّأه الله ـ جلّ شأنه ـ وبعثه إلى بني إسرائيل(2) فآمنوا به، وكان رسولاً معظماً مهاباً مسموع الكلمة فيهم مقبول الإشارة، وقد تقدم أنه كان به مرض(3)، فدعا له نبي الله إلياس عليه السلام فعوفي فاتبعه، وكان لا يفارقه أبداً،

= وعن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال ـ ولا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ ـ قال: «يلتقي الخضر وإلياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه...» الحديث.

وروى ابن عساكر عن ابن أبي رواد قال: إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة تكفيهما إلى مثلها من قابل.

ذكر هذه الروايات ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٨ ثم علّق عليها فقال:

وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته أي الخضر، قلت: وهو وإلياس إلى اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد. وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره؛ لأنه يجوز عليه الخطأ، والله أعلم.

وقد تقدم عن وهب أنه سلبه ـ أي إلياس الله ـ لذة المطعم والمشرب، وعن بعضهم: أن الخضر وإلياس يشربان من زمزم كل سنة شربة تكفيهما إلى مثلها من الحول الآخر وهذه متعارضة وباطلة لا تصح.

(1) قال ابن جرير في تفسيره: ٧/ ١٧٣: (هو اليسع بن أخطوب ابن العجوز).

وهو من أنبياء بني إسرائيل، لم يذكر القرآن شيئاً من حياته إلا أن الله ذكره في القرآن.

فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص].

(2) وفي البداية والنهاية: ٢/ ٤: عن الحسن قال: كان بعد إلياس اليسع عليهما السلام، فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته، حتى قبضه الله ﷻ إليه، ثم خلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الأحداث والخطايا وكثرت الجبابرة وقتلوا الأنبياء...

(3) هذا القول منقول من العرائس: ١٤٥ في ضمن قصة إلياس، وفيها ما فيها من الزيادات والاضطرابات، وكل هذا من الإسرائيليات.

ويذهب معه حيثما ذهب، إلى أن استخلف في بني إسرائيل وحكم فيهم مدة إلى أن توفاه الله تعالى ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ.

قصة نبي الله ذو الكفل عليه السلام[1]

وهو نبي على أصح الأقوال[2]، واختلف في سبب تسميته ذو الكفل[3]، والمشهور أنه تكفل أن لا يغضب. وقيل: تكفل بصيام النهار وقيام الليل. وقيل: تكفل بصلاة ألف ركعة في كل يوم.

وكان نبياً عظيماً، وقد كان ذكره عليه السلام في الكتاب العزيز في عدة آيات[4] منها قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) ذو الكفل: هو بشر بن أيوب عليه السلام بن أموص بن زارح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام بعثه نبياً بعد أبيه وكان مقيماً بالشام. انظر: روح المعاني: ١٧/ ٨٢.

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير: ٥/ ٣٧٩:

اختلف العلماء هل كان نبياً أو لا على قولين: أحدهما أنه لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً، قاله أبو موسى الأشعري ومجاهد.

والقول الثاني: أنه كان نبياً، قاله الحسن وعطاء، والراجح القول الثاني.

كما قاله ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢٤٤:

فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي ـ عليه من ربه الصلاة والسلام ـ. وهذا هو المشهور.

(٣) روى ابن جرير في تفسيره عن مجاهد قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل، فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث أستخلفه: فيصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ قال: فقام رجل تزدريه الأعين فقال: أنا، فقال: أنت تصوم النهار، وتقوم الليل، ولا تغضب؟ قال: نعم... فاستخلفه... فسماه الله ذا الكفل؛ لأنه تكفل بأمر فوفى به. انظر: تفسير ابن جرير: ١٧/ ٥٩، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٥٨٤.

قلت: والقول الذي تطمئن به النفس ما قاله الآلوسي في تفسيره: ١٧/ ٨٢.

والكفل: الكفالة والحظ والضعف، وإطلاق ذلك عليه إن لم يكن اسمه إما لأنه تكفل بأمر فوفى به، وإما لأنه كان ذا حظ من الله تعالى.

(٤) منها قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص].

قصة نبي الله يونس عليه السلام

هو يونس بن متى[1]، أرسله الله تعالى إلى أهل (نِيْنَوى)[2] وما والاها، وكانوا أمماً كثيرة وعوالم جليلة، فدعاهم إلى توحيد الله تعالى وتعظيمه فلم يستجب له منهم إلا القليل، فدعا عليهم وأوعدهم حصول العذاب في يوم معين، فلما علموا صدق قوله أنابوا إلى الله ـ جلّ شأنه ـ وتابوا وآمنوا به، فعلم الله صدقهم فتاب عليهم[3]، ولم يعلم يونس عليه السلام بذلك، فلما رأى العذاب لم يأتهم خشي أن يعيِّروه، فخرج مغاضباً لله حيث لم ينجز له وعده[4]، وتوجه، فرأى سفينة فركب فيها فلم تسر السفينة، وتحيرت كثيراً، فقال أهل السفينة: فينا عبد آبق فاقترعوا حتى نعرفه، فظهرت القرعة[5] على

---

(١) هو: يونس بن متى، ونُبِّئ وهو ابن ثمان وعشرين سنة، ويسمى عند أهل الكتاب «يونان بن أمتاي» وهو من بني إسرائيل. انظر: روح المعاني: ٢٣/١٤٢.

(٢) نِيْنَوَى: قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل. انظر: معجم البلدان: ٥/٣٣٩.

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٢٥١:

بعث الله يونس عليه السلام إلى أهل «نينوى» من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله عز وجل، فكذبوه وتمرّدوا عليه بكفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث.

فلما خرج من بين ظهرانهم، وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم.

(٤) ليس خروج يونس عليه السلام من قومه مغاضباً لله، فإن ذلك يتنافى مع عصمة الأنبياء. ولكن خروجه من مدينتهم مغاضباً لهم بسبب عصيانهم وإصرارهم على الكفر، وكان تركه للمدينة بدون إذن ربه اعتقاداً منه أن الله لن يؤاخذه على ما فعل. ثم إن يونس عليه السلام وعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاثة وهو موقن بوقوعه. انظر: البداية والنهاية: ١/٢٥٢، وروح المعاني: ٢٣/١٤٣.

(٥) في البداية والنهاية: ١/٢٥٢: أن يونس عليه السلام لما ذهب مغاضباً بسبب قومه، ركب سفينة في البحر فلجت بهم، واضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها... فتشاوروا فيما بينهم على أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه. فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس، فلم يسمحوا به، فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضاً، لما يريده الله به من الأمر العظيم. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات]. وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة ألقي في البحر وبعث الله عز وجل حوتاً عظيماً من البحر الأخضر =

نبي الله يونس ﷺ فقال: نعم، أنا الآبق، ورمى بنفسه في البحر فابتلعه حوت عظيمة، فجلس في بطنها نحواً من ثلاثين يوماً[1]، وكان يسبّح الله تعالى في بطن الحوت، فلذلك أنجاه الله تعالى من تلك الشدة، وكان تسبيحه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

يقول رسول الله ﷺ: «إني لأعرف كلمة لا يقولها مكروب في بر ولا بحر إلا فرّج الله عنه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾»، وسئل رسول الله ﷺ: أهي ليونس خاصة أم للناس عامة؟ فقال: «ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾»[2]، فسبحان المتفضل على عباده بمزيد برّه وإحسانه وإمداده، فلما سأل الله الفرج[3] وتاب من مغاضبته لمولاه ألقاه الحوت إلى ساحل البحر،

= فالتقمه، وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحماً ولا يهشم له عظماً فليس له لك برزق.. ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات، فحرك جوارحه فتحركت، فإذا هو حي، فخر لله ساجداً، وقال: يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يعبدك أحد في مثله.

(١) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢٣٣: وقد اختلفوا في مقدار لبثه في بطنه، فقال مجالد عن الشعبي: التقمه ضُحىً ولفظه عشية. وقال قتادة: مكث فيه ثلاثاً. وقال جعفر الصادق: سبعة أيام. وقال سعيد بن أبي الحسن وأبو مالك: مكث في جوفه أربعين يوماً. ثم قال ابن كثير بعد ذكر هذه الأقوال: والله أعلمكم مقدار ما لبث فيه. والمقصود أنه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللجية ويقتحم به لجج الموج الأجاجي، فسمع تسبيح الحيتان للرحمٰن... فعند ذلك وهنالك قال ما قال بلسان الحال والمقال، كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوى.. حيث قال في كتابه المبين المنزل على رسوله الأمين: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك بمعناه، كتاب التفسير، باب دعاء ذي النون في بطن الحوت: ٢/ ٣٨٢، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) وفي البداية والنهاية: ١/ ٢٣٤: أخرج ابن أبي حاتم من حديث أبي صخر: أن يزيد الرقاشي حدثه، سمعت أنس بن مالك، ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ: إن يونس النبي ﷺ حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال: «اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين» فانقبلت هذه الدعوة تحت العرش.. فأمر أي الله الحوت فطرحه في العراء. وفي حديث أبي هريرة أنه يقول: طرح بالعراء، وأنبت الله عليه اليقطينة، قلنا: يا أبا هريرة، وما اليقطينة؟ قال: شجرة الدباء. وقال أبو هريرة: وهيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض، قال: فتفشخ =

وأنبت الله ﷻ عليه شجرة اليقطين، وهي شجرة الدبَّاء، وكان حين لفظته الحوت كالطفل حين يخرج من بطن أمه في غاية الضعف.

وأما قومه فإنهم أسفوا على نفسه كثيراً، فلما عاد إليهم فرحوا به فرحاً شديداً[1]، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الصافات]، إلى آخر ما قصّ الله ـ جلّ شأنه ـ من الآية في شأنه ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ.

قصة نبي الله عُزير
ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ

هو من سبط هارون ﷺ، وهو عزير بن سروخا[2]، وكان فيمن أسره بخت نصَّر[3] لما أن دخل بيت المقدس ووصل معه إلى أرض بابل، وتخلص منهم

= عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت.

قال ابن كثير: وهذا غريب من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي ضعيف، ولكن يتقوى بحديث أبي هريرة الذي أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢٣/٦٦، كما يتقوى ذاك بهذا.

الأروية: بالضم والكسر: الأنثى من الوعول. انظر: مختار الصحاح مادة: (روى): ص(١٦٤).

الخشاش: حشرات الأرض والعصافير ونحوها. انظر: مختار الصحاح مادة: (خ ش ش) (ص١٧٦).

التفسيخ: إرخاء المفاصل.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٦/٣٧ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات].

روى شهر بن حوشب عن ابن عباس ﷺ أنه قال: إنما كانت رسالة يونس ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعدما نبذه الحوت، وعن مجاهد: أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت، قال ابن كثير: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً أمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم وآمنوا به.

(٢) هو: عزير بن سروخا بن عدبا بن أيوب بن درزنا بن عري بن تقي بن إسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران ﷺ. انظر: البداية والنهاية: ٢/٤٢.

(٣) وفي البحر المحيط: ٢/٢٩٢ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة]. =

وأقبل راجعاً إلى الأرض المقدسة ومعه حماره، ودخل قرية من قرى الأرض المقدسة، فرآها خاوية خالية قد تهدمت بيوتها، فقال في نفسه: متى ترجع هذه البلدة وتعود على حالها؟[1].

وكان معه عنب في سلة قد أخذه وعصر منه جانباً ووضعه في زق فأكل من هذا وشرب من هذا ونام، فنزع الله منه الروح، وأبقاه حياً، ومنع منه الآفات مائة سنة. وكان نومه وقت الضحى وأفاق وقت الغروب، فلما أفاق قال له[2] الملك: كم لبثت؟ قال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة] فنظر إلى حماره فوجده على حاله[3]، ونظر إلى العنب فوجده لم يتغير، وإلى العصير كذلك، ورأى البلاد قد عمرت بأحسن ما يكون[4]، فركب حماره[5] وذهب إلى داره،

= في قصة عزير، أنه لما نجا من بابل ارتحل على حماره حتى نزل دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحداً، وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العنب في زق، فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال: أنى يحيي ـ على سبيل التعجب لا شكاً في البعث ـ.

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة].

فلم يشك أن الله يحييها، ولكن قالها تعجباً، فبعث الله ملك الموت فقبض روحه فأماته الله مائة عام. أخذاً من البداية والنهاية: ٢/ ٩٤٤.

(٢) في (ح): «قاله».

(٣) وفي البداية والنهاية: ٢/ ٤٤.

غير ما ذكره المؤلف من أن حماره على حاله، وما ذكره في البداية والنهاية يؤيده القرآن الكريم.

.. فقال له الملك: انظر إلى حمارك ـ فنظر إلى حماره ـ قد بليت عظامه وصارت نخرة، فنادى الملك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى ركبه الملك وعزير ينظر إليه.. ثم كساها اللحم... فذلك قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(٤) قال في البحر المحيط: ٢/ ٢٩٠: إنه لما مرّ له سبعون سنة من موته، وقد منعه الله تعالى من السباع والطير، ومنع العيون أن تراه، أرسل ملكاً إلى ملك عظيم من ملوك فارس يقال له: كوسك، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيليا وأرضها حتى تعود أحسن مما كانت، فانتدب الملك في ثلاثة آلاف قهرمان مع كل قهرمان ألف عامل، وجعلوا يعمرونها، وأهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه، ونجى الله تعالى من بقي من بني إسرائيل، وردّهم إلى بيت المقدس، فعمروها ثلاثين سنة، وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فعند ذلك أحياه الله تعالى. وانظر: روح المعاني: ٣/ ٢٢.

(٥) من هنا إلى آخر القصة مأخوذ من البداية والنهاية: ٢/ ٤٤. وانظر: روح المعاني: ٣/ ٢٤.

فقال: هذه دار نبي الله عزير؟ فقيل له: أين نبي الله عزير له مائة سنة فقدناه؟ فقال: أنا نبي الله عزير، وكان ابنه شيخاً كبيراً قد بلغ من العمر مائة وثماني عشرة سنة. فقال: كانت لأبي شامة سوداء في كتفه، فكشفوا عنها فرأوها.

وكان بخت نصر أحرق كتب التوراة جميعها، فحزن لذلك عزير عليه السلام فألقاها الله تعالى في سره فأملاها جميعها على بني إسرائيل، ولهذا المعنى تغالت طائفة من اليهود فيه[1].

وقصته في القرآن الشريف في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ٢٥٩][2].

قصة نبي الله زكريا
ـ عليه الصلاة والسلام ـ[3]

هو زكريا بن دان بن مسلم بن صدوق، من ولد سليمان بن داود ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وكان رئيس الأحبار وكبير الرهبان، إليه مرجعهم، وهو أحد أنبياء بني إسرائيل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وكان متزوجاً بخالة[4] مريم بنت عمران أم عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ واسمها أشياع بنت فاقود وهي أم يحيى عليه السلام.

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/٤٦:

عن ابن عباس أنه سأل عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

لما قالوا ذلك فذكر له ابن سلام قول بني إسرائيل: لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب، وأن عزيراً قد جاءنا بها من غير كتاب، فرماه طوائف منهم وقالوا: عزير ابن الله.

(٢) في (هـ) و(ح): «إلى آخر الآيات» وهو خطأ؛ لأن الآية التي ذكرت القصة آية واحدة، والصواب ما أثبته.

(٣) في البداية والنهاية: ٢/٥١: هو: زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهناشاط بن إينامن بن رحبعام بن سليمان بن داود ـ أبو يحيى النبي ـ عليه السلام من بني إسرائيل.

(٤) وعند الجمهور أنه كان متزوجاً بأخت مريم بنت عمران واسمها «أشياع» أيضاً. انظر: البداية والنهاية: ٢/٦١.

وكان زكريا عليه السلام قد سنّ وكبر ولم يرزق ولداً، فحزن لذلك كثيراً، وسأل الله تعالى أن يرزقه ولداً يرث حاله وماله(١)، وكانت امرأته عاقراً لم تلد، قد بلغت من العمر ثمان وتسعين سنة، وهو ابن مائة وعشرين سنة، فبشر بولد اسمه يحيى، وأنه كان نبياً وسيداً ووحيداً في صفاته وذاته(٢)، فلما بشّر بذلك حصل له اشتباه في كيفية وجود ذلك الولد، هل يكون مع بقاء الضعف والشيخوخة أو بإعادة القوى والشباب؟

فأجيب: بأن الله تعالى يفعل ما يشاء على أي صفة شاء(٣)، وسأل الله تعالى أن يجعل له علامة على قرب وجود ذلك المولود المبشر به، فأوحى الله ـ جلّ شأنه ـ إليه بأن علامة ذلك أن يمتنع عنك الكلام ثلاثة أيام بلا سبب، ويكون كلامك إشارة، وأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى والتسبيح والتقديس(٤)، وكان

---

(١) المراد بالوراثة هنا النبوة والحكم في بني إسرائيل، وليست وراثة المال، كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة، ووافقهم ابن جرير في تفسيره: ١٦/ ٣٧.
ويؤيد ما قلنا:
أولاً: أن الرسول ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» فهذا نص على أن رسول الله ﷺ لا يورث ولهذا منع الصديق أن يعطي ما كان يختص به في حياته إلى أحد من وراثه، الذين لولا هذا النص لأعطاه لهم، وهم: ابنته فاطمة، وأزواجه التسع وعمه عباس رضي الله عنهم، واحتج الصديق عليهم في منعه إياهم بهذا الحديث.
ثانياً: أن الترمذي رواه بلفظ يعم سائر الأنبياء: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، وصححه.
ثالثاً: أن الدنيا أحقر عند الأنبياء من أن يكنزوا لها أو يلتفتوا إليها أو يهمهم أمرها حتى يسألوا الأولاد ليحوزوها بعدهم، فإن من لا يصل إلى قريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدار أن يسأل ولداً يكون وارثاً له فيها.
(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم]. وقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران].
(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾ [آل عمران].
وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ [مريم].
(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾ [آل عمران]. =

ذلك من طريق الفكر والسر، ورزقه الله تعالى يحيى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فورث حاله وماله كما تمنى وقُتل عليه السلام شهيداً منشوراً بالمنشار[١].

قصة نبي الله يحيى
ـ عليه الصلاة والسلام ـ

نبّأه الله تبارك وتعالى واصطفاه، وأيّده بالحكمة والمعرفة، وعلّمه التوراة، كل ذلك وهو طفل صغير[٢]، ولما نبّئ كان عمره ثلاث سنين، وأرسل إلى بني إسرائيل. وكان أكبر من عيسى عليه السلام بنحو ثلاثة أعوام، فبشّر بعيسى عليه السلام، وأخبرهم أنه سيوجد، ونصح لله وأرشد العباد، ودعا إلى توحيد الله تعالى وطاعته. وكان قد كَثُر الفساد والطغيان في بني إسرائيل، فدعاهم إلى الله تبارك وتعالى.

وكان حصوراً لا يريد النساء ولا يشتهيهم[٣]، وكان ذا مقام عظيم في التجرد عن الدنيا والعزوب عنها، وكان مقامه عليه السلام إدمان الصوم وملازمة الجوع والسهر، وقد مدحه الله ـ جلّ شأنه ـ وأثنى عليه في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران][٤]، قتل عليه السلام شهيداً قطع رأسه

= وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم].

(١) ففي البداية والنهاية: ٢/ ٥٢: عن وهب بن منبه أنه قال: هرب ـ أي زكريا ـ من قومه فدخل شجرة فجاؤوا فوضعوا المنشار عليه، فلما وصل المنشار إلى أضلاعه أنّ، فأوحى الله إليه لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الأرض ومن عليها فسكن أنينه حتى قطع باثنتين.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم].

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٥١، ٥٢: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. فقيل: المراد بالحصور الذي لا يأتي النساء، وقيل غير ذلك، وهو أشبه لقوله: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]. وقال الآلوسي في تفسيره: ٣/ ١٥٢: الحصور: الذي حصر ومنع عن جميع الشهوات وعصم بالعصمة الأزلية.

(٤) وبقية قصته عليه السلام مذكورة في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم].

الشريف[1] ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ.

قصة نبي الله عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقصة ولادة مريم عليها السلام به

أما صفة ولادة مريم عليها السلام به فهو أنها خرجت تغتسل في نهر في موضع خال مستور عن أعين الناس، فلما فرغت من غسلها أقبل نحوها شاب حسن الصورة والهيئة، فلما رأته قالت: قف أيها الشخص مكانك ولا تقرب نحوي إن كنت من أهل الإيمان والتقى، فقال لها: لست بشراً إنما أنا ملك من ملائكة الله تبارك وتعالى أرسلني الله عز وجل إليك أبشّرك بأنك تأتين بمولود هو كلمة من كلمات الله، يمسح الجليل تبارك وتعالى على ناصيته بيد رحمته وإقباله، فلا يدع فيه شيئاً مما يكره، ويفيض عليه بمعرفته ما يحتوي عليه علم الكتاب المكنون والقلم المحزون، ويلهمه الحكمة والاقتصاد واللين والتواضع، ويعلمه التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وينزل عليه الإنجيل مشتملة على مواعظ وحكم، ويبعثه إلى بني إسرائيل، ويقيم على تحقيق نبوته براهين قاطعة ودلائل ساطعة، فيصور الطير من الطين وينفخ فيه فيكون حيواناً طائراً بإذن الله تعالى، ويحيي الموتى ويشفي الأكمه ـ وهو الذي ولد أعمى ـ فيصير بصيراً، ويداوي البرص والمجذوم وذي العاهات المزمنة بنفسه ولمسه فيشفى بإذن الله تعالى، ويخبر بما كان وما يكون من الأمور المغيبة، وما دق وما خفي في البيوت والأسرار والضمائر.

فلما قال الملك لمريم عليها السلام ذلك، قالت له: كيف يكون لي ويولد لي ذلك المولود، وليس لي بعل ولا يحل لي الخيانة والبغي، وإنما يولد المولود من رجل؟

فأجابها الملك بأن الله عز وجل قادر على إيجاد مولود بلا أب فإنه واضع الأسباب إن شاء أجرى آثار قدرته بواسطة الأسباب، وإن شاء أجرى آثار

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/٥٣: وذكروا في قتله أسباباً، من أشهرها: أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه أو من لا يحل له تزويجها، فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك، فبقي في نفسها منه، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها، فبعث إليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طشت إلى عندها، فيقال: إنها هلكت من فورها وساعتها.

قدرته بلا سبب، وأن الله موجد لك ذلك المولود فاثبتي ثم نفخ بفمه إلى نحرها، فخرج من فيه نور روحاني[١] فوصل إلى جسدها والتمس بها والجمع في جوفها فاستحال في جوفها بإذن الله تعالى لحماً ودماً وبشراً كاملاً فتحرك في بطنها وصار لها المخاض واستندت إلى نخلة، وكان ذلك في أيام الشتاء، والنخلة يابسة، فاخضرّت وأثمرت في الحال، ووضعت نبي الله وصفوته عيسى عليه السلام كل ذلك في ساعة[٢]، فلما رأت ذلك حزنت وخشيت أن تعيَّر به، فقالت: يا ليتني مت ولم أكن أذكر، فأنطق الله عيسى عليه السلام، فقال لها[٣]: لا تحزني إن الله قد جعل تحتك سرياً[٤]، فهزي النخلة وكلي من ثمرها وقرّي عيناً وطيّبي نفساً، وإن رأيت أحداً من البشر يسألك أو يجادلك في شأني فقولي: أنا صائمة فلا أتكلم مع أحد، فاسألوا الصبي هو يجيبكم، وذهبت بعيسى عليه السلام

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٦٤: ذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها.

(٢) القول في أن ذلك في ساعة واحدة هو رواية عن الباقر رضي الله عنه كما حملته نبذته، واستدل ذلك بالتعقيب الآتي، وبأنه سبحانه قال في وصفه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران]. فإنه ظاهر في أنه عز وجل قال له: كن، فيكون، فلا يتصور فيه مدة الحمل. أخذاً من تفسير الآلوسي: ١٦/ ٧٨.

وهناك أقوال أخرى:

ففي رواية عن ابن عباس أنها تسعة أشهر كما في سائر النساء، وهو المروي عن الباقر رضي الله عنه (في رواية عنه)؛ لأنها لو كانت مخالفة لهن في هذه العادة لناسب ذكرها في أثناء هذه القصة الغريبة. وقيل غير ذلك.

والقول الذي تميل إليه النفس القول الأول، وهو ما اختاره ابن كثير. فقال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٦٤، بعد ذكر الأقوال في هذه القصة:

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر، كما تحمل النساء، ويضعن لميقات حملهن ووضعهن؛ إذ لو كان خلاف ذلك لذكر.

(٣) القائل هو جبريل عليه السلام؛ لأن عيسى عليه السلام لم يتكلم إلا بحضرة القوم، وهو الذي يوافق ما روي عنه أولاً. وجبريل عليه السلام في مكان أسفل منها.

عن الحسن أنه قال: ناداها جبريل عليه السلام وكان في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها، ولعله إنما كان موقفه عليه السلام هناك إجلالاً لها وتحاشياً من حضوره بين يديها في تلك الحال. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٦٦، وروح المعاني: ١٦/ ٨٢.

(٤) السري: الجدول أي النهر الصغير.

تحمله، فلما رآه أهلها أنكروا شأنه، وكانوا بيت خير وصلاح ويعلمون منها التقى والعفاف، وأكثروا عليها القول في شأنه، فقالت لهم: سلوه، فقالوا: كيف نكلمه وهو طفل صغير[1]؟ فنطق عيسى عليه السلام فقال: أشهد أن الله ربي وأني عبده وكلمته، أعطاني الكتاب والعلم والحكمة، وجعلني نبياً وجعلني مباركاً على من اتبعني وآمن بي، وأوصاني بطاعته وبالخضوع له وبذل الدنيا والزهد فيها، وألزمني بحسن الأخلاق وأنجاني من مساوئها والبر بوالدتي والطاعة لها، وقد حفظني عز وجل مما لا يرضيه في حياتي ومماتي إن شاء الله[2].

فلما سمعوا منه هذا القول علموا أن ذلك لا يكون إلا ممن اجتباه الله واصطفاه، وتحققوا براءة مريم عليها السلام وطهارتها، ونشأ عيسى عليه السلام بأحسن نشاة وأكملها، ولما شبّ عليه السلام وكَبُر أسلمته أمه إلى المعلم فقال له المعلم: قل: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فقال عيسى: وما بسم الله الرحمٰن الرحيم؟ فقال المعلم: لا أدري، فقال عيسى عليه السلام الباء: بهاء الله، والسين: سناؤه، والميم: مجده، والله: إلٰه الآلهة، والرحمٰن: رحمٰن الدنيا والآخرة، والرحيم: رحيم الآخرة[3].

واتفق له عليه السلام وهو في المكتب صغيراً أنه كان يخبر الصبيان بما في بيوتهم وما يأكلون وما يصنعه آباؤهم في دورهم، فتعب أبو الصبيان فمنعوهم عنه وحبسوهم في بيوتهم. فجاء عيسى عليه السلام يسأل عنهم فقيل له: ليس هنا أحد. فقال: من في هذا الموضع؟ فقالوا له: خنازير، فقال: كذلك يكون إن شاء الله فمسخوا خنازير[4].

---

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم].

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم].

(٣) لم أعثر له على مرجع إلا في العرائس: ٢١٨.

(٤) وفي البداية والنهاية: ٢/٧٧: عن عبد الله بن عمر أنه قال: كان عيسى ابن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان، فكان يقول لأحدهم: تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك؟ =

ومن قصته العجيبة عليه السلام أن أمه عليها السلام أسلمته إلى صباغ ليتعلم حرفة الصباغة، فقال له المعلم في بعض الأيام: إني أريد السفر، وعلم له كل ثوب بخيط من النوع الذي يريده، فجمع عيسى عليه السلام جميع الأثواب ووضعهم في حب[1] واحد في آن واحد، فلما جاء الصباغ قال له: أين الثياب فأراهم إيّاه وقد جعلهم في حُبٍّ واحد، فقال له: لقد أفسدت علي. فقال له: تعال أريك، فجعل يقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ويخرج كل ثوب باللون الذي أراده الصباغ، فلما رأى ذلك آمن به وأحبه واعترف بكرامة الله تعالى له[2].

ولما بلغ من العمر ثلاثين عاماً أمره الله تعالى بإظهار الدعوة والحث على نشر سنن الفضائل وتهذيب الأخلاق، فدعا إلى الله عز وجل.

فلما أظهر ذلك آذاه اليهود، فخرج هو وأمه فارّين ممن آذاهم، فمرَّا ببلدة فأضافهم رجل وأكرمهم، وأقاما عنده، فلما كان في بعض الأيام رأت مريم عليها السلام امرأة الرجل حزينة، فسألتها من ذلك فأخبرتها أن لهم ملكاً جبّاراً، وأن له عادة على كل واحد من أهل البلد في كل سنة أن يضيفه هو وجنوده يوماً، فقالت لها مريم: لا تحزني، فإن لي ابناً لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، وطلبت مريم من عيسى عليه السلام أن يدعو لهم، فقال لها: ربما يصير من ذلك شراً، فقال: قد أكرمونا فلا بد أن ندعو لهم، فأمرهم أن يملؤوا القدور والخوابي ماء، فاستحالت القدور مرقاً ولحماً، واستحالت الخوابي خمراً، فأكل الملك هو وجنوده وشربوا، وأنكروا حسن الطعام والشراب ولذته، فتفحص الملك عن ذلك، فأخبره الرجل بدعوة عيسى لهم، وكان للملك ابناً قد مات قريباً، فقال: إن رجلاً أجاب الله دعاءه في الطعام ليجيب دعوته في إحياء ابني، فسأل من عيسى أن يسأل الله تعالى في حياة ابنه، فقال له

= فيقول: نعم، فيقول: خبأت لك كذا وكذا، فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها: أطعميني ما خبأت لي! فتقول: وأي شيء خبأت لك؟ فيقول: كذا وكذا. فتقول: من أخبرك؟ فيقول: عيسى ابن مريم. فقالوا: والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم، فجمعوهم في بيت وأغلقوا عليهم، فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم، فسمع ضوضاءهم في بيت، فسأل عنهم. فقالوا: إنما هؤلاء قردة وخنازير. قال: اللهم كذلك، فكانوا كذلك.

(١) والحُبُّ: الجرة الضخم.

(٢) هذه القصة مأخوذة من العرائس للثعلبي: ٢١٩ بتصرف قليل.

عيسى عليه السلام بشرط أن تتركوني أتوجه عنكم، فدعا الله ـ جلّ شأنه ـ، فأحيى ابن الملك.

فلما رأى أهل البلد ذلك قالوا: قد ظلمنا الملك كثيراً، فلما أراد أن يموت يريد أن يظلمنا ابنه كذلك فاقتلوهم وإياه، فتركهم عيسى عليه السلام وخرج من البلدة[1].

وكانت هذه من معجزاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وهدى الله به أناساً كثيرين[2]، فمنهم الحواريون: وهم أنصاره وخاصته، فتوجه بهم راجعين إلى بني إسرائيل وأظهر الدعوة فآمن به من سبقت له السعادة، وكفر به من سبقت له الشقاوة، وبعث أتباعه وتلاميذه إلى الأقطار لإشاعة الخير وإفادة المعرفة بالله عز وجل، وكان من أرسلهم رجلين من جماعته إلى أنطاكية[3]، وهما اللذان ذكرهما الله عز وجل في كتابه العزيز. فلما وصلا خارج المدينة رأيا رجلاً يرعى فسألهما عن شأنهما، فأخبراه أنهما رسولان لتعليم الإيمان بالله تعالى ومعرفة جلاله وكبريائه، ويسألهما: هل لكما علامة على ذلك ودلالة؟ فقالا: نعم، نبرئ الأكمه والأبرص، ونشفي المرضى ونحيي الموتى بإذن الله تعالى، وكان عنده ابن مريض، فدعوا له فشفي فآمن بهم، وكان يقال له: حبيب النجار، وليس هذا حبيب الذي كان في زمن موسى عليه السلام.

ثم دخلا أنطاكية ودعوا إلى الله ـ جلّ شأنه ـ، وبرهنوا بشفاء الأمراض والأسقام، فهدى الله عز وجل بهم أناساً وبلغ خبرهم الملك، فدعاهم وسألهم عن

---

(١) لم أعثر على مرجع إلا في العرائس: ٢١٩.

والقرآن لا يقرر تفصيل ما حدث، بل ذكر ما أغنانا عن ذلك من المعجزات التي أيدت على نبوة عيسى عليه السلام، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

(٢) في (ح): «كثيرون».

(٣) علّق ابن كثير على هذه القصة بأن القرية ليست أنطاكية، وسأذكر ما قاله في آخر القصة.

شأنهم وما يدعون إليه، فذكروا أنهم يدعون إلى تعظيم الله تعالى وتوحيده[1]، وخلع عبادة ما سواه، وكانت الروم واليونان عبدة أصنام. فأعرض الملك عنهما وأمر بحبسهما حيناً، وقال: لعلّي أنظر في شأنهما، فبلغ عيسى عليه السلام حبس أصحابه، فأرسل إليهم أكبر أصحابه وتلامذته وأعزّهم وهو شمعون الصفا، وهو الذي قال ﷻ في شأنه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]، وكان شمعون صاحب فطنة ومعرفة وهو رئيس الحواريين، فدخل المدينة وتلطف وصحب حاشية الملك وصاحبهم بما حسن موقعه لديهم، فأعجبوا به كثيراً، فأوصلوا خبره إلى الملك فاستدناه وجالسه ونادمه فوجده غاية ونهاية في حسن المخاطبة ولطف المحادثة، وكان يظهر بهم أنه على دينهم وعلى ما هم عليه، فلما مضت مدة وعلم أن الملك قد استأنس به، فجرى ذكر الرجلين المحبوسين، فقال له شمعون: هل سألتهما عن حقيقتهما وما هما عليه، وهل طلبت منهما بينة على ما يدعون ودليلاً على ذلك، فقال: لا لأني غلبني الغضب أن أستفسر عن هذا الشأن، فأشار إليه يدعوهم ويسألهم واستفسر عن شأنهم، فدعاهم وسألهم ما يدعون إليه، فقالا: ندعو إلى الله ﷻ إلٰهنا وإلٰه كل شيء، فقال لهم شمعون: صفا إلٰهكما وأوجزا، فقالا: إلٰهنا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال لهما: وهل لكما علامة على صدق ما ادعيتماه؟ فقالا: نعم، نبرئ الأكمه، وهو الذي ولد لا أعين له بإذن الله ﷻ، فأحضر الملك غلاماً ممسوح العينين فوضعا في عينه طيناً مقدار العينين، ثم نفخا فيهما بإذن الله تعالى، فصار له عينان وأبصر، فلما رأى الملك ذلك عجب منه، فخلى شمعون بالملك وقال له: هل يمكن لو دعونا هؤلاء الأصنام تفعل كما فعل رب هؤلاء؟ [[2]فقال له الملك: أنت منا لا خفاء عليك لا تقدر هذه الأصنام أن تفعل شيئاً، ثم قال للملك: سلهم أن يحيوا ميتاً قد مات، فسألهم الملك فقال لهم، فأحضر ابناً لدهقان[3] قد مات منذ سبعة أيام، فأحيوه بإذن الله تعالى، وقام صحيحاً وأخبرهم أن ما هم عليه باطل، وأن ما يدعو إليه هؤلاء حق، وأخبرهم أنه رأى شاباً حسن الوجه يدخل

---

(١) في (ح): «وتوحيد» بدون هاء الضمير.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح)، ويبدأ من هنا، وينتهي في قصة بخت نصر ص٢٩١.

(٣) الدهقان: التاجر.

هؤلاء الثلاثة معه العالم العلوي وأشار إلى شمعون أيضاً، فآمن حينئذ الملك هو وكثير من أتباعه، وكفر أهل المدينة وأرادوا إهلاك الرسل فخرجوا من بين أظهرهم، وأقبل حبيب النجار الذي آمن أولاً، وهو المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٠ ـ ٢٢]، فنصح أهل المدينة وعرَّفهم جلالة المرسلين وما هم عليه من الحق، فاجتمعوا عليه وقتلوه، فرفع الله روحه للعالم العلوي وحضائر التقدير، وذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [يس: ٢٦]. ثم أهلك الله بعد موته من كفر من أهل المدينة بصيحة واحدة[1]، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس: ٢٨، ٢٩][2].

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٥/ ٦١٠: وقد نقل عن كثير من السلف أن هذه القرية هي (أنطاكية)، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ. وفي ذلك نظر من وجوه.

أحدها: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ﷻ، لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يسٓ: ١٤ ـ ١٧].

ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم. وكانت أول مدينة آمنت بالمسيح.. فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت، فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم ـ والله أعلم ـ.

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وغير واحد من السلف: أن الله ـ تبارك وتعالى ـ بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين.

ذكروه عند قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص: ٤٣].

فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية... أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك ـ والله سبحانه وتعالى أعلم ـ.

(٢) وذكر القرطبي القصة في تفسيره: ١٥/ ١٤ بنحو ما ذكره المؤلف.

ومن قصصه العجيبة - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - قصة (المائدة) التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم، وذلك أنه سأل الحواريون قبل ثبوت قدمهم ورسوخهم في المعرفة من عيسى عليه السلام أن يسأل الله عز وجل أن ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم عيداً وسروراً وعلامة على صحة النبوة وتثبتاً وزيادة في الإيمان واليقين، فلما سألوه ذلك لبس عيسى عليه السلام صوفاً، وسأل الله عز وجل وقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤]، فنزلت سفرة بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها، وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم، وأكل منها المرضى فعوفوا بإذن الله تعالى، وكانت آية عظيمة ونعمة عليهم من الله جليلة، ثم رفعت وكانت تنزل أياماً يوم بعد يوم[1]، وذلك قول الله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ

---

(١) اختلف العلماء في (المائدة) هل أنزلت عليهم أم لا؟ وما كانت؟ فقال بعضهم: نزلت وكانت حوتاً وطعاماً فأكل القوم منها ولكنها رفعت بعدما نزلت بأحداث منهم أحدثوها فيما بينهم.

وقال وهب بن منبه: نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات. وقال آخرون: كانت (المائدة) تنزل وعليها ثمر من ثمار الجنة، وقال آخرون: كان عليها من كل طعام إلا اللحم.

وقال آخرون: لم ينزل الله على بني إسرائيل مائدة، ثم اختلف قائلوا هذه المقالة: فقال بعضهم: إنما هذا مثل ضربه الله تعالى لخلقه نهاهم به عن مسألة نبي الله الآيات.

وقال آخرون: إن القوم لما قيل لهم: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

استعفوا منها فلم تنزل.

ذكر هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره: ٧/ ٨٦.

قلت: والقول الذي تطمئن به النفس هو ما اختاره ابن جرير بعد ذكره هذه الأقوال، حيث يقول:

والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه؛ فإن الله تعالى لا يخلف وعده ولا يقع في خبره الخلف، وقد قال تعالى مخبراً في كتابه عن إجابة نبيه عيسى ﷺ حين سأله ما سأله من ذلك إني منزلها عليكم، ثم لا ينزلها؛ لأن ذلك منه تعالى خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر. ولو جاز أن يقول: إني منزلها عليكم، ثم لا ينزلها عليهم جاز أن يقول: فمن يكفر بعد منكم فإني معذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة، وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك. =

﴿مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ . . .﴾ إلى آخر الآيات [المائدة: ١٢ ـ ١٥].

ولما شك فيها بعض أهل البغي ونسب ذلك إلى السحر؛ قال الله تعالى مخاطباً لعيسى عليه السلام: من كفر بعدما أنزلت عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين[(١)].

ولما بلغ عيسى من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة[(٢)] اجتمع اليهود على قتله، فأخبره الله عز وجل بذلك، وأخبره أني رافعك إلى السماء وإلى العالم العلوي المقدس عن الأعراض والعلل، فلما هموا بقتله دخل بيتاً ليس فيه منفذ، فرفعه الله عز وجل من شقق ذلك البيت وأدخل اليهود رجلاً ينظر لهم أين هو؟ فلما أبطأ عليهم الرجل دخلوا لينظروا إليه، فإذا هو قد ألقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام فأخذوه وصلبوه[(٣)].

= وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فإن يقال: كان عليها مأكول، وجائز أن يكون سمكاً وخبزاً، وجائز أن يكون كان ثمراً من ثمار الجنة، وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به إذا أقر تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل.

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة].

قال ابن جرير في تفسيره: ٨/٧ عند تفسير هذه الآية:

وهذا جواب من الله تعالى القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألة ربهم من إنزاله مائدة عليهم فقال تعالى: إني منزلها عليكم أيها الحواريون فمطعمكموها فمن يجحد بعد إنزالها عليكم وإطعاميكموها منكم رسالتي إليه، وينكر نبوة عيسى صلى الله عليه وسلم، ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من عالمي زمانه، ففعل القوم، فجحدوا وكفروا بعدما أنزلت عليهم، فعذبوا بأن مسخوا قردة وخنازير.

(٢) عن سعيد بن المسيب أنه قال: يرفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٩٥، وزاد المسير: ١/ ٣٩٧.

(٣) وفي البداية والنهاية: ٢/ ٩٢: . . . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أراد الله أن رفع عيسى إلى السماء فخرج على أصحابه، وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثني عشرة مرة بعد أن آمن بي.

ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال: أنا ـ هكذا ثلاث مرات ـ فقال: أنت هو ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة، في البيت إلى السماء. =

وقد اختلفوا هل مات عيسى عليه السلام ثم أحياه الله تعالى بعد الرفع أو رفع حياً؟[1]، الله أعلم بذلك.

وهذا آخر ما أوردناه من قصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ المذكورين في القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

= قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه، فقتلوه، ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق.

فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء، ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون...

قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم... وهكذا ذكر غير واحد من السلف.

(1) اختلف العلماء في ذلك على أقوال، وسببه اختلافهم في معنى «التوفي» في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ الآية [آل عمران: ٥٥].

أحدها: أنه بمعنى الرفع فمعنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك من الأرض وافياً تماماً من غير أن نال منك اليهود شيئاً.

الثاني: أنه بمعنى الموت ففي الآية تقديم وتأخير تقديره: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد ذلك.

الثالث: أن المراد بالوفاة هنا النوم، لأنها أخوان ويطلق كل منهما على الآخر.

الرابع: أن المراد بالوفاة موت القوى الشهوانية العائقة عن إيصاله بالملكوت.

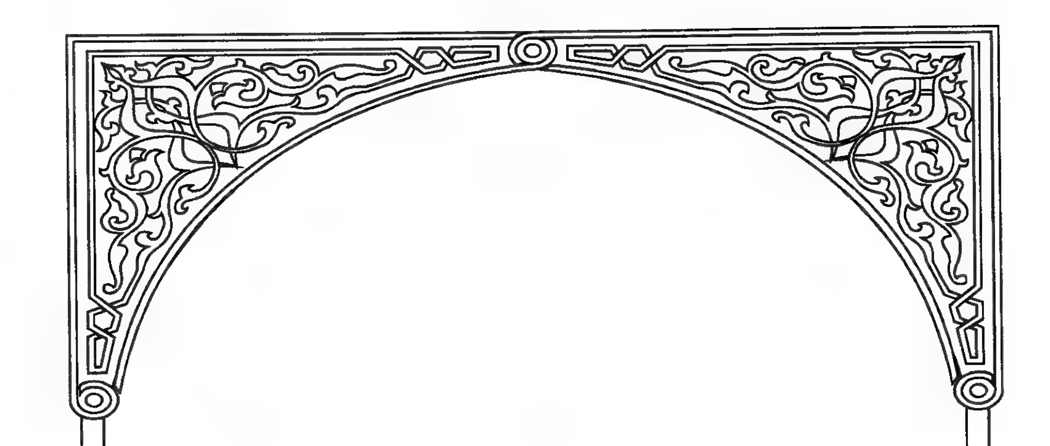
الخامس: عن وهب أن الله تعالى توفي عيسى سبع ساعات ثم أحياه.

وقيل غير ذلك.

والقول الذي تميل إليه النفس القول الأول: أن «التوفي» بمعنى الرفع.

فقد قال القرطبي في تفسيره: إن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم. وهو اختيار الطبري حيث يقول: وأولى الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك إني قابضك من الأرض ورافعك لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليهبطن الله عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية..» الحديث. رواه أحمد في مسنده: ٢/ ٢٩٠، ورواه مسلم: ١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

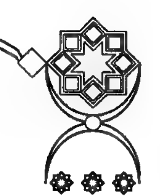
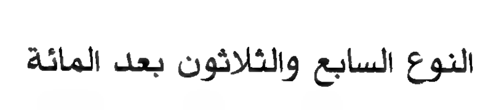
انظر: تفسير الطبري: ٦/ ٤٥٨، وتفسير القرطبي: ٢/ ١٠٠، وتفسير ابن الجوزي: ١/ ٣٩٦، وتفسير الآلوسي: ٣/ ١٧٩.



النوع السابع والثلاثون بعد المائة

علم من ذكر في القرآن الكريم من الملوك والأمم غير الأنبياء

- عليهم الصلاة والسلام -

علم من ذكر في القرآن الكريم من الملوك والأمم غير الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ[1]

وقد أفردنا ذلك في النوع المتقدم قبله[2]، ذكرنا فيه أخبار الأنبياء عليهم السلام على الاختصار. وهذا النوع يذكر فيه قصة الملوك والأمم السالفة.

قصة شداد بن عاد

وصفة المدينة التي بناها يريد أن يشابه الجنة التي ذكرها الله تبارك وتعالى على لسان أنبيائه عليهم السلام، لما بعثهم الله ـ جل شأنه ـ إليه وأخبروه بما أعد الله عز وجل لعباده المؤمنين، ووصفوا له الجنة، فقال شداد: أنا أصنع مثل هذه الجنة التي وصفت، فأمر أن يؤتى بآلات الصنائع وأهل المعرفة بالبناء والنجارة وبصائر الحرف والأعمال العجيبة الغريبة، وحشروا إليه من سائر الأرض؛ لأنه كان قد ملك الأرض جميعاً، وعاش من العمر نحواً من ستمائة عام، فبنى هذه المدينة، وجعل فيها من القصور والغرف له ولأتباعه وأهل بلده منازل عظيمة، وأجرى فيها الأنهار، وحفها بالأشجار، وفرش أرضها بالزعفران والمسك، وفرش مقاعدها بالديباج والأرائك، فلما تمت توجه إليها هو وجنوده في مركب عظيم، فأرسل الله ـ جل شأنه ـ عليه الموت بعد أن عاينها وهلك في الهالكين، ورفعت المدينة. وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٦ ـ ٨][3].

---

(١) لم يذكره الحافظ السيوطي في الإتقان.

(٢) وانظر: النوع السادس والثلاثين بعد المائة علم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن.

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره: ٤٦/١٠ وما بعدها نحوه، وانظر: تفسير الصاوي: =

وقد قيل في تفسير الآية غير ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ.

قصة أهل البئر المعطلة وأهل القصر المشيد

وهي المذكورة في قول الله ﷻ: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: ٤٥].

وأما أهل البئر المعطلة فإنهم أقاموا دهراً يعبدون الله ﷻ وتناسلوا وتوالدوا، ثم حببت إليهم عبادة الأصنام فعبدوا غير الله ﷻ، فنبأ الله رجلاً يقال له: حنظلة[1] بن صفوان، فنهاهم عن عبادة الأصنام، وأخبرهم أنها لا تغني عنهم شيئاً، وأنهم إن لم يرجعوا أهلكهم الله ﷻ، كما أهلك قبلهم عاداً وثمود، فلم يرجعوا وهموا بقتله، فنجّاه الله ﷻ منهم[2]، وأخرب بئرهم التي كانوا يغتبكون بها، وصاحت فيهم ملائكة العذاب فهلكوا جميعاً[3].

= ٣١٦/٢ وما بعدها، وتفسير الجمل: ٥٢٢/٤ وما بعدها.

قال ابن كثير في تفسيره: ٢٨٤/٧ وما بعدها تعليقاً على ما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآيات من سورة (الفجر). من ذكر مدينة يقال لها: «إرم ذات العماد» مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها... إلى آخرها.

قال:... لا نغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: «إرم ذات العماد» مبينة بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها... فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

(١) (ح): «بياض».

(٢) لم أعثر على مرجع أن الله تعالى نجى نبيه حنظلة بن صفوان من قومه، بل المراجع التي اطلعت عليها ذكرت أن قومه قتلوه، فأهلكهم الله. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١، وتفسير القرطبي: ٧٥/٦، والبداية والنهاية: ٢٤٦/١، وغيرها.

(٣) **قلت**: بعد البحث والاطلاع في كتب التاريخ وكتب التفاسير تبين لي أن أهل البئر المعطلة هم أصحاب الرس، وهم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ﵇، والله أعلم. قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق: ١١: إن أصحاب الرس كانوا بحضور، فبعث الله إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه.. فأهلك الله أصحاب الرس.. وانظر: البداية والنهاية: ٢٤٦/١: فقد ذكر المفسرون في تفاسيرهم: أن البئر الرس، وكانت باليمن، في بلدة يقال لها: حاضراء نزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح ﵇ =

وأما أهل القصر المشيد، فأقاموا متمسكين بدين نبي الله صالح عليه السلام، وتوالدوا وتناسلوا على ذلك، ثم ظهر فيهم ملك جبار ذو شوكة وقوة فبنى قصراً عظيماً وأتقنه وشيد بنيانه؛ أي رفعها وأعلاها، وكان جباراً طاغياً سفّاكاً للدماء، فبعث الله ـ جل شأنه ـ نبياً من أنبيائه، فنصحه ووعظه، فقتله ولم ينكر أهل بلده عليه صنيعه، فغضب الله عز وجل، فأرسل إليهم ملكاً من ملائكته، فصاح بهم فهلكوا جميعهم، وبقي القصر المشيد خالياً خاوياً، وهو باقٍ عبرة للمعتبرين وتنبيهاً للغافلين.

قصة أصحاب الرس[1]

وهم الذين قال الله ـ جل شأنه ـ فيهم: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ [الفرقان: ٣٨].

وأما أصحاب الرس[2]، فمساكنهم أرض حضرموت، وكانت مدينتهم طولها أربعون ميلاً وعرضها كذلك، وسموها باسم ملكهم الرس، وكانوا متنعمين

= وأمّروا العلس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً،ثم كفروا وعبدوا صنماً، وأرسل الله تعالى إليهم حنظلة بن صفوان نبياً، فقتلوه، فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وحرب قصورهم».
انظر: تفسير القرطبي: ٦/ ٧٥، وتفسير الخازن: ٥/ ١٧، وحاشية الجمل: ٢/ ١٧.

(١) اختلف العلماء في المراد بأصحاب الرس: فقيل: هم أهل قرية من قرى ثمود. وقيل: هم أصحاب يس. وقيل: فلج من قرى اليمامة. وقيل: بئر رسوا فيها نبيهم؛ أي: دفنوه فيها. واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة (البروج). فقال في تفسيره: ١٩/ ١٤ بعد ذكر الأقوال في المراد بأصحاب الرس: والصواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرس في كلام العرب: كل محفور، مثل البئر، والقبر ونحو ذلك.. ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة، ذكرهم الله في كتابه، إلا أصحاب الأخدود. وعلق ابن كثير في البداية والنهاية بأن اختيار ابن جرير ضعيف؛ لأن الله صرح بهلاك أصحاب الرس وذكر: في قصة أصحاب الأخدود بالوعيد في الآخرة إن لم يتوبوا، ولم يذكر هلاكهم ـ والله أعلم ـ. انظر: البداية والنهاية: ١/ ٢٢٨.

(٢) وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١ إن أصحاب الرس كانوا بحضور ـ جبل، وبلد (باليمن) ـ فبعث الله إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان، فكذبوه وقتلوه، فسار عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده من الرس، فنزل الأحقاف، وأهلك الله أصحاب الرس وانتشروا في اليمن كلها، وفشوا مع ذلك في الأرض كلها..).

ومتمتعين، فعبدوا الأصنام، وفشت فيهم الفواحش، فأرسل الله ـ جل شأنه ـ نبياً من أنبيائه يقال له: صفوان[1]، فدعاهم إلى الله ﷻ، ونهاهم عن المعاصي فلم يسمعوا، وأقام فيهم يدعوهم إلى الله ﷻ، فلم يقبلوا فغضب الله ـ جل شأنه ـ عليهم ومسخهم كلهم ومدينتهم أحجاراً سوداً.

قصة السبت[2]

وهم المذكورون في قوله عز من قائل: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف].

وكان الله ﷻ قد أمر بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام بتعظيم يوم السبت واتخاذه عيداً، وأن لا يحدثوا فيه شيئاً من الحركات، ولا يصاد فيه صيد البر ولا سمك البحر، فمضوا على ذلك مدة من الزمن وهم يعظمون هذا اليوم ويحتفلون به، وكان الله ـ جل شأنه ـ قد أوقع في قلوب الحيوانات مغرقة[3] إلا من يوم السبت، فكانوا يخرجون سارعين في البحر فلم يعترضهم أحد، وفي غير يوم السبت يبعدون ولا يظهرون[4]، وقد

---

(١) وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٢٢٧ قول ابن عساكر وقول السهيلي بأن هذا النبي اسمه حنظلة بن صفوان، ولم أجد من العلماء من يقول: إنه صفوان، كما ذكره المؤلف.

(٢) هم أصحاب أيلة، كانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت، ثم اعتدى بعضهم في سبتهم، فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين، فرقة أنكروا عليهم صنيعهم، وفرقة لم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا، فأنجى الله الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، وأخذ الذين ظلموا فأصبحوا قردة.

انظر: البداية والنهاية: ٢/ ١٢١، ١٢٢.

(٣) مغرقة: البعد عنهم.

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ١٢١:

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم: هم ـ أي أصحاب السبت ـ هم أهل أيلة، زاد ابن عباس بين مدين والطور. قالوا: وكانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان، فكانت الحيتان قد ألفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم، وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه، وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب، فكانت الحيتان في مثل يوم السبت يكثر غشيانها لمحلتهم من البحر، فتأتي من ههنا وههنا ظاهرة آمنة مسترسلة فلا يهيجونها ولا يذعرونها.

ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه العزيز[1].

ثم إن جماعة من بني إسرائيل احتالوا في صيد السمك وأخذه، وكانوا إذا كان عشية الجمعة فتحوا صنادق وأنهاراً، فتأتي الحيتان فتدخل فيها فيتركونها يوم السبت ولا تستطيع الخروج ويأخذونها في يوم الأحد، فنهاهم عن ذلك أنبياؤهم وعلماؤهم، وانقسم أهل المدينة قسمان؛ قسم كانوا يفعلون ذلك، وقسم كانوا لم يفعلوا.

فلما لم يقبلوا منهم اعتزلوا عنهم، وقسموا المدينة بينهم قسمين، فلما رأى المعتدون أنهم لم يصابوا تجرؤوا أيضاً في يوم السبت وارتكبوا المناهي والمنكرات، وأصروا على الاعتداء، فغضب الله ﷻ عليهم، فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير ثم هلكوا[2].

---

(1) وذلك قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

(2) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/١٢٢:

فلما رأوا ذلك ـ أي كثرة الحيتان يوم السبت ـ احتالوا على اصطيادها في يوم السبت، بأن نصبوا الحبال والشباك والشصوص وحفروا الحفر التي يجري معها الماء إلى مصانع قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها، ففعلوا ذلك في يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علقت بهذه المصايد، فإذا خرج سبتهم أخذوها، فغضب الله عليهم ولعنهم؛ لما احتالوا على خلاف أمره، وانتهكوا محارمه بالحيل التي هي ظاهرة للناظر وهي في الباطن مخالفة محضة، فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين: فرقة أنكروا عليهم صنيعهم هذا واحتيالهم على مخالفة الله وشرعه في ذلك الزمان، وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤]، يقولون: ما الفائدة في نهيكم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لا محالة، فأجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا:

﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾؛ أي فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنقوم به =

قصة بخت نصر(١)

وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ](٢) فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ [الإسراء].

فالفساد الأول هو قتل نبي الله أشعيا(٣) عليه السلام، وقد غضب الله عز وجل على بني إسرائيل بسبب ذلك، وبعث عليهم بخت نصر(٤)، فأهلكهم وخرب بيت المقدس.

= خوفاً من عذابه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: ولعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع فيقيهم الله عذابه عن هذا الصنيع الفظيع.. وإن الذين ارتكبوا هذا الصنع اعتزلهم بقية أهل البلد ونهاهم من نهاهم منهم فلم يقبلوا فكانوا يبيتون وحدهم ويغلقون بينهم وبينهم أبواباً حاجزاً لما كانوا يترقبون من هلاكهم، فأصبحوا ذات يوم وأبواب ناحيتهم مغلقة لم يفتحوها وارتفع النهار واشتد الضحاء، فأمر بقية أهل البلد رجلاً أن يصعد على سلالم ويتشرف عليهم من فوقهم، فلما أشرف عليهم إذا هم قردة لها أذناب يتعاوون ويتعادون ففتحوا عليهم الأبواب، فجعلت القردة تعرف قراباتهم ولا يعرفهم قراباتهم، فجعلوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون: ألم ننهكم عن صنيعكم، فتشير القردة برؤسها أن نعم.. وصار شباب القرية قردة وشيوخها خنازير.. وإنهم لم يعيشوا إلا فواقاً ثم هلكوا ما كان لهم نسل...

(١) بخت نصر هو: مجوسي من أهل بابل دخل بيت المقدس ووطئ الشام كلها، وقتل بني إسرائيل، وقذف الكناسات في بيت المقدس وذبح فيه الخنازير وأعانه على ذلك النصارى ططوس الرومي وأصحابه، وذلك من أجل أن اليهود قتلوا يحيى بن زكريا، وقد سلط أيضاً بخت نصر على العرب، فنال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني إسرائيل. انظر: تفسير الخازن: ١/٩٨، والبداية والنهاية: ٢/٣٨، ٢١٢.

(٢) إلى هنا السقط من (ح) والذي بدأ من صفحة ٢٧٩ عند قوله: «فقال له الملك».

(٣) قاله ابن إسحاق، والسبب في قتلهم أشعيا عليه السلام هو أنه قام فيهم برسالة من الله ينهاهم عن المعاصي.

انظر: زاد المسير: ٥/٨.

(٤) روى ابن جرير في تفسيره: ١٥/٢٩، ٣٠ عن سعيد بن المسيب يقول: ظهر بخت نصر على الشام، فخرب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق فوجد بها دماً يغلي على كبا (في القاموس الكبا كإلى: الكناسة، وتثنيتها كبوان والجمع أكباء) فسألهم ما هذا الدم؟ فقالوا: أدركنا آباءنا على هذا، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر، قال: فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم فسكن. =

وهذه القصة مساقة بعضها في قصة نبي الله أرميا[1]، وبعضها في قصة نبي الله دانيال[2] عليهما السلام.

قصة الإسكندر ذي القرنين

وهو إسكندر بن فيلسوف الملقب بذي القرنين، وهو المذكور في قول الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ . . . حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ. . .﴾ إلى آخر الآيات [الكهف: ٨٣ ـ ٩٨].

وليس هو ذا القرنين القديم الأكبر؛ فإن ذلك ملك عظيم صالح، وكان في زمن الخليل عليه السلام[3].

= قال ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٢٨٢ بعد ذكر رواية ابن جرير: وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب، وهذا هو المشهور. وانظر: البداية والنهاية: ٢/ ٤٢.

(١) أما التي في قصة نبي الله أرميا عليه السلام فهي كما يلي: قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٤٢: قال هشام الكلبي: ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها، وكان من آل داود، وصانعه عن بني إسرائيل، وأخذ منه بختنصر رهائن ورجع، فلما بلغ «طبرية» بلغه أن بني إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لأجل أنه صالحه، فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع إليهم فأخذ المدينة عنوة، وقتل المقاتلة وسبى الذرية. قال: وبلغنا أنه وجد في السجن (أرميا) النبي فأخرجه، وقص عليه ما كان من أمره إياهم وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه، فقال بخت نصر: بئس القوم قوم عصوا رسول الله، وخلى سبيله وأحسن إليه. .

(٢) وأما التي في قصة نبي الله دانيال عليه السلام، فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٤٢: . . عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: ضرا ـ أي عود وضرب ـ بخت نصر أسدين فألقاهما في جب، وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجاه ـ أي لم يثيراه ولم يقاتلاه ـ فمكث ما شاء الله، ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب، فأوحى الله إلى أرميا ـ وهو بالشام ـ أن أعد طعاماً وشراباً لدانيال. . . ففعل، وأرسل إليه من حمله وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب، فقال دانيال: من هذا؟ قال: أنا أرميا، فقال: ما جاء بك؟ فقال: أرسلني إليك ربك، . . . فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره. . .

(٣) وفي البداية والنهاية: ٢/ ١٠٣، ١٠٥، ١٠٨: قال إسحاق بن بشر عن سعيد بن بشر عن قتادة قال: إسكندر هو ذو القرنين، وأبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام. . وقد روي عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما من السلف: أن ذا القرنين =

وأما ذو القرنين المذكور في الكتاب العزيز فهو الأخير، وهو الذي سار في الأرض، وملك جميع المعمور منها، وبنى السد[1].

وبداية أمره أن أباه فيلسوف كان ملكاً للروم واليونان فأسلمه من صباه إلى المعلم الحكيم أرسطو[2]، فأقام عنده خمس سنين، ولما استشعر أبوه الموت

= حج ماشياً، فلما سمع إبراهيم الخليل بقدومه تلقاه، فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا، ويقال: إنه جيء بفرس ليركبها فقال: لا أركب في بلد فيه الخليل، فسخر الله له السحاب، وبشره إبراهيم بذلك، فكانت تحمله إذا أراد.

وعن ابن عباس ﷺ قال: كان ذو القرنين ملكاً صالحاً ـ رضي الله عمله وأثنى عليه في كتابه، وكان منصوراً، وكان الخضر وزيره وكان على مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم.. وسمي بذي القرنين لأنه ـ كما قيل ـ بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك بينهما من الأرض قاله الزهري...

قلت: وهذا الذي في زمن الخليل هو المنطبق في القرآن الكريم ـ والله أعلم ـ.

(١) ما ذكره المؤلف من أن ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم هو ذو القرنين الأخير الرومي خطأ جلي، حيث إنه كان مشركاً ووزيره أرسطاطاليس فيلسوفاً، والصحيح هو ذو القرنين الأول الذي في زمن الخليل ﷺ فإنه كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً.

قال ابن كثير في تفسيره: ٤١٨/٤: وقد أورد ابن جرير ههنا في تفسيره ٨/١٦ والأموي في مغازيه حديثاً أسنده، وهو ضعيف؛ عن عقبة بن عامر أن نفراً من اليهود جاؤوا يسألون النبي ﷺ عن ذي القرنين، فأخبرهم بما جاؤوا له ابتداء، فكان فيما أخبرهم أنه كان شاباً من الروم وأنه بنى الإسكندرية وأنه علا به ملك إلى السماء وذهب به إلى السدور؛ أي أقواماً وجوههم مثل وجوه الكلاب؛ وفيه طول ونكارة، ورفعه لا يصح وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل. وفيه من النكارة أنه من الروم، وإنما كان الذي من الروم الإسكندر الثاني وهو ابن فيلبس المقدوني، فأما الأول.. أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل ﷺ أول ما بناه، وآمن به واتبعه، وكان وزيره الخضر ﷺ. وأما الثاني فهو إسكندر بن فيلبس المقدوني اليوناني، وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف المشهور ـ والله أعلم ـ.

وقال في البداية والنهاية: ١٠٦/٢ بعد ذكر نسبي ذي القرنين الأول والثاني: ... وإن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً، وكان وزيره الخضر.. وأما الثاني فكان مشركاً وكان وزيره فيلسوفاً، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة، فأين هذا من هذا، لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور.

(٢) أرسطو: هو الذي أشار على الإسكندر بن فيلبس ملك اليونان بعدم قتل الفرس، وأن يولي أكابرهم ومن يصلح للملك كل واحد برأسه مملكة ليحصل بينهم التباغض فقبل الإسكندر ذلك منه.

انظر: المختصر في أخبار البشر: ٤٥/١.

جدد له العهد وولي الملك بعد والده، وعمره يومئذٍ عشرون عاماً، وكانت ملوك الروم جميعها تحمل الخراج لملك الفرس، وكان أبوه يحمل أيضاً إلى دارا[1] ملك الفرس.

فلما توفي والده منع هو الخراج عن ملك الفرس هدده، فأجابه بما يشق عليه وجميع جنوده، فأقبل إليه دارا ملك الفرس بجنود، ووقع القتال فانكسر دارا وقتله الإسكندر[2]، واستولى على الملك في الأرض حتى بلغ أقصى أرض المغرب، ومكن الله ـ جل شأنه ـ له في البلاد والعباد، وأطاعته الجبابرة، وأذاعته الفراعنة، وقصد المشرف فدخل العراق والهند، وتوصل إلى الصين، ولما نزل بجنوده على ملك الصين أتاه ليلاً ملك العين مستخفياً، فدخل عليه وطلب منه أن يصالحه على أمر ويرجع عنه، فطلب منه الإسكندر أموراً عظيمة فامتنع من ذلك، وقال: لا يمكنني الوفاء بها، ثم اتفقا على أمر يحمله له في كل عام وذهب عنه.

فلما أصبح الإسكندر رأى جنود الصين محيطة به، وكانوا قدر جنده أضعافاً مضاعفة، فساء ظنه بهم وقال: لعله غدر بي ومكر علي، فلم يشعر إلا وملك الصين قد أقبل في مركب عظيم، وترحل عن مركبه وقبَّل الأرض بين يدي الإسكندر. فقال: ما السبب فيما رأيت؟ فقال: أردت أيها الملك أريك أن ليس بي ضعف ولا قلة من الجنود عن مقاومتك، وإنما أنا رجل ذو معرفة وحكمة، وأرى إله العالم مؤيدك وناصرك، فلا أحب أن أعارض إله العالم أيده ونصره.

وسار الإسكندر حتى بلغ إلى أرض الترك ويأجوج ومأجوج، وهم أمم

---

(١) هو دارا بن دارا بن بهمن ملك الفرس، وكان حقوداً ظالماً، فنفَّر منه قلوب الخاصة والعامة، وفي زمان دارا تملك الإسكندر المشهور ابن فيلبس، فوقع القتال بينهما فقتل دارا، فصار ملك دارا إلى الإسكندر.

انظر: المختصر في أخبار البشر: ١/ ٤٤.

(٢) في البداية والنهاية: ٢/ ١٠٥:

المقدوني اليوناني المصري باني إسكندرية كان متأخراً عن الأول بدهر... وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

قلت: والمذكور في القرآن هو الأول، كما ذكرناه.

عظيمة لا يحصيهم إلا الله ﷻ، وهم أولاد يافس بن نوح عليه السلام، فطلب من إسكندر الأمم المجاورون ليأجوج ومأجوج أن يجعل بينهم سداً؛ لأن يأجوج ومأجوج لكثرتهم كانوا يفسدون كثيراً ويؤذون الأمم المجاورين لهم، فأمر ببناء السد، وكان هناك جبلان عظيمان بينهما الطريق، فوضع الحجارة العظيمة وصب الرصاص والنحاس، ورفع السد إلى أن ألحقه بعنان السماء، فامتنعت أذية يأجوج ومأجوج عن الأمم.

ورجع الإسكندر فتوفي بأرض بابل راجعاً مسموماً، وكان عمره اثنين وثلاثين عاماً[1]، وقتل من الملوك خمسة وثلاثين ملكاً، وبنى اثنتي عشرة مدينة منها: هران، ومرة، وسمرقندي، والإسكندرية، ولما توفي وضع في تابوت من ذهب وحمل أكتاف الملوك، ودفن بالإسكندرية ـ رحمه الله تعالى ـ[2].

---

(١) وفي البداية والنهاية: ٢/١٠٩:

. . . قيل: كان عمره اثنتين وثلاثين سنة. . وكان ملكه ست عشرة سنة، وهذا. . إنما ينطبق على إسكندر الثاني لا الأول. .

(٢) ما ذكره المؤلف في قصة ذي القرنين من أوله إلى آخره هو الإسكندر المقدوني الرومي، وهو الإسكندر الثاني، وهذا غلط من المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لأن المذكور في القرآن ملك مؤمن صالح عادل، وهذا الذي ذكره المؤلف ملك كافر مشرك رومي. ـ والله أعلم ـ.

وهناك رأي جديد لأبي الكلام أزاد قدمه أحمد حسن الباقوري في ذي القرنين وأجاد فيه في كتاب «ويسألونك عن ذي القرنين» وملخصه:

ـ خصائص ذي القرنين المذكورة في القرآن انظر: الآيات (٨٣ ـ ٩٨) من سورة (الكهف).

ـ ذو القرنين أعطاه الله الملك، وهيأ له أسباب الحكم والغلبة.

ـ كانت مهمته الحربية الكبرى ثلاثاً ـ غربية: إلى مكان كان له المغرب، فوجد الشمس هناك كأنها تغرب في عين حمئة، وشرقية: حتى بلغ أرضاً لا عمران فيها، ومكان مضيق جبلي وراءه يأجوج ومأجوج.

ـ أقام الملك سداً في المضيق الجبلي لمنع غارات يأجوج ومأجوج.

ـ كان الملك مؤمناً بالله وبالآخرة.

ـ كان الملك ملكاً عادلاً رحيماً برعيته لا يبيح الفتك والقسوة بالمفتوحين.

ـ لم يكن حريصاً على المال.

فقد اختلف المفسرون في تعيين ذي القرنين ذي أوصاف كهذه. فقيل: هو ملك حميري سمي بذي القرنين، حيث إنه بنى السد، ولكن هذا السد ليس لصد هجمات قوم، وليس =

. . . .

= سداً حديدياً. وعلى هذا لا ينطبق بحال على ذي القرنين.

وقيل: هو الإسكندر المقدوني، حيث اشتهر بملكه وانتصاراته في الشرق والغرب، فيكون هو ذا القرنين، إلا أنه ما كان مؤمناً بالله، ولا شفيقاً عادلاً مع الشعوب المغلوبة، ولم يبن سداً في حياته كلها.

ثم ذكر المؤلف الملك غوروش:

أنه كانت له انتصارات الأول في الغرب، والثانية في الشرق، والثالثة في الجنوب، وكان من متبعي الدين الزردشتي. ثم علق الشيخ أبو الكلام على الملك غوروش هذا أن شخصية الملك غوروش تطابق مطابقة تامة مع ما ذكره القرآن من شخصية ذي القرنين.

*** ذو القرنين المذكور في القرآن وغوروش ***

أولاً: إن أول ما وصف به القرآن ذا القرنين هو قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف]، وهذا مطابق تماماً بغوروش، فقد بدأ حياته في ظروف أحاطت بها الحوادث المحيرة للعقول، أنه ينشأ في الغابات والجبال، ويعيش عيشة الرعاة المجهولين، فبينما هو كذلك إذ تتغير الأحوال بغتة، وتقوده إلى ساحات الجد والعمل، فيخلو له عرش (مادا) بدون مزاحمة.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾. انظر كيف تطابق هذه الكلمات من الآية الأمر الواقع، أن الشاب الذي كان بالأمس راعياً مجهولاً، قد استوى اليوم على عرش الملك.

ثانياً: ثم ذكر القرآن لذي القرنين ثلاث مهمات، كانت الأولى منها إلى مغرب الشمس؛ أي جهة الغرب، ولا ريب أنها كانت مهمة (ليديا)؛ لأنك إن مشيت من إيران الشمالية إلى آسيا الصغرى تكون قد مشيت نحو الغرب تماماً.

ثالثاً: كانت مهمته الثانية إلى مشرق الشمس؛ أي جهة الشرق، إنها كانت قبائل (بكتريا)؛ أي بلغ.

والظاهر أنها قبائل (غيدروسيا) الواقعة بين (إيران الجنوبية والسند)، وهي البلاد المسماة الآن بـ (مكران وبلوخستان).

وهذا يطابق ما قاله القرآن: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الكهف].

أي أنه لما وصل إلى نهاية الشرق رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم ما يسترون به؛ أي: أنهم كانوا من القبائل الراحلة التي لا تسكن المدن ولا تبنى لها البيوت، وهي: (بلخ).

رابعاً: وقام بهجوم ثالث على بلاد جبلية، وفي ورائها يأجوج ومأجوج وهنالك بنى السد.

كانت مهمته الثالثة وصل بها تاركاً على يمينه بحر (الخزر) إلى جبال القوقاز، حيث وجد مضيقاً بين جبلين منها. =

= ذكر القرآن هذا الخبر قائلاً: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف].

والمقصود بسدين مضيق في جبال القوقاز، إنك تجد على يمين القوقاز بحر (الخزر) وعلى اليسار البحر الأسود، وفي الوسط سلسلة جبالها الشاهقة، فلم يكن هنالك منفذ للمهاجمين من الشمال إلا مضيق وسطي، فبنى غوروش في هذا المضيق سداً حديدياً.

* أوصاف ذي القرنين الأخلاقية في القرآن *

أولها: عدله وحبه لرعيته، لنرى إلى أي حد ينطبق هذا الوصف على حياة غوروش.

إن الله تعالى قال له في شأن الذين وجدهم في الغرب: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

لا شك في أن هؤلاء كانوا الشعب اليوناني في (ليديا) هاجمه ملكهم بدون حق، والآن بعد أن خاب سعيه وعاد كيده في نحره، كان لغوروش أن يعاقبه عل سوء عمله، لكن لا يعاقبهم بل يعفو عنهم.

أحل من يأتي بمنكر بعد هذا ينل جزاء عمله، ثم يرد إلى الله تعالى ليعاقبه عذاباً أشد.

وأما من يعمل الخير ويطع أمري فأجزيه بالحسنى، وهكذا ما قاله القرآن: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف].

وقد اتفقت كلمة مؤرخي اليونان على أن ما فعله غوروش بعد فتحه (ليديا) لم يكن العدل فحسب، بل كان أكثر من ذلك، كان له سماحة ومرحمة كرماً ونبلاً.

* معتقدات ذي القرنين في القرآن وغوروش *

من أوصاف ذي القرنين إخلاصه العبادة لله وحده، وإيمانه بالحياة الآخرة. وإن غوروش كان يدين بالدين الزردشتي، كان هذا الدين الذي أمر بالتوحيد، وإن زردشت كان نبياً من الأنبياء القدماء.

* سد يأجوج ومأجوج *

إن القرآن ذكر أمرين عن السد، وهما أنه بني في مكان ارتفعت الجبال كجدارين على جانبيه، وأن السد استخدمت فيه زبر الحديد وأفرغ عليه النحاس.

وعلى ذلك يجب أن نجد السد في مضيق جبلي، وأن يكون جدار حديدياً.

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف].

توجد في البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال قوقاز، كأنها جدار =

قصة أهل سبأ

قال المفسرون: وكانت أرض سبأ المعيَّنة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥] أخصب بلاد الله، ليس بها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، ويمر الغريب بواديهم وفي ثيابه القمل فيموت(١)، وتخرج المرأة وعلى رأسها بمكتلها، فتعمل بمعزلها وتسير بين الشجرة فيمتلئ مما يتساقط من الشجر(٢)، وهي أكثر من شهرين للراكب المجد طولاً وعرضاً، وأهلها في غاية الكثرة مع إجماع الكلمة والقوة، تخرج المرأة تتردد تبيت في قرية وتقيل في أخرى حتى تأتي الشام، كما قال تعالى:

= طبيعي، وقد سد هذا الجدار الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب إلا مضيقاً في وسط سلسلة الجبال، ويسمى هذا المضيق في أيامنا هذه بمضيق (داريال) ويوجد إلى الآن جدار حديدي من قديم الأزمان، ولا ريب أن هذا هو الجدار الذي بناه غوروش، إذ تنطبق عليه الأوصاف التي وصف بها القرآن.

هذا ملخص ما ذكره الشيخ أبو الكلام الذي قدمه الشيخ أحمد حسن الباقوري، وبعد البحث يمكن أن نقول: إن ذا القرنين الملك غوروش، كما ذهب إليه الشيخ أبو الكلام، حيث إن شخصية ذي القرنين وأحواله تطابق أحوال شخصية الملك غوروش وأحواله.

انظر: كتاب «ويسألونك عن ذي القرنين» تأليف مولانا أبو الكلام آزاد، تقديم أحمد حسن الباقوري: ٧٩ وما بعدها.

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ١٧٥:

«وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب المؤذية؛ لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ]، وفي البحر المحيط: ٧/ ٢٧٠:

قال ابن زيد: لا يوجد فيها برغوت ولا بعوض ولا عقرب ولا تقمل ثيابهم ولا تعيا دوابهم.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ١٧٥:

... ذكر قتادة وغيره: أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها فيمتلئ من الثمار مما يتساقط فيه من نضجه وكثرته.

وفي البحر المحيط: ٧/ ٢٧٠:

وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها المكتل فيمتلئ ثماراً من غير أن تتناول بيدها شيئاً.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [سبأ: ١٨]؛ أي: قرى الشام قرى ظاهرة يرى بعضاً من بعض بمقربها[١]، فبطروا النعمة ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]؛ أي: بمفاوز بينهم وبين الشام يركبون الرواحل[٢]، فعجل الله ـ جل شأنه ـ لهم الإجابة، كما قال عز من قائل: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝١٩﴾ [سبأ: ١٩].

وكانوا يقتتلون[٣] على ماء واديهم، فأمرت بلقيس[٤] بواديهم فسد بالعرم وهو المسناه بلغة حِمْير، فسدت ما بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة ضخمة، وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء، وإذا استغنوا سدوها، وإذا جاء المطر اجتمع إليه أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد، فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة، فكانوا يسقون من الباب الأعلى، ثم من الباب الثاني ثم من الباب الثالث، فلا ينفد الماء حتى يرجع الماء من السنة المقبلة، وكان السيل يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يستقر في واديهم فيجتمع الماء من تلك السيول والجبال في ذلك الوادي، وكان السد فرسخين في فرسخ.

---

(١) وعن زيد بن أسلم وقتادة وغيرهم: ويعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة.

انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٥٤٣.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٥/ ٥٤٤:

وذلك أنهم بطروا هذه النعمة.. وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في منٍّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة.

(٣) في (هـ) و(ح): «يقتلون»، والصواب ما أثبته.

(٤) في البحر المحيط: ٧/ ٢٦٩:

اقتتل قوم بلقيس على ماء واديهم، فتركت ملكها وسكنت قصرها، وراودوها على أن ترجع فأبت، فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك، فقالت لهم: لا عقول لكم ولا تطيعوني، فقالوا: نطيعك، فرجعت إلى واديهم، وكانوا إذا مطروا أتاهم السيل من مسيرة ثلاثة أيام، فأمرت به، فسد ما بين الجبلين بالصخر والقار، وحبست الماء من وراء السد، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة فيها اثني عشر مخرجاً على عدد أنهارهم...

وقيل: بناه لقمان الأكبر العادي، وقيل: سبأ بن يستجب ومات قبل إكماله، فأكمله ملوك حمير وأولاد كهلان بن سبأ ملوك اليمن حينئذٍ. وهم: عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء، وكانت زوجة عمرو تسمى طريفة الحميرية كاهنة وولدت له[1] ثلاثة عشر ولداً، ثعلبة أبو الأوس من الخزرج وحارثة والد خزاعة.

وقيل فيهم غير ذلك، وجفنة والد غسان وحارثة والحارث وعوفاً ولعباً ومالكاً وعمران هؤلاء أعقبوا والثلاثة الباقون لم يعقبوا، وكان لعمرو مزيقيا من القصور والأموال ما لم يكن لأحد فرأى أخوه عمران[2]، وكان كاهناً ولم يعقب أن قومه يتمزقون وتخرب بلادهم فذكر له.

ثم إن طريفة[3] الكاهنة سجعت له بما يدل على ذلك، فقال: وما علامته؟ قالا: إذا رأيت جرذاً يكثر في السد الحفر ويقلب بيده الصخرة.

فلما غضب الله ـ جل شأنه ـ عليهم[4]، وأذن في هلاكهم دخل عمرو

---

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره: ٢٢/٧٦، ٧٧:

عن أبي سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما هو أرض أم امرأة؟ قال رسول الله: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد، فتيامن ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تشاءموا فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان، وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وحمير وأنمار». ورواه الترمذي في سننه كتاب التفسير، باب ومن سورة (سبأ): ٥/٣٦١ أبسط من هذا، ثم قال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) وقال ابن جرير في تفسيره: ٢٢/٨٦:

حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: يزعمون أن عمران بن عامر، وهو عم القوم كان كاهناً، فرأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون...

(٣) قال ابن جرير في تفسيره: ٢٢/٨٦:

قال ابن إسحاق: سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمرو بن عامر، وكانت كاهنة ورأت في كهانتها ذلك ـ والله أعلم. وانظر: تفسير ابن كثير: ٥/٥٤٤.

(٤) هذه القصة التي ذكرها المؤلف قريبة مما ذكره ابن أبي حاتم عن عكرمة، غير أن المؤلف ذكر فأمّر ابن أخيه مكان ابنه، والرواية: فأمّر ابن أخيه؛ هي عن السدي.

كما قال ابن كثير في تفسيره:

وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو ما ذكر محمد بن إسحاق، إلا أنه قال: فأمّر ابن أخيه مكان ابنه... =

مزيقيا فنظر جرذاً تنقل أولادها من باطن الوادي إلى أعلى الجبل، فقال: ما نقلت هذه أولادها من ها هنا إلا وقد حضر أهل هذه البلاد عذاب، فخرقت ذلك العرم فنقبت نقباً، فسال الماء من ذلك النقب إلى جنبه، فأمر بذلك النقب فشد فأصيبوا وقد انفجر بأعظم مما كان، فلم يترك فرجة بين حجرين

= وانظر: سيرة ابن هشام: ١/ ١٣.

وما ذكره ابن أبي حاتم عن عكرمة فقد ذكره ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٥٤٤.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: سمعت أبي يقول: سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبأ قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٥، ١٦].

وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار السماء، فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال، وأنه خبر أن زوال أمرهم قد دنا وأن العذاب قد أظلهم، فلم يدر كيف يصنع؛ لأنه كان له مال كثير من عقار، فقال لرجل من بنيه، وهو أعزهم أخوالاً: يا بني إذا كان غداً وأمرتك بأمر فلا تفعله، فإذا انتهرتك فانتهرني، فإذا لطمتك فالطمني، قال: يا أبت لا تفعل، إن هذا أمر عظيم وأمر شديد، قال: يا بني، قد حدث أمر لا بد منه، فلم يزل به حتى وافاه على ذلك.

فلما أصبحوا واجتمع الناس قال: يا بني، افعل كذا وكذا فأبى، فانتهره أبوه، فأجابه فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه، فلطمه فوثب على أبيه فلطمه، فقال: ابني يلطمني، علي بالشفرة!، قالوا: ما تصنع بالشفرة؟ قال: أذبحه، قالوا: تريد أن تذبح ابنك؟ الطمه، أو اصنع ما بدا لك. قال: فأبى، قال: فأرسلوا إلى أخواله فأعلمهم ذلك، فجاء أخواله فقالوا: خذ منا ما بدا لك، فأبى إلا أن يذبحه، قالوا: فلتموتن قبل أن تذبحه.

قال: فإذا كان الحديث هكذا، فإني لا أرى أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ابني فيه، اشتروا مني دوري، اشتروا مني أرضي، فلم يزل حتى باع دوره وأرضه وعقاره، فلما صار الثمن في يده وأحرزه قال: أي قوم إن العذاب قد أظلكم وزوال أمركم قد دنا، فمن أراد منكم داراً جديداً، وحمى شديداً، وسفراً بعيداً فليلحق بعمان. ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير.. فليلحق ببصرى، ومن أراد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل المغممات في القحل فليلحق بيثرب ذات نخل، فأطاعه قومه، فخرج أهل عمان إلى عمان، وخرجت غسان إلى بصرى، وخرجت الأوس والخزرج وبنو عثمان إلى يثرب ذات النخل، قال: فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان: هذا مكان صالح لا نبغي به بدلاً، فأقاموا به، فسموا لذلك خزاعة؛ لأنهم خزعوا من أصحابهم، واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة، وتوجه أهل عمان إلى عمان، وتوجهت غسان إلى بصرى، قال ابن كثير: هذا أثر غريب عجيب، وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبار سبأ وكهانهم.

إلا وأمر بربط هرة عندها، فما زاد الأمر إلا شدة، وكان الجرذ[1] يقلب صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً.

فلما رأى ذلك دعا ابن أخيه، فقال له: إذا جلست العشية في نادي قومي، فأتني فقل لي: علام تحبس عليَّ مالي، فإني سأقول لك: ليس لك عندي مال ولا ترك أبوك شيئاً، وإنك كاذب، فإذا كذبتك فكذبني، واردد علي مثل ما قلت لك. فإذا فعلت ذلك فإني أشتمك فاشتمني، فإذا شتمتني فإني ألطمك، فإذا أنا لطمتك فالطمني.

قال: ما كنت لأستقبلك بذلك يا عم، قال: بلى فافعل؛ فإني أريد بذلك صلاحك وصلاح أهل بيتك، فقال الفتى: نعم، حيث عرف رأي عمه، فجاء فقال ما أمره به حتى لطمه، فقال الشيخ: يا معشر بني فلان ألطم فيسلم، لا سكنت في بلد لطمني فيه فلان أبداً، من يبتاع مني، فلما عرف القوم منه الجد أعطوه، فنظر إلى أفضلهم عطية، فأوجب له البيع ودعا بالمال. ويحمل هو وبنوه من ليلته.

وفي رواية[2]: أن الثمن لما صار في يده قال: [أي قومي إن العذاب قد أظلكم، وزوال أمركم قد دنا، فمن أراد منكم داراً جديداً وحمى شديداً وسفراً بعيداً[3] فليلحق بعمان، ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير[4] فليلحق ببصرى، ومن أراد منكم الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل، المغيمات[5] في القحل، فليلحق بيثرب ذات النخل]، فأطاعه قوم فخرج أهل عمان إلى عمان، وخرجت غسان إلى بصرى، وخرجت الأوس والخزرج وبنو كعب إلى يثرب[6]، فلما كانوا

---

(١) الجرذ: الذكر من الفئران.

(٢) هي رواية عن عكرمة كما سبق، وهي منقولة عن تفسير ابن كثير: ٥/ ٥٤٤.

(٣) (ح): «فمن أراد منكم داراً جديداً وحملاً شديداً وسفراً سعيداً»، وما أثبته في تفسير ابن كثير: ٥/ ٥٤٥.

(٤) (ح): «والعصيري»، وما أثبته في تفسير ابن كثير: ٥/ ٥٤٥.

(٥) في تفسير ابن كثير: ٥/ ٥٤٥: «المغممات».

(٦) يَثْرِب: هي مدينة رسول الله ﷺ، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية، فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبه وطابة كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول لنزوله بها. وأصل التثريب: الإفساد.
انظر: معجم البلدان: ٥/ ٤٣٠.

ببطن مُرّ قال بنو كعب[1]: هذا مكان صالح لا نبغي به بدلاً، فأقاموا به، فلذلك سموا خزاعة؛ لأنهم انخزعوا عن أصحابهم، وأقبلت[2] الأوس والخزرج حتى نزلوا بيثرب[3]، ولما أراد الله ـ جل شأنه ـ ما أراد من تفريق من بقي وخراب بلادهم، أقبلت فأرة حموا إلى هرة من تلك الهرر فساررتها حتى استأخرت عنها الهرة قد دخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت بالسد فحفرت فيه حتى أوهنته وهم لا يدرون، فلما جاء السيل وجد خلالاً فدخل فيه حتى قلع السد وخاض الماء على الأموال فاحتملها ولم يبق منها إلا ما ذكر الله تعالى. انتهى.

قصة صياطاس[4]

وهو الذي أخرب بيت المقدس بأمر أسفايوس، وقتل أكثر من سبعين ألفاً، وشتت الباقي، وأحرق التوراة، وأخرب بيت المقدس، وهذا هو الفساد الثاني الذي أشار الله ـ جل شأنه ـ في كتابه العزيز بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥُاْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

فالمرة الأولى كان بخت نصر، والثانية هذا الملك، وبسبب هاتين الواقعتين تشتت بنو إسرائيل وتفرقوا في سائر المعمور من الأرض. ومنهم من سكن المدينة بنو قريظة وبنو النضير.

---

(١) في تفسير ابن كثير: ٥/ ٥٤٥: «بنو عثمان».

(٢) في تفسير ابن كثير: ٥/ ٥٤٥: «واستقامت».

(٣) انتهى ما ذكره ابن كثير: ٥/ ٥٤٤، ٥٤٥.

(٤) وفي روح المعاني: ١٥/ ٢١:

ففي بعض التواريخ.. أن أسبيانوس قيصر الروم وجه وزيره طوطور إلى خرابه، فخربه سنة ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية وعشرين، فيكون بين البعثين عندهم أربعمائة وتسعون سنة.

وتفصيل الكلام في ذلك في كتبهم، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

ثم قال الآلوسي: ونعم ما قيل إن معرفة الأقوام المبعوثين بأعيانهم وتاريخ البعث ونحوه مما لا يتعلق به كبير غرض، إذ المقصود أنه لما كثرت معاصيهم سلط الله تعالى عليهم من ينتقم منهم مرة بعد أخرى..

قصة أهل الكهف

وكانوا من جملة أهل الروم[1] وأشرافهم، وبلدهم (دقسوس)، وهي التي يقال لها الآن: (طرسوس)، وكانوا ممن آمن بعيسى[2] عليه السلام، وكانوا على الطريقة المستحسنة، فأخبروا فيوس الملك عنهم، فهددهم بالقتل، فهربوا منه إلى جبل عظيم فيه مغارة، وجلسوا يعبدون الله تعالى، وفي مسيرهم إلى المغارة تبعهم كلب مؤالف لهم فطردوه فلم يرجع عنهم، وكان يجلس معهم على قريب من باب المغارة[3]. وكانوا كلهم شباباً صغاراً، وكانوا يبعثون كل يوم شخصاً منهم يقال له: تمليخا يشتري لهم ما يحتاجون إليه، ويتجسس لهم

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٣٧٠: وقد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف: أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم، وكان له مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له: دقيانوس، وكان يأمر الناس ويحثهم عليه ويدعوهم إليه، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السماوات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية.. ولا يعرف كل واحد الآخر، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». وانظر: البداية والنهاية: ٢/ ١١٤.

(٢) قال ابن كثير: ٤/ ٣٧٠:

وقد ذكر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية، فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشاً بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء، وعن خبر ذي القرنين وعن الروح..

فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب، وأنه متقدم على دين النصرانية ـ والله أعلم ـ.

وانظر: البداية والنهاية: ٢/ ١١٤.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٣٧٤:

قال ابن جريج؛ يحرس ـ أي الكلب ـ عليهم الباب، وهذا من سجيته وطبيعته، حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب..

ممن فيه ما يقال في شأنهم، سأل عنهم الملك فأخبر أنهم في كهف في جبل كذا وكذا، فأمرهم بالكهف أن يسد ويبنى[1]، فيموتوا فيه، وكان الله ﷻ قد ألقى عليهم النوم فناموا في المغارة فسدت عليهم وكان محلاً مهيأ لهم، كتب أسماءهم وجعلها في لوح من رصاص، وبناه في موضعهم عند باب المغارة، وصورة الكتابة أن مكسالميتا، ومخشالمينا، ويلبخا، ومرطوس، وكيسوطوس، ويبرونس، ودينوس، وينطوس، كانوا فئة هربوا من ملكهم راقيوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر أنهم في الكهف أمر به فشد عليهم بالحجارة، وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم ذلك من عثر عليهم، وألقى الله ـ جل شأنه ـ عليهم النوم ومنع عنهم الآفات والعوارض ثلاثمائة عام، ومات ذلك الملك الجبار، وولي بعده ملوك إلى أن ولي ناودسبوس، وكان ملكاً عظيماً صالحاً، وكان متبعاً لعيسى عليه السلام وأظهر ملة عيسى[2] عليه السلام، وكان يسأل الله ـ جل شأنه ـ أن يظهر في أيامه بينة[3] في إثبات البعث والنشور لتكون آية للناظرين ومدفعاً للمعاندين.

وفي زمنه أتى راعٍ إلى ذلك البناء المسدود فهدمه ورماه ليستكن في المغارة، ففي هذه المدة استيقظ الفتية النائمون في الكهف، وذلك بعد مضي ثلاثمائة عام، فظنوا أنهم ناموا يوماً أو بعض يوم. فبعثوا أخاهم[4] تمليخا

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٣٧٢ بعد ذكر القول: إن الملك ظفر بهم ووقف على باب الغار الذي دخلوه، فأمر بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعل قومه ذلك: وفي هذا نظر ـ والله أعلم ـ فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشياً، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف].

(٢) أوردت قريباً ما ذكره ابن كثير في تفسيره من أن هذه القصة قبل دين النصرانية.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٣٧٦: قال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجة دلالة وآية على ذلك. وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ٢١].

(٤) وفي تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٧٦: وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة في شراء شيء لهم ليأكلوه تنكر، وخرج يمشي في غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة، وذكروا أن اسمها (دقسوس)، وهو يظن أنه قريب العهد، وكان الناس قد تبادلوا قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل.. فجعل لا يرى شيئاً من معالم البلاد التي يعرفها، ولا =

ليشتري لهم طعاماً يأكلونه وأن يكون حذراً لا يفطنون به ويتجسس عن أخبار الملك وما يقال في شأنهم، فلما وصل تمليخا إلى المدينة رأى أموراً وأشياء أنكرها، وتحير منها لظنه أنه إنما غاب عن المدينة يوماً واحداً، فرأى إشارات وعلامات تدل على أن الدين قد تغير بدين الحق وطريقة الإيمان، ونظر إلى الملأ فلم يعرف منهم أحداً، فظن أنه تخيل أو ذاهل أو أن بعقله جنون، فأراد أن يرجع ثم عزم على أن يشتري لإخوته طعاماً، فأتى إلى صاحب الطعام فأعطاه دراهم معه ورِقاً وهي الفضة، فلما رأى صاحب الطعام تلك الدراهم لأن عليها طابع راقيوس، فقطع أنه قد ظفر بكنز فأعرضها على أصحاب دراهم إياها، فأنكروها جميعاً، ثم أقبلوا على تمليخا قائلين له: أرنا موضع الكنز ونحن لا نظهر عليك أحداً، فلم يدر ما يقول وتحير، فاجتمع الناس عليه ورأوا الدراهم ووضع بعضهم رداءه في عنقه، وذهب به إلى والي البلد وهو يبكي ويستغيث، وفي ظنه أنهم قد شعروا بحال إيمانه، وأنهم يذهبون به إلى الملك الجبار، فجعل يتحسر ويقول: أين إخوتي عني فإنا تعاهدنا أن نكون جميعاً حياتنا ومماتنا، ووقوفنا بين يدي الجبار وإظهار كلمة الحق لديه. فدخلوا به على الأمير وأراه الدراهم فسألوه: فقال: أنا فلان بن فلان فلم يعرفه أحد، وقال له بعض الحاضرين: أظهر الكنز الذي وجدته، فإنك إن لم تظهره أوجعناك ضرباً وألماً، فقال بعض الحاضرين: إنه مجنون، وقال

= يعرف أحداً من أهلها.. فجعل يتحير في نفسه ويقول: لعل بي جنون أو أنا حالم، ويقول: والله ما بي شيء من ذلك، وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة.. ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام، فدفع إليه ما معه من النفقة، وسأله أن يبيعه بها طعاماً، فلما رآها ذلك أنكرها وأنكر ضربها، فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم، ويقولون: لعل هذا وجد كنزاً، فسألوه عن أمره، ومن أين له هذه النفقة، لعله وجدها من كنز وممن أنت؟ فجعل يقول: أنا من أهل هذه البلدة وعهدي بها عشية أمس، وفيها دقيانوس، فنسبوه إلى الجنون، فحملوه إلى ولي أمرهم، فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير في حاله وما هو فيه، فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف - ملك البلد وأهلها - حتى انتهى بهم إلى الكهف، فقال لهم: دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي فدخل.. ودخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم، وكان مسلماً - فيما قيل - واسمه يندوسيس، ففرحوا به وآنسوه بالكلام، ثم ودعوه وسلموا عليه، وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله ﷻ - فالله أعلم -.

آخرون: إنه ليس به جنون، وبين رأيه فظهر ذلك ليخلص، فاشتد الكرب بتمليخا، فقال لهم: إني أسألكم[1] عن أمر فأجيبوني عنه: ماذا فعل الملك راقيوس؟ فقالوا له: قد مضى من ملك راقيوس مدة عظيمة طويلة. فقال لهم: أنا أخبركم عن شأني وحالي ورفقة لي أكرهنا الملك على الكفر بعد الإيمان، فهربنا منه خوفاً من الفتنة والتجأنا إلى مغارة، وبالأمس كنت أنا في هذه البلدة وأتيت اليوم ووقع لي ما ترون.

وكان الأمير موفقاً ذا رأي وعقل، فقال لجلسائه: أمهلوا على الرجل ولعلها أن تكون آية أظهرها الله ﷻ وأجاب دعوة ملكنا الصالح، فهلموا نتوجه وننظر في شأن هذه الفتية، وكانوا بعد أن قاموا من نومهم على حالهم من الشباب وبهاء المنظر ونضارة الشباب.

فتوجه الأمير ومن معه جميعاً وتمليخا معهم حتى أتوا المغارة، وكان الفتية قد فقدوا أخاهم واستبطؤوه فحزنوا لذلك كثيراً فدخل عليهم قبل الجماعة، وأخبرهم بما صار له، ثم دخل الأمير ومن معه وتكلموا معهم، وأرسلوا إلى الملك وأخبروا بما صار، فأتى إليهم وجلس معهم ورأوا الأسماء المكتوبة في اللوح الرصاص بباب المغارة، فازداد بذلك إيمانهم ويقينهم، فشكر الله ﷻ الملك على هذه الآية العظيمة والنعمة الجزيلة.

ثم ودعهم الملك ومن معه وانصرفوا، وألقى الله ـ جل شأنه ـ عليهم النوم، وعمر الملك على باب المغارة مسجداً عظيماً[2]، وجعل في ذلك المكان عيداً في كل عام يأتي الناس إليه ويتبركون بذلك الموضع، وألقى الله ـ جل شأنه ـ هيبة وإجلالاً على ذلك الغار، فلا يستطيع الدخول ولا الوصول إليهم.

---

(١) (ح): «أسألك».

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف].

حكى ابن جرير في تفسيره: ١٥/١٤٩: في القائلين ذلك قولين أحدهما أنهم المشركون منهم، والثاني المسلمون منهم. وقال ابن كثير في تفسيره: ٤/٣٧٧ بعد حكايته قول ابن جرير: والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أولاً؟ فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «لعن اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد».

قصة تُبّع الأخير[1]

وهو تُبان أسعد أبو كرب، وهو ملك عظيم، روَّع الأرض وسار في البلدان وملك كثيراً من المعمور، وهو أحد الملوك الذي قهر الجبابرة وأعطاه[2] الله الشوكة والعزة. وقد قيل: إن التبايعة ثلاثة من حمير. الأول وهو في زمن سليمان عليه السلام، والثاني وهو قبل عيسى عليه السلام، والأخير بعده وهو هذا[3].

قيل: كان في بعض مسيره مر على المدينة[4] المشرَّفة على نبينا ـ أفضل

---

(١) وفي روح المعاني: ٢٥/١٢٨:

وذكر أبو حاتم الرياشي أنه آمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة. وقيل: بينه وبين مولده ﷺ ألف سنة، والقولان يدلان على أنه قبل مبعث عيسى عليه السلام.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لا تقولوا في تبع الأخير، فإنه حج البيت وآمن بما جاء به عيسى ابن مريم، وهو يدل على أنه بعد مبعث عيسى عليه السلام، والأول أشهر. وقال ابن كثير في تفسيره: ٤/١٤٤:

وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر.. وقد اختلط عليهم في بعض السياقات ترجمة تبع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل، فإن تبعاً هذا المشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه.. وقال سعيد بن جبير: كسا تبع الكعبة، وكان سعيد ينهى عن سبه. وتبع هذا هو تبع الأوسط واسمه أسعد أبو كريب بن مليكرب اليماني..

(٢) (ح): «أعطاهم».

(٣) وهذا غلط، فإن تبعاً الذي مر على المدينة هو تبع الأوسط، قال سعيد بن جبير: كسا تبع الكعبة.. وتبع هذا هو تبع الأوسط...

انظر: تفسير ابن كثير: ٤/١٤٤.

(٤) وفي البداية والنهاية: ٢/١٦٤ نقلاً عن سيرة ابن هشام: ١/١٩ ـ ٢٧:

قال ابن إسحاق: وتبان أسعد أبو كرب هو الذي قدم المدينة، وساق الحبرين من اليهود إلى اليمن، وعمر البيت الحرام وكساه.. وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق على المدينة، وكان قد مر بها في بدأته فلم يهج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة، فقدمها وهو مجمع لإخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها..

فبينما تُبّع على ذلك من قتالهم إذ جاءه حبران من أحبار اليهود.. حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالوا له: أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نؤمن عليك حل العقوبة، فقال لهما: ولم ذلك؟ قالا: هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى ورأى أن لهما علماً وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما. وكان تُبّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجه إلى مكة وهي طريقه إلى (اليمن)، حتى إذا كان على =

. . . .

= «عسفان» و«أمج» أتاه نفر من هذيل بن مدركة.. فقالوا له: أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة، قال: بلى، قالها: بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده، وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده، فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك، ما نعلم بيتاً لله ﷻ اتخذه لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً، قال: فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذلل له حتى تخرج من عنده.

قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ﷺ، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله.. فعرف نصحهما وصدق حديثهما، وقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم. ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه..

وأري في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف، ثم أري في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل. وكان تُبّع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم... ثم خرج تُبّع متوجهاً إلى اليمن بمن معه من الجنود وبالحبرين... قال السهيلي: وقد قال تُبّع حين أخبره الحبارن عن رسول الله ﷺ:

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه ... وفرجت عن صدره كل هم

قال: ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم، وكان عند أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

تبان أسعد: اسمان جعل اسماً واحداً، كما هي الحال في معدي كرب. وتبان من التبانة وهي الذكاء والفطنة.

عُسْفان: سميت عسفان لتعسف السيل فيها، كما سميت الأبواء لتبوء السيل بها. قال السكري: عسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة والجحفة على ثلاث مراحل، غزا النبي ﷺ بني لحيان بعسفان، وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوماً.

انظر: معجم البلدان، مادة: (العين والسين وما يليهما): ٤/ ١٢١، ١٢٢.

وأَمَج: بالجيم وفتح أوله وثانيه، بلد من أعراض المدينة. وقال أبو المنذر هشام بن محمد: أمج وغران واديان من حرة بني سليم ويفرعان في البحر. انظر: معجم البلدان، مادة: (الهمزة والميم وما يليهما): ١/ ٢٥٠.

الخصف: حصر تنسج من خوص النخل ومن الليف، فيسوى منها شقق تلبس بيوت الأعراب. =

الصلاة والسلام ـ فترك بها ابناً له وجماعة من قومه، فقتل ابنه غيلة، فلما رجع أخبر بذلك فأضمر قتل من فيها جميعاً وإحراق ما فيها من الكروم والنخل، فلما أقبل إليها حاربه أهلها، وجاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة واصطحبا معه ونهياه عن إخراب المدينة وقالا له(١): أيها الملك لا تفعل، وإن أردت ذلك لم تقدر ولا يؤمن عليك من حصول العقوبة والنقمة، فإنها مهاجر نبي ومقامه سيخرج من هذا الحرم، وأشارا إلى مكة ـ شرفها الله تعالى ـ، فأوقع الله ـ جل شأنه ـ في قلبه حسن قولهما وأصغى إلى ما أشارا به عليه، وأصحبهما معه وترك التعرض للمدينة المشرفة، وتوجه إلى مكة ـ زادها الله تشريفاً ـ.

ولما كان قريباً من عسفان أتاه نفر من هذيل قد خشوا أن يطأ أموالهم ويأخذها، فأرادوا أن يتقربوا لينذفع عنهم ويكون سبباً لهلاكه ووباله. فقالوا: أيها الملك إن هنا بيتاً لحجة العرب وفيه كنز عظيم قد أغفلته الملوك قبلك، ونحن نريد أن يكون لك؛ فإن فيه من الأموال شيء عظيم، فأجمع على ذلك وعزم، فوقع له مرض عظيم، فأرسل إلى الحبرين، وسألهما عن ما أصاب به من المرض، فقالا له: لعلك أيها الملك أضمرت سوءاً، وأخبرهما بما أضمره من هدم البيت العتيق، فنهياه عن ذلك وأخبراه أنه بيت معظم مجلل بنته الأنبياء عليهم السلام وحجوا إليه، وإن أراده بسوء هلك سريعاً، فاستشارهما ماذا يفعل، فأمراه إذا قدم عليه أن يطوف به ويتذلل لله عز وجل عنه. فقال لهما: وما يمنعكما أيضاً أن تفعلا معي كذلك؟ فقالا له: نحن نعلم أنه بيت إبراهيم عليه السلام ولا يمنعنا من ذلك إلا ما نصبه هؤلاء الجاهلية من الأصنام، وإهراقهم الدماء عنده.

فلما وصل تُبّع طاف بالبيت وسعى وحلق وتصدق وأطعم، ورأى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف، ثم رأى أن يكسوه فكساه المعافر، ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل، وكان تبَّع هو وقومه أولاً على دين غالب العرب وثنيين، فلما صحب هذين الحبرين اتبع ملة موسى عليه السلام

= المعافر: ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن، وأصله المعافري، ثم صار اسماً لها بغير نسبة.

الملأ: جمع ملاءة، وهي الملحفة.

والوصائل: ثياب مخططة يمنية، يوصل بعضها إلى بعض.

(١) (ح): «وقالوا له».

وآمن معه كثير من قومه وأتباعه، وقد قيل: إنه هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الدخان: ٣٧].

وذلك أنه لما آمن خالف كثير من قومه فأهلكهم الله ﷻ، وكان تبّع - رحمه الله تعالى - يجمع قومه وأشراف مشيرته والملوك منهم فيذكرهم بالله ﷻ. فمن كلامه: أيها الناس إن الدهر نفد أكثره ولم يبق أهله، وإن الكثير إذا قل إلى النقصان أحرى منه إلى الزيادة، فسارعوا إلى المكارم فإنها تقربكم إلى الفلاح، واعلموا أنه من سلم من يومه لم يسلم من غده، ومن سلم من غده لم يسلم مما بعده، وإنكم لتسوون الآباء والأجداد، وتصيرون إلى ما صاروا إليه، والموت كل يوم إلى المرء قريب من حياته إليه وإليه، ولكل زمان أهل ولكل دائرة سبب، وسبب عطلان هذه الفترة التي من عز فيها بز من هو دونه، الوقوف على ظهور نبي يبعث بدينه، ويخصه بالكتاب المبين، على رسول من المرسلين رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين، فليكن ذلك عندكم وعند أبنائكم بعدكم قرناً فقرن، جيلاً فجيل، ليتوقفوا ظهوره، وليجتهدوا في نصره على كافة الأعداء حتى يفي الناس له إلى أمر الله.

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله بارئ النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابن عم
وألزمت طاعته كل من على ... الأرض من عرب أو عجم

انتهى.

قصة أصحاب الأخدود[1]

. . . .

(١) هذه القصة ذكرها المؤلف من الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن إسحاق في السيرة. فأما ما رواه ابن إسحاق فهو عن محمد بن كعب القرظي وعن بعض أهل نجران: أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران - هي القرية العظمى التي إليها جماع تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران، فلما نزلها فيمون، ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه، قالوا: نزلها رجل فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر، فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان =

. . . .

= أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام، حتى إذا فقه جعل يسأل عن الاسم الأعظم.. فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال له: يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني، وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له، فشفي، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر ألا أتاه، فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت علي أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلنَّ بك.. قال له عبد الله بن التامر: إنك والله لا تقدر عل قتلي حتى تؤمن بما آمنت به، وتوحد الله، فإنك إن فعلت سلطت علي فقتلتني، قال: فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر، ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله، وهلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم عليه السلام من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران. قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر، فالله أعلم أي ذلك كان، قال: فسار إليهم ذو النواس بجنده فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل، فخد الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف، ومثَّل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نواس وجنده أنـزل الله عز وجل على رسوله ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ ...﴾ الآيات [البروج]. سيرة ابن هشام: ١/ ٣٥ ـ ٣٧.

قال ابن كثير في تفسيره: ٧/٢٥٩ ـ ٢٦٠، هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود ذو نواس واسمه زرعة، ويسمى في زمان مملكته بيوسف... وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد ـ عليهما من الله السلام ـ وهو أشبه ـ والله أعلم.

وأما ما رواه الإمام أحمد فهو من حديث صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الراهب ضربه، وقال: ما حبسك، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر، قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس، فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر، قال: فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: =

وكان سببها أنه نزل بأرض نجران[1] راهب متنسك عابد يقال له: فَيْمون،

= أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس، فعمي فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان من رد عليك بصرك؟ فقال: ربي، فقال: أنا؟! قال: لا، ربي وربك الله، قال: ولك رب غيري؟! قال: نعم ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه، فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء! قال: ما أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، قال: أنا؟ قال: لا، قال: أو لك رب غيري؟! قال: ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتي بالراهب، فقال: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فهدهدوه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فهدهدوا أجمعون.

وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقور.

فقال: إذ لججتم به البحر فإن رجع عن دينه، وإلا فغرقوه في البحر، فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون.

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم قل: باسم رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه، وقال: باسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك، فخُدَّت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي: اصبري يا أماه فإنك على حق.

مسند الإمام أحمد: ٦/ ١٧، ٤٥، ورواه الترمذي بنحوه في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة (البروج): ٥/ ٤٣٧، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(١) (نجران): في مخاليف (اليمن)، وهي اليوم من مناطق (المملكة العربية السعودية). وسميت بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ لأنه كان أول من عمرها.
انظر: معجم البلدان: ٥/ ٢٦٦.

وكان ممن اتبع النبي عيسى عليه السلام وآمن به، وكان على شريعته وملته، وكان له خباء خارج نجران، وكان بنجران رجل يعلم أهل نجران وصبيانهم الرقاء والسحر والروحانية، وكان في جملة الصبيان الذين يذهبون إليه صبي يقال له: عبد الله بن التامر، وكان ذكياً فطناً صاحب قابلية واستعداد، وكان إذا قصد الساحر في طريقه على خباء فيمون فيجلس إليه ويتحدث معه وكان يعجبه حديثه، وكان فيمون يعلم الصبي الأحكام والدين ويخبر بالشرائع، فمال إليه الصبي وأحبه، وكان يكثر التردد عليه، وكان أهل الصبي إذا أبطأ عليهم ضربوه، وكذلك الساحر يضربه إذا أبطأ؛ لكونه يستغرق عند الراهب كثيراً، فقال له الراهب: إذا سألك أهلك فقل: حبسني الساحر، وإذا سألك الساحر فقل: حبسني أهلي. وكان الصبي بحسن ذكائه قد تعلم من الراهب اسم الله الأعظم واستخرجه بعظمته، فأقبل يوماً فرأى حية عظيمة قد منعت الناس عن المرور في الطريق، فقال: اللهم إن كان ما عليه الراهب وما يدعوني إليه حقاً فاقتلها، فرماها بحجر فقتلها فأخبر الراهب بذلك، فقال له: يا بني إنك اليوم أفضل مني، وإنك ستبتلى فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي العلل المزمنة بدعائه إلى الله عز وجل على شريطة أن يؤمنوا فعوفي ناس كثيرون وآمنوا بالله بسببه، وكان من جملة من آمن جليس لملك تلك الأرض، وكان أعمى فدعا له عبد الله بن التامر بشريطة الإيمان بالله تعالى فأبصر وآمن بالله تعالى، فأخبر الملك بذلك فعذبه الملك، فأخبر عن الغلام فأتي به، فقال له الملك: قد بلغ مني سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وتشفي المرضى.

فقال: إني لا أشفي أحداً، ولكن الله خالقنا وخالق كل شيء هو الشافي والمعافي والكافي، فعذبه الملك، فدل على الراهب فَيْمون فأتي به، فقال له الملك: ارجع عن دينك فلم يرجع، فنشر بالمنشار ومات ـ رحمه الله تعالى ـ، وأمر عبد الله بن التامر أن يرجع فأبى وامتنع، فأمر به أن يلقى من جبل عال فألقي فلم يصبه شيء، وأتى إليهم صحيحاً سليماً، فأمر به أن يغرق في البحر فلم يغرق وأنجاه الله تعالى، فلم يزل على ذلك لا يؤثر فيه شيء بإذن الله تعالى، قال للملك: لا يمكنك أن تقتلني حتى تفعل على ما أشير به عليك، فقال له الملك: وما هو؟ فقال: أن تجمع أهل البلد جميعاً في صعيد واحد من الأرض، ثم تأخذ سهماً من كنانتي فتضعه في القوس، وتقول: بسم رب

هذا الغلام وترميني به، فإنك إن فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الملك الناس في صعيد واحد وأخذ السهم من كنانته فرماه به فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه ومات ـ رحمه الله تعالى ـ.

فقال الناس جميعاً: آمنا برب الغلام وعلمنا أنه على حق، وأسلم أهل البلد.

فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر منه قد وقع، قد أسلم الناس جميعاً وآمنوا!

وأمر بالأخدود فخدَّت الأرض؛ أي شقت شقاً طويلاً، وأوقد ناراً فيها النيران العظيمة، وأمر بمن لم يرجع أن يلقى فيها.

فألقي أمم كثيرون فاقتحموا فيها، وجاءت امرأة ومعها طفل صغير فتقاعست عن النار، فقال لها الصبي: اصبري يا أماه فإنك على حق.

وقد ذكر الله ـ جل شأنه ـ خبر الأخدود في كتابه العزيز فقال عز من قائل: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج].

وقد جاءت روايات كثيرة في أصحاب الأخدود غير ما ذكرناه، ولا يبعد أن يكون هذا الأخدود قد صنع مراراً في أيام متعددة[1] فتنة وبلية على المؤمنين، ولكن هذه الرواية التي ذكرناها رويت في الصحيح عن رسول الله ﷺ.

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٧/ ٢٦١:

وقد يحتمل أن ذلك ـ أي قصة الأخدود ـ قد وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي حاتم.. عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في (اليمن) زمان تبع، وفي (القسطنطينية) زمان قسطنطين.. وفي (العراق) في أرض (بابل) بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له..

وعن مقاتل قال: كانت الأخدود ثلاثة: واحدة (بنجران باليمن)، والأخرى (بالشام)، والأخرى (بفارس) حرقوا بالنار، أما التي (بالشام) فهو أنطنانوس الرومي، وأما التي (بفارس) فهو بختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس، فأما التي (بفارس والشام) فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً، وأنزل الله في التي كانت (بنجران).

قصة أصحاب الفيل(1)

وسببها أن أبرهة صاحب اليمن بنى كنيسة عظيمة، وأراد أن يجعل حج

---

(1) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ١٧٠ باختصار وتصرف:

قال ابن إسحاق: (فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي، غضب رجل من (كنانة)، فخرج الكناني حتى أتى القليس - الكنيسة التي بناها أبرهة، وسميت بالقليس لارتفاعها، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها - هكذا في تفسير ابن كثير) فقعد فيه؛ أي أحدث حيث لا يراه أحد، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر أبرهة بذلك. فقال: من صنع هذا، فقيل له: صنعه رجل من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة، لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فغضب فجاء فقعد فيها. . فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، فسار أبرهة في جيش كثيف عرمرم، واستصحب فيلاً عظيماً يقال له: (محمود)، ورأى العرب أنه حق عليهم المحاجبة دون البيت، فخرج «ذو نفر» في قومه وهو أحد أشراف اليمن وملوكهم ولكن هزمه أبرهة وأسره، وكذلك اعترض أبرهة نفيل بن حبيب الخثعمي هو وقومه فهزمه أبرهة أيضاً وأسر نفيلاً وهمّ بقتله ثم عفا عنه، واستصحبه ليدله في بلاد الحجاز، ولما مر بالطائف صانعه أهلها وأرسلوا معه «أبا رغال» دليلاً، فلما انتهى أبرهة بجيشه إلى المُغَمَّس وهو قريب من مكة نزل به، وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها، فأخذوه وكان فيه مئتا بعير لعبد المطلب، وأرسل أبرهة حناطة الحميري، وأمره أن يأتيه بأشراف قريش، ويخبرهم أنه لم يأت لحربهم، إلا أن يصدوه عن البيت، فعاد حناطة ومعه عبد المطلب، فأجلّه أبرهة ونزل عن السرير، وجلس معه على البساط، وسأله - بواسطة ترجمانه - عن حاجته، فقال: حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي، فقال: أبرهة، أعجبت بمرآك وزهدني فيك كلامك! أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟! فقال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك، ثم رد أبرهة الإبل إلى عبد المطلب، ثم رجع إلى قريش فأمرهم بالتحصن في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش، ثم قام ومعه نفر من قريش يدعون الله فأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وقال:

لاهم إن العبد يمـ ... ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم غدوا محالك

(المحال: الكيد والمكر).

ولما هيأ أبرهة فيله، ووجوه نحو الكعبة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه، ثم أخذ بأذنه وقال: أبرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت، فإنك في بلد الله الحرام.

ثم أرسل أذنه فبرك الفيل، وخرج نفيل يشتد حتى أصعد في الجبل والتحق بقريش، أما أصحاب الفيل فضربوا الفيل ليقوم، فأبى. . وجعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات =

العرب إليها مزاحمة للبيت الشريف، فأرسل إلى النجاشي يعرفه ذلك، فلما رام ذلك قصدها بعض الأعراب وأحدث بها ووضع فيها نجاسة، فلما رأى أبرهة ذلك غضب وأقسم ليطأن مكة وليهدمن البيت، فتوجه واستصحب معه طائفة عظيمة من الجنود قاصداً مكة ـ شرفها الله تعالى ـ.

فلما بلغ العرب ذلك شق عليهم واجتمعت قبائلهم المحاربة، ووقف كثير منهم في مقابلته فكسر كل من في طريقه إلى أن وصل أرض ثقيف، فجاء إليه جماعة منهم خوفاً أن لا يهدم بيتهم المسمى باللات، فأرسلوا معه رجلاً منهم يقال له: (أبو رغال) يدله على طريق مكة ويعرّفه بها، فلما وصل المُغمَّس[1] مات أبو رغال ودفن ورجمت الناس قبره من ذلك الحين، ولما وصل أبرهة قريباً من مكة أرسل جماعة من أصحابه فنهبوا أموالاً وغنماً وإبلاً لأهل مكة، وفيها مائتا بعير لعبد المطلب جد النبي ﷺ، ونزل أبرهة خارج مكة وهو مجمع على هدم البيت، ومعه فيل عظيم يقال له: (محمود) ويقدمه في الحروب، فتفرق أهل مكة في البر خائفين منه، وخلُّوا البلد، وأقبل عبد المطلب حتى وصل إلى معسكر أبرهة، فأخبر أبرهة أنه سيد أهل البلد وعظيمهم فأذن له. كان عبد المطلب بهياً ذا هيبة وجمال، فلما رأى أبرهة عظمته جلس معه وخاطبه وألان له، ثم سأل ترجمانه ماذا يريد؟ وما حاجته؟ فقال: أريد مائتي بعير لي نهبت، أريد أن يعيدها لي، فقال أبرهة للترجمان: قل له: إنك لما دخلت علي عظمتك وأحببتك ورأيت أنك ذا كمال وعقل، وأنت لست كذلك، كيف تسألني عن مائتي بعير لك؟! ولا تسألني وتشفع إلي أن أرجع عن هدم بيت هو قبلتك وقبلة آبائك وشرفك وشرفهم؟! فقال

= إلا ذهب إليها وإذا وجهوه إلى مكة برك. وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار أمثال العدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت الأحجار، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من الجانب الآخر. فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك، وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة اتبعتها منه مدة نمت قيحاً ودماً حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر. فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون. وانظر: سيرة ابن هشام: ١/ ٤٤ وما بعدها. وتفسير ابن كثير: ٧/ ٣٧٠ وما بعدها.

(١) المُغَمَّس: موضع قرب (مكة) في طريق (الطائف)، مات فيه أبو رغال، وقبره يرجم؛ لأنه كان دليل صاحب الفيل فمات هناك. انظر: معجم البلدان: ٥/ ١٦١.

عبد المطلب مجيباً له: أيها الملك، إن هذه الإبل ملكي وأنا صاحبها فأنا أسألك عنها، وأطلب منك أن تعيدها علي، أما هذا البيت فأنت مأزم ومتصمم عل هدمه وله رب حاضر قادر يمنعك عنه، فأعاد عليه الإبل، فانصرف عبد المطلب حتى وقف بباب الكعبة فقال:

لاهم[1] إن العبد يمـ ... ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم غدوا محالك
إن كنت تاركهم وقبـ ... ـلتنا فأمر ما بدا لك

ثم صعد إلى جبل أبي (قبيس)[2] هو وأصحابه فجلس به، وأصبح أبرهة متوجهاً إلى مكة مجمعاً على هدم البيت وإخرابه وقدم قبله محمود، فلما توجه تلقاء مكة خطوات برك الفيل فضربوه فلم يقم، ووجهوا إلى غير جهة الحرام فهرول، فكان إذا وجهوه إلى جهة الحرام برك، وإذا وجه إلى غير جهة الحرام يهرول.

وفي هذا الحال أرسل الله ـ جل شأنه ـ طيوراً سوداً من البحر يقال لها: (الأبابيل)[3] في منقارها حجر، وفي يدها حجر مقدار العدس، لا يصيب شخصاً إلا قتله، فألقت عليهم الحجارة فأصابت جماعة منهم فهلكوا وفرَّ الباقون هاربين، وكان ممن أصيب أبرهة، فلم يزل ينقطع جسده إلى أن وصل صنعاء اليمن فمات بها، وذلك قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [الفيل].

انتهى، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

---

(١) في (هـ): «اللهم»، وما أثبته في البداية والنهاية: ٢/ ١٧٢.

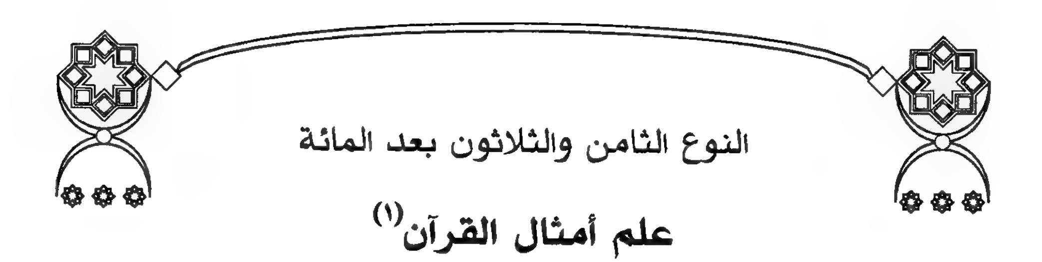
(٢) (ح): «بياض».

(٣) الأبابيل: أي جماعات يتبع بعضها بعضاً كالإبل المؤبلة، وهو مشتق من الإبل، وهو من الجمع الذي لا واحد له. انظر: تفسير الشوكاني: ٥/ ٤٩٥.



النوع الثامن والثلاثون بعد المائة

علم أمثال القرآن



النوع الثامن والثلاثون بعد المائة

علم أمثال القرآن(1)

فصل
في ذكر أمثال القرآن

في القرآن اثنان وأربعون مثلاً(2).

في (البقرة) قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧](3)، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ [البقرة: ٢٦٤](4)، ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ﴾

---

(1) هذا النوع منقول عن «الإتقان»: ٤/ ٣٨ ـ ٤٥ النوع السادس والستين «في أمثال القرآن».

أ ـ تعريف المثل:

الأصل في المثل قائم على تمثيل شيء بشيء لوجود عنصر أو أكثر من عناصر التشابه بينهما.

ب ـ أغراض الأمثال كثيرة منها:

تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب، والإقناع بفكرة من الأفكار، الترغيب أو التنفير، والمدح أو الذم، والتعظيم أو التحقير.

انظر: الأمثال القرآنية، عبد الرحمن الميداني: ٧ وما بعدها.

(2) وذكر محقق كتاب «الأمثال» لابن القيم ـ الأستاذ سعيد محمد نمر الخطيب ـ: أن في القرآن ثلاثة وأربعين مثلاً. انظر: ٥٧ ـ ٥٩، وزاد المحقق عن المؤلف آية واحدة وهي: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٧١].

وقد ذكر المؤلف أنه اثنان وأربعون مثلاً، لكن الموجود في (هـ) و(ح) ثلاثة وثلاثون مثلاً.

(3) استوقد: معناه أوقد. انظر: معاني القرآن للأخفش: ١/ ٤٨، وفتح القدير: ١/ ٤٦. وسيأتي بيان هذا المثل وما بعده.

(4) صفوان: حجر كبير أملس.

انظر: فتح القدير: ١/ ٢٨٧.

هذا تمثيل للّذي يمن، ويؤذي، والذي يرائي كمثل حجر أصم عليه تراب وقد نزل =

[البقرة: ٢٦٥][1]، ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥][2].

وفي (آل عمران): ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [١٠٣][3]، ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ [١١٧].

وفي (الأنعام): ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [٧١][4].

وفي (الأعراف): ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [١٧٦][5].

= عليه مطر شديد، فذهب التراب وبقي الحجر أملس، وهكذا الذي يمن أو يرائي يلبس ثوباً غير ثوبه، ثم لا يلبث أن ينكشف أمره وينتهك ستره، فيكون ما لبسه به كالتراب على الصفوان، يذهب به الوابل فلا يبقى من أثره شيء.

انظر: التفسير الواضح: ٣/ ١٥.

(١) هذا مثل ضربه الله تعالى للمنفق لله وفي سبيله، وهو يقصد تثبيت نفسه على الخير، كالأرض الجيدة التربة العظيمة الخصبة، فهو يجود بقدر سعته وما في يده، فإن أصابه خير كثير أنفق كثيراً، وإن أصابه قليل أنفق على قدر سعته، فخيره دائم وبره لا ينقطع، كالبستان يثمر مطلقاً إذا نزل عليه مطر كثير أو قليل. انظر: التفسير الواضح: ٣/ ١٦.

(٢) أصل الخبط: الضرب الشديد.

المسّ: يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى، وكني به عن الجنون، وهو المراد هنا.

انظر: المفردات للراغب: ١٤٢، ٤٦٧ مادتي: (خبط ومس).

وهذا تمثيل لمن رفض حكم الله في تحريم الربا، فسيعاقب على أكله الربا، قد ضرب الله له مثلاً بصورة المجنون ذي الحركات المضطربة، يمشي ويصطدم بالأشياء، فيخبطه جدر من ذات اليمين وذات الشمال، وهذا يناسب حاله؛ إذ يسلبُ الإثراء بغير حق أفكاره فتبقى مضطربة دائمة التطلع لمضاعفة رؤوس أمواله من جهد الآخرين. والغرض منه: التنفير الشديد من الربا.

(٣) هذا تمثيل الاستيثاق بالقرآن والوثوق بحمايته باستمساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل متين وثيق يأمن انقطاعه، وكان العرب الجاهليون في عداوات وحروب مستمرة، فلما جاء الإسلام دخلوا فيه أفواجاً، وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب شركهم ووثنيتهم لا يفصلهم عن النار إلا الموت، فأنقذهم الله بالإسلام والتوحيد. انظر: التفسير الواضح: ٤/ ١٠.

(٤) فهذا تمثيل لجواب إقناعي للمشركين، إذ يدعون إلى الإيمان بشركائهم أو إلى الردة. والغرض منه التحذير من الردة ومن استهواء الشياطين.

انظر: الأمثال القرآنية للميداني: ١٠٦.

ومعنى ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: حملته على اتباع الهوى. قاله الراغب في المفردات: ٥٤٨.

(٥) هذا مثل ضربه الله تعالى للذي كذب بآيات الله بعد أخذ الميثاق وإرسال الرسل =

وفي (يونس): ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [٢٤][(١)].

وفي (هود): ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ [٢٤][(٢)].

وفي (الرعد): ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ [١٤][(٣)]، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [١٤][(٤)]،

= والذي يركن إلى الدنيا دائماً في عمل ونصب وتعب، وتراه كلما بسط له في الرزق زاد طمعه وألمه، كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فبئس المثل مثلهم.

انظر: التفسير الواضح: ٩/ ٤٢.

(١) هذا تمثيل للحياة الدنيا في سرعة انقضائها وزوال نعيمها، كحال نبات الأرض الذي ينمو ويزدهر بسبب ماء السماء الذي لا فضل لأحد فيه، وما زال النبات ينمو ويزدهر حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، واستوفت زينتها من سندس أخضر، وزهر أحمر وأصفر، وأغصان شامخة وثمار يانعة، وما أروع هذا التركيب حيث شبه الدنيا بعروس بالغت في تزينها بالثياب والزينة حتى كمل لها ما أرادت، وهكذا الدنيا قبيل الساعة. وظن أهلها أنهم قادرون عليها حتى إذا حصل هذا كله أتاها أمرنا وقضاؤنا ليلاً أو نهاراً، فهلكت فجأة فلم يبق من زرعها شيء. فمثل هذا المثل لقوم يستعملون عقولهم.

انظر: التفسير الواضح: ١١/ ٤٥.

(٢) ضرب الله مثلاً للكافر بالأعمى الفاقد لحاسة البصر في خلقته، والأصم الفاقد لحاسة السمع، حيث إنه يحرم من مصادر العلم والعرفان، وضرب مثلاً للمؤمن بكامل البصر والسمع كلتيهما، فهو يستمد العلم من آيات الله في التكوين والتشريع بما يسمع من القرآن وبما يرى من الأكوان.

فهذا يتضمن تحذير الإنسان عن الوقوع في الكفر، والترغيب في الإيمان.

انظر: روح المعاني: ١٢/ ٢٤، وتفيسر المنار: ١٢/ ٥٨.

(٣) فهذا تمثيل دعاء الكافرين الذين يدعون من دون الله تعالى، ويرجون من دعائهم خيراً لهم، بمن يبسط كفيه من بعيد إلى الماء ليبلغ فاه، دون اتخاذ الوسائل الصحيحة التي توصل الماء إلى فمه، والغرض منه التنفير من دعاء غير الله تعالى.

انظر: الأمثال القرآنية للميداني: ١٠٤.

(٤) هذا مثل ضربه الله للحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء، فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع، وبالمعدن الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه وغيره. وأن ذلك الماء ماكث في الأرض ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والآبار، وكذلك المعدن يبقى أزمنة متطاولة. وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بزبد السيل وخبث المعدن؛ فإنه ـ وإن علا وارتفع ـ إلا أنه أخيراً يضمحلّ. وكذلك الشبهات والتمويهات الزائفة قد تقوى وتعظم، إلا أنها في الآخر تبطل وتزول، ويبقى الحق ظاهراً؛ لأنه لا بقاء إلا للنافع، وما تصارع الحق والباطل إلا فاز الحق بقرنه.

انظر: محاسن التأويل: ٩/ ٣٥٢ بتصرف يسير.

﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [٣٥][1].

وفي (إبراهيم): ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ [١٨][2]، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [٢٦][3].

وفي (الكهف): ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [٣٢][4].

وفي (الحج): ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [٣١][5]، ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ [٧٣][6].

---

(١) بيّن الله في هذه الآية عاقبة المتقين، وعاقبة الكافرين، فإن عاقبة المتقين الدخول إلى الجنة، وصفتها تجري من تحتها الأنهار، وفيها الفواكه والمطاعم والمشارب التي لا تنقطع عنهم، وليس هناك حر ولا برد، ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة.

وإن عاقبة الكافرين مآلهم النار، بما كسبت أيديهم.

وفي الآية فتح باب الطمع على مصراعيه للمتقين، وإقفاله على الكافرين.

انظر: تفسير المراغي: ١٣/١١١ بتصرف.

(٢) هذا تمثيل لأعمال الكفار الحسنة كالبر، والإعطاء، والكرم، وصلة الرحم كلها ضائعة ذاهبة كذهاب الريح بالرماد عند شدة هبوبها ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

انظر: التفسير الواضح: ١٣/٦٨.

(٣) ضرب الله مثلاً لكلمة الكفر أو ما شاكلها لأرباب الشهوات والنفوس الضعيفة بشجرة خبيثة، وهي الحنظل ليس لها أصل ثابت، بل عروقها وجذورها طافية فوق سطح الأرض، فيسهل اقتلاعها، وكذلك الكفر ليس له من قرار فيسهل إزالته بالحق. انظر: التفسير الواضح: ١٣/٧٣.

(٤) وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر والمؤمن، حيث يعصي الأول مع تقلبه في النعم، ويطيع الآخر مع مكابدة الفقر والمشقة، والأول غارق في الدنيا معتز بها مغرور بها، والثاني يفهمها على حقيقتها، فهي طريق وممر للآخرة. والمثل بهذا الوضع متصل بقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ...﴾ [الكهف: ٣٨].

انظر: التفسير الواضح: ١٥/٥٧.

(٥) فهذا تمثيل لانتكاس الإنسان بشركه بالله، وسقوطه السريع على رأسه من سماء عبوديته للرب الأعلى وشرف هذه النسبة إلى أسفل سافلين، إلى مكان تمزقه وهلاكه. والغرض منه: التنفير الشديد من الشرك.

انظر: الأمثال القرآنية للميداني: ١٠٨.

(٦) وهذا تمثيل لعجز الشركاء من دون الله عن أن يخلقوا حيواناً مهما كان حقيراً، وعجزهم عما كان دون ذلك بكثير، وعجزهم عن التحكم والتصرف بالأشياء الدقيقة الصغيرة جداً.

والغرض: التنفير من الشرك.

انظر: الأمثال القرآنية للميداني: ١١٤.

وفي سورة (النور): ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ [٣٩][(١)].

وفي (العنكبوت): ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [٤١][(٢)].

وفي (الروم): ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا﴾ [٢٨][(٣)].

وفي (الزمر): ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ [٢٩][(٤)].

وفي سورة (محمد ﷺ): ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [١٥][(٥)].

---

(١) السراب: ما يُرى في المفاوز من لمعان الشمس عند اشتداد حر النهار في صورة الماء في ظن من يراه.

انظر: المفردات للراغب: ٢٢٩، وفتح القدير: ٤/ ٣٨.

وهذا تمثيل لأعمال الكفار من بر أو صدقة أو غيرها، لا خير فيها ولا جزاء عليها يوم القيامة، فهو أشبه ما تكون بالسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، نرى هؤلاء يوم القيامة قد خاب أملهم كالعطاش في الصحراء إذا اشتدّ بهم العطش ظنوا الماء في السراب حتى إذا ذهبوا إليه لم يجدوا شيئاً وهم في أشد الحاجة إلى الماء.

انظر: التفسير الواضح: ٨/ ٧٦.

(٢) هذا مثل ضربه الله للذين اتخذوا من دون الله أولياء راجين النفع والشفاعة منها، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً من نسيجها للوقاية من حر الشمس وزمهرير البرد، ولكن بيت العنبكوت لا يفيد شيئاً ولا يقي خطراً، فكذلك معبوداتهم لا تنفع شيئاً، ولا تدفع ضرراً.

انظر: التفسير الواضح: ٢٠/ ٧٨.

(٣) ضرب الله مثلاً لهؤلاء المشركين حيث أشركوا بالله خلقاً من خلقه، هل ترضون أن يكون لكم أيها المشركون شركاء مملوكون لكم في أموالكم، فتكونون أنتم وهم في هذه الأحوال سواء. سيقولون: لا نرضى بذلك، وإذا كان الإنسان يأبى أن يكون عبده شريكاً له في ماله، فكيف يقول: إن لله شريكاً في تصريف هذا الكون الذي هو ملكه، إنه لا يقول بشركة الأصنام والأوثان لله إنسان عاقل كامل القوى.

انظر: التفسير الواضح: ٢١/ ٢٦.

(٤) هذا تمثيل للمشرك يعبد آلهة، ويتّجه إلى شركاء مختلفة فهو دائماً في حيرة وارتباك لا يدري كيف يرضي الجميع؟ كمثل رجل مملوك لشركاء مختلفين كل له رأي وحاجة، فكل يطلب من هذا العبد حاجة لا يطلبها الآخر، فماذا يفعل؟ وقد تقاسمته الأهواء واختلفت به السبل.

وعكس هذا المسلم لا يعبد إلا الله، ولا يسعى لإرضاء غير ربه الرحمن الرحيم، فهل تراه في راحة أم حيرة وضلال. فإنه في راحة كمثل رجل مملوك لشخص واحد فهو سالم له ليس لغيره سبيل عليه.

انظر: التفسير الواضح: ٢٣/ ٨٠.

(٥) هذا بيان لحال فريقي المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون المتّقون مآلهم الجنّة، فيها =

وفي (الفتح): ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ [٢٩][١].

وفي (الحشر): ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [١٥][٢]، ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [١٦][٣].

وفي (الجمعة): ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [٥][٤].

وفي (التحريم): ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، «وضرب مثلاً للذين آمنوا» [١٠، ١١][٥].

وذكر الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الإتقان» في النوع السادس والستين في أمثال القرآن[٦]: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

وقال عز من قائل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال

= أنهار من ماء غير متغير الطعم والريح واللون لطول المكث بل ماؤها عذب فرات، من شربه لا يظمأ أبداً، وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه، وفيها أنهار من خمر لذّة لكل من يشربها، وفيها أنهار من عسل مصفّى، ولهم فيها مغفرة ورضوان من ربهم، أما الكافرون فمآلهم النار وشرابهم ماء حميم شديد الغليان إلى درجة أنه يقطع الأمعاء حتى تنزل مع الطعام. أين هذا من ذاك.

انظر: التفسير الواضح: ٢٦/٢٧.

(١) ضرب الله مثلاً للمؤمنين في صدر الإسلام؛ أي الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ تراهم ركّعاً سجّداً فهم كثيرو العمل والصلاة شديدون على الكفار رحيمون بالمؤمنين، هذا مثلهم في التوراة، أما مثلهم في الإنجيل: فقد بدأ النبي ﷺ الدعوة وحده ثم آمن به قليل من الناس، هذا القليل كثر وزاد حتى أصبح الكل قوة لا يستهان بها.

(٢)، (٣) ضرب الله هذا المثل لليهود حين غرّهم المنافقون ثم أسلموهم، وهذا تحذير المؤمنين من طاعة الشيطان بالإغراء خدعة، وفي العاقبة تبرأ منه.

انظر: زاد المسير: ٨/٢٢٢.

(٤) ضرب الله تعالى مثلاً لليهود الذين يعرفون التوراة ومقتضاها، ولكنهم تركوا العمل بها، ولم يؤدوا حقها، فشبههم بالحمار الذي لا يعقل ما يحمل، وهذا يتضمن تخويف وتحذير هذه الأمة الذين يعرفون القرآن ولم يعملوا بمقتضاه ولم يؤدوا حقه.

(٥) هذا مثل يتضمن تحذير المؤمنين إن عصوا ربّهم فإنه لم يغن عنهم من عذاب الله تعالى أحد، وترغيبهم في التمسّك بالطاعة.

(٦) الإتقان: ٤/٣٨.

رسول الله ﷺ: «إن القرآن نزل في[1] خمسة أوجه: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتّبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال»[2].

قال الماوردي[3]: من أعظم علوم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه باشتغالهم بالأمثال، وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام/ والناقة بلا زمام[4].

وقال غيره[5]: قد عده الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، فقال: ثم معرفته ما ضرب فيه من الأمثال الدوالّ على طاعته، المبينة لاجتناب معصيته.

وقال الشيخ عزّ الدين: إنما ضرب الله ـ جل شأنه ـ الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً مما اشتمل فيها على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه، فإنّه يدلّ على الأحكام[6].

وقال غيره[7]: ضرب الأمثال في القرآن يستفاد[8] منه التقرير وتقريب[9] المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستغاثة الذهن فيها بالحواس، ومن ثَمَّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد، وثاني أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر أو إبطاله. قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا

---

(١) في البرهان للزركشي: ١/ ٤٨٦: (على).

(٢) لم أعثر على ما رواه البيهقي في شعب الإيمان، وهذا نقل عن البرهان: ١/ ٤٨٦.

(٣) هو: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري المعروف بالماوردي الشافعي من تصانيفه: الأحكام السلطانية، توفي سنة (خمسين وأربعمائة للهجرة).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٣/ ٣٠٣، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٨٢.

(٤) لم أعثر عليه.

(٥) وهو الزركشي في البرهان: ١/ ٤٨٦.

(٦) لم أعثر عليه.

(٧) قاله الزركشي في البرهان: ١/ ٤٨٦ بتصرف.

(٨) في (هـ) و(ح): «تستفاد».

(٩) في البرهان: ١/ ٤٨٦: «ترتيب».

﴿لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، فامتن علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد[١].

قال الزركشي في «البرهان»[٢]: ومن حكمته تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة.

وقال الزمخشري[٣]: التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهم من المشاهد؛ فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً كان الممثل به كذلك.

وقال الأصفهاني[٤]: ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأنه ـ ليس بالخفي من إبراز خفيات المعاني[٥] ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المتحقّق، والمتوهّم في صورة المتيقّن، والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسَوْرَة الجامح الأَبِيّ[٦]، [فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه][٧]، ولذلك أكثر الله ـ جل شأنه ـ في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال، ومن سور الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال، وفشت في كلام النبي ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء[٨].

فصل

أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه. فمن أمثلة الأول قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ...﴾ الآيات [البقرة: ١٧ ـ ٢٠]، ضرب فيها للمنافقين مثلين: مثلاً

---

(١) انظر: البرهان للزركشي: ١/ ٤٨٦ وما بعدها بتصرف.

(٢) ١/ ٤٨٧.

(٣) في الكشاف: ١/ ١٩٥.

(٤) كتاب: الأمثال لحمزة الأصفهاني، لم يزل مخطوطاً محفوظاً في مكتبة «مونيخ» قاله الدكتور ممدوح حقي في المثل المقارن: ٢٨.

(٥) في (هـ) و(ح): «إبراز خفيات الدقائق»، وما أثبته من الكشاف: ١/ ١٩٥.

(٦) أي: قهر وإذلال الرجل الذي يطيع هواه.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الكشاف: ١/ ١٩٥.

(٨) نقلاً عن الكشاف: ١/ ١٩٥، ولم أقف على كتاب الأصفهاني.

بالنار، ومثلاً بالمطر[1].

أخرج ابن أبي حاتم[2] وغيره[3] من طريق علي بن أبي طلحة[4]، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: هذا مثل ضربه الله جلّ شأنه ـ للمنافقين كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم[5] المسلمون، ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلمّا ماتوا سلبهم الله العزّ كما سلب صاحب النار ضوءه ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾، يقول: في عذاب، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ هو المطر، ضرب مثله في القرآن ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ يقول: ابتلاء، ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾، تخويف، ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾، يقول: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾، يقول: كلّما أصاب المنافقون في الإسلام عزاً اطمأنوا، فإن أصاب الإسلام نكبة قاموا، ليرجعوا إلى الكفر، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ . . .﴾ الآية [الحج: ١١].

ومنها قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا . . .﴾ الآية

---

(١) قال ابن القيم في كتاب الأمثال: ١٧٤:

فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين، مثلاً نارياً ومثلاً مائياً؛ لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة، فالنار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمنة لحياة القلوب واستنارتها . . ، وأخبر عن المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي، أنهم بمنزلة من استوقد ناراً لتضيء له وينتفع بها، وهذا لأنهم دخلوا الإسلام، فاستضاؤوا به، وانتفعوا به، وخالطوا المسلمين، ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طغى عليهم، وذهب الله بنورهم من الإضاءة، وأبقى عليهم ما في النار من الإحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون . .

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي، فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر، فهي ظلمات ورعد وبرق، فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن، ووعيده، وتهديده، وأوامره، ونواهيه، وخطابه، الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق، فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه وغمض عينيه خشية من صاعقة تصيبه . .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره: ١/ ٩٤، ٩٦.

(٣) مثل ابن جرير في تفسيره: ١/ ١٤٢.

(٤) هو: علي بن أبي طلحة، صدوق يخطئ كثيراً، أرسل عن ابن عباس ولم يره، مات سنة (١٤٣هـ).

انظر: تقريب التهذيب: ٢/ ٣٩.

(٥) في (ح): «فيناكحونهم».

[الرعد: ١٧]. أخرج ابن أبي حاتم(١) من طريق علي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: هذا مثل ضربه الله تعالى شأنه ـ احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾(٢) وهو الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهو اليقين كما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه، ويترك خبثه في النار، كذلك يقبل الله اليقين، ويترك الشك.

وأخرج عن عطاء قال: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر(٣).

وأخرج عن قتادة(٤)، قال: هذا ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد، يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به، ولا ترجى بركته، كذلك يضمحل الباطل من أهله، وكما(٥) مكث هذا الماء في الأرض فأمرعت(٦) وربت(٧) بركته، وأخرجت نباتها، وكذلك الذهب والفضة حين أدخل النار، فأذهب(٨) خبثه، كذلك يبقى الحق لأهله. وكما اضمحل خبث هذا الذهب [والفضة](٩) حين أدخل في النار، كذلك يضمحل الباطل عن أهله.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ . . .﴾ الآية [الأعراف: ٥٨](١٠)، أخرج

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٨٢، وانظر: الدر المنثور: ٤/ ٥٤.

(٢) الزبد: هو الأبيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل، ويقال له: الغثاء والرغوة. والجفاء: الرمي، يقال: جفأ الوادي غثاء جفأ، إذا رمى به. انظر: فتح القدير: ٣/ ٧٥.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤/ ٥٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عطاء.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤/ ٥٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) الواو ساقط من (ح).

(٦) أمرع الوادي: أخصب بكثرة الكلأ ونحوه.
انظر: اللسان مادة: (مرع): ٨/ ٣٣٤.

(٧) (ح): «بياض».

(٨) (ح): «وذهب».

(٩) ساقطة من الإتقان: ٤/ ٤١.

(١٠) وتتمتها: ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.
البلد الطيب: أي الأرض الطيبة.
نكداً: أي لا خير فيها.
انظر: فتح القدير: ٢/ ٢١٤.

ابن أبي حاتم[1]، من طريق علي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: هذا مثل ضرب الله ـ جلّ شأنه ـ للمؤمن يقول: هو طيّب وعمله طيّب؛ كما أن البلد الطيّب [ثمرها طيّب][2]، والذي خبث ضرب مثلاً للكافر، كالبلد السبخة المالحة، والكافر هو الخبيث وعمله خبيث.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ...﴾ الآية [البقرة: ٢٦٦]؛ أخرج البخاري[3] عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ يوماً لأصحاب النّبي ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ...﴾؟ قالوا: الله أعلم، [فغضب عمر وقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم][4].

فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء، فقال: يا ابن أخي، قل ولا تحقر نفسك، فقال ابن عباس: ضُرِبَتْ مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لرجل غني يعمل بطاعة الله ﷻ، ثم بعث الله له الشيطان[5] فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

وأما الكامنة، فقال الماوردي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم[6]، يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل[7]، فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن؛ فهل تجد في كتاب الله «خير الأمور أوساطها»[8]؟ قال: نعم: في أربعة مواضع: قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٣/ ١٨١، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/ ٩٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤١.

(٣) في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ...﴾: ٥/ ١٦٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤١ كما في البخاري.

(٥) في (هـ) و(ح): «الشّياطين»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤١ كما في البخاري.

(٦) لم أعثر على ترجمته.

(٧) هو: الحسين بن الفضل بن عمير أبو علي البجلي، المفسر، المحدث الإمام اللغوي، قال ابن حجر: لم أر فيه كلاماً، لكن ساق الحاكم في ترجمته مناكير عدة، ثم بين ابن حجر الخطأ في تضعيف الحاكم له، توفي سنة (٢٨٢هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٤١٤، ولسان الميزان: ٢/ ٣٠٧.

(٨) هذا المثل يضرب في التمسك بالاقتصاد. =

بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

[ثم][1] قلت: فهل تجد في كتاب الله تعالى: «من جهل شيئاً عاداه»[2]، قال: نعم، في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩]، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

قلت: فهل تجد في كتاب الله تعالى: «احذر شر من أحسنت إليه؟»[3] قال: نعم، ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٤].

(قلت)[4]: فهل تجد [في كتاب الله][5] «ليس الخبر كالعيان؟»[6]، [قال: في قوله تعالى][7]: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قلت: فهل تجد: «في الحركات البركات؟»، قال: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

قلت: فهل تجد: «كما تدين تدان؟»[8] قال: [في قوله تعالى][9]: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

= انظر: جمهرة الأمثال: ١/ ٤١٩، ومجمع الأمثال: ١/ ٢٤٣.

(١) من الإتقان: ٤/ ٤٢.

(٢) ساقطة من كتاب المجالس والمسامرات، نقلاً عن معجم الأمثال العربية القديمة للدكتور عفيف عبد الرحمن: ٢/ ٩٠٥.

(٣) في (هـ) و(ح): «تحسن»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٢.
انظر: الأمثال لابن القيم: ٥٨.

(٤) في (هـ) و(ح): «قال»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٢.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٢.

(٦) أول من قاله الرسول ﷺ. انظر: مسند الإمام أحمد: ١/ ٢١٥، ويروى «كالمعاينة». وانظر: الأمثال لابن القيم: ٥٨، ومجمع الأمثال: ٢/ ١٨٣.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٢.

(٨) المثل ليزيد بن الصعق حين أخذ بنته ملك من ملوك غسان، والمعنى: كما تعمل تُجازى، إن حسناً فحسن وإن سيئاً فسيء.
انظر: جمهرة الأمثال: ٢/ ١٦٨، ومجمع الأمثال: ٢/ ١٥٥.

(٩) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٢.

قلت: فهل تجد فيه قولهم: «حين تقلي تدري؟»[1].

قال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢].

قلت: فهل تجد فيه: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين؟»[2]، قال: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤].

قلت: فهل تجد فيه: «من أعان ظالماً سلط عليه؟»[3]، قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٤].

قلت: فهل تجد فيه قولهم: «لا تلد الحية إلا حية؟»[4]، قال: [قوله تعالى][5]: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

[قلت][6]: فهل تجد فيه: «للحيطان آذان؟» قال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

فهل تجد فيه: «الجاهل مرزوق والعالم محروم؟» قال: ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

فهل تجد فيه: «الحلال لا يأتيك إلا قوتاً، والحرام لا يأتيك إلا جزافا؟»[7]، قال: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣]. انتهى.

---

(١) يضرب للمغبون يظن أنه الغابن غيره.

انظر: مجمع الأمثال: ١/ ٢٠٤.

(٢) هذا المثل جاء على لسان رسول الله ﷺ، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن..: ٧/ ٨٣، ومسلم في الزهد والرقائق، باب: لا يلدغ المؤمن...: ٨/ ٢٢٧.

والمثل يضرب لمن أصيب ونكب مرة بعد أخرى، والمؤمن ينبغي أن يكون حذراً، بحيث إن خدع من جهة فلا يخدع مرة أخرى.

وانظر: أمثال أبي عبيد: ٣٨، وجمهرة الأمثال: ٢/ ٣٨٦، ومجمع الأمثال: ٢/ ٢١٥.

(٣) انظر: الأمثال لابن القيم: ٥٨.

(٤) ذكره ابن القيم في «الأمثال»: ٥٩.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٣.

(٦) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٣.

(٧) الجزاف، وفي اللسان، مادة: (جزف): ٩/ ٢٧.

الجزف: الأخذ بالكثرة، والجزاف والجزف: المجهول القدر مكيلاً كان أو موزوناً، وهو يرجع إلى المساهلة.

قال في «المستطرف»: ومما يجري مجرى أمثلة القرآن قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١]، [﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس: ٧٨]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]](١)، ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١] [﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف: ٩٥]، ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]](٢)، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧]، [﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]](٣)، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]، [﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]](٤)، [﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]](٥)، ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤](٦)، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] [﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١]](٧) ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، [﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ٣]](٨)، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٣.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ١/ ٤٣.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٤.
(٤) ساقطة من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٤.
(٥) ما بين القوسين ساقط من الإتقان: ٤/ ٤٤.
(٦) هذه الآية ساقطة من الإتقان: ٤/ ٤٤.
(٧) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٤.
(٨) ساقطة من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٤٤.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١]، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٤]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤]، ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية]، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨]، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٦]، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣، والنمل: ٩٣]، ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦، والجاثية: ١٥]، ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ﴾ [الملك: ٣]، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨]، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، [﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾ [الزمر: ٣٦]](1).

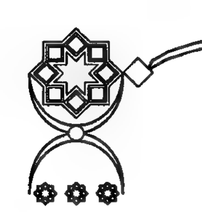
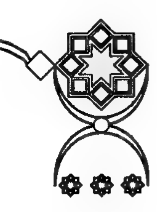
---

(1) ما بين القوسين ساقطة من الإتقان: ٤/ ٤٣، ٤٤.



النوع التاسع والثلاثون بعد المائة

علم مواعظ القرآن العظيم

النوع التاسع والثلاثون بعد المائة

علم مواعظ القرآن العظيم

وهو نوع جليل، ولم يذكره الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الإتقان». قال الراغب في «مفردات القرآن»[(١)]:

الوعظ[(٢)]: زجر مقترن بتخويف. وقال الخليل[(٣)]: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، والموعظة الاسم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ [سبأ: ٤٦][(٤)].

وقال في «الصحاح»[(٥)]: [الوعظ][(٦)]: النصح والتذكير بالعواقب، وعظته وعظاً فاتعظ؛ أي قبل الموعظة، يقال: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره. انتهى.

ومواعظ القرآن كثيرة؛ فلنقتصر على بعضها:

فمن ذلك قول الله ـ جل شأنه: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩][(٧)].

---

(١) مادة: (وعظ): ٥٢٧.

(٢) في (هـ) و(ح): «الواعظ»، وما أثبته من المفردات مادة: (وعظ): ٥٢٧.

(٣) هو: الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي النحوي، وهو الذي استنبط علم العروض، من تصانيفه: كتاب «العين» في اللغة، وتوفي سنة (خمس وسبعين ومائة).
انظر: كشف الظنون: ٢/١٤٤١، ووفيات الأعيان: ٢/٢٤٤.

(٤) نقلاً عن المفردات للراغب، مادة: (وعظ): ٥٢٧.

(٥) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مادة: (وعظ): ٣/١١٨١.

(٦) في (هـ) و(ح): «الواعظ»، وما أثبته من الإتقان: ٣/١١٨١.

(٧) الموعظة التي نأخذها من هذه الآية: أن الله ﷻ أوجب علينا ـ نحن معاشر المؤمنين ـ طاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ وذلك بالتمسك بالكتاب والسنة، وطاعة الحكام إذا كانوا مسلمين متمسكين بشرع الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
وعلى هذه الطريقة نفقه المواعظ في الآيات التالية.

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٧ ـ ١٢٨].

وقال عز من قائل: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٣٨].

وقال ـ جل شأنه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال ـ جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

فأمر الله ـ جل شأنه ـ رسوله ﷺ أن يدعو إلى دينه وشرعه بتلطف، وهو أن يسمع المدعو حكمة، وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس

أجمل موقع[1].

والموعظة الحسنة «مواعظ القرآن»، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[2].

وعنه أيضاً: الأدب الجميل [الذي][3] يعرفونه[4].

وقال ابن جرير[5]: هي العبر[6] المعدودة في هذه السورة؛ أي سورة النحل[7].

وقال بعضهم[8]: الموعظة الحسنة أن تختلط الرهبة بالرغبة، والإنذار بالبشارة.

وقيل[9]: الموعظة الحسنة هي التي لا تخفي عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها.

وقال ابن عطية: الموعظة الحسنة: التخويف والترهيب[10]، والتلطف بالإنسان، بأن تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل ونحو هذا[11][12].

فصل

في المواعظ القرآنية الممزوجة بكلمات الصوفية ـ رضي الله تعالى عنهم ـ:

---

(1) قاله أبو حيان في البحر المحيط: 5/549.

(2) نقلاً عن زاد المسير: 4/506، قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(3) ما بين المعقوفين تكملة من زاد المسير: 4/506، والبحر المحيط: 5/549.

(4) زاد المسير: 4/506، والبحر المحيط: 549، قاله الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(5) في تفسيره: 14/194 هذه عبارته: «والموعظة الحسنة» يقول: بالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله، كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حجة، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه.

(6) في (هـ) و(ح): «بياض»، وما أثبته من البحر المحيط: 5/549.

(7) هذا اللفظ من البحر المحيط: 5/549.

(8) قاله ابن عيسى كما ذكره ابن حبان في البحر المحيط: 5/549.

(9) قاله الزمخشري في الكشاف: 2/435.

(10) وفي المحرر الوجيز: «والتوجيه».

(11) المحرر الوجيز: 8/545.

(12) قلت: هذه الأقوال قريب بعضها عن بعض؛ لأن كل واحد يرجع إلى المعنى الأصل اللغوي، وهو النصح والتذكير بالعواقب.

اعلم أن قصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ المذكورة في القرآن كلها مواعظ، ولذا قال تعالى شأنه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

قال الشيخ الإمام العارف الكبير الشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني[١] ـ قدس الله سره ـ في مواعظ:

فصل: في قصة آدم ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ:

لما سمعت الملائكة بآذان العقول قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ولمع لها من أفق العناية به، المجعول بيده[٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩، وص: ٧٢]، قالت: إلهنا أين تكون هذه الخليفة؟ قال: في نقطة خط الأرض، قالت بلسان الاعتراض: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، كيف لمع هذا البارق من سحاب التراب؟ هل التراب إلا محل الظلمة؟ هل الصلصال[٣] إلا مركز العيب لا الغيب؟ إلهنا نحن رهبان صوامع الأعلى، نحن شيوخ صفة الصفا، نحن سكان ربط مقام يسبحون الليل والنهار، قال لهم مجيب القدر: خطأ فاسد في نظركم في تأملكم، أما علمتم أن في الأرض معدن الياقوت، وأن الجواهر من أنهارها تستخرج، وأن أشخاص الأنبياء من معادنها أخرجت، وأن غرائب أسرار القوم في كنوزها دفنت، وجسد الصفي آدم من عناصرها ركبت، فلما استخرج القدر شكل الفتى من نقطة. ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾ [الحجر: ٢٨، وص: ٧١] ويده على صفحة لوح الكون بيد ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ [الحجر: ٢٩، وصٓ: ٧٢]، وصار ذاتاً آدمياً بسابق علم ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧، والبروج: ١٦]، ووضع طفله في حجر اصطفى آدم وربي في مهد ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ [البقرة: ٣١]. ذات الملائكة[٤] ذاتاً

---

(١) هو: عبد القادر بن موسى محيي الدين الجِيْلاني مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، صاحب «الغنية لطالب طريق الحق»، و«الفتح الرباني» وغيرهما، وتوفي سنة (٥٦١هـ). وفوات الوفيات: ٢/ ٣٧٣، والشذرات: ٤/ ١٩٨.

(٢) (ح): «بيد».

(٣) الصلصال: هو الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف.
انظر: مختار الصحاح: ٣٩٢.

(٤) هذا الكلام يشير إلى أن المراد بالأسماء في هذه الآية ذات الملائكة، وقد اخترت =

صلصالية[1] الهيكل، ولمحت عليه أسرار ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩، وص: ٧٢] ورأت عليه خلعه ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥]، وأخذت عنه علماً ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، فقالت: ملك جلس في دست[2] السلطنة، عزيز وصل إلى مصر الفخر، عاشق هب عليه نسيم وصل محبوبه عنه انتقل من الأشباع الملكية إلى الحمأ المسنون[3]. انتهى[4].

آدم أن يخلو في حضرة القدس سها مجدع[5] صاحب قوس عن قول: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ [طه: ١١٨]، دخل عليه عدوه من ظلمة ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠]، غره بأباطيل ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]، كانت الشجرة شمعة نصبت لفراش زوجه حامت حولها بأجنحة، ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: ١٢١] فاحترقت بلهب، ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، جذبه ما فيه من ظلمة الأرض إلى غفلة وعصى، فاستدرك بما فيه من نور السماء، فقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، بكى على فراق محله الأول، قال: من أين لي جلد على هجر محبوبي؟. قيل لآدم: المعصية (تحجب)[6]

= قول ابن عباس ﷺ من أن المراد بها هي الأسماء التي يتعارف بها الناس، إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وجمل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

(١) الملائكة لم تخلق من صلصال، وإنما خلقت من نور كما في حديث مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب: في أحاديث متفرقة: ٨/ ٢٢٦.

(٢) الدست: صدر المجلس، ودست الوزارة: منصبها.

انظر: المعجم الوسيط: ١/ ٢٨٢.

(٣) الحمأ: الطين الأسود، والمسنون: المتغير. ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣/ ١٢٩.

(٤) لم أعثر على مرجع كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني.

(٥) والسها: كويكب صغير خفي الضوء، في بنات نعش الكبرى، والناس يمتحنون به أبصارهم.

انظر: اللسان، مادة: (سها): ١٤/ ٤٠٨.

مجدع من الجدع وهو القطع.

انظر: اللسان، مادة: (جدع): ٨/ ٤٢ ويمكن أن تكون هذه العبارة كناية عدم الجوع في الجنة.

(٦) (ح): «تجاب».

بينك وبين ربك، حضرية طاهرة لا توطأ بأقدام متلوثة بمخالفة المحبوب، هكذا سبب هجرة كيف باجتهاد سهام تدرك لا يدفع بذرع الحيل، ما عصيتك جرأة عليك بل غفلة، وما خالفت أمرك إلا لأمر كتب علي. فهل يا آدم أنين العاصين أحب إلي من زجل المسبحين، الاعتراف بالذنب كفارته، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢] قد كتبت لك قبل زلة، وعصى مكتوب، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقلنا قبل خلقك عذراً عنك: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

وقال[١] ـ رضي الله تعالى عنه ـ في شأن موسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: طفل نشأ في مهد عهد القوم صغيراً، فغذي بلبن ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] صبي ربي في حجر ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١]، ألقي في التابوت شبه من يموت فدفنته أمه في اليم خوفاً من فتنة ذبح، وقعه في كفالة عدوه بواسطة ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩]، ورده إلى أمه بسفارة ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ [القصص: ٩]، وسلم من القتل بمغالطة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [القصص: ٩]، طفل عقله لرؤية عجائب الكون عرف الخالق بنور ﴿ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]، وما كان جاهلاً بثبوت أحكام القادر؛ فإن الأنبياء عليهم السلام فطروا على نور المعرفة، وجعلت أرواحهم على توحيد صانع الوجود، وإثبات وجود واجب الوجود، وتنطعت[٢] في مرآة علمه أشكال الأكوان صار نوراً في فتور حدقة الزمان، وخطب له خطيب ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ [القصص: ١٤]، حرك القدر ساكن عزمه ونبه مريد الأمر المقضي نائم فكره، فانصب سنين سحاباً إلى شعب شعيب، فأنبت له في أرض مدين نبات ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾ [القصص: ٢٧] أثمر ثمر، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩] صارت بينهما نسبة النبوة[٣] وألفة المصاهرة، فلما خرج بأهله وقد استبان وضع الجبل[٤]، والليل كسواد

---

(١) القائل الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولم أعثر على المرجع.

(٢) تنطعت: تحذقت في الصناعة.

قال الزمخشري في أساس البلاغة: ومن مجاز المجاز تنطع الصانع: تحذق في صناعته.

(٣) هذا القول يشير إلى أن أب زوجة موسى هو نبي الله شعيب، وقد ناقشت الأقوال فيه واخترت أنه ليس نبي الله شعيب، بل شيخ آخر من مدين.

انظر: الحاشية: ٣٦٢ فما بعدها.

(٤) (ح): «الحمل».

حدق حور الجنة، والريح تشير عبرات عيون السحوب، وسيوف البرق تسل في غمد الغمائم، وأسود الرعود تزمجر في غابات فطابت، وطرأ نادى إليه من الفطر ليقدح لزوجته من زبد الظلام شراراً، ويطلب في أكناف السوار[1] المقدس ناراً، هذا والغرام غريم سره، والوجد نديم روحه، والشوق سمير قلبه، والتسوق جليس فؤاده، والهوى حشو صدره، فلاح له النور في معرض نصب لاصطياد طائر روحه شباك ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤]، رأى سطراً من سطور لوح القدر فجلت لفراش روحه شمعة الطور وقعت رجل عقله في شرك أنس أفرغ في كأس سمعه صرف شراب ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤]، أسكره بأمراض شرب موام[2]، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ فيه نشوات[3] الشوق فطاحت به طوائح[4] أمواج بحار، لؤلؤ غلب على قلبه هيمان العشق خرفت لذة التكلم ما قد سمعه، حتى وصلت إلى بصره، فطلب البصر نصيبه من النظر وافقه فوق القلب فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قيل: يا موسى انظر أولاً إلى إزاء الجبل بوجهك، ذهبت ثيابك على محك فإن استقر أعبر سكونك عند حركة الصخور لهيبة تجلى، فما دست به أجزاء الطور عند أشراف لمعان ذلك النور، وتعطرت أشجار الوادي المقدس بنسيم القرب، وتأرجت رياض البقعة المباركة ببهجة وقت الوصل، وصارت هضبات الطور حدائق لأجل تجلى، وامتلأت جنباته بالملائك استعطافاً لقوله: ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقامت أرواح الأنبياء تترصد ما يكون، بعد هذا سمع كلاماً، لا ككلام البشر، خاطبه من ليس من جنس المحدثات، نودي من جميع آفاق جهات الموجود، صارت جملته سمعاً وبصراً فتلف بعين سره إلى الطور، وقع شعاع نور عين عقله على لموع نور مرآة الجبل، انعكست أشعة

---

(١) السوار: أي الرامي الحاذق.
قال الزمخشري في أساس البلاغة، مادة: (سور): ٣١٢: السوار من الأساورة الرامي الحاذق، والأصل أساورة الفرس: قوادها، وكانوا رماة الحذق.

(٢) موام: جمع موم، وهو الشمع وأصله فارسي معرب وفي اللسان، مادة: (موم): ١٢/٥٦٦: الموم: الشمع وأصله فارسي، وفي صفة الجنة: وأنهار من عسل مصفى من موم العسل.

(٣) نشوات جمع نشوة: وهي ما تأخذ الإنسان عند الطرب والفرح.
انظر: المصباح المنير: ٢/ ٢٧٥، والمعجم الوسيط: ٢/ ٩٣٢.

(٤) الطوائح: القواذف.

الميثاق، جاءت بروق بصر الحسن، زهلت[1] عين الفكر، خرس لسان الطبع، انقطعت أسباب الحواس، فرأى لسان حال موسى ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، قال المخبر عن صدق صلبه ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣][2].

قيل: يا موسى معدة طبيعتك ضعيفة عن شراب تجلي أنيق، عينك ضيق عن مقابلة أنوار سبحات[3] ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، تمكين الحدث لا تنفتح في شعاع شمس القدم، ورد النظر لا يطلع في شجر كانون هذا الكون، إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا، خلعة النظر دخرة في خزائن الغيب كصاحب قاب قوسين، هذا الشرف لا يناله في الخلائق سوى سيد ولد آدم ويتيمة عقد البشر ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢، والإسراء: ٣٤]، مات موسى عليه السلام بضرب سبق ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ثم حيي بروح فسوق وقام على قدم ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فرقل[4] في حلة ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، رجع إلى أهله متبرقعاً ببرقع العبرة، أن ترآى نور تلك الآثار قالت له صفراء[5] بنت شعيب عليه السلام: يا كليم الله قد اشتقت إلى نور وجهك فاكشف لي عن البرقع لأراه. قال لها: كيف أكشف وجهاً على ضجور[6] الطور ببهجة نور تجلى، كيف أريك روضاً فاح طيبة من أرج، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] بقايا شرب، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] في كؤوس، وحياتي بسطوة هيبته ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣] في لمحات أسارير وجهي.

---

(١) زهل يزهل زهلاً: اطمأن قلبه فهو زاهل وزهل يزهل زهلاً: أبيض.
انظر: اللساند مادة: (زهل): ١١/ ٣١٣.

(٢) قال الشوكاني في تفسيره: ٢/ ٢٤٤ عند تفسير ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]: أي مغشياً عليه، مأخوذاً من الصاعقة، والمعنى أنه صار حاله لما غشي عليه كحال من يغشى عليه عند إصابة الصاعقة له.

(٣) قال الزمخشري في أساس البلاغة: ٢٨٢، مادة: (سبح): وأسألك بسبحات وجهك الكريم: بما تسبح به من دلائل عظمتك وجلالك، وأشار إليه بالمسبحة والسباحة.

(٤) أرقل: بمعنى أسرع.
انظر: اللسان مادة: (رقل): ١١/ ٢٩٣.

(٥) انظر: الكشاف: ٣/ ١٧٢، وحاشية الجمل: ٣/ ٣٤٥.

(٦) ضجر المكان ضجراً: ضاق بمن فيه، والضجور الكثير الضجر.
انظر: اللسان، مادة: (ضجر): ٤/ ٤٨١.

قالت: قد رضيت أن أراه ناموساً[1] قد هان على يدك نفسي بنظرة إلى زهرات جمال وجهك. يا غلام: كن في صدق طلبك كبنت شعيب ﷺ، بع نفسك في طمع نظرة من أهل الحمى، سارع بقطع المنازل وطي المراحل، تعزم مجرد من حوادث الإرادات، شوقاً إلى رؤية المحبوب ووليها نيل المطلوب، وادخل حرم الحرمة، وقف موقوف العبودية، وأم بجد الوجد، فعسى أن توقف بإزاء ليلى الأرواح، أو ترى ببصر يوسف يعقوب القلوب، فإن أتاك نسر من تلقائهم يحمل نسمة من نور جمالهم.

وبع نفسك بعودة من تألف برقهم غراماً بعود ذلك الوصل، والله ما غبن بائع نفسه بلحظة واحدة. النظر: عبارة عن الرؤية بالأبصار ولم يسأله مخلوق في هذه الدار سوى صاحب المقام المحمود. والمشاهدة: عبارة عن الرؤية ببصائر الأسرار، فخرج من تواقيع مقاماتها من ديوان يختص برحمته، أيها المريد الصادق الشواق التواق: إن ظفرت بخلعة المشاهدة في خلوة مجلس سرك، وإن لم تنلها فاستقم على جادة الصدق حتى يأتيك اليقين، وتنقل - إن شاء الله تعالى - إلى دار الصديقين، فانظر إلى مطلوبك، ونافذ نصيبك من رؤية محبوبك، الشجاعة صبر ساعة، يا غلام: كن موسى ألهمه لا تصنع بدون أرني، أولها التوحيد ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ١١٧]، والثبات ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧]. أول أحوال الأنبياء ﷺ مراقي أقدام الأولياء، بداءة أفعال الرسل، أقصى معارج همم العارفين. طوبى لك يا فقير ليلة، يقع موسى عقلك في شاطئ وادي عرفانك، في البقعة المباركة من قربك، إن أردت أن تعرف ما طلب دلائل تلك الآثار في صفحات وجوه الأعمال ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] يا محل العقول ارفعي في زهرة البساتين، واجمعي شهد المعارف من هذه الحقائق حتى إذا مرض ولي من الأولياء بغير معراج المحبة، قلنا لطبيب أسقام العارفين حليم الشريعة الإسلامية، صاحب الملة الحنيفية، إنك بلسان قلت به لك في الفصاحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

---

(١) الناموس: صاحب سر الرجل.
انظر: المصباح المنير: ٢/ ٢٩٧.

ومن كلام الحافظ الكبير الشهير الشيخ عبد الرحمن ابن الجوزي في كتاب: «المدهش»[1] له في باب: الموعظة في قصة نوح عليه السلام[2]: [لما عم][3] أهل الأرض العمى عما خلقوا له، بعث نوح [بجلاء][4] أبصار البصائر، فمكث يداويهم ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، فكلهم أبصر ولكن [عن المحجة][5] تعامى، فلاح للاحي[6] عدم فلاحهم، فوالاهم الصلا[7] بأساً من صلاحهم. وبعث شكاية الأذى في مسطور ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]، فأذن [مؤذن][8] الطرد، على باب دار إهدار دمائهم، ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، فقام نوح في محراب ﴿لَا تَذَرْ﴾ [نوح: ٢٦]، فأتته رسالة ﴿أَنِ اصْنَعِ﴾ [المؤمنون: ٢٧] ونادى بريد الإعلام بالغضب ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾ [هود: ٣٧، والمؤمنون: ٢٧]، فلما أن هال كئيب الإمهال[9]، وانقطع سلك التأخير، غربت شمس الانتظار، فادلهمت عقاب[10] العقاب[11]. فلما انسدلت[12] الظلمة [وفات][13] النور ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠] فقيل: يا نوح قد حان حين الحين[14]، فـ ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠]، فتخلف

---

(١) المدهش: ٧٦ ـ ٨١.
(٢) الآيات الواردة هنا من سورة (العنكبوت)، و(نوح)، و(هود)، و(المؤمنون).
(٣) في (هـ) و(ح): «فما عم»، وما أثبته من المدهش: ٧٦.
(٤) في (هـ) و(ح): «الجلال»، وما أثبته من المدهش: ٧٦.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من المدهش: ٧٦.
(٦) اللاحي اسم فاعل من لحا يلحو لحواً فهو لاح ولحا فلاناً: لامه وعذله.
(٧) الصلا: وسط الظهر؛ أي أعرض عنهم.
(٨) ما بين المقعوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من المدهش: ٧٦.
(٩) أي أفزعه حزن الانتظار وسوء حاله.
انظر: اللسان، مادة: (كثب): ١/ ٦٩٤.
(١٠) كل ما علا.
(١١) العقاب: العذاب.
(١٢) انسدلت الظلمة: أي أرخت وأرسلت.
انظر: اللسان مادة: (سدل): ١١/ ٣٣٣.
(١٣) الواو: ساقطة من (هـ) و(ح)، وما أثبته من المدهش: ٧٦.
(١٤) الحين: الهلاك.

خلف[1] [نوح خلف][2] من ولده، فمد يد الحنون ليأخذ بيده ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢] فأجاب عن ضمير خايض في مساء المساوي ﴿سَـَٔاوِيٓ﴾ [هود: ٤٣]، فرد عليه لسان الوعيد ﴿لَا عَاصِمَ﴾ [هود: ٤٣]، فلما انتقم من العصاة بما يكفي [كفت][3] كف النجاة كفة الأرض بقسر ﴿ٱبْلَعِي﴾ [هود: ٤٤]، وقلع جذع جزع السماء في وكف دمعها بظفر ﴿أَقْلِعِي﴾ [هود: ٤٤]، ونوديت نجوة الجودي[4] جودي، بإنجاء غرقى السير، وزود الهالكون في سفر الطرد، [زاد][5] ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ [هود: ٤٤].

الفصل الرابع:

في قصة عاد[6]: ولما تجبر[7] قوم عاد في ظل ظلل ضلالهم حين أملى الأمل وطول البقاء، وزوى[8] ذكر زوالهم، ومروا في مشارع عذاب الملاهي ناسين، من عذابها غافلين[9] في حلل الغفلة بالأمنية عن المنية وآدابها[10]، أقبل هود يهديهم، ويناديهم [في ناديهم][11]: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [هود: ٥٠]، فبرزوا في عتو ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، فسحب سحاب العذاب ذيل الأدبار بإقباله إلى قبائلهم، فظنوه لما [اعترض][12] عارض مطر، فتهادوا تباشير

---

(١) أي وراء.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من المدهش: ٧٦.
والمراد بـ «خلف» الثاني هو: الولد الذميم.

(٣) في (هـ) و(ح): «لعنت»، وما أثبته من المدهش: ٧٧.

(٤) سبقت ترجمته في نوع الأسماء والكنى والألقاب.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من المدهش: ٧٧.

(٦) والآيات الواردة هنا في (الأعراف)، و(فصلت)، و(الأحقاف)، و(الحاقة)، و(القمر).

(٧) في المدهش بدون الواو: ٧٧.

(٨) أي ذهب ذكر زوالهم.

(٩) في المدهش: ٧٧: «رافلين».

(١٠) (ح): «فإذا بما».

(١١) ساقط من (ح)، وما أثبته من المدهش: ٧٧.

(١٢) في (ح): «اعترى»، وما أثبته من المدهش: ٧٧.

البشارة، بتهادي[1] بشارة ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فصار بلبل البلبال فبلبل[2] ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٢٤] فكان كلما دنا وترامى، ترى ما كان كأن لم يكن، فحنظلت[3] شجرات مشاجرتهم هوداً، فجنى[4] من جنى، من جنا ما جنى[5] في مغنى ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، فراحت ريح الدبور لكي تسم الأدبار بكي الدبار، فعجوا منها عجيج[6] الأدبر، فلم تزل تكوي تكوينهم بميسم العدم، وتلوي تلوينهم إلى حياض دم الندم، وتكفأ عليهم الرمال، فتكفي تكفينهم وتبرزهم إلى البراز عن صون [حصون][7]، كن يقيناً يقيهم[8]، فإذا أصبحت أخذت تنزع في قوس ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ [القمر: ٢٠]، وإذا أمست أوقعت عريضهم في عرض ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ [القمر: ٢٠]، فما برحت بارحهم[9] عن براحهم حتى برحت بهم، ولا أقلعت حتى أقلعت قلوع[10] قلاعتهم[11] فدامت[12] عليهم آفة وداء لا تقبل

---

(١) وفي اللسان، مادة: (هدى): ١٥/٣٥٩: «والتهادي: مشي النساء والإبل الثقال، وهو مشي في تمايل وسكون».

(٢) وفي اللسان، مادة: (بلل): ١١/٦٨: «والبلبلة: تفريق الآراء، وبلبل القوم بلبلة وبلبالاً: حركهم وهجهم، والاسم البلبال وهو البرحاء في الصدر.

(٣) أي أكثرت.

(٤) من جني الثمر.

(٥) من الجناية.

(٦) (ح): «عجيم». وفي اللسان، مادة: (عجج): ٢/٣١٨.
عج: رفع صوته وصاح.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) يمنعهم.

(٩) الريح الحارة.

(١٠) قلوع جمع قلع وهي شراع السفينة.
انظر: اللسان، مادة: (قلع): ٨/ ٢٨٠.

(١١) في المدهش: ٧٧: «قلاعهم».
والقلاعة: صخرة عظيمة وسط فضاء سهل، أما القلوع: هي الناقة الضخمة الجافية ولا يوصف به الجمل.
انظر: اللسان، مادة: (قلع): ٨/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(١٢) (ح): «فدت».

فداء ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، فحسوا ما أذاقهم من سوء ما حسوا ما، ونسفوا من قفر ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ [هود: ٦٠] إلى يم ﴿وَأُتْبِعُوا﴾ [هود: ٥٩]، فلو عبرت في معبر الاعتبار، لترى (ما آل إليه مآلهم)[1]، لرأيت التوى[2]، كيف التوى عليهم، وكف النوى كيف نوى الدنو إليهم، فانظر إلى عواقب الخلاق، فإنه شاف كاف.

الفصل الخامس: في قصة ثمود[3]:

لما أعرضت ثمود عن كل فعل صالح بعث إليهم للإصلاح صالح، فتعنت عليهم نواق[4] هواهم[5] بطلب ناقة، فخرجت من صخرة صماء تقبقب[6]، ثم فصل عنها[7] فصيل يرغو[8]، فارتعت حول نهي نهيهم عنها في حمى حماية ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾ [الأعراف: ٧٣، وهود: ٦٤، والشعراء: ١٥٦]، فاحتاجت إلى الماء، وهو قليل عندهم، فقال حاكم الوحي: ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وكانت[9] يوم ورودها تقضي دين الماء، بماء درها، فاجتمعوا في حلة الحيلة، على شاطئ غدير القدر، فدار قدار[10] حول عطن[11] ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ [القمر: ٢٩]،

---

(١) (ح): «وما آل إليهم».
(٢) التوى: أي الهلاك.
انظر: أساس البلاغة، مادة: (توى): ٦٦.
(٣) الآيات الواردة هنا من: (الأعراف)، و(الشعراء)، و(هود)، و(القمر)، و(يونس).
(٤) وفي اللسان، مادة: (نوق): ١٠/٣٦٣.
والنواق من الرجال: الذي يروض الأمور ويصلحها.
(٥) في المدهش: ٧٨: «أهوائهم».
(٦) تقبقب: أي تصوت، قال الزمخشري في أساس البلاغة، مادة: (قبب): ٤٨٨: وقبقب الفحل وهو صوت هديره.
(٧) في المدهش: ٧٨: «عليها».
(٨) رغا البعير والناقة ترغو رغاء: صوتت فضجت.
انظر: اللسان، مادة: (رغا): ١٤/٣٢٩.
(٩) في المدهش: ٧٩: «فكانت».
(١٠) في (هـ) و(ح): «قداد»، وما أثبته من المدهش: ٧٩، وهو اسم عاقر الناقة.
(١١) العطن للإبل: كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض.
انظر: اللسان، مادة: (عطن): ١٣/٢٨٦.

فصاب عليهم صيب صاب صاع صاعقة العذاب الهون، فحين دنا وديدن[1]، دمغهم[2] دمار [فدمدم (عليهم)[3]]، فأصبحت المنازل لهول[4] ذلك النازل ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤][5].

الفصل السادس: في قصة الخليل عليه السلام[6]:

كانت[7] الكهنة قد حذرت نمرود[8] وجود محارب غالب، ففرق بين الرجال والنساء، فحمل به على رغم أنف اجتهاده. فلما خاض المخاض في خضم أم إبراهيم، جعلت بين خيف[9] الخوف وحير التحير[10] تهيم، فوضعته في نهر قد يبس، وسترته بالحلفاء[11] ليلتبس، وكانت تختلف لرضاعه وقد سبقها رضاع، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]، فلما بلغ سبع سنين رأى قومه في هزل، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ [الأنبياء: ٥٢]، فجادلهم فجد

---

(١) الديدن: الدأب والعادة. انظر: اللسان، مادة: (ددن): ١٣/ ١٥٢.

(٢) يقال: دمغ فلاناً: شجه حتى بلغت الشجة دماغه..
انظر: اللسان، مادة: (دمغ): ٨/ ٤٢٥.

(٣) دمدم: إذا عذب عذاباً تاماً، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾؛ أي أهلكهم قال: دمدم: أرجف.
انظر: اللسان، مادة: (دمم): ١٢/ ٢٠٨.
وكلمة: «دمدم» ساقطة من المدهش: ٧٩.

(٤) (ح): «الهو»، وما أثبته من المدهش: ٧٩.

(٥) لكن هذه الآية لم تقص قصة ثمود وذكرها ابن الجوزي اقتباساً.

(٦) الآيات الواردة هنا من (البقرة)، و(الأنبياء)، و(الصافات).

(٧) في المدهش: ٧٩: «كان».

(٨) إن الملك الذي حاجه إبراهيم عليه السلام هو نمرود، وكان قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها، ويقال: لم يجتمع ملك الأرض إلا لثلاثة ملوك: نمرود، وذي القرنين، وسليمان بن داود.
انظر: تاريخ الطبري: ١/ ٢٣٣، والكامل: ١/ ٩٤.

(٩) في (هـ) و(ح): «خوف»، وما أثبته من المدهش: ٧٩.

(١٠) في المدهش: ٧٩: «حيز التحيز».

(١١) وفي اللسان، مادة: (حلف): ٩/ ٥٦.
قال الأزهري: الحلفاء: نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص، ينبت في مفايض الماء والنزوز...

لهم[1] (فجدلهم)[2]، وأبرز نور الهدى في حجة ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فقابله[3] نمرود يسهي السهو في ظلام، ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فألقاه كاللقاء[4]، على عجز العجز بآفات[5] ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ثم دخل دار الفراغ، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ [الصافات: ٩٣]، فجردوه من بُرد[6] بَرد[7] العذاب[8] [إلى][9] حر ﴿حَرِّقُوهُ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

فبنوا لسفح[10] دمه بنياناً إلى سفح[10] جبل فاحتطبوا له على عجل العجل، ثم وضعوه[11] في كفة المنجنيق.

فاعترضه[12] جبريل في عرض الطريق، فناداه وهو يهوي في ذلك الفلا[13]: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا.

فسيق بريد الوحي إلى النار بلسان التفهم: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

---

(١) من الجد خلاف اللعب.

(٢) ساقط من (ح)، غلبهم في الجدل.

(٣) في (هـ) و(ح): «فقابلهم»، وما أثبته من المدهش: ٧٩.

(٤) لقاء جمع القوة وهي داء للوجه يعوج منه الشدق، وقيل: العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف.
انظر: اللسان، مادة: (لقا): ١٥/ ٢٥٣.

(٥) (ح): «يا له»، وما أثبته من المدهش: ٨٠.

(٦) بالضم الثوب.

(٧) بالفتح خلاف الحر.

(٨) في المدهش: ٨٠: «العدل».

(٩) ساقط من (ح)، وما أثبته في المدهش: ٨٠.

(١٠) سفح الدم ونحوه سفوحاً وسفحاناً بمعنى انصب، وسفح الجبل: أسفله الذي يغلظ فيسفح فيه الماء، وقيل: عرض الجبل المضطجع.
انظر: اللسان، مادة: (سفح): ٢/ ٤٨٥.

(١١) في المدهش: ٨٠: «فوضعوه».

(١٢) (ح): «فاعترض».

(١٣) الفلاة: الأرض الواسعة المقفرة، وجمعها: فلا وفلوات.
انظر: اللسان، مادة: (فلا): ١٥/ ١٦٤.

الفصل السابع: في قصة الذبيح[1]:

لما ابتلي الخليل بنمرود[2] فسلم، وبالنار فسلم[3]، امتد ساعد البلاء إلى الولد المساعد، فظهرت عند المشاورة نجابة ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وآب يوصي الأب اشدد رباطي ليمتنع ظاهري من التزلزل، كما سكن قلبي مسكن السكون، واكفف ثيابك عن دمي، لئلا يصبغها عند مي، فتحزن لرؤيته أمي، واقرأ السلام عليها مني، فقال: نعم العون أنت يا بني. ثم أمر السكين على مريئي[4] المرء فما مرت، غير أن حسرات الفراق للعيش أمرت[5]، فطعن بها في الحلق (مرات)[6] فنبت[7]، لكن حب، حب الرضا في حبة القلب نبت[8]، يا إبراهيم من عادة السكين أن تقطع، ومن عادة الصبي أن يجزع، فلما نسخ الذبيح نسخة الصبر ومحا سطور الجزع، قلبنا عادة الحديد فما مر ولا قطع، وليس المراد من الابتلاء أن نعذب ولكنا نبتلي لنهذب.

أين المعتبرون بقصتهما في غصتهما، لقد حصحص الأجر في حصتهما، لما جعلا الطاعة إلى الرضا سلماً، سل ما يؤذي فسلما، وكلما حاجب كلم[9] كل[10] ما به تذبحان، فصدما به صدماً، بيناهما على تل[11] ﴿وَتَلَّهُۥ﴾ [الصافات: ١٠٣] جاء بشير ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات: ١٠٥]، فارتد أعمى

---

(١) الآيات الواردة هنا في (الصافات).

(٢) في المدهش: ٨: «بالنمرود».

(٣) الأولى من التسليم، والثانية: من السلامة.

(٤) المريء: مجرى الطعام والشراب عند الحلقوم. انظر: اللسان، مادة: (مرأ): ١/ ١٥٥.

(٥) يعني أن نبي الله إسماعيل عليه السلام يحزن قليلاً بفراق الأهل، ولكنه يرضى بقضاء الله تمام الرضا.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) نبت: أي كلت، والكل: قفا السيف والسكين الذي ليس بحاد، وكل السيف يكل؛ أي لم يقطع. انظر: اللسان، مادة: (كلل): ١١/ ٥٩١.

(٨) من النبات.

(٩) كلم: بمعنى جرح.

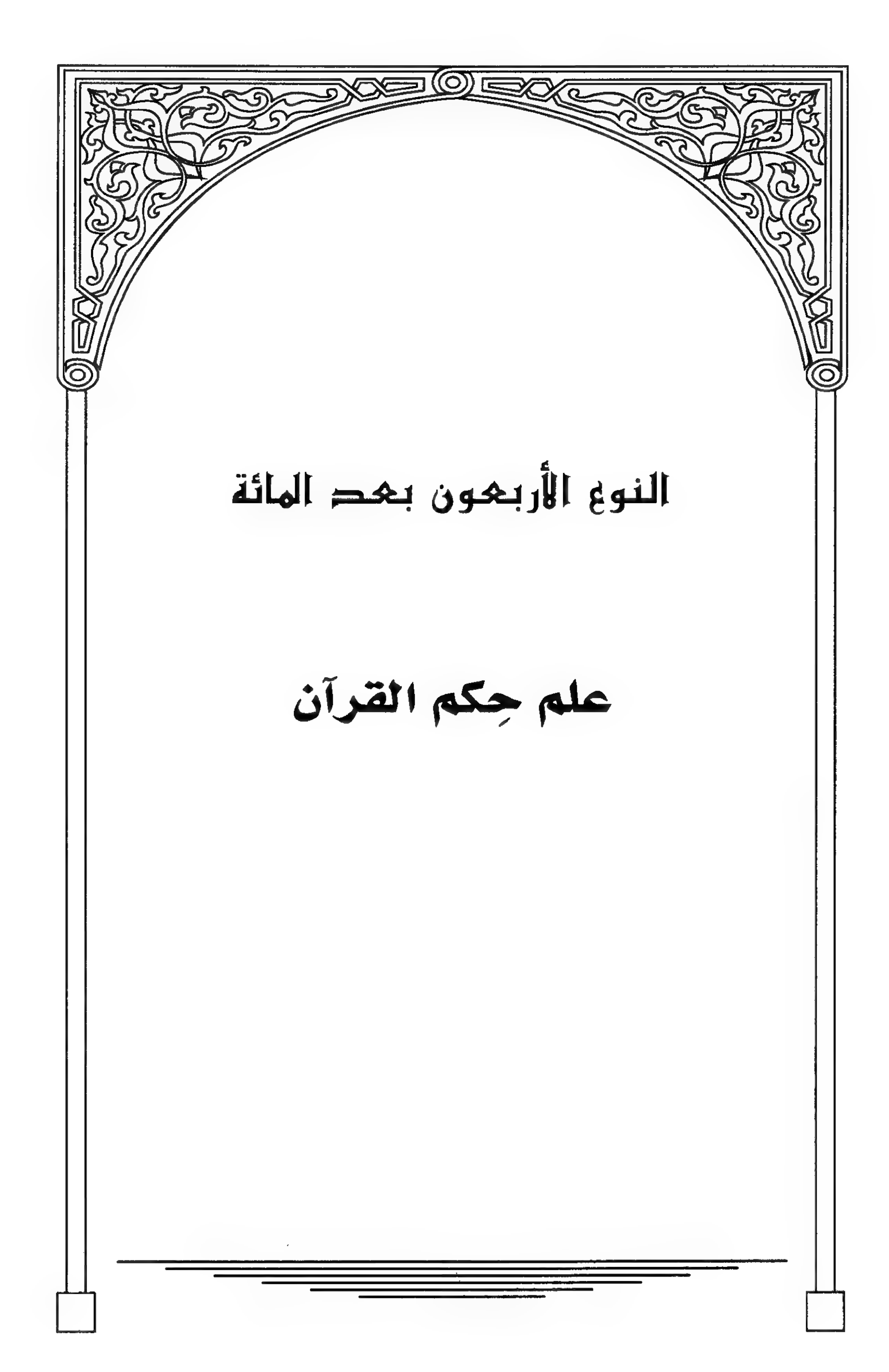
(١٠) كل يكل كلولاً وكلالة: بمعنى ضعف يقال: كل السيف، ونحوه: لم يقطع فهو كليل وكل. انظر: المصباح المنير: ٢/ ١٩٩، والمعجم الوسيط: ٢/ ٨٠٢.

(١١) التل: مصدر تله يتله تلا بمعنى صرعه، والمراد هنا إلقاؤه على عنقه وخده. انظر: اللسان، مادة: (تلل): ١/ ٧٧.

الحزن بصيراً بقميص ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٧]. ليس العجب أمر الخليل بذبح ولده؛ وإنما العجب مباشرة الذبح بيده، ولولا استغراق حب الآمر لما هان مثل هذا المأمور[1]. انتهى.

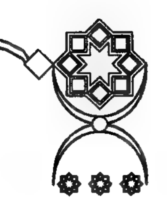
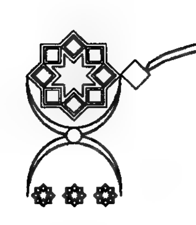
---

(١) انتهى كلام ابن الجوزي في المدهش: ٧٦ ـ ٨١.



النوع الأربعون بعد المائة

علم حِكم القرآن

النوع الأربعون بعد المائة

علم حِكم القرآن

وهو نوع شريف أيضاً، ولم يذكره الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الإتقان».

اعلم ـ أيدنا الله تعالى وإياك ـ أن القرآن مشتمل على الحِكم الجليلة المفيدة، وقد ذكر الله ـ جل شأنه ـ الحكمة في عدة آيات[1] في كتابه العزيز.

فقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ۝١٥١﴾ [البقرة: ١٥١].

وقال ـ جل شأنه: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة تطلق ويراد بها: معرفة الشيء على ما هو عليه. وتطلق ويراد بها: الكلمة المفيدة الموصلة إلى معرفة حقيقة الشيء المقبولة عند السامع قبولاً مسلماً لذوي العقل.

قال السدي: هي النبوة[2]. وقال قتادة: الحكمة السنة وبيان النبي الشرائع[3]. وقال ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ ومجاهد والضحاك ومقاتل وغيرهم: الحكمة القرآن[4]. وقال مالك وأبو مرزين: الحكمة الفقه في الدين[5]، والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى.

---

(١) ذكرها في (البقرة): ١٢٩، ١٥١، ٢٣١، ٢٥١، ٢٦٩. و(آل عمران): ٤٨، ٨١، ١٦٤. و(النساء): ٥٤، ١١٣. و(المائدة): ١١٠. (والنحل): ١٢٥. و(الإسراء): ٣٩. و(لقمان): ١٢. و(الأحزاب): ٣٤. و(صٓ): ٢. و(الزخرف): ٦٣. و(القمر): ٥. و(الجمعة): ٢.

(٢) وهو قول ابن عباس أيضاً فيما روى عنه أبو صالح. نقلاً عن البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٣) لم أعثر على المرجع.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير: ١/ ٣٢٤، وأبو حيان في البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره: ٣/ ٣٣٠.

وقال مجاهد: الحكمة فهم القرآن[١]. وقال مقاتل: العلم والعمل به، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما[٢]. وقال ابن زيد[٣]: كل كلمة وعظتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبح فهي حكمة. وقال أبو جعفر محمد بن يعقوب[٤]: كل صواب من القول أورث فعله صحيحاً فهو حكمة[٥]. وقال يحيى بن معاذ[٦]: الحكمة جند من جنود الله يرسلها إلى قلوب العارفين حتى يروح عنها وهج الدنيا[٧]. وقيل: الحكمة وضع الأشياء موضعها. وقيل: إنها كل قول وجب فعله. وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فيما رواه عنه علي بن طلحة: معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره[٨]. وقال الحسن: الورع في دين الله[٩]. وقال الربيع بن أنس: الخشية[١٠]، وقال ابن

---

(١) وفي زاد المسير: ١/ ٣٢٤:

الحكمة الإصابة في القول. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفي البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠ زيادة: «. . . والقول»، وقال مجاهد أيضاً: «الحكمة الكتابة».

انظر: تفسير القرطبي: ٣/ ٣٣٠.

(٢) قاله ابن قتيبة أيضاً. انظر: زاد المسير: ١/ ٣٢٤، والبحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٣) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني الفقيه، المحدث، المفسر. له من الكتب والتفسير، توفي حوالي سنة (١٧٠ للهجرة).

انظر: تهذيب التهذيب: ٦/ ١٧٧.

(٤) هو: محمد بن يعقوب بن الفرج أبو جعفر الفرجي صوفي من علماء النساك، من تصانيفه: «الورع» و«صفات المريدين»، توفي بعد سنة (سبعين ومائتين).

انظر: حلية الأولياء: ١٠/ ٢٨٧، واللباب: ٢/ ٤١٨.

(٥) لم أعثر على مرجع كلام أبي جعفر محمد بن يعقوب.

(٦) هو: أبو زكريا الرازي، واعظ زاهد لم يكن له نظير في وقته، توفي سنة (اثنتين وثلاثين ومائة للهجرة). انظر: طبقات الصوفية للسلمي: ١٠٧.

(٧) الوهج: حر النهار والشمس ونحوهما، والوهج من الطيب: أرجه وانتشاره، ووهج الدنيا: انتشارها.

انظر: اللسان، مادة: (وهج): ٢/ ٤٠١.

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير: ١/ ٣٤، والقرطبي في تفسيره: ٣/ ٣٣٠، وأبو حيان في البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير: ١/ ٣٢٤، والقرطبي في تفسيره: ٣/ ٣٣٠.

زيد وأبوه زيد بن أسلم(١): العقل في أمر الله(٢). وقال ابن المقفع: ما شهد العقل بصحته(٣). وقال بعضهم: التفكر في أمر الله والاتباع له(٤). وقال عطاء: المغفرة(٥). وقال أبو عثمان(٦): نور يفرق [به](٧) بين الوسواس والإلهام(٨). وقال القاسم بن محمد(٩): إن يحكم عليك خاطر الحق دون شهوتك(١٠). وقال بندار بن حسين(١١): سرعة الجواب مع إصابة الحق(١٢). وقال الكتاني(١٣): ما تسكن إليه الأرواح(١٤). وقيل: إشارة بلا علة(١٥). وقيل: شهادة الحق على جميع الأحوال(١٦). وقيل: صلاح الدين وإصلاح الدنيا(١٧). وقيل: العلم

---

(١) هو: زيد بن أسلم أبو عبد الله العمري المدني الإمام الفقيه المفسر، له كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن، توفي سنة (١٣٦هجرية). انظر: تذكرة الحفاظ: ١/ ١٣٢، وتهذيب التهذيب: ٣/ ٣٩٥.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير: ١/ ٣٢٤، والقرطبي في تفسيره: ٣/ ٣٣٠، وأبو حيان في البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) قاله القشيري فيما روى عنه ابن القاسم. نقلاً عن البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) لم أعثر على ترجمته.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح)، ما بين المعقوفين ساقط من البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٨) نقلاً عن البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٩) هو: القاسم بن محمد أبو القاسم المعروف بابن الطبلسان الأنصاري القرطبي، من تصانيفه: «بيان المنن على قارئ الكتاب والسنن» ولد سنة (اثنتين وأربعين وستمائة).
انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٤٢، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٢٦.

(١٠) نقلاً عن البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(١١) لم أعثر على ترجمته.

(١٢) نقلاً عن البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠. وفي البحر: «مع إصابة المحيط».

(١٣) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مسره أبو إبراهيم الكتاني المالكي صاحب كتاب النصائح، وتوفي سنة (اثنتين وخمسين وثلاثمائة للهجرة).
انظر: الديباج المذهب: ١/ ٩٦.

(١٤) البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(١٥) المصدر السابق.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق.

اللدني[1]، وقيل: تجريد السمع لورود الإلهام[2]. وقيل: الحكمة كمال النفس البشرية بمعرفة ما عليه الوجود الحقي والخلقي.

وقال ابن عطية في «تفسيره»[3]: والأقوال في معنى الحكمة بعضها قريب من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام والإتقان في عمل أو قول، وكتاب الله حكمة وسنة نبيه حكمة، وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس. انتهى[4].

وحِكَم القرآن كثيرة فلنورد من ذلك بعض ما تيسر. فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩][5].

وقول الله تبارك اسمه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ٩][6].

وقول الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقوله ـ جل جلاله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٢/ ٢٣٠ وفيه: «تجريد السر».

(٣) هو: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز».

(٤) انتهى كلام ابن عطية في تفسيره: ٢/ ٤٥٧.

قلت: وهذا القول هو اختيار القرطبي في تفسيره: ٣/ ٣٣٠.

وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير: ١/ ٣٢٤ أحد عشر قولاً في المراد بـ: «الحكمة». وقد ذكر ابن حيان في البحر المحيط تسعاً وعشرين مقالة لأهل العلم في تفسير «الحكمة»، منها ما يشترك مع ابن الجوزي.

والمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ نقل أكثر الأقوال عن البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٥) قال أبو حيان في البحر المحيط: ٢/ ١٥: الحياة التي في القصاص هي أن الإنسان إذا علم أنه إذ قَتل قُتل أمسك عن القتل، فكان ذلك حياة له والذي امتنع من قتله فمشروعية القصاص مصلحة عامة وإبقاء القاتل والعفو عنه مصلحة خاصة به..

(٦) قال الرازي في تفسيره: ٢٦/ ٢٥٠:

واعلم أن هذه الآية دالة على أسرار عجيبة، فأولها: أنه بدأ فيها بذكر العمل، وختم فيها بذكر العلم أما العمل فهو القنوت، والسجود والقيام، وأما العلم ففي قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا يدل على أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين. فالعمل هو البداية، والعلم والمكاشفة هو النهاية..

﴿قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦][1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

وقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣][2].

وقال ـ جل شأنه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤، والإسراء: ١٥، وفاطر: ١٨، والزمر: ٧، والنجم: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨﴾ [غافر: ٢٨][3].

وقال ـ جل شأنه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

---

(١) قال ابن القيم في التفسير القيم: ٤٤١:

وههنا فائدة لطيفة: وهي أنه سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق وتكذيبه وشهادته جملة، وإنما أمر بالتبين، فإن قامت قرائن وأدلة من خارج تدل على صدقه عمل بدليل الصدق، ولو أخبر به من أخبر.

(٢) الحكمة التي من أجلها جعلكم على شعوب وقبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض ولا ينسبه إلى غير آبائه، لا أن تتفاخر بالآباء والأجداد، والنسب وإن كان يعتبر عرفاً وشرعاً، حتى لا تزوج الشريفة بالنبطي، إلا أنه لا عبرة به عند ظهور ما هو أعظم قدراً منه وأعز، وهو الإيمان والتقوى، كما لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس».

انظر: حاشية شيخ زاده على البيضاوي: ٣/ ٣٧٥.

(٣) قال في البحر المحيط: ٧/ ٤٦١: هذا نوع من أنواع علم البيان يسميه علماؤنا «استدراج المخاطب» وذلك أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى، وقومه على تكذيبه، أراد الانتصار له بطريق يخفى عليهم بها أنه متعصب له، وأنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة فقال: «أتقتلون رجلاً» ولم يذكر اسمه بل قال: رجلاً، ليوهمهم أنه لا يعرفه، ثم قال: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: رجلاً مؤمناً بالله أو هو نبي الله، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب ولم يقبلوا قوله..

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾ [البقرة: ١٧٠].

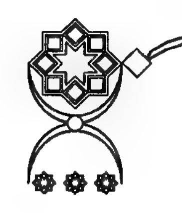
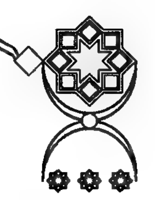
وقال ـ جل شأنه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

والآيات في الحِكم كثيرة، وفي هذا القدر كفاية، والله الموفق. انتهى.



النوع الحادي والأربعون بعد المائة

علم حقائق القرآن

النوع الحادي والأربعون بعد المائة

علم حقائق القرآن[1]

وهو نوع عظيم جليل من أشرف العلوم، ولم يذكره الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في «الإتقان».

اعلم أن القرآن العزيز بحر متموج زخار بالمعاني العظيمة الجليلة، وقد تقدم في أول الكتاب[2] أن للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً[3].

---

(١) أراد المؤلف بعلم حقائق القرآن: المعاني الباطنة التي تستنبط من الحروف بطريق الرموز والإشارة، وهذه المعاني لا يدل عليها الكلام العربي الذي أنزل القرآن بلسانه لا من مدلولاته لغة ولا سياقاً، ولا يدل عليها الكتاب ولا السنة النبوية، وهو تفسير صوفي.

ومن المعلوم أن مدلولات الكلمات القرآنية هو ما دل عليه اللفظ لغة: منطوقاً، أو مفهوماً أو سياقاً حقيقة أو مجازاً بحسب القرائن، وباعتبار سبب النزول، إلى غير ذلك ونقلت أحياناً بعض التفسير الصوفي لا أنني موافق عليه، وإنما ذكرته للمشابهة بينه وبين كلام المؤلف.

(٢) النوع السادس والثلاثين «علم الظاهر والباطن والحد والمطلع لكل آية»: أ٣١ من مخطوط نسخة (ح)، انظر: ١/ ٥٠٠.

(٣) أشار المؤلف - رحمه الله تعالى - بهذا الكلام إلى حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع.

رواه ابن جرير في مقدمة تفسيره: ١/ ٢٢.

قال الشيخ أحمد شاكر في حاشية مقدمة تفسير ابن جرير: ١/ ٢٢: الحديث روي بإسنادين ضعيفين:

أما أحدهما فلانقطاعه بجهالة أحد رواته إذ جاء في سنده عن واصل بن حيان عمن ذكره عن أبي الأحوص عن ابن مسعود.

أما الآخر فمن أجل إبراهيم الهجري، وهو ضعيف.

انظر: ميزان الاعتدال: ١/ ٦٥.

والحديث بهذا اللفظ هنا ذكره السيوطي في الجامع الصغير رقم ٢٧٢٧، ونسبه للطبراني في المعجم الكبير، ورمز له بعلامة الحسن. وانظر: مجمع الزوائد للهيثمي: ٧/ ١٥٢، =

وقد تكلم السادة الصوفية ـ رضي الله تعالى عنهم ـ على المعاني الباطنة، وغالب ما تكلموا فيه من إرجاع المعاني في الآيات إلى التوحيد الصِّرف والتعظيمات الإلهية والنعوت الربانية.

وقد صنف القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ تفسيراً[(١)] في ذلك، وغيره من المتقدمين، وكذلك الشيخ نجم الدين البكري[(٢)]. وللشيخ محيي الدين بن عربي[(٣)] ـ رضي الله تعالى عنه ـ تفسير كبير، ذكر في بعض تأليفه أنه وصل فيه

= ١٥٣. وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته: ٢/ ١٧. أما المراد بـ: الظهر، والبطن، والحد، والمطلع. فقال الماوردي في تفسيره «النكت والعيون»:

أما قوله: «ظهر وبطن» ففيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه أنك إذا قشت عن باطنها وقسته على ظاهرها: وقفت على معناها وهو قول الحسن.

والثاني: يعني أن القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وباطنها عظة الآخرين. وهذا قول أبي عبيد. انظر: غريب الحديث له: ٢/ ١٣.

والثالث: معناه ما من آية إلا وقد عمل بها قوم، ولها قوم سيعملون بها. وهذا قول ابن مسعود.

والرابع: يعني أن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها وهذا قول الجاحظ. انظر معنى العبارة في: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣/ ١٦٦.

وأما المراد بـ «الحد»: فقال الماوردي: ففيه تأويلان:

أحدهما: معناه: أن لكل لفظ منتهياً فيما أراده الله تعالى به من عباده.

والثاني: أن لكل حكم مقداراً من الثواب والعقاب.

وقال الطبري في مقدمة تفسيره: ١/ ٧٢:

والحد: يعني لكل وجه من أوجه السبعة حد حده الله جل ثناؤه، لا يجوز لأحد أن يتجاوزه.

وأما المراد بـ «المطلع» فقال الماوردي: ففيه تأويلان:

أحدهما: معناه ولكل غامض من الأحكام مطلع يوصل منه إلى معرفته، ويوقف منه على المراد به.

والثاني: معناه أن كل ما استحقه من الثواب والعقاب سيطلع عليه في الآخرة ويراه عند المجازاة.

قال ابن الأثير في النهاية: ٣/ ١٦٦: أي لكل حد مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، والمطلع مكان الاطلاع من موضع عال وهو بوزن مصعد.

(١) سماه «لطائف الإشارات» وهو مطبوع.

(٢) هو: أبو الجناب المعروف بالبكري.

(٣) هو: محمد بن علي أبو بكر الطائي، شيخ الصوفية، وكان له أتباع يعجبون به إلى =

إلى قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وكان في ستين سفراً.

وله تفسير صغير جمع فيه بين المعاني الظاهرة والباطنة وهو تام، وللقاشاني[١] تفسير لطيف[٢]، أوردنا منه في تفسير الفاتحة في هذا الكتاب ليكون أنموذجاً لطالب المعاني الباطنة في الحقائق الخفية.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسم الشيء ما يعرف به، وأسماء الله تعالى هي الصور النوعية التي تدل بخصائصها، وهويتها على صفات الله وذاته، وبوجودها على وجهه، وبتعيينها على وحدته، إذ هي ظاهرة التي بها يعرف.

و﴿ٱللَّهِ﴾ اسم للذات الإلهية من حيث هي على الإطلاق، لا باعتبار اتصافها[٣].

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ هو المفيض للوجود والكمال على الكل بحسب ما تقتضي الحكمة، وتحتمل القوابل على وجه البداية.

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ هو المفيض للكمال المعنوي المخصوص بالنوع الإنساني بحسب النهاية، ولهذا قيل: يا رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الآخرة. فمعناه بالصورة الإنسانية الكاملة الجامعة للرحمة العامة والخاصة، التي هي مظهر الذات الإلهي والحق الأعظم مع جميع الصفات أبداً، وهي الاسم الأعظم،

= حد كبير، كما كان له أعداء ينقمون عليه، ويرمونه بالكفر والزندقة. من تصانيفه الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية، وتوفي سنة (ثمان وثلاثين وستمائة للهجرة).

انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٣٨، والتفسير والمفسرون: ٢/ ٤٠٧.

(١) هو: عبد الرزاق بن أحمد ابن أبي الغنائم القاشاني الصوفي، من تصانيفه: اصطلاحات الصوفية، وتأويلات القرآن، توفي سنة (ثلاثين وسبعمائة من الهجرة).

انظر: كشف الظنون: ١/ ٣٣٦.

(٢) تفسير القاشاني وهو المشهور بالتأويلات، وهو تفسير بالتأويل على اصطلاح التصوف، إلى سورة (صٓ) أوله: الحمد لله الذي جعل مناظم كلامه مظاهر صفاته.... انظر: كشف الظنون: ١/ ٣٣٦، ٤٥٦، وهذا التفسير مطبوع ومنسوب لابن عربي، وقد بيّن الدكتور الذهبي خطأ هذه النسبة في التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٠٠.

(٣) وفي حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ١/ ٦١: أن لفظ «الله» اسم علم موضوع لذاته من غير اعتبار فيه؛ يعني أنه غير مشتق.

وإلى هذا المعنى[1] أشار النبي ﷺ بقوله: «أوتيت جوامع الكلم»[2]، «وبعثت لأتم مكارم الأخلاق»[3]، إذ الكلمات حقائق الموجودات وأعيانها خصوصاً المجردة منها، كما سمي عيسى عليه السلام كلمة الله[4].

ومكارم الأخلاق كمالاتها وخواصها التي هي مصادر أفعالها جميعها محصورة في الكون الجامع الإنساني، وها هنا لطيفة؛ وهي أن الأنبياء عليهم السلام وضعوا حروف التهجي بإزاء مراتب الموجودات، وقد وجدت في كلام عيسى[5] عليه السلام، وأمير

---

(١) وفي روح المعاني: ١/ ٦٣، نقلاً عن الفتوحات المكية: ١/ ١٠٨:

وعندي من باب الإشارة أن تأخير «الرحيم»، لأنه صفة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. وبه عليه السلام كمال الوجود، وبالرحيم تمّت البسملة، وبتمامها تمّ العالم خلقاً وإبداعاً. . . فالرحيم هو نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبسم الله هو أبونا آدم عليه السلام. . . وذلك أن آدم عليه السلام حامل الأسماء قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. ومحمد ﷺ حامل معاني تلك الأسماء. . وهي الكلم قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم».

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) سبق تخريجه في الجزء ٦.

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

(٥) ذكر ابن كثير في تفسيره: ١/ ٣٢:

وقد روى الحافظ ابن مردويه عن إسماعيل بن يحيى عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم عليه السلام أسلمته أمه إلى الكتّاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: بسم الله. قال له عيسى: وما بسم الله؟ قال المعلم: ما أدري. قال له عيسى: الباء بهاء الله، والسين سناؤه، والميم مملكته، والله إله الآلهة، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة».

وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن العلاء عن ابن مسعود، ومسعر عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ. . . فذكره. انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٢١، ١٢٥.

ثم قال ابن كثير: وهذا غريب جداً، وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات ـ والله أعلم ـ.

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر في هامش مقدمة تفسير ابن جرير: ١/ ١٤٢، ١٢٣: هذا حديث موضوع لا أصل له، ورواه ابن حبان في كتاب المجروحين، في ترجمة إسماعيل بن يحيى التيمي رقم ٤٤: ٨٥ وقال في إسماعيل هذا: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات وما لا أصل له عن الأثبات، لا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال. ثم ذكر تعليق ابن كثير على هذه الرواية ـ ثم قال: وما أدري كيف فات الحافظ ابن كثير أن في إسناده هذا الكذاب، فتسقط روايته بمرة، ولا يحتاج إلى هذا التردد. . .

المؤمنين عَليّ[1] ـ كرم الله وجهه ـ، وبعض الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ما يشير إلى ذلك.

ولهذا قيل: أظهرت الموجودات من باء ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾؛ إذ هي الحرف الذي يلي الألف، والموضوعة بإزاء ذات الله، وهي إشارة إلى العقل الأول الذي أول ما خلق الله تعالى المخاطب بقوله تعالى: «ما خلقتُ خلقاً أحبّ إليّ ولا أكرم عليّ منك، بك أعطي، وبك آخذ، وبك أثب، وبك أعاقب. . .» الحديث.

والحروف الملفوظة لهذه الكلمة[2] ثمانية عشر، والمكتوبة تسعة عشر، وإذا انفصلت الحروف إلى اثنين وعشرين، فالثمانية عشرة إشارة إلى العوالم المصير عنها بثمانية عشر ألف عالم، إذ الألف هو العدد التام المشتمل على باقي مراتب العداد، فهو أم المراتب الذي لا عدد فوقه؛ أي بحسب المرتبة فعبر بها عن أمهات العوالم التي هي عالم الجبروت، وعالم الملكوت، والعرش، والكرسي، والسماوات السبع، والعناصر الأربعة[3]، والمواليد الثلاثة[4]، التي ينفصل كل منها إلى الجزئيات.

والتسعة عشر إشارة إليها مع العالم الإنساني، فإنه وإن كان داخلاً في عالم

---

(١) وفي تفسير القرطبي: ١/٩١:

قال سعيد بن أبي سكينة: بلغني أن علياً بن أبي طالب ﷺ نظر إلى رجل يكتب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقال له: جَوّدها؛ فإن رجلاً جَوّدها فغفر له. وأورد السيوطي في الدر المنثور: ١/١٠ نحوه.

(٢) يعني: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

(٣) قال الرازي في تفسيره: ١/٢٢٩:

وأما الأجسام السفلية فهي إما بسيطة أو مركبة: أما البسيطة فهي العناصر الأربعة: واحدها كرة الأرض بما فيها من المفاوز، والجبال، والبلاد المعمورة. وثانيها: كرة الماء، وهي البحر المحيط، وهذه الأبحر الكبيرة الموجودة في هذا الربع المعمور وما فيه من الأودية العظيمة التي لا يعلم عددها إلا الله تعالى، وثالثها: كرة الهواء، ورابعها: كرة النار.

(٤) قال الرازي في تفسيره: ١/٦، ٢٢٩:

إن العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، وهي على ثلاثة أقسام: المتحيزات، والمفارقات، والصفات. أما المتحيزات فهي بسائط أو مركبات. أما البسائط فهي الأفلاك والكواكب والأمهات. أما المركبات فهي المواليد الثلاثة. . وأما الأجسام المركبة فهي النبات، والمعادن، والحيوان على كثرة أقسامها وتباين أنواعها.

الحيوان، إلا أنه باعتبار شرفه رجاء معينه للكل وحصره للوجود، عالم آخر له شأن، وجنس برأسه له برهان.

جبريل من بين الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨][1]، والألقاب الثلاثة المحتجبة التي هي تتمة الاثنين والعشرين عند الانفصال إشارة إلى العالم الإلهي الحقي باعتبار الذات والصفات والأفعال، فهي ثلاثة عوالم عند التفصيل، وعالم واحد عند التحقيق. والثلاثة المكتوبة إشارة إلى ظهور تلك العوالم على المظهر الأعظم الإنساني والاحتجاب العالم الإلهي حين سئل رسول الله ﷺ عن ألف ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[2] أين ذهبت؟، قال: سرقها الشيطان، وأمر بتطويل باء ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ تعويضاً عن ألفها، إشارة إلى احتجاب ألوهية الإلهية في صورة الرحمة وظهورها في الصورة الإنسانية حيث لا يعرفه إلا أهله، ولهذا ذكرت في الوضع.

وقد ورد في الحديث: «إن الله تعالى خلق آدم على صورته»[3]. فالذات

---

(١) وتمام الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

(٢) قال الآلوسي في روح المعاني: ١/ ٦٤:
وادعى بعض العارفين أن الألف الخفية هنا ظهرت من حيث الجزئية من هذا اللفظ في «الشيطان»؛ بناء على أخذه من «شطن» وزيادة الألف فهي للإشارة إلى عموم الرحمة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]. فللشيطان حصة منها ومنها وجوده وبقي سر لا يمكن كشفه..

(٣) قال ابن عربي في الفتوحات المكية: ١/١٠٦:
قوله: «الرحمن» من (البسملة)... فمن أعربه بدلاً جعله ذاتاً، ومن أعربه نعتاً جعله صفة، والصفات ست ومن شرط هذه الصفات الحياة فظهرت السبعة، وجميع هذه الصفات للذات، وهي الألف الموجودة بين الميم والنون من «الرحمن»، ويتركب الكلام على هذا الاسم من الخبر الثابت عن النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» من حيث إعادة الضمير على الله، ويؤيد هذا النظر الرواية الأخرى وهي قوله ﷺ: «على صورة الرحمن» وهذه الرواية وإن لم تصح من طريق أهل النقل فهي صحيحة من طريق الكشف.. الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة، باب: النهي عن ضرب الوجه: ٨/ ٣١. وأحمد في مسنده: ٢/ ٢٤٤، ٢٥١، ٣١٥، ٣٢٣، ٤٣٤، ٤٦٤، ٥١٩. وهذا الحديث من أحاديث الصفات، وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول: إنها حق وإن ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها، وهذا مذهب جمهور السلف، وهو أحوط وأسلم. نقلاً عن حاشية صحيح مسلم: ٤/ ٢٠١٧.

محجوبة بالصفات، والصفات بالأفعال بالأكوان والآثار، فمن تجلت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأفعال، رضي وسلم. ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات، حتى في الوحدة فصار موحداً مطلقاً فاعلاً ما فعل، وقارئاً ما قرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فتوحيد الأفعال مقدم على توحيد الصفات وهو على توحيد الذات، وإلى الثلاثة أشار ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك»[1].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . . .﴾ إلى آخر السورة.

الحمد بالفعل ولسان الحال هو ظهور الكمالات، وحصول الغايات من الأشياء آتية فاتحة ومدح لمولاها بما يستحقه فالموجودات كلها بخصوصياتها، وخواصها وتوجهها إلى غايتها، وإخراج كمالاتها من حيز القوة إلى الفعل مسبحة جامدة كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾، فتسبيحها إياه تنزيه من الشرك، وصفات النقص والعجز باستنادها إليه وحده، ودلالتها على وحدانيته وقدرته، وتحميدها إظهار كمالاتها المترتبة، ومظهرتها لتلك الصفات الجلالية والجمالية. وهي بذاته بحسب مبدئيته للكل وحافظيته ومدبريته له التي هي الربوبية للعالمين؛ أي لكل ما هو علم الله تعالى وعلم به. فالخاتم لما يختم به، والغالب لما يغلب فيه، وجمع السلامة[2] لاشتماله على العلم أو للتغليب[3]، وبإزاء إفاضة الخير العام والخاص؛ أي النعمة الزاهرة كالصحة والرزق، والباطنة كالمعرفة والعلم باعتبار منتهائيته التي هي مالكية الأشياء في يوم الدين، إذ لا يجزي في الحقيقة إلا المعبود الذي ينتهي إليه الملك وقت الجزاء، بإنابة النعمة الباقية عن الغاية عند التجرد عنها بالزهد، وتجليات الأفعال عند انسلاخ العبد عن أفعاله، وتعويض صفاته عند المحو عن صفاته وإبقائه بذاته، وهبته له الوجود عند فنائه، فله تعالى مطلق الحمد، وماهيته أزلاً وأبداً على حسب استحقاقه إياه بذاته باعتبار البداية والنهاية وما بينهما في مقام الجمع على ألسنة التفاضيل فهو الحامد

(١) رواه مسلم في صحيحه بنحوه في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في السجود: ٢/ ٥٠.
(٢) يعني جمع المذكر السالم وهو: العالمين.
(٣) يعني تغليب ما يعقل على ما لا يعقل.

والمحمود، والعابد والمعبود، مبدأ ومنتهى، ولما تجلى في كلامه لعباده بصفاته شاهدوه وبعظمته وبهائه وكمال قدرته وجلاله، فخاطبوه قولاً وفعلاً بتخصيص العبادة به(١) وطلب المعونة منه(٢) إذ ما رأوا معبوداً غيره، ولا حول ولا قوة لأحد إلا به، فلو حصروا لكانت حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة له(٣)، وبه، فكانوا على صلاتهم دائمين داعين بلسان المحبة لمشاهدتهم جماله من كل وجه على كل وجه ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أي ثبتنا على الهداية ومكنا بالاستقامة(٤) في طريق الوحدة التي هي طريق المنعم بالنعمة الكامنة الرحيمية التي هي المعرفة والمحبة والهداية الحقائقية مع النبيين، والشهداء، والصديقين، والأولياء الذين شاهدوه أولاً، وآخراً، وظاهراً، وباطناً، فغابوا في شهودهم طلعة وجهه الباقي عن وجود الظل الفاني.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] الذين وقفوا مع الظواهر، واحتجبوا بالنعمة الرحمانية والنعيم الجسمي والذوق الحسّي عن الحقائق الروحانية والنعيم القلبي والذوق العقلي كاليهود؛ إذ كانت دعوتهم إلى الظواهر، والجنان، والحور، والقصور، فغضب عليهم؛ لأن الغضب يستلزم الطرد أو

---

(١) قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة] وذلك بتقديم المفعول به.
وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

(٢) قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: «إذا استعنتَ فاستعن بالله» الحديث رواه الترمذي في سننه: ٤/ ٦٦٧، كتاب صفة القيامة، باب ٢٢. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) لأن حقيقة العبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «العبودية»: ٣٨: هي اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. . .

(٤) فالمراد بطلب الهداية في هذه الآية طلب الاستمرار والدوام والثبوت عليها فقد قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا . . .﴾ [آل عمران: ٨].
وفي الحديث: «يا مُقَلِّب (مصرف) القلوب ثَبِّت قلبي على دينك. .» رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ١٨٢.
وقد كان الصديق رضي الله عنه يقرأ هذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سراً، فمعنى قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ استمر بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره.
انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٥١، وتفسير الآلوسي: ١/ ٩٣.

البعد والوقوف مع الظواهر التي هي الحجب الظلمانية غاية البعد[1]. وغفلوا عن ظاهرة الحق، وضلوا عن سواء السبيل، فحرموا شهود جمال المحبوب في الكل.

فالنصارى إذ كان دعوتهم إلى البواطن وأنوار عالم القدس. ودعوة المحمديين الموحدين إلى الكل، والجمع بين محبة جمال الذات وحسن الصفات كما ورد. ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ[2] مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، فأجابوا الدعوات الثابتة كما جاء في حقهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧]، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا

---

(١) هذا تفسير صوفي باطني لا يستند إلى برهان ولا يدل عليه كتاب ولا سنة.

وأنا مع القاشاني ـ صاحب هذا التفسير ـ في أن المراد بـ ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ هم اليهود لما رواه الترمذي من حديث عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضُلّال...» الحديث بطوله. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الفاتحة: ٥/٤٨.

ولكن علة الغضب على اليهود التي ذكرها القاشاني لا أوافقه لعدم وجود ما يؤيده من نقل أو عقل.

قال ابن كثير في تفسيره: ١/٥٣:

إن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى؛ لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الحق، ضلوا.

وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

(٢) والكفل: هو الحظ الذي فيه الكفاية، ومعنى ﴿كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾؛ أي كفلين من نعمته في الدنيا والآخرة وهما المرغوب إلى الله تعالى فيهما بقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ [البقرة: ٢٠١]. أو أراد النعمة المتوالية المثقلة بكفايته، ويكون تثنيته على حد قولهم: لبيك وسعديك.

المفردات للراغب، مادة: (كفل): ٤٣٦.

﴿نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، فأثيبوا بالجميع على ما أخبر الله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٨]، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. انتهى كلام القاشاني[١].

ولنا[٢] رسالة لطيفة في معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] نوردها في هذا المقام سميتها بـ: «السر الأسرى في معنى «سبحان الذي أسرى»». تفسير قول الله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١].

أتى افتتاح هذه السورة الشريفة وهي قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ إشارة إلى نفي انحصار الحق ﷻ في جهة أو اختصاصه بموضع دون موضع[٣]؛ لأنه لما كان الإسراء عبارة عن الصعود والرقي إلى العالم العلوي، ربما توهّم متوهّم انحصار المطلوب في جهة، وليس الشأن كذلك، بل هو القريب في كل آن، وزمان، ومكان. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]. وإنما كان

---

(١) لم أعثر على مرجع كلامه.

(٢) كلام المؤلف.

(٣) هذا القول يشير إلى أن المؤلف نفى جهة العلو لله ﷻ.

وهذا يرده قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

ومعلوم أن عرشه تعالى فوق سبع سماوات كما في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء: ٨/ ١٧٦.

عن زينب ﵂ أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات.

قال البرسوي في روح البيان: ٥/ ١٠٢: وتصدير الكلام به أي بـ (سبحان) للتنزيه عن العجز عما ذكره بعده.. انظر: روح البيان: ٥/ ١٠٢.

وذكر البرسوي في تفسيره بنحو ما ذكره المؤلف من نفي الجهة وغيره لله تعالى.

أما اقتران الإسراء بالتسبيح ليتقي بذلك ذو العقل وصاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من أهل التشبيه والتجسيم مما يخيله في حق الخالق من الجهة والجسد والحد والمكان. روح البيان: ٥/ ١٠٢.

الإسراء[1] التعريف بالآيات واتساع معرفته ﷺ في مشاهدة الملكوت[2]، ومعنى ﴿سُبْحَانَ﴾؛ أي إنزاه[3]، والتسبيح هو: التنزيه والتقديس[4] من سائر النقائص.

واعلم ـ أيدنا الله وإياك ـ أن التنزيه للحق ـ جل شأنه ـ عن النقائص موهوم نشأ من العوالم والقوابل الجسمانية، لكون الإنسان مشتملاً على عالم الظلمة، والنور، والخير، والشر، والقبض، والبسط، فلتعارض هذه الصفات يحدث في النفوس معان توصف الذات المقدسة بها ليست لائقة بالكمال الرباني ولا حقيقة بالمعنى الصمدي[5]، أتى فعجب حينئذٍ تنزيه الذات المقدسة من تلك المعاني الغير لائقة على حد العقل والشرع، وإلا فالذات الكاملة ليس فيها نقص، فثبت أن التنزيه موهوم لا محقق بما تحقق. والتنزيه في هذا المقام لدفع الإيهام كما تقدم.

---

(١) إذا كان المراد بهذا القول إن من حكم الإسراء ما قاله فنعم؛ لقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر، ومشاهدته بيت المقدس، وتمثل الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ له، ووقوفه على مقاماتهم، وما رآه في السماء من العجائب العظيمة واطلاعه ﷺ أحوال الجنة والنار إلى غير ذلك.

انظر: تفسير البيضاوي في هامش حاشية الشهاب: ٦/ ٧، وتفسير الآلوسي: ١٥/ ١٢.

وإلا فالإسراء في اللغة: هو السير في الليل، أو في أول الليل.

انظر: فتح القدير: ٣/ ٢٠.

وفي الاصطلاح: سيره ﷺ راكباً البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

انظر: صحيح مسلم: ١/ ٩٩، ومسند الإمام أحمد: ٣/ ١٤٨.

(٢) الملكوت: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس والعجائب قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ . . .﴾ [الأعراف: ١٨٥] أو هي بمعنى العز والسلطان يقال: ملكوت الله: سلطانه وعظمته، ولفلان ملكوت العراق؛ أي عزه وسلطانه وملكه.

انظر: اللسان، مادة: (ملك): ١٠/ ٤٩٢، والمعجم الوسيط: ٢/ ٨٩٣.

(٣) أي إنزاه الله عن السوء. انظر: تفسير ابن جرير: ١٥/ ٢.

(٤) والتقديس: التطهير الإلهي المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، دون التطهير الذي هو إزالة النجاسة المحسوسة.

وفي التنزيل ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فمعنى نقدس لك؛ أي نطهر أنفسنا لك، أو نصفك بالتقديس، وكذلك نفعل بمن أطاعك نقدسه؛ أي نطهره.

انظر: المفردات، مادة: (قدس): ٣٩٦، واللسان، مادة: (قدس): ٦/ ١٦٨.

(٥) الصمد: هو المقصود لقضاء الحاجات، وهو اسم من أسماء الله الحسنى.

انظر: المعجم الوسيط: ١/ ٥٢٥.

و﴿ٱلَّذِىٓ﴾ اسم موصول واقع على الذات المقدسة.

﴿أَسْرَىٰ﴾ مأخوذ من الإسراء، وهو الذهاب ليلاً[1].

﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ العبد في أصل اللغة ضد الحر، وهو عند أهل العرفان، وفي مقامات الإيقان: أكمل النعوت، وأجل الصفات[2]، والعبد الموصوف بالعبودية قد تجاوز سائر المقامات، وترقى إلى أجلِّ الكمالات؛ فإن العبد عندهم الحقيقي: هو الذي ليس له مطلوب سوى مطلوب سيده، ولا مقصد غير مقصده، يحب ما يحبه مولاه، ويكره ما يكرهه، وإن خالف مراده وهواه.

العبودية نعت الكاملين، العبودية نعت الواصلين، العبودية شرف المحبين. قال الشاعر:

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي[3]

العبد الكامل يسمى محب الذات؛ لأن غرضه محبه للذات فقط من غير شائبة لسائر المتعلقات.

العبد راضٍ في سائر أحواله بما يقيمه فيه سيِّدُه غير متعرض عليه، ولا منتقد، ملازم للعبودية في كل حال، غير تارك لها في حال من الأحوال كوصف لبعض المبتدئين عن حال بعض شيوخه من العارفين، فرآه في ديوان الأشقياء، ففزع واضطرب من ذلك، فجاء إليه وأخبره، فقال له: يا أخي لي

---

(١) وفي فتح القدير: ٣/٢٠٦.

والإسراء: هو سير الليل، وقيل: هو سير أول الليل خاصة.

(٢) قال شيخ الإسلام في «العبودية»: ٤٢: وقد نعته ﷺ الله بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وقال في الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

وقال في الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

وقال في التحدّي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

وفي أضواء البيان: ٣/٢٩٦:

والتعبير بلفظ العبد في هذا المقام العظيم يدل دلالة واضحة على أن مقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها؛ إذ لو كان هناك وصف أعظم منه لعبّر به في هذا المقام العظيم الذي اخترق العبد فيه السبع الطباق، ورأى من آيات ربه الكبرى..

(٣) نقلاً عن البحر المحيط: ٦/٥، وروح المعاني: ١٥/٤.

أربعون عاماً أرى ما ترى ولم يتغير مني شعرة، وهل أنا إلا عبد من عباد الله ﷻ يفعل بي ما أراد راضٍ بما أقامني فيه.

وفي كلام بعض العارفين: لو أقمت الجنة والنار، وقيل لي: اختر في أيهما تكون؟. لم أختر إلا ما يختاره لي[١]. فالله ﷻ شرّف نبيَّه ﷺ بإضافته إليه بالعبودية، وأعزه بهذه الصفة الجليلة والسمة الجميلة.

قوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ الليل ضد النهار. ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهو البيت العتيق[٢] الذي هو أول بيت وضع للناس[٣]، سمي حراماً؛ لأن الله ﷻ حرمه بالتعظيم والتجليل، والنهي عن قطع أشجاره، وصيد حيواناته.

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وهو بيت المقدس.

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ وهي قرى بيت المقدس، والشام. ومباركة الله ﷻ في ذلك بكثرة من بعثه فيها من أنبيائه عليهم السلام ومن أوجد من أصفيائه وأوليائه، وما أخصب فيها من العيش، وما أكثر فيها من النعم[٤].

---

(١) عدم اختياره مخالف للأمر وقد اختار رسول الله ﷺ أيسر الأمرين، كما في حديث عائشة الذي رواه البخاري في صحيحه: ١٦٦/٤.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين الأمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه... الحديث.

وكما في حديث الإسراء الذي رواه الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك وفيه: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغال، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن فقال جبريل: أصبت الفطرة...» مسند الإمام أحمد: ١٤٨/٣.

(٢) ففي صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ: ١٠٣/١. من حديث مالك بن صعصعة قال: قال نبي الله ﷺ: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت فانطلق بي، فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم...» الحديث بطوله.

(٣) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

(٤) وفي تفسير أضواء البيان: ٣٦٥/٣: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أظهر التفسيرات فيه: أن معنى ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أكثرنا حوله الخير والبركة بالأشجار والثمار والأنهار، وقد وردت آيات تدل على هذا، كقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾؛ يعني النبي ﷺ؛ أي يريه الله ﷻ من آياته. والآية: هي العلامة والدليل ليزداد بذلك يقيناً وعرفاناً واطمئناناً.

﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي الله ﷻ.

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال عباده ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بأحوال خلقه.

واعلم ـ أيّدنا الله وإيّاك ـ أن الإسراء الذي هو عبارة عن العروج[1] على ثلاثة أقسام:

القسم الأول ـ عروج روحاني

وهو عبارة عن تجرد الروح من الهيكل الجسماني وبلوغها إلى ما بعد من الأرض البعيدة، أو صعودها إلى العالم العلوي، وخرقها الحجب، واتصالها إلى ما شاء الله تعالى من العالم العلوي بحسب قوة استعدادها، فمن الأرواح من لها قوة الصعود إلى سمائين وثلاثة، ومنهم إلى ما لا نهاية في العلو وخرق حجب العوالم العلوية، وتتنعم بالمخاض[2] المقدسية وتستمد الفيض من واهب الفيض من العالم العلوي.

وصاحب الإسراء الروحاني يرى جسده حاضراً ولا يشاهد جليسه ولا ترقيه، فقد يكون مع المخاطبة والاشتغال.

وقد روى بعض المشايخ أنه حضر مجلس بعض الأكابر فقال ذلك الكبير:

= فإن المراد بتلك الأرض: (الشام)، والمراد بأنه بارك فيها: أنه أكثر فيها البركة والخير بالخصب والأشجار والثمار والمياه، كما عليه جمهور العلماء. وقال بعض العلماء: المراد بأنه بارك فيها أنه بعث الأنبياء منها وقيل غير ذلك، والعلم عند الله تعالى.

(1) إن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ قال في (الإسراء) تارة إنه: عبارة عن الصعود والرقي إلى العالم العلوي.. إلخ [انظر: ٣٧٢]، وتارة أنه: التعريف بالآيات واتساع معرفته ﷺ في مشاهدة الملكوت.

وتارة أنه: عبارة عن العروج على ثلاثة أقسام: عروج روحاني، وعروج جسماني، عروج سري.

وتارة أنه: الذهاب ليلاً، والذي يوافق المعنى اللغوي أن الإسراء الذهاب ليلاً، أو سير أول الليل خاصة. انظر: تفسير الشوكاني: ٣/٢٠٦.

(2) المخاض في أصل اللغة الموضع القليل الماء الذي يعبر فيه الناس النهر مشاة وركباناً. انظر: المصباح المنير: ١/١٩٧، والمعجم الوسيط: ١/٢٦١.

أيّهما أفضل العقل أم الروح. قال ذلك الشخص: فرأيت الشيخ قد صعدتْ روحه إلى العالم العلوي، فتبعتُه بروحي فلم يزل يصعد، وأتبعه إلى انتهيت إلى السماء الرابعة، فاشتغلت برؤية من فيها، وصعدَتْ روح الشيخ ثم عدت إلى المجلس والشيخ مستغرق، فلما أفاق أجاب السائل: بأن العقل أفضل من الروح؛ لأن النبي ﷺ لما صعد هو وجبريل إلى العالم العلوي انتهى جبريل إلى حده ووقف، وكان روحاً، وارتفع محمد ﷺ إلى المقامات العلية وكان عقلاً.

واعلم أن مقصود القائل في هذه الحكاية، أنه عقل ليس مقصوده بالعقل الذي هو عبارة: عن الإدراك الموضوع في الدماغ؛ بل المقصود أن الروح الإنسانية إذا تكلمت بالمعارف وخرجت إلى العالم العلوي صار لها قوة تلك المعاني وبسببها يقوى عروجها وصعودها، بخلاف أرواح الملائكة، فإنه ليس لها هذا التعقل، فلهذا ارتفع النبي ﷺ وترقى، ووقف جبريل عليه السلام عند حده، وما تعطيه روحانيته.

وقد تقدم أن صاحب العروج الروحاني لا يشعر بعروجه جليسه. وبعض أهل العروج الروحاني تفارق روحه جسده ويبقى جسده كالفخار بلا إحساس له ولا حركة، ثم تعود الروح إلى الجسد. وقد نقل ذلك عن الشيخ يحيى السهروردي[1].

وإذا صار للجسد والنفس مناسبة بالروح الآمري[2] صار لها استيلاء على الجسد، وصار الجسد تحت سيطرتها وتدبيرها، فإذا صعدت روح من هذه صفته، رأى في تعقله أن الصعود حاصل للروح والجسد، وإن كان في ظاهر الرؤية الجسد باق في مركزه، والروح كذلك.

وصاحب غلبة الروح على الجسد، يرى روحه ممتدة من موضعها إلى العالم العلوي، من غير مفارقة للجسد، وإلى ما فوق ذلك من السماوات

---

(١) هو: يحيى بن حبش بن أميرك أبو الفتوح شهاب الدين السُّهْرَوَرْدي كان علمه أكثر من عقله، من تصانيفه «التنقيحات» في أصول الفقه، و«مقامات الصوفية» ومعاني مصطلحاتهم، قتل سنة (سبع وثمانين وخمسمائة للهجرة).

انظر: وفيات الأعيان: ٦/٢٦٨، وسير أعلام النبلاء: ٤/٢٩٢.

(٢) اسم فاعل من الأمر.

العلى وأزيد على حسب قوتها، إلى أن تبلغ إلى الكرسي وإلى العرش.

ومن هذا المعنى قول بعض العارفين: عنقي متعلقة بقوائم الكرسي أو قوائم العرش.

وقد يشاهد صاحب غلبة الروح اتساع روحه بجسده حتى تكون مالئة للوجود علوية وسفلية.

ومن هذا المعنى قول بعض العارفين: طيران مثلي، وحملي كل الوجود، وحيزي لا يترك.

ومن غلبة الروحانية على الجسمانية يكون الطيران، والمشي على الماء والهواء، والدخول في التنانير(١) وهي تضرم(٢) ناراً، والضرب بالسلاح ولا يؤثر.

وهذا صفة المعراج الروحي، وهو للأنبياء عليهم السلام وللأولياء ـ عليهم الرضوان ـ.

القسم الثاني ـ وهو المعراج الجسماني

فقد روي صفة للنبي ﷺ وملخصه(٣): أنه كان نائماً، فأتاه الملك، فأيقظه

---

(١) التنانير: جمع التنور وهو الذي يخبز فيه.
انظر: اللسان، مادة: (تنر): ٤/ ٩٤.

(٢) تضرم تشتعل.
وفي اللسان، مادة: (ضرم) ١٢/ ٣٥٤.

(٣) ذكر ابن كثير في تفسيره الأحاديث الواردة في الإسراء، وجمع طرق حديث الإسراء جمعاً حسناً وأتقن فيه. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٣٩ وما بعدها.
وسأذكر هنا ما أخرجه مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغال، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة، ثم عُرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك، قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ـ صلوات الله عليهما ـ فرحّبا ودعوا لي بخير، ثم عُرِج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث =

وقدم له دابة، وهي البراق روحانية من العالم الأقدس، فصار به حتى وصل إلى بيت المقدس، وصلّى النبي ﷺ، وجمعت له الأنبياء، والروحانيون فصلّى بهم، ثمّ وضع له ﷺ من بيت المقدس معراج وهو السُلّم من نور، فصعد هو وجبريل من [بيت المقدس][(1)] إلى السماء، فاجتمع بأرواح الأنبياء في طبقات

= إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ﷺ إذ هو أعطي شطر الحسن فرحّب ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحّب ودعا لي بخير. قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم]، ثم عُرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون ﷺ فرحب ودعا لي بخير. ثم عُرِج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟. قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟. قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ فرحّب ودعا لي بخير. ثم عُرِج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقِلال (القلال بكسر القاف جمع قُلة بضمها، وهي جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر. قاله النووي في شرح مسلم). قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلتُ إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربّك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربّي، فقلت: يا ربّ خفف على أمتي، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمساً. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: ولم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمسُ صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة.

قال: فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال: رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه».

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات: ١/٩٩ ـ ١٠١، وقد أخرج البخاري حديث الإسراء في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]: ٨/٢٠٣.

(١) ساقط من (هـ) و(ح)، والسياق يقتضي إثباته.

السماوات، إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى، فوقف جبريل، وتقدم ﷺ ذاهباً إلى الحضرة العلية والمقامات الصمدية إلى أن انتهى إلى قاب قوسين؛ أي مقدار قوسين أو أقرب من ذلك(١)، فشافهه بالخطاب، وأوحي إليه بالمكالمة، وشرف بالإسراء، وأيد بالأنوار، وأري الجنة والنار، وفرضت عليه الصلوات، وكانت خمسين، فعاد بها، فصادف موسى عليه السلام في هبوطه، فقال له: إن أمتك لا تطيق، فعد واسأل التخفيف من الله عز وجل، فلم يزل يعود ويخفف عنه، ويعود إلى موسى، فيأمره بالتخفيف حتى انتهت إلى خمس صلوات، فعاد النبي ﷺ وأخبر الناس بعروجه إلى السماء العلى، فآمن بذلك من أشرقت عليه أنوار السعادة الأزلية، وكذبه من غلبت عليه الشقاوة البهيمية، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠](٢) وأمر النبي ﷺ كفار قريش أن يصف لهم البيت المقدس امتحاناً، فشرع يصف لهم فعمي عليه شيء منه، فمثل له بيتاً نظر إليه ويخبرهم عنه، ولم يبلغنا صعود أحد بجسمه إلا ما ثبت في الصحيح من صعود رسول الله ﷺ، ورفع إدريس(٣) عليه السلام وعيسى(٤) عليه السلام، وقد

---

(١) لعل المؤلف يريد بهذا الكلام استشهاداً بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾. كما نص بذلك عند تفسير هاتين الآيتين كما سيأتي. قلت: إن الذي دنا ليس الحق تعالى وإنما هو جبريل عليه السلام، فإن الحديث الذي يذكر فيه أن الذي دنا هو الرب ـ جل وعلا ـ فيه اضطراب. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٦/٦، وتفسير الشوكاني: ١٠٦/٥. وانظر بيانه ومناقشته في صفحة: ٣٨٥.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٣٢٣/٤ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: ٢٢٧/٥.

(٣) كما ذكره الله في كتابه الكريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم].

(٤) كما ذكر في القرآن الكريم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨﴾ [النساء].

نقل أن إلياس[1] أيضاً رفع بجسده لكن له الهبوط والنزول؛ أي وقت أراد وشاء بإذن الله ﷻ.

وأما القسم الثالث ـ وهو المعراج السري

فهو عبارة عن التدرج في المقامات والترقي في الصفات والمعاملات، فيترقى السالك من مقام إلى مقام، ومن طَوْر[2] إلى طَوْر، فيعرج بسره إلى حضرة المعارف الربانية، والحقائق الصمدانية، وينتقل من الصفات الحيوانية إلى الصفات الملكية، ويتخلق بالأخلاق الربانية، فيعرج من عالم الناسوت[3] إلى حضائر الجبروت، ثم إلى مشاهد اللاهوت[3]. وكذلك ينتقل من المجاهدات والسلوك إلى الفناء[4]. وفيه شهود حضرة الأفعال، ثم يرتقي منه إلى شهود حضرة الأسماء والصفات، ومنه إلى مشاهدة اللذات، فهذا هو العروج السري، وهو أجل المعارج، وأرقاها وأعلاها[5].

الكلام في معنى قول الله ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ

---

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٣٣٧، ٣٣٨: عن وهب بن منبه وغيره أنه ـ أي إلياس ـ لما دعا ربه ﷻ أن يقبضه إليه لما كذبوه وآذوه، فجاءته دابة لونها لون النار، فركبها وجعل الله له ريشاً وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكياً بشرياً سماوياً أرضياً، وأوصى إلى اليسع بن أخطوب.

ثم قال ابن كثير تعليقاً على هذه الرواية: ففي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة ـ والله أعلم ـ.

(٢) الطور: الحال.

(٣) الناسوت: الإنسان، واللاهوت: الله.

وفي معجم الوسيط: ٢/٨٤٧: اللاهوت: الله، كما يقال: الناس للإنسان، وعلم اللاهوت: علم يبحث عن العقائد المتعلقة بالله. واللاهوتي: العالم بالعقائد المتعلقة بالله.

(٤) فالفناء عند بعض الصوفية: هو فناء رؤية العبد فعله بقيام الله على ذلك من قوله: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فيرون الفعل لله من خلف حجب الأكوان التي هي محل ظهور الأفعال فيها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]؛ أي ستره واسع، والأكوان كلها ستره وهو الفاعل من خلف هذا الستر وهم لا يشعرون. قاله ابن عربي في الفتوحات المكية: ٢/٥١٣، ومعلوم أن هذا القول لا يدل عليه كتاب ولا سنة.

(٥) كيف يقول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إن العروج السري كما عرفه، وهو أجل المعارج وأرقاها وأعلاها، مع أنه قال في العروج الروحاني ـ وهو كما عرفه أنه للأنبياء منهم الرسول ﷺ وهل هناك من المخلوقين من هو أشرف منه ﷺ.

﴿ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] على طريق أهل الإشارة والعارفين بما فتح الله به من وراء الغيب.

﴿سُبْحَٰنَ[1] ٱلَّذِى . . .﴾ أتى بالتسبيح في افتتاح هذه السورة إشارة إلى التعجب والتعظيم مما وهبه الله ﷻ لعبده ونبيه من الإسراء، وبما فتح عليه من المعارف والأنوار؛ فإن كلمة ﴿سُبْحَٰنَ﴾ يُؤْتَى بها على وجه التعظيم للشيء والتفخيم لشأنه.

﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾؛ أي جذبه إلى حضرته، واختصه بمحبته، وأفاض عليه أسرار معارفه، ونشر عليه عوارفه ولطائفه.

والجذبة عبارة عن الأخذة وهي جذبة القلب بواسطة الروح، وإدخالهما في حضرة الملكوت، ووجههما في حضرة اللاهوت، وهذه الجذبة شأنها عظيم، ومآلها فخيم. وقد قال في تعريفها النبي ﷺ: جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين، صاحب الجذبة تطور له المقامات، صاحب الجذبة تقرب له المسافات، صاحب الجذبة ذرة منه توازي أعمال كثير من الخلائق، صاحب الجذبة يقول في سائر الطرائق: نقابس الحقائق، صاحب الجذبة محبوب، صاحب الجذبة مطلوب، صاحب الجذبة مشافه للعوالم العلوية، محادث للأرواح العلية، غارق في بحار الأحدية، مطموس في معاني الصمدية.

والعبد هو المتصف بأعلى المكملات النازع في سائر المقامات.

﴿لَيْلًا﴾؛ أي ليل عالم الستر وظلمة الخفاء؛ فإن الليل خفاء، وكتم، وستر. والجذبة من أسرار الله لا يطلع عليه إلا الله، أو من أطلعه الحق ﷻ، جذب سر عبده سراً، وقربه إلى حضرته.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]؛ أي حضرة قلبه؛ فإنه محرم بربه؛ فإن

---

(١) سبحان: اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه؛ أي تنزيه الله وإبعاده عن النقائص وعن كل عجز عن هذا الأمر الخارق وهو الإسراء، هذا رد على القائل أنه بمعنى التعجب، ولكن هذا التنزيه لا ينافي التعجب كما توهم، فالمعنى ما أبعد الذي له هذه القدرة عن جميع النقائص، فلا يكون اصطفاؤه لعبده الخصوص به إلا حكمة وصواباً، والتعجب ههنا تبع بخلافه في قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].
انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٦/ ٢.

القلب بيت الحق الحقيقي، ومسكنه الحقيقي يسع الحق ـ جل شأنه، وما تسعه أرض، ولا سماء، ولا عرش، ولا كرسي، محرم عن وجود ما سواه فيه، أو حضور ما عداه به.

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] مجمع الأرواح، وحقيقة الحقائق، وأصل الفيض، وممتد الإيجاد؛ وإنما سمي «أقصى» لكونه أبعد الموجودات، وأعلاها، وأرقاها.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] إذا فني في الروح الكلي رأى ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] فإذا دخل عالم السر وحان، ورفض عالم الناسوت، شهد الأشياء على ما كانت عليه قبل أن تكون، منفرداً ليس معه شيء، وكان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما كان.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ أي محمد[1] لما فني فناء صار هو السميع البصير، «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها...»[2] إلى آخر الحديث.

---

(١) إن هذا القول في غاية الخطورة، كما حمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو، وأنه الغاية التي لا شيء وراءها... وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق، تعالى الله عن ذلك، وأنه يغني عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدماً صرفاً في شهوده وإن لم تعدم في الخارج. قاله ابن حجر في فتح الباري كتاب الرقاق، باب: التواضع: ١١/ ٣٤٤. فالصحيح عود الضمير إلى اسم الموصول ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾: يعني الله تعالى فليطابق قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ ويرشح ذلك الاختصاص بما يوقع هذا الالتفات أحسن مواقعه، وينطبق عليه التعليل أتم انطباق، إذ المعنى قرّبه وخصه بهذه الكرامة؛ لأنه سبحانه مطلع على أحواله عالم باستحقاقه لهذا المقام. قاله الآلوسي في تفسيره: ١٥/ ١٣ بتصرف يسير، والحديث صحيح ولكن الاستدلال ليس كما قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب التواضع: ٧/ ١٩٠.

وذكر ابن حجر في فتح الباري أقوالاً لجواب الاستشكال كيف يكون الباري جلّ وعلا سمع العبد وبصره... إلخ، ثم ذكر: اتّفاق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية =

مناسبة لما سبق في تفسير قول الله ﷻ بما فتح الله به من وراء القلب: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ١، ٢] أقسم الحق ـ جل شأنه ـ بالنجم، وقد اختلفوا في مثل هذه المقسمات بها[١]:

فقال بعضهم: المقسم به محذوف، تقديره: ورب النجم، ورب الليل، ورب الشمس، وأمثالها. وقال بعضهم: المقسم به هو عين هذه الأشياء؛ وإنما كانت عظيمة لكونها مظهراً من مظاهره، وأثراً من آثاره، وقد حقق العلم ماهيته، وخصصت الإرادة ذاتها، وأبرزت القدرة وجودها، فكيف لا تكون عظيمة، وهي أثر لعظيم. قال الشاعر:

إذا رأيت الله في فاعلا   رأيت جميع الكائنات شهودا

حمد بعض العارفين شيئاً مما يستقدم، هل حمدته على وجه التواضع؟. فقال: لا ليس هو حقيراً حتى أقص بذلك التواضع، وكيف يكون حقيراً وقد أوجده الله ﷻ وأبرزه.

فالإقسام بالمظاهر له وجه ظاهر. والنجم هو كواكب السماء النيرة المشرقة[٢].

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ [النجم: ١٢]؛ أي مال للهوي[٣].

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ٢]؛ أي ما عدل عن طريق

= عن نصرة العبد وتأييده وإعانته، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها، ولهذا وقع في رواية: «فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي». والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد، واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية ـ أي دحية بن خليفة الكلبي وكان من أجمل الناس وأحسنهم صورة ـ، قالوا: فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر، قالوا: فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فتح الباري، كتاب الرقاق، باب التواضع: ١١/ ٣٤٤. وانظر: اللسان، مادة: (دحا): ١٤/ ٢٥٢.

(١) تقدمت أقوال العلماء في ذلك في النوع التاسع والعشرين علم أقسام القرآن.

(٢) والمراد بالنجم الثريا، وهو اسم غلب فيها تقول العرب: النجم وتريد به الثريا، وبه قال مجاهد وغيره واختاره الشوكاني. تفسير الشوكاني: ٥/ ١٠٤.

(٣) قال الشوكاني في تفسيره: ٥/ ١٠٤. ومعنى هويه: سقوطه من علو، يقال: هوى النجم يهوى هوياً: إذا سقط من علو إلى سفل.

الصواب[1].

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]؛ أي ما يقول عن نفسه ولا يتكلم عن حدسه[2].

وتميل إليه على وجه حظها وشهوتها لا على وجه إيثار الحق.

﴿إِنْ هُوَ﴾ [النجم: ٤]؛ أي ما يقوله وما يخبر به.

﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٤] والوحي[3] هو: الإعلام خفاء، وهو أي الوحي عبارة عن التجلي الإلهي على قلب خواصته بواسطة الملك، وبغير واسطه، فيسمعون الخطاب ويشاهدون المعاني المقدس.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٥] هو الله ـ جل شأنه[4].

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦]؛ أي أصاب ما يريد وما يختاره[5].

﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦]؛ أي الحق ـ جل شأنه[6].

---

(١) الضال: هو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي هو العالم بالحق العادل منه قصداً إلى غيره. قاله ابن كثير في تفسيره: ٦/٤٤٢.

(٢) الحدس: الظن المؤكد. المصباح المنير: ١/١٣٦.

(٣) قال الراغب في مفرداته، مادة: (وحي): ٥١٥:

أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي.. ويقال: للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي.. وذلك إما رسول مشاهد، وإما بسماع كلام من غير معاينة، وإما بإلقاء في الروع، وإما بإلهام، وإما بتسخير...

قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

(٤) الذي يناسب السياق أن المراد بقوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ هو جبريل عليه السلام، قال ابن كثير في تفسيره: ٦/٤٤٣: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علمه الذي جاء به إلى الناس ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ وهو جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ، كما قال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.

(٥) قال الشوكاني في تفسيره: ٥/١٠٥ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾:

المرة: القوة والشدة في الخلق، وقيل: ذو صحة جسم وسلامة من الآفات، وقيل: ذو حصافة عقل ومتانة رأي قال قطرب: العرب تقول لكل من هو جزل الرأي حصيف العقل: ذو مرة، والتفسير للمرة بهذا ـ أي القول الأخير ـ أولى؛ لأن القوة قد أفادها قوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. قال الجوهري في الصحاح: ٢/٨١٤، مادة: (مرر): المرة إحدى الطبائع الأربع، والمرة: القوة وشدة العقل.

(٦) وهو قول الحسن، قال الحسن: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ يعني الله ﷻ على العرش. نقلاً عن =

﴿وَهُوَ﴾ [النجم: ٧]؛ أي محمد ﷺ(١).

﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا﴾ [النجم: ٧] محمد. ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] الحق(٢) له بالتجلي اللاهوتي، والمظهر الجبروتي، فكان قربه من حضرة ربه مقدر بقاب قوسين أو أدنى.

= فتح القدير: ٥/ ١٠٥. وهذا الذي قاله الحسن والمؤلف لا يناسب السياق فإن الكلام في جبريل ﷺ؛ لأنه كان يتمثل لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل، وأحب رسول الله ﷺ أن يراه على حقيقته، فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق في صورته.

انظر: زاد المسير: ٩/ ٦٥.

وقد قال الحسن أيضاً هو وقتادة ومجاهد والربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: يعني جبريل ﷺ. انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٤٣.

(١) وفي زاد المسير: ٩/ ٦٤: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ فيه قولان:

أحدهما: فاستوى جبريل، وهو ـ يعني النبي ﷺ ـ والمعنى أنهما استويا بالأفق الأعلى لما أسري برسول الله ﷺ. قاله الفراء.

وثانيهما: فاستوى جبريل وهو ـ يعني جبريل ـ بالأفق الأعلى على صورته الحقيقة. والقول الثاني هو المناسب للسياق والسباق، فإن رؤية رسول الله ﷺ لجبريل هذه في أوائل البعثة ولم تكن ليلة الإسراء. قال ابن كثير في تفسيره: ٦/ ٤٤٤: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾: إن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها، ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل ﷺ وتدلى إليه، فاقترب منه، وهو على الصورة التي خلقه الله تعالى عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى؛ يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة، بعدما جاءه جبريل ﷺ أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليتردى من رؤوس الجبال، فكلما همّ بذلك ناداه جبريل من الهواء: يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح قد سد عظم الأفق فاقترب منه وأوحى إليه عن الله ﷻ ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة، وجلالة قدره، وعلو مكانته، عند خالقه الذي بعثه إليه.

(٢) روى البخاري في صحيحه من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس بن مالك وفيه قال: دنا الجبار رب العزة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى.. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]: ٨/ ٢٣. وذكر مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ: ١/ ٩٩ ـ ١٠١ قطعة منه، ثم قال في حديث شريك: فقدم وآخر وزاد ونقص، وقد جاء في حديث شريك في هذا الحديث أوهام أنكرها عليه الحفاظ وغلطوه فيها. قال ابن كثير في تفسيره: ٦/ ٢٤٠، ٢٤٦: وهو =

﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾[1]؛ أي الله ﷻ.

﴿إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [النجم: ١٠] محمد ﷺ.

﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]؛ أي الذي أوحى.

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ﴾ [النجم: ١١]؛ أي فؤاد محمد ﷺ.

﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]؛ أي الذي رآه.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ [النجم: ١٢]؛ أي تحاجونه.

﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٢]؛ أي الذي يراه ويتحقق به ويكشف الله ﷻ عنه.

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ [النجم: ١٣]؛ أي رأى ربه ﷻ بعين بصيرته المحيطة ببصره وبذات وجوده[2].

= كما قال مسلم، فإن شريك بن عبد الله بن أبي نمر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه، والذي رواه مسلم أصح من سياق شريك، وجاء في حديث شريك: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى» ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة... الذي دنا فتدلى وصار بينه وبين محمد ﷺ إنما هو جبريل ﵇ وهو قول عائشة، وابن مسعود، وأبي ذر وأبي هريرة. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٦/٦، وتفسير الشوكاني: ١٠٦/٥.

(١) إذا كان المراد ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ محمد ما أوحى بواسطة جبريل فالمعنى صحيح. فقد روى البخاري عن طلق بن غنام عن زائدة عن الشيباني قال: سألت زرا عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾. قال: حدثنا عبد الله أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾: ٥١/٦. فعلى هذا الحديث أن الذي أوحى هو جبريل ﵇ إلى محمد ﷺ ما أوحى، أو الذي أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ بواسطة جبريل. قال ابن كثير في تفسيره: «فكلا المعنيين صحيح».

انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٧/٦، وتفسير الشوكاني: ١٠٦/٥.

(٢) قال ابن عباس: رأى محمد ربه، وبيان هذا أنه تردد لأجل الصلوات مراراً، فرأى ربه في بعض تلك المرات مرة أخرى. والذي عليه أكثر المحققين أن هذه الرؤية لجبريل ﵇ وهذه المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء. وبه قال ابن مسعود وغيره. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٩/٦، وزاد المسير: ٦٩/٨.

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنّى أراه» وفي رواية: «رأيت نوراً». صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: في قوله ﵇: «نور أنى أراه»: ١١١/١. روى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﵁ في هذه الآية: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ =

﴿نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؛ أي مرة[1] أخرى، والأولى هي التي تقدمت عند قوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾[2].

﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤﴾ [النجم: ١٤][3]، وهي حضرة الأرواح ومنتهى العوالم وهي مبدأ الموجودات، وهي الحقيقة المحمدية والروح الكلي.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥﴾ [النجم: ١٥]؛ أي جنة مأوى العارفين، ونعيم الواصلين[4].

﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦﴾ [النجم: ١٧][5] من الأرواح وتعلقها بها من كل جانب ورجوعها إليه من كل موضع.

﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧] بصر محمد ﷺ فيما رآه من غشيان هذه الأرواح لهذه الحقيقة وكثرتها ولمعان أنوارها واستمدادها من ماهيتها.

= نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت» مسند الإمام أحمد: ١/ ٤٦٠. قال ابن كثير في تفسيره: ٦/ ٤٥٠: وهذا إسناد جيد قوي.

(١) (ح): «كسرة».

(٢) والمرة الأولى عند قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ هي رؤيته ﷺ لجبريل وكانت في أوائل البعثة. وليس كما ذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٣) والسدرة: شجرة النبق عن يمين العرش فوق السماء السابعة على المشهور.

كما في الصحيح، انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكلّم الله موسى...: ٨/ ٢٠٣، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء: ١/ ٩٩.

المنتهى اسم مكان، وجاز أن يكون مصدراً ميمياً، والمراد به الانتهاء نفسه، وسميت سدرة المنتهى؛ لأنه إليها منتهى ما يصعد به من الأرض، فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، وإليها ينتهي علم جميع الملائكة. انظر: زاد المسير: ٨/ ٦٩، وفتح القدير: ٥/ ١٠٧، وروح المعاني: ٢٧/ ٥٠.

(٤) قال الآلوسي في تفسيره: ٢٧/ ٥٠: ﴿جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ التي يأوي إليها المتقون يوم القيامة، كما روي عن الحسن، واستدل به على أن الجنة في السماء، وهو الأظهر.

(٥) والغشيان: بمعنى التغطية والستر. انظر: فتح القدير: ٥/ ١٠٧. ففي صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء: ١/ ٩٩. في حديث الإسراء وفيه: قال ﷺ: «لما غشيها من أمر الله ما غشيها، تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها».

﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧][1]؛ أي لم يتجاوز رؤية هذه العجائب عن شهود التجلي الإلهي فيها، والمعنى الصمداني لديها.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ [النجم: ١٨]؛ أي أبصر وشاهد؛ أي عجائب من عروجه إلى العالم الأعلى، وشهوده السماوات، وقطعه عوالم الكون ودخوله إلى حضرة الروح الكلي، وانغماسه في اللاهوت الأكبر، فهذه ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]؛ أي العظمى والعليا[2]. وصلى الله على سيدنا محمد ولي المؤمنين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

---

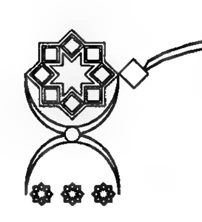
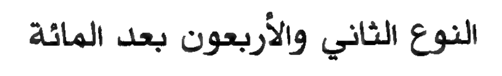
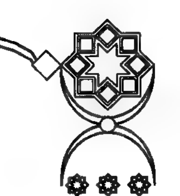
(١) قال الآلوسي في تفسيره: ٢٧/ ٥١: قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾؛ أي ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه. ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ وما تجاوزه بل أثبته إثباتاً صحيحاً مستيقناً، وهذا تحقيق للأمر ونفي للريب عنه، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها إلى ما لم يؤمر برؤيته. وانظر: تفسير الشوكاني: ٥/ ١٠٧.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٦/ ٤٥٢: وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ كقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾؛ أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا. قال: وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة إلى أن الرؤية ـ أي رؤية الله ـ تلك الليلة لم تقع، لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ١٨﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك، ولقال ذلك الناس». انتهى.



النوع الثاني والأربعون بعد المائة

علم معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه

النوع الثاني والأربعون بعد المائة

علم معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه[1]

قال الراغب: الفسر: إظهار المعنى المعقول. ومنه قيل: لما ينبئ عنه البول تفسرة، وسمي بها قارورة الماء. والتفسير في المبالغة كالفسر[2].

وقيل[3]: التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف[4]، ويقال: هذا مقلوب السفر. تقول: أسفر الصبح إذا أضاء[5].

وقيل: هو مأخوذ من التفسرة، وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض[6].

والتأويل: أصله من الأول، وهو الرجوع، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

وقيل: من الإيالة وهي السياسة، كأن المؤوّل للكلام ساس الكلام، ووضع المعنى فيه موضعه[7].

واختلف في التفسير والتأويل، فقال أبو عبيد[8] ....

---

(١) هذا النوع منقول من الإتقان: ٤/١٦٧ ـ ١٧٣ بعنوان: النوع السابع والسبعين في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه.

(٢) المفردات للراغب: ٣٨٠، مادة: (فسر).

(٣) من هنا بداية النقل من الإتقان: ٤/١٦٧.

(٤) قاله الخليل بن أحمد في كتاب «العين»، باب السين والراء والفاء معهما: ٧/٢٤٧.

(٥) انظر: البرهان: ٢/١٤٧.

(٦) قاله الخليل بن أحمد في كتاب «العين»، باب: السين والراء والفاء معهما: ٧/ ٢٤٨.

(٧) البرهان: ٢/١٤٩.

قال الآلوسي في تفسيره: ١/٤: والقول بأنه من الإيالة وهي السياسة، كان المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه، ليس بشيء.

(٨) هو: القاسم بن سلام أبو عبيد التركي البغدادي، صاحب «فضائل القرآن» و«غريب =

وجماعة[١]: هما بمعنى واحد[٢]، وقد أنكر ذلك قوم، حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري[٣]، فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون، لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه[٤].

وقال الراغب: التفسير أعمّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، [وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير][٥] يستعمل فيها وفي غيرها[٦].

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والتأويل: توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة.

وقال الماتريدي[٧]: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنّه عنى باللفظ هذا؛ فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله[٨].

وقال أبو طالب التغلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً،

= القرآن» وغيرهما، توفي سنة (اثنتين وعشرين ومائتين هجرية).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٢، ووفيات الأعيان: ٣/ ٢٢٥.

(١) في الإتقان: ٤/ ١٦٧: «طائفة».

(٢) «واحد» ساقط من الإتقان: ٤/ ١٦٧.

وانظر: روح المعاني: ١/ ٤.

(٣) هو: محمد بن حبيب أبو القاسم النيسابوري مؤرخ، نسابة، مشارك في بعض العلوم، من تصانيفه تاريخ بغداد، والتنبيه على فضل علوم القرآن، توفي سنة (خمس وأربعين ومائتين للهجرة).

انظر: هدية العارفين: ٢/ ١٣.

(٤) نقلاً عن البرهان: ٢/ ١٥٢.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٦٧.

(٦) لم أعثر عليه في المفردات، وهذا منقول من البرهان: ٢/ ١٤٩، وانظر: روح المعاني: ١/ ٤، والإتقان: ٤/ ١٦٧.

(٧) هو: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي من أئمة علماء الكلام، صاحب التصانيف منها: تأويلات أهل السنة، توفي سنة (ثلاث وثلاثين وثلاثمائة).

انظر: الفوائد البهية: ١٩٥.

(٨) انظر: روح المعاني: ١/ ٤.

كتفسير «الصّراط» بالطريق، «والصيّب» بالمطر. والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل. مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤] تفسيره أنه من الرصد. يقال: رصدته رقبته، والمرصاد مفعال منه، وتأويله التحذير من التّهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

وقال الأصبهاني(١) في «تفسيره»: اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، بحسب المعنى الظاهر وغيره. والتأويل أكثره في الجمل.

والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو: البحيرة، والسائبة، والوصيلة(٢). أو في وجيز يتبين بشرح نحو: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، والنساء: ٧٧، والحج: ٧٨، والنور: ٥٦، والمجادلة: ١٣، والمزمل: ٢٠]، وإما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

وأما التأويل: فإنه يستعمل مرّة عاماً ومرّة خاصاً، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباريء ﷻ خاصّة، والإيمان

---

(١) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل أبو القاسم الأصبهاني، صاحب التفسير الكبير، والإيضاح في التفسير، وغيرهما، توفي سنة (٥٣٥ هجرية).
انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١٢، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ١٢٧٧.

(٢) والبحيرة مأخوذة من البحر، وهو شق الأذن، هي التي يجعل درها للطواغيت، فلا يحتلبها أحد من الناس، وجعل شق أذنها علامة لذلك.
انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٦٦٤، وفتح القدير: ٢/ ٨٢.
السائبة: هي الناقة تسيب، أو البعير يسيب نذر على الرجل إن سلّمه الله من مرض أو بلغه منزلة، فلا يحبس عن رعي ولا ماء، ولا يركبه أحد.
الوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل، بل تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.
المصدر السابق.

المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق الحق أخرى، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو لفظ «وجد» المستعمل في: الجدة، والوجد[1]، والوجود[2].

وقال غيره: التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية[3].

وقال أبو نصر القشيري: التفسير مقصور على الاتباع والسماع، والاستنباط فيما يتعلق بالتأويل[4].

وقال قوم: ما وقع مبيناً في كتاب الله ومعيناً في صحيح السنة سمي تفسيراً؛ لأن معناه قد ظهر ووضح، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا[5] غيره، بل يحمله على المعنى الذي ورد ولا يتعداه. والتأويل: ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الماهرون في آلات[6] العلوم.

وقال قوم منهم البغوي[7] والكواشي: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الإسناد[8].

وقال بعضهم[9]: التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات وشؤونها،

---

(١) وفي اللسان، مادة: (وجد): ٣/ ٤٤٥ وما بعدها: وجدت في المال وجداً ووجداً ووجداً ووجداناً وجدة؛ أي: صرت ذا مال. ووجد عليه في الغضب يجد ويجد وجداً وجدة: غضب. والوجد والوَجد والوِجد: اليسار والسعة.

(٢) راجع البرهان: ٢/ ١٥٠.

(٣) انظر: روح المعاني: ١/ ٥.

(٤) انظر: البرهان: ٢/ ١٥٠.

(٥) في (هـ): «إلى».

(٦) في (هـ) و(ح): «آيات»، وما أثبته من الإتقان.

(٧) هو الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي، محيي السنة، صاحب «معالم التنزيل» و«شرح السنة»، و«المصابيح» وغيرها، توفي سنة (٥١٦ هجرية).
انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٥٩، وطبقات الحفاظ: ٤٥٧.

(٨) وفي معالم التنزيل مع تفسير ابن كثير: ١/ ١٨.
فأما التأويل وهو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

(٩) قاله الزركشي في البرهان: ٢/ ١٤٨، وقد نقله السيوطي في الإتقان: ٤/ ١٦٩.

وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها، وأمثالها.

وقال أبو حيان: التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك.

فقال: فقولنا: علم هو جنس، [يشمل سائر العلوم][1]. وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءة.

وقولنا: ومدلولاتها؛ أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية: هذا يشمل علم التصريف والإعراب والبيان والبديع[2].

وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب: يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز.

فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصدّ عن الحمل عليه صادّ فيحمل على غيره وهو المجاز.

وقولنا: وتتمات لذلك هو يشمل معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضيح بعض ما أبهم في القرآن، ونحو ذلك[3].

وقال الزركشي: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وامتداد ذلك، من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة النزول، والناسخ والمنسوخ[4].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ)، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان.

(٢) في مقدمة تفسير أبي حيان علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع.

(٣) مقدمة تفسير أبي حيان: ١/١٣، ١٤.

(٤) وفي البرهان: ٢/١٤٨:

هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها =

أقول[1]: والصحيح المعتبر: أن معنى التفسير كما قال الماتريدي في المعنى السابق، وكذلك القشيري وما نقل عن بعضهم أيضاً[2].

فالتفسير هو ما ورد عن النبي ﷺ، واتّضح معنى الآية فيه وبان، فيجزم بذلك مثل قول الله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فقد فسر المنعم عليهم في الآية الأخرى بقوله تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ [النساء: ٦٩]، فصار معنى الذين أنعمت عليهم هم النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، فهو تفسير للآية[3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ فإنه قد صحّ عن رسول الله ﷺ أنّهم اليهود[4]، ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ هم النصارى.

فالتفسير هو وضوح معنى الآية وظهورها وعدم احتمالها لشيء آخر.

وأما التأويل: فهو بيان للآية بأوجه أو بوجه غير مناف للقواعد والأصول من غير أن يجزم بذلك المعنى ولا يقطع به، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] فقد قيل: إن الرضى عبارة عن

= ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها.

(١) القائل هو المؤلف.

(٢) قلت: قد عرفنا الأقوال في الفرق بين التفسير والتأويل، والذي تميل إليه النفس ما اختاره المؤلف، وما اختاه الدكتور الذهبي في التفسير والمفسرون: ١/ ٢٢. هو: التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية؛ وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه.

وأما التأويل: فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويتصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: ١/ ٢٨: والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة (النساء) حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء].

(٤) قال رسول الله ﷺ: «فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال» رواه الترمذي في سننه، وحسنه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الفاتحة: ٥/ ٢٠٤.

الشفاعة[1].

والثاني: الجزم بالمعنى وأنه هو المراد.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ «من قال في القرآن برأيه، أو بما لم يعلم فليتبوأ مقعده من النار» رواه أبو داود والترمذي وحسنه[2].

وقيل: عبارة عن الوسيلة. وقيل: أن لا يرضى أن أحداً من أمته يعذب[3]، فهذه معان من التأويل لا يجزم بواحد منها.

والممنوع من التفسير قسمان: المخالف للقواعد والأصول.

فإذا قال القائل: هذا المعنى الذي أراده الله فقد أساء، أو فسر بما لا يوافق الأصول والقواعد. فكذلك أيضاً حرام ممنوع.

وقال أبو حيان: ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته ولا يتمطى منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان، قد جبل طبعه على إنشاء النثر والنظم دون اكتساب، وإبداء ما اخترعته فكرته السليمة في أبدع صورة وأجمل جلباب، واستفرغ في ذلك زمانه النفيس، وهجر الأهل والولد والأنيس، ذلك الذي له في رياضه أصفى مرتع، وفي حياضه أصفى مكرع، ويتنسم عرف أزاهر طال ما حجبتها الكمام، ويترشق كأس رحيق له مسك ختام، ويستوضح أنوار[4] بدور سترتها كثائف الغمام، ويستفتح أبواب مواهب الملك العلام، يدرك إعجاز القرآن بالوجدان

---

(١) قاله الحسن البصري. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٢٣.

(٢) رواه أبو داود بنحوه، كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم: ٣/ ٣٢٠. روى الترمذي في سننه بنحوه وحسنه، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥/ ١٩٩.

(٣) قاله ابن عباس. انظر: فتح القدير: ٥/ ٤٥٩. قال الشوكاني تعليقاً على هذا القول: ويدل على هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان. باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم: ١/ ١٣١.

عن ابن عمر أن النبي ﷺ تلا قول الله في إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]. فرفع يديه وقال: «أمتي أمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسؤوك».

(٤) في (هـ): «لأنوار»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

لا بالتقليد، وينفتح له ما استغلق إذ بيده الإقليد[١]. وأما من اقتصر على غير هذا من العلوم، أو قصر في إنشاء المنثور والمنظوم، فإنه بمعزل عن فهم غواميض الكتاب، وعن إدراك لطائف[٢] ما تضمنه من العجب العجاب، وحظه من علم التفسير إنما هو نقل أسطار، وتكرار محفوظ على مر أعصار، ولتباين أهل الإسلام في إدراك فصاحة الكلام، وما به تكون الزجاجة في النظام، اختلفوا فيما به إعجاز القرآن، فمن توغل في أساليب الفصاحة وأفانينها، وتقول في معارف[٣] الآداب وقوانينها، أدرك بالوجدان أن القرآن أتى في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها، ونهاية من البلاغة لا يمكن أن يحام عليها، فمعارضته عنده غير ممكنة للبشر، ولا داخلة تحت القدر، ومن لم يدرك هذا المدرك، ولا سلك هذا المسلك، رأى [أنه][٤] من نمط كلام العرب، وأن مثله مقدور لمنشئ الخطب[٥]. فإعجازه عنده إنما هو بصرف الله تعالى إياهم عن معارضته ومناظرته، وإن كانوا قادرين على مماثلته[٦]. والقائلون بأن الإعجاز وقع بالصرف هو من نقصان الفطرة الإنسانية، في رتبة بعض النساء حين رأت زوجها[٧] يطأ جارية فعاتبته، فأخبر أنه ما وطأها،

---

(١) وفي اللسان، مادة: (قلد): ٣/٣٦٦: الإقليد: المفتاح وهو المقليد، وفي حديث ابن أبي الحقيق: قمت إلى الأقاليد فأخذتها. هي جمع إقليد، وهي المفاتيح.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٧.

(٣) في (هـ) و(ح): «معرفة»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٧.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٧.

(٥) في (هـ) و(ح): «الخطيب»، والصواب ما أثبته من مقدمة تفسير أبي حبان: ١/٧.

(٦) وهو رأي إبراهيم النظام المعتزلي وأتباعه.

(٧) هو: عبد الله بن رواحة أبو محمد، الصحابي الجليل الشاعر المشهور الأنصاري، أحد النقباء شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها إلا الفتح، ومن أشعاره مدح النبي ﷺ:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهيته تنبيك بالخبر

أما قصته مع زوجته عندما وقع على أمته مشهورة؛ وذلك أنه مشى ليلة إلى أمة له، فنالها، وفطنت له امرأته فلامته فجحدها، وكانت قد رأت جماعه لها، فقالت له: إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن، فالجنب لا يقرأ القرآن فقال:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء حق ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة غلاظ ... ملائكة الإله مسومينا =

فقالت له: إن كنت صادقاً فاقرأ شيئاً من القرآن، فأنشدها بيت شعر، قاله ذكر الله فيه ورسوله وكتابه فصدقته، فلم ترزق من الرزق ما تفرق به بين كلام الخلق وكلام الحق.

وحكى لنا أستاذنا العلامة أبو جعفر[١] ـ رحمه الله تعالى عن بعض من كان له معرفة بالعلوم القديمة، ومعرفة كثير من العلوم الإسلامية، أنه كان يقول: يا أبا جعفر لا أدرك فرقاً بين القرآن وبين غيره من الكلام، فهذا الرجل وأمثاله من علماء المسلمين يكون من الطائفة الذين يقولون بأن الإعجاز وقع بالصرفة[٢].

وكان بعض شيوخنا ممن له تحقق بالمعقول، وتصرف في كثير من المنقول، إذا أراد أن يكتب[٣] فقرأ فصيحة، أتى لبعض تلامذته[٤] وكلفه أن ينشئها له.

وكان بعض شيوخنا ممن له التبحر في علم لغة العرب إذا أسقط من بيت الشعر كلمة أو ربع البيت، وكان المعنى[٥] يتم بدون ما أسقط لا يدرك ما أسقط من ذلك، وأين هذا في الإدراك من آخر، إذا حركت له مسكناً أو سكنت له محركاً أدرك ذلك بالطبع، وقال: إن هذا البيت مكسور ويدرك ذلك في أشعار العرب الفصحاء، إذا كان فيه زحاف[٦] ما، وإن كان جائزاً كثيراً في كلام العرب، لكن يَجد مثل هذا طبعه ينبو عنه، ويقلق لسماعه. هذا، وإن

= فقالت امرأته: صدق الله وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه، توفي ﷺ يوم مؤتة شهيداً.

انظر: الاستيعاب في حاشية الإصابة: ٢/٢٩٣، والإصابة: ٢/٣٠٦.

(١) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير أبو جعفر الأندلسي. مضت ترجمته.

(٢) في (هـ) بالصرف، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٨.

وقد سبق ذكر معنى «الصرفة».

(٣) في (هـ): «أن يثبت»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٨.

(٤) في (هـ): تلاميذه، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٨.

(٥) في مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٨: «المعين».

(٦) وفي اللسان، مادة: (زحف): ٩/ ١٣١. والزحاف في الشعر هو ما سقط ما بين الحرفين حرف فزحف أحدهما الآخر، وسمي بذلك لثقله تخص به الأسباب دون الأوتاد إلا القطع فإنه يكون في أوتاد الأعاريض والضروب.

كان لا يفهم معنى البيت لكونه حوشي[1] اللغات أو منطوياً على حوشي فهذه كلها من مواهب الله تعالى، لا تؤخذ باكتساب لكن الاكتساب يقويها، وليس العرب متساوين في الفصاحة، ولا في إدراك المعاني، ولا في نظم الشعر بل فيهم من يكسر الوزن، ومن لا ينظم ولا بيتاً واحداً، ومن هو [مقل][2] من النظم، وطباعهم كطباع سائر الأمم في ذلك حتى فحول شعرائهم يتفاوتون في الفصاحة، وينقح الشاعر منهم القصيدة حولاً، حتى تسمى [قصائده][3] الحوليات، فهم مختلفون في ذلك.

ولذلك كان بعض الكفار حين سمع القرآن أدرك إعجازه للوقت، فوقف وأسلم، وآخر أدرك إعجازه فكفر ولج في عناده بغياً[4] أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فنسبه تارة إلى الشعر، وتارة إلى الكهانة والسحر، وآخر لم يدرك إعجازه كتلك المرأة العربية التي قدمنا ذكرها[5].

وكحال أكثر الناس، فإنهم لا يدركون إعجاز القرآن من جهة الفصاحة، فمن أدرك إعجازه فوقف وأسلم بأول سماع. سمعه أبو ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قرأ عليه رسول الله ﷺ من أوائل فصلت، فأسلم للوقت، وخبره في إسلامه مشهور[6].

ومن أدرك إعجازه وكفر عناداً عتبة، وكان من عقلاء الكفار، حتى كان يتوهم أمية بن أبي الصلت أنه هو يعني عتبة يكون النبي المبعوث[7] في قريش، فلما بعث محمد[8] ﷺ حسده عتبة وأضرابه مع علمهم بصدقه وأن ما جاء به معجز[9]، وكذلك الوليد بن المغيرة.

---

(١) الحوشي: من الكلام: الغريب الوحشي. المعجم الوسيط: ٢٠٦/٦.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ)، مثبت في مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ)، مثبت من مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١.

(٤) ساقط من (هـ)، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١.

(٥) قصة عبد الله بن رواحة مع زوجته.

(٦) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر: ٢٧/١٦.

(٧) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١: «المنبعث».

(٨) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١: «فلما بعث الله محمداً ﷺ».

(٩) في (هـ): «معجزة».

وروي أنه قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى. ومع هذا الاعتراف، غلب عليه الحسد والأشر، حتى قال ما حكى الله تعالى عنه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٤، ٢٥].

وممن لم يدرك إعجازه أو أدرك وعاند وعارض مسيلمة الكذاب[1]، أتى بكلمات زعم أنها أوحيت إليه انتهت في الفهاهة[2] والعي والغثاثة، بحيث صارت هزأة للسامع[3].

وكذلك أبو الطيب المتنبي[4]، وقد ذكر القاضي أبو بكر محمد بن الخطيب الباقلاني في كتاب الانتصار في إعجاز القرآن شيئاً من كلام أبي الطيب مما هو كفر[5].

وقد ذكر لنا قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري، أن أبا الطيب ادّعى النبوة وتبعه ناس من عبس وكلب، وأنه اختلق شيئاً ادّعى أنّه أوحي إليه سوراً سماها العبر، وإن شعره لا يناسبها لجودة أكثره ورداءتها كلها ـ أو كلاماً هذا معناه.

---

(١) سبق ذكره ترجمته، ونماذج من الكلمات التي زعم أنها أوحيت إليه.

(٢) الفهاهة: أي الغفلة.

(٣) مثاله نقلاً عن بيان إعجاز القرآن للخطابي: ٧٤، وإعجاز القرآن للباقلاني: ١٢٨: الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له مشفر طويل وذنب أثيل وما ذاك من خلق ربنا بقليل.

(٤) هو: أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي الشاعر الحكيم، وتنبأ فتبعه كثيرون، فأسره أمير حمص وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه، توفي سنة (أربع وخمسين وثلاثمائة).

انظر: تاريخ بغداد: ٤/١٠٢، ووفيات الأعيان: ١/٣٦.

(٥) قال الباقلاني: وقد حكي عن المتنبي أنه كان ينظر في المصحف، فدخل إليه بعض أصحابه، فأنكر نظره فيه، لما كان رآه عليه من سوء اعتقاده، فقال له: هذا المكي على فصاحته كان مقحماً.

قال الباقلاني: فإن صحت هذه الحكاية عنه في إلحاده عرف بها، أنه كان يعتقد أن الفصاحة في قول الشعر أمكن وأبلغ.

إعجاز القرآن للباقلاني: ١٥٥.

وإنما أثبتنا بهذه الجملة من الكلام ليعلم أن أذهان الناس مختلفة في الإدراك على ما شاء الله تعالى، وأعطى كل واحد[1] ما شاء، ولنبين بأن علم التفسير ليس متوقفاً على علم النحو فقط كما يظنه بعض الناس، بل أكثر أئمة العربية، هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة.

ولذلك قلّت تصانيفهم في علم التفسير، وقل أن ترى نحوياً بارعاً من النظم والنثر، كما قل أن ترى بارعاً في الفصاحة يتوغل في علم النحو.

وقد رأينا من ينسب للإمامة في علم النحو، وهو لا يحسن أن ينطق بأبيات من أشعار العرب، فضلاً عن أن يعرف مدلولها، أو يتكلم على ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان، فأنى لمثل هذا أن يتعاطى علم التفسير[2]. انتهى.

وأما[3] وجه الحاجة إليه، فقال بعضهم: اعلم أن من العلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل كتابه على لغتهم، وإنما احتيج إلى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة، وهي أن كل من وضع من البشر كتاباً؛ فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشرح لأمور ثلاثة:

أحدها: كمال فضيلة المصنف، فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده، فقصد [حينئذٍ][4] بالشرح ظهر تلك المعاني الخفية، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له.

والثاني: إغفاله بعض تتمات المسألة أو شروط لها، اعتماداً على وضوحها، أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه.

والثالث: احتمال اللفظ لمعان[5] كما في المجاز والاشتراك ودلالة

---

(١) في مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٨: «كل أحد».

(٢) انتهى كلام أبي حيان في مقدمة تفسيره: ١/٧، ٨.

(٣) من هنا يرجع المؤلف إلى النقل من الإتقان: ٤/ ١٧٠.

(٤) ساقط من الإتقان: ٤/ ١٧٠.

(٥) في (هـ) و(ح): «للمعاني».

المجاز: استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولاً، لعلاقة بينهما، كاستعمال كلمة «أسد» للرجل الشجاع. =

الالتزام[1]، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه للتنبيه على ذلك.

إذا تقرّر هذا، فنقول: إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر، [مع سؤالهم النبيّ ﷺ في الأكثر][2]، [كسؤالهم لما نزل قوله تعالى][3]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

فقالوا: وأيّنا يا رسول الله لم يلبس إيمانه بظلم، لقد هلكنا يا رسول الله أو كما قالوا، فأجابهم النبي ﷺ أن الأمر ليس كما فهمتم، بل المقصود من هذه الآية الشرك؛ لقول الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣][4].

وكسؤال عائشة عن الحساب العسير، فقال: «ذلك العرض»[5].

وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود[6]، وغير ذلك؛ مما

= والاشتراك: استعمال اللفظ في معنيين في أصل الوضع، مثل كلمة «قرء» موضوعة للحيض وللطهر.

(١) وأما دلالة الالتزام: فهي أن يدل اللفظ على معنى خارج عنه، لازم له عقلاً أو عرفاً، كدلالة جواز الجماع حتى آخر جزء من الليل ليلة الصيام على جواز طلوع الفجر على الصائم وهو جنب.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٠.

(٣) في (هـ) و(ح): «كسؤالهم عن قوله تعالى»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٠.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه: ١/ ٨٠.

(٥) عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب إلا هلك» قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] فقال: «ذاك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك». رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنة. . ، باب إثبات الحساب: ٨/ ١٦٤.

(٦) ففي صحيح البخاري كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ . . .﴾ [البقرة: ١٨٧]: ٢/ ٢٣١، من حديث عدي بن حاتم قال: لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ عمدتُ إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوتُ على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن دخول الصوم يحصل بدخول الفجر.

سألوا عن آحاد منه، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير علم، فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير، ومعلوم أن التفسير[1] بعضه يكون من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة، وكشف معانيها، وبعضه من ترجيح بعض الاحتمالات على بعض. انتهى.

وقال الخُوَيّي[2]: علم التفسير عسير يسير، أما عسره فظاهر من وجوه:

أظهرها: أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان الوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها، فإن الإنسان يمكن علمه منه، إذا تكلم بأن يسمع منه أو من سمع منه. وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول ﷺ، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل[3]. فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه، أن الله ـ جل شأنه ـ أراد أن يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته.

وأما شرفه: فلا يخفى، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق أبي طلحة عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه[4].

---

(١) في الإتقان: ٤/ ١٧١: «أن تفسيره».

(٢) هو أحمد بن خليل بن سعادة شمس الدين الخُوَيّي ـ بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء ـ الشافعي صاحب الإمام فخر الدين الرازي، كان فقيهاً مناظراً وأستاذاً في الطب والحكمة، توفي سنة (٦٣٨).

انظر: شذرات الذهب: ٥/ ١٨٣.

(٣) كما دل على ذلك حديث عائشة أنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علّمه إياهن جبريل. رواه البزار. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه راو لم يتحرر اسمه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

انظر: مجمع الزوائد للهيثمي: ٦/ ٣٠٣، وتفسير القرطبي: ١/ ٣١.

(٤) تفسير ابن كثير: ١/ ٥٧١.

وأخرج ابن مردويه[1] من طريق جويبر[2] عن الضحاك عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مرفوعاً: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: «القرآن»، قال ابن عباس: يعني: تفسيره، فإنه قد قرأ البر والفاجر[3]. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء[4] ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: «قراءة القرآن والفكرة فيه»[5].

وأخرج ابن جرير[6] مثله عن مجاهد وقتادة.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة[7] قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني، لأنّي سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[8].

وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيما نزلت وما أراد بها.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مردويه الأصبهاني الإمام الحافظ، توفي (بعد السبعين وأربعمائة).

انظر: تذكرة الحافظ: ٤/ ١٢١٢، وطبقات الحفاظ: ٤٤٦.

(٢) هو: جويبر يقال: اسمه جابر بن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي، قال عنه ابن حجر في التقريب: راوي التفسير، ضعيف جداً، توفي (بعد الأربعين ومائة).

انظر: تهذيب التهذيب: ٢/ ١٢٣، والتقريب: ١/ ١٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ١/ ٥٧١.

(٤) هو: عويمر بن زيد أبو الدرداء الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة صحابي جليل، شهد أُحداً، توفي سنة (اثنتين وثلاثين هجرية).

انظر: الإصابة: ٣/ ٤٥، وتذكرة الحفاظ: ١/ ٢٤.

(٥) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء: ١/ ٣٤٨.

(٦) في تفسيره: ٣/ ٦٠.

(٧) هو: عمرو بن مرة بن عبد الله أبو عبد الله الكوفي المرادي قال ابن حجر: ثقة عابد كان لا يدلس، مات سنة (١١٨ للهجرة).

انظر: تقريب التهذيب: ٢/ ٧٨، طبقات الحفاظ: ٤٦.

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره بلفظه: ٥/ ٣٢٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة. وانظر: الدر المنثور: ٥/ ٤٤٥.

وأخرج أبو ذر الهروي في فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذّ شعراً هذّاً»[1].

وأخرج البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة[2] ـ رضي الله تعالى عنه ـ [مرفوعاً][3] قال: لأن أعرب آيةً في القرآن أحبُّ إليّ من أن أحفظ آية ليس عن الرسول.

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن بريدة[4] عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لو أني أعلم إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله لفعلت.

وأخرج أيضاً من طريق الشعبي قال: قال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: من قرأ القرآن فأعرب كان له عند الله أجر شهيد[5].

قال الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ: قلت: معنى هذه الآثار عندي إرادة البيان والتفسير؛ لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحوي اصطلاح حادث، ولأنه كان في سليقتهم لا يحتاجون إلى تعلمه، ثم رأيت ابن النقيب[6] جنح إلى ما ذكرته. وقال: ويجوز أن يكون المراد الإعراب الصناعي، وفيه عد، وقد يستدل له بما أخرجه السلفي في الطيوريات من حديث ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مرفوعاً: «اعربوا القرآن يدلكم على تأويله».

---

(1) في مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة ابن عطية): ٢٦١:
الذي يقرأ القرآن ولا يفسر كالأعرابي الذي يهذّ بالشعر.
الهذّ؛ سرعة القراءة، وفي اللسان: وفي حديث ابن عباس، قال له رجل: قرأت المفصل، فقال: أهذّاً كهذا الشعر! أراد: أتهذّ القرآن هذّاً، تسرع به كما تسرع في قراءة الشعر!

(2) هو: أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني صحابي جليل، قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في الدنيا، توفي سنة (ثمان وخمسين هجرية).
انظر: طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٢٥، تذكرة الحفاظ: ١/ ٣٢.

(3) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٢.

(4) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي أبو سهل المروزي قاضيها ثقة مات سنة (خمس ومائة). انظر: تقريب التهذيب: ١/ ٤٠٣.

(5) جمع الجوامع للسيوطي: ١/ ٨١٨.

(6) هو: محمد بن سليمان بن الحسن أبو عبد الله المقدسي الحنفي المعروف بابن النقيب، توفي سنة (٦٩٨ هجرية).
انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٤٤، وشذرات الذهب: ٥/ ٤٤٢.

أقول: الإعراب بمعنى البيان هو الأفصح والأصح في معنى الآثار السابقة، أو يكون معنى الإعراب أعم من البيان. والإعراب الاصطلاحي فيكون المعنى: النطق بالقرآن على السليقة العربية، وفهمه بالمعنى العربي. انتهى.

وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية[1].

قال الأصبهاني: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن، بيان ذلك: أن أشرف الصناعة، إما بشرف موضوعها مثل الصياغة؛ فإنها أشرف من الدباغة؛ لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة. وإما بشرف عرضها مثل صناعة الطب؛ فإنها أشرف من صناعة الكناسة؛ لأن غرض الطب إفادة الصحة، وغرض الكناسة تنظيف المستراح.

وإما بشدة الحاجة إليها كالفقه؛ فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطبّ؛ إذ ما من واقعة في الكون في أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه؛ [لأن به][2] انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين، بخلاف الطبّ فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات.

إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث.

أما من جهة الموضوع؛ فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، [فيه نبأ ما بعدكم، وخبر ما قبلكم، وحكم ما بينكم، لا يَخلَق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه][3].

وأما من جهة الغرض منه؛ فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى.

---

(١) هي علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه؛ لأن باقي العلوم آلات لها.
حاشية الإتقان: ٢/ ١١٩٥ بتحقيق د. مصطفى البغا.

(٢) في (هـ) و(ح): «لأنه»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٣.

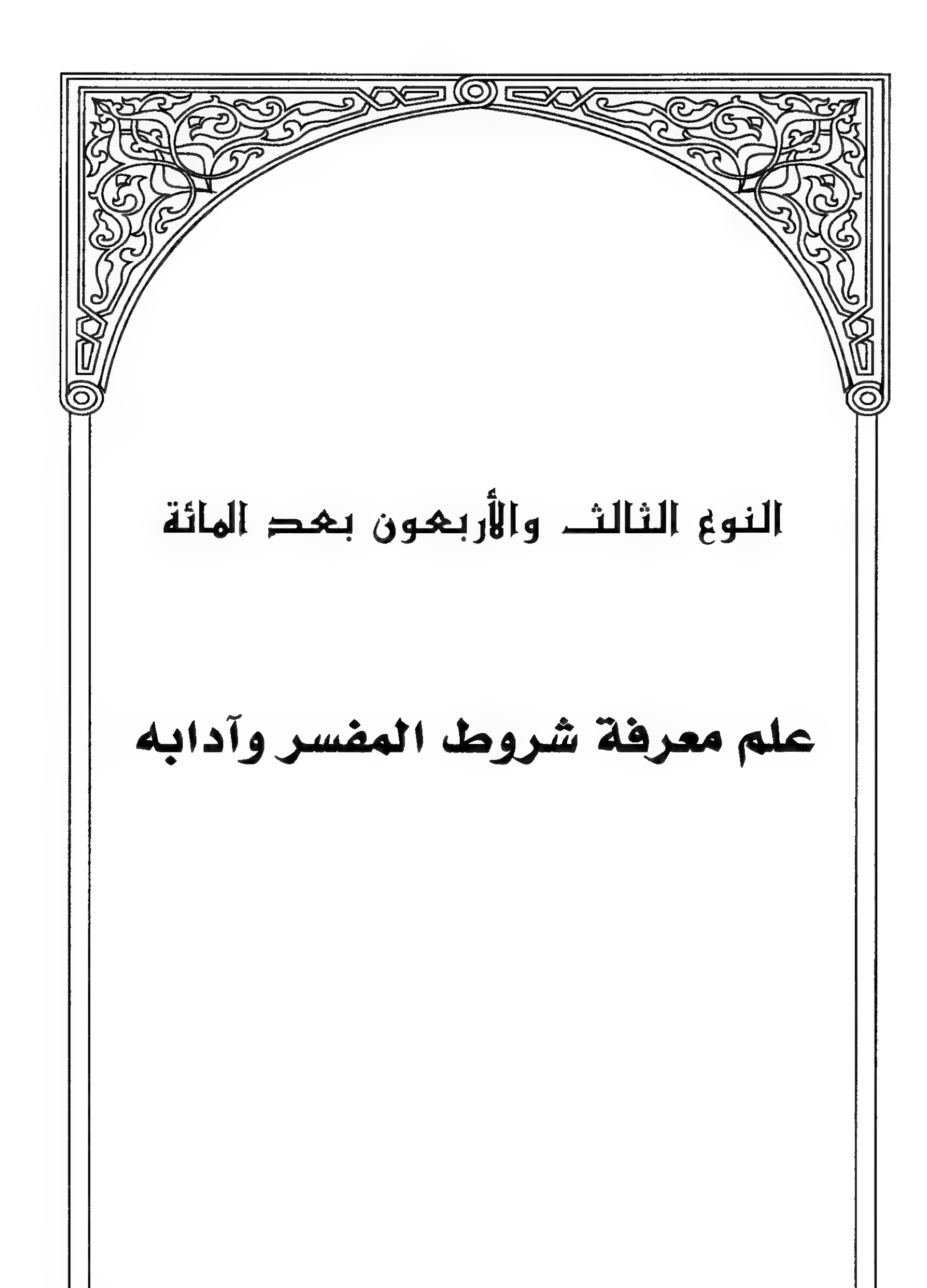
(٣) ما بين القوسين الأصح أنه من كلام الإمام علي بن أبي طالب.
انظر: سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن: ٥/ ١٧٢، قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال.

وأما من جهة شدة الحاجة؛ فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله[(١)][(٢)].

---

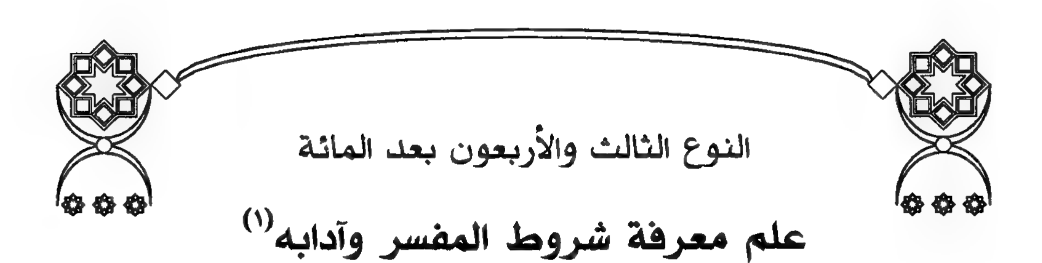
(١) قال الآلوسي في تفسيره: ١/٥: وأما بيان الحاجة إليه فلأن فهم القرآن العظيم المشتمل على الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبدية وهو العروة الوثقى والصراط المستقيم ـ أمر عسير ـ لا يهتدى إليه إلا بتوفيق من اللطيف الخبير، حتى إن الصحابة على علو كعبهم في الفصاحة واستنارة بواطنهم مما أشرق عليها من مشكاة النبوة كانوا كثيراً ما يرجعون إليه ﷺ بالسؤال عن أشياء لم تصل أفهامهم إليها.. ولا شك أنا محتاجون إلى ما كانوا محتاجين وزيادة.

(٢) انتهى النقل من الإتقان: ٤/١٧٣.



النوع الثالث والأربعون بعد المائة

علم معرفة شروط المفسر وآدابه



النوع الثالث والأربعون بعد المائة

علم معرفة شروط المفسر وآدابه(١)

قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولاً من القرآن، فما أُجمِل منه في مكان، فقد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختُصِر في مكان فقد بُسط في موضع آخر [منه](٢).

وقد ألف ابن الجوزي كتاباً(٣) فيما أجمل في القرآن في موضع وفسر في موضع آخر [منه](٤)، وأشرت إلى أمثلة منه في نوع المجمل(٥).

فإن أعياه ذلك طلبه من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

وقد قال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: كلّ ما حكم به رسول الله ﷺ، فهو مما فهمه من القرآن(٦) قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] في آيات أخرى.

وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»(٧)؛ يعني السنة.

فإن لم يجد في السنة رجع إلى قول(٨) الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

---

(١) هذا النوع منقول عن الإتقان: ٤/ ١٧٤ ـ ٢٠١، بعنوان: النوع الثامن والسبعون «في معرفة شروط المفسر وآدابه».

(٢) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٤.

(٣) هو: تيسير البيان في تفسير القرآن.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٤.

(٥) انظر: الإتقان النوع السادس والأربعين «في مجمله ومبينه» فصل: قد يقع التبيين: ٣/ ٥٣.

(٦) نقله ابن كثير في تفسيره: ١/ ٧، والسيوطي في معترك الأقران: ١/ ١٥.

(٧) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في لزوم السنة: ٥/ ١٠.

(٨) في الإتقان: ٤/ ١٧٤: «أقوال».

وقد قال الحاكم في «المستدرك»: إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع(١).

وقال الإمام أبو طالب الطبري في أوائل تفسيره: [القول في أدوات المفسر](٢): اعلم أن من [شرطه صحة الاعتقاد أولاً، ولزوم سنة الدين](٣)، فإن كان مغموصاً(٤) عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين! ثم لا يؤتمن من الدين على [الأخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في](٥) الأخبار عن أسرار الله تعالى، [ولأنه](٦) لا يؤمن إن كان متّهماً بالإلحاد أن يبغي الفتنة، ويغوي الناس بليه(٧) وخداعه، كدأب الباطنية(٨)، وغلاة الرافضة(٩)، وإن كان متّهماً بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته، كدأب القدرية(١٠)،

---

(١) لم أقف على ما في المستدرك، ولكن الزركشي قال في البرهان: ٢/ ١٥٧: فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ كما قاله الحاكم في تفسيره.

(٢) في (هـ) و(ح): «القول في آداب المفسر»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٤.

(٣) في (هـ) و(ح): «شرط صحة الاعتقاد أو لزوم سنة الدين»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٤، وهو الصواب.

(٤) أي مطعوناً عليه في دينه ومتهماً بالنفاق ونحوه. وفي اللسان: ٧/ ٦١، مادة: (غمص): ورجل غمص على النسب: عياب. ورجل مغموص عليه في حسبه، أو في دينه ومغموز؛ أي مطعون عليه.

(٥) ما بين القوسين ساقط من: (ح).

(٦) في (هـ): «وأنه»، وما أثبته من (ح) كما في الإتقان: ٤/ ١٧٤.

(٧) ليه: أي تستره وتحريفه القول بلسانه.

(٨) هم الذين يقولون: إن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، وهذا أشهر لقب الإسماعيلية. وقال الفيومي في المصباح المنير، مادة: (لحد): ٢/ ٢١٢: الملحدون في زماننا هم الباطنة الذين يدعون أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنهم يعلمون الباطن، فأحالوا بذلك الشريعة؛ لأنهم تأولوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن. وانظر: الملل والنحل: ١/ ١٩١.

(٩) الرافضة: هم الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه لما سألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأثنى عليهما خيراً.

فأما غلاتهم: هم الذين قالوا بإلهية الأئمة، وأباحوا محرمات الشريعة، وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة، كالبيانية، والمغيرية، والمنصورية.

انظر: الفرق بين الفرق: ٢٢، والأديان والفرق: ١٧٦.

(١٠) القدرية: هم الذين يقولون: إن الإنسان مجبر على أفعاله، وإنه لا استطاعة له =

فإن أحدهم يصنّف الكتاب في التفسير، ومقصوده منه الإيضاع خلال المساكين ليصدّهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى.

ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي ﷺ وعن أصحابه ومن عاصرهم، ويتجنب المحدثات، وإذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل، نحو أن يتكلم على ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] وأقوالهم فيه، ترجع إلى شيء واحد، فيؤخذ منها [ما يدخل فيه الجميع](١)، فلا تنافِيَ بين القرآن، وطريق الأنبياء وطريق السنة، وطريق النبي ﷺ، وطريق أبي بكر وعمر، فأي هذه الأقوال أفرده كان محسناً(٢).

وإن تعارضت رد الأمر إلى ما ثبت فيه السمع، وإن لم يجد سمعاً، وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدهما رجح ما قوي الاستدلال فيه، كاختلافهم في معنى حروف الهجاء(٣)، يرجح قول من قال: إنها قسم.

= أصلاً، وسموا القدرية؛ لإنكارهم القدر وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضاً، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

انظر: الفصل في الملل: ٣/ ٢٢، وشرح الطحاوية: ٥٨، ٢٢٤.

(١) في (هـ) و(ح): «ما يدخل في الجمع»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٥.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ١/ ٥٠ عند تفسير ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾:

هو النبي وصاحباه، وقيل: هو الإسلام، وقيل: كتاب الله، وقيل: حبل الله المتين، وقيل: الحق. وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة فإن من اتّبع النبي ﷺ، واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر، فقد اتّبع الحقّ، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً ـ ولله الحمد.

وقال ابن جرير في تفسيره: ١/ ٥٧:

إن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو الذي أولى بتأويل هذه الآية عندي ـ أعني ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ ـ أن يكون معنياً به: وفقنا لثبات على ما ارتضيته، ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النّبيّين والصّدّيقين والشهداء، فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به، والانزجار عما زجره عنه واتباع منهج النبي ﷺ، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكل عبد الله الصالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم.

(٣) قلت: إن حروف الهجاء التي في أوائل السور اختلف المفسرون فيها، فالأسلم أن نقول: هي مما استأثر الله بعلمه، فالله أعلم بمراده. انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٦٤، والإتقان: ٣/ ٣، ونسخة (ح): ١٢٨.

وإن تعارضت الأدلة في المراد[1] علم أنه قد اشتبه عليه، فيؤمن بمراد الله تعالى منها، ولا يتهجم على تعيينه وينزله منزلة المجمل قبل تفصيله، والمتشابه قبل تبينه.

[ومن شرطه: صحة المقصد][2] فيما يقول ليلقى التسديد، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وإنما يخلص له القصد[3] إذا زهد في الدنيا؛ لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصده عن صواب[4] قصده، ويفسد عليه صحة عمله.

وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئاً من عدة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان، إما حقيقة أو مجازاً، فتأويله تعطيله. وقد رأيت بعضهم يفسر قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ٩١] أنه ملازمة قول الله، ولم يدر الغبي[5] أن هذه الجملة حذف منها الخبر، والتقدير ﴿ٱللَّهُ أَنزَلَهُۥ﴾. انتهى كلام أبي طالب[6].

وقال ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع: يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه[7] معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه؛ فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا[8].

وقد قال أبو عبد الرحمٰن السلمي[9]: حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبيّ ﷺ عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا[10] ما فيها من العلم

---

(١) في (هـ) و(ح): «فالمراد»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٥.

(٢) في (هـ) و(ح): «ومن شرط صحة المقصد»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٥.

(٣) في (هـ) و(ح): «المقصد»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٥.

(٤) في (هـ) و(ح): «عن وصول»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٥.

(٥) في (هـ) و(ح): «المعني»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٥.

(٦) لم أعثر على مرجع كلام أبي طالب الطبري إلا في الإتقان: ٤/ ١٧٤، ١٧٥.

(٧) في (هـ) و(ح): «أصحابه»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٥.

(٨) مقدمة في أصول التفسير: ٥.

(٩) هو: عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي، التابعي ولأبيه صحبة قال ابن حجر: ثقة ثبت، توفي (بعد السبعين).

انظر: تذكرة الحفاظ: ١/ ٥٨، والشذرات: ٥/ ١٨٣.

(١٠) في الإتقان: ٤/ ١٧٥: «يعلموا».

والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً[(1)].

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة[(2)]، وقال أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: كان الرجل إذا قرأ البقرة، وآل عمران، جد[(3)] في أعيننا. رواه أحمد في مسنده[(4)]. وأقام ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ على حفظ البقرة ثمان سنين، أخرجه في الموطأ[(5)]. وذلك أن الله تعالى قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب، والحساب، ولا يستشرحونه، فكيف بكتاب الله[(6)] الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم، وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم!، ولهذا كان النزاع بين الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ في تفسير القرآن قليلاً[(7)] جداً. وهو وإن كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة؛ فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم.

ومن التابعين من تلقى التفسير عن الصحابة، وربما تكلمو في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالباً ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تضاد، وذلك صنفان:

أحدهما: أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدلّ على معنى في المسمّى غير المعنى الآخر مع اتّحاد المسمّى، كتفسيرِهِمْ ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] بعضٌ: بالقرآن؛ أي اتباعه، وبعضٌ: بالإسلام، فالقولان متّفقان؛ لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهم نبّه على وصف (غير الوصف)[(8)] الآخر، كما أن لفظ ﴿صِرَٰطَ﴾ يشعر بوصف ثالث.

---

(١) نقلاً عن الإكليل لابن تيمية: ٤٩، ومقدمة في أصول التفسير: ٦.

(٢) في (هـ) و(ح): «السور»، وما أثبته من الإتقان: ١٧٦/٤.

(٣) جد: أي عظم.

(٤) ٣/١٢٠، بلفظ: «وكان الرجل إذا قرأ (البقرة) و(آل عمران) جد فينا» يعني عظم.

(٥) كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن: ٢٠٥/١. وانظر: شرح الزرقاني على الموطأ: ١٩/١.

(٦) في الإتقان: ١٧٦/٤: «بكلام الله».

(٧) في الإتقان: ١٧٦/٤: «قليل» وهو تصحيف.

(٨) ساقط من (ح).

وكذلك قول من قال: هو السنة والجماعة، [وقول من قال: هو طريق العبودية][1]، وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله. وأمثال ذلك؛ فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم من صفاتها.

ثانيهما: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحدّ[2] المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه. مثاله: ما نقل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا . . .﴾ الآية [فاطر: ٣٢][3]، فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيّع للواجبات، والمنتهك للمحرمات.

والمقتصد: يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات.

والسابق: يدخل فيه من سبق، فتقرب بالحسنات مع الواجبات.

والمقتصدون: أصحاب اليمين، والسابقون السابقون أولئك المقربون.

ثم إن كلا منهم [يذكر هذا في نوع][4] من أنواع الطاعات. كقول القائل: السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار.

ويقول: السابق: المحسن بالصدقة مع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة [فقط][5]، والظالم مانع الزكاة[6]. قال: [وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في][7] تنوّع التفسير[8] تارة لتنوّع الأسماء[9] والصفات، وتارة لذكر

---

(١) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٦.

(٢) الحد وفي اصطلاح المناطقة، وهو المراد هنا: القول الدال على ماهية الشيء. انظر: المصباح المنير، مادة: (حدد): ١٣٥، والمعجم الوسيط، مادة: (حدد): ١/ ١٦١.

(٣) وتتمتها: ﴿مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

(٤) في (هـ): «يذكر في هذا نوع»، وما أثبته من (ح) كما في الإتقان: ٤/ ١٧٧.

(٥) ساقط من (هـ)، وما أثبته من (ح) كما في الإتقان: ٤/ ١٧٧.

(٦) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٢.

(٧) في (هـ): «واللذان ذكرناهما في»، وما أثبته من مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٢، كما في الإتقان: ٤/ ١٧٧.

(٨) في (هـ): «نوع»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٧.

(٩) في (هـ) و(ح): «التنويع»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٧.

بعض أنواع المسمّى، هو الغالب في تفسير سلف الأمّة الذي يظنّ أنه مختلف[1].

[ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ محتملاً للأمرين، إما لكونه مشتركاً في اللغة][2]، كلفظ ﴿قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١][3] الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد. ولفظ ﴿عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧][4] الذي يراد به إقبال الليل وإدباره.

وإما لكونه متواطئاً[5] في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيئين[6]، كالضمائر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ الآية [النجم: ٨][7]. وكلفظ ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، ﴿وَٱلشَّفْعِ﴾، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١ ـ ٣][8] [وأمثال ذلك][9]. فمثل هذا قد يجوز أن يراد كل[10] المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: ١٤.

(٢) في (هـ) و(ح): «في اللفظ»، وما أثبته من مقدمة في أصول التفسير: ١٤ كما في الإتقان: ٤/ ١٧٧.

(٣) وتمام الآية والتي قبلها: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾. قال الشوكاني في تفسيره: ٥/ ٣٣٣: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾؛ أي من رماة يرمونها، والقسور الرامي وجمعه قسورة، وقيل: هو الأسد، وقيل: القسورة بلسان العرب: الأسد، وبلسان الحبشة: الرماة، واختار الشوكاني القول الأول.

(٤) قال الشوكاني في تفسيره: ٥/ ٣٩٠، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: قال أهل اللغة: هو من الأضداد، يقال: عسعس الليل: إذا أقبل، وعسعس: إذا أدبر، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره، إلا أن المراد في الآية بمعنى أدبر لقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ وتنفس الصبح إقباله.

(٥) متواطئاً: متوافقاً.

(٦) في الإتقان: ٤/ ١٧٧ و(هـ) و(ح): «الشخصين»، وما أثبته من مقدمة في أصول التفسير: ١٤.

(٧) أي: وما بعدها من آيات، فهي تحتمل عود الضمير على النبي ﷺ كما تحتمل عوده على جبريل عليه السلام، قال الجمهور: والذي دنا فتدلّى هو جبريل، وهو الأولى، فمعنى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾؛ أي دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى، أي قرب من الأرض، فتدلّى فنزل على النبي ﷺ بالوحي. انظر: تفسير الشوكاني: ٥/ ١٠٩.

(٨) أي في قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ ...﴾.

(٩) في (ح): «وأشباه ذلك»، وفي مقدمة في أصول التفسير: ١٤ وما أشبه ذلك.

(١٠) في (هـ) و(ح): «كلا»، وما أثبته من مقدمة أصول التفسير: ١٤.

فالأول: إما لكون الآية نزلت مرتين: فأريد بها هذا تارة، وهذا تارة. وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد معنياه. وإما لكون اللفظ متواطئاً، فيكون عاماً إذا لم يكن لمخصصه موجب. فهذا النوع إذا صحّ فيه القولان كان من الصنف الثاني[(١)]. ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً، أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة، كما إذا فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ [الأنعام: ٧٠][(٢)] بـ (تحبس) وبعضهم بـ (ترتهن)؛ لأن كلاً منهما قريب من الآخر[(٣)].

ثم قال: ﴿فَصَلَ﴾ والاختلاف في التفسير على نوعين، منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك.

والمنقول إما عن المعصوم أو غيره، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره، ومنه ما لا يمكن ذلك. وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة فيه، ولا حاجة بنا إلى معرفته؛ وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه[(٤)]، وفي البعض الذي ضرب به القتيل[(٥)] من البقرة، وفي قدر سفينة نوح وخشبها[(٦)]، وفي

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٤ ـ ١٥.

(٢) وتمام الآية: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾. والبسل في اللغة: ضم الشيء ومنعه، ولتضمنه لمعنى المنع قيل للمرتهن: بسل، وفسر البسل في الآية بمعنى الارتهان لقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر]. انظر: المفردات للراغب، مادة: (بسل): ١/ ٥٥، وفتح القدير: ٢/ ١٢٩.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية باختصار: ١٦.

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف]. وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف].

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة].

(٦) فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود].

اسم الغلام[1] الذي قتله الخضر، ونحو ذلك. فهذه[2] الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان منه منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ [قُبل][3]، وما لا ـ بأن نقل عن أهل الكتاب كعب، ووهب ـ وقف عن تصديقه وتكذيبه؛ لقوله ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم»[4].

وكذا ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض، وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحاً، فالنفس إليه أسكن مما نقل عن التابعين[5]؛ لاحتمال[6] أن يكون سمعه عن النبي ﷺ، أو من بعض من سمعه منه أقوى؛ ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب [أقل[7] من نقل التابعين. ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال: إنه أخذه من أهل الكتاب][8]، وقد نهوا عن تصديقهم![9].

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه، فهذا موجود كثيراً[10] ولله الحمد. وإن قال الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازي[11]، وذلك لأن الغالب عليها المراسل[12][13].

---

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف]. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف].

(٢) في (هـ) و(ح): «في هذه»، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٧٨.

(٣) ساقط من (ح).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب قول النّبيّ ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»: ٨/١٧٠.

(٥) في مقدمة في أصول التفسير: ١٧ «عن بعض التابعين».

(٦) في الإتقان: ٤/١٧٨: «لأن احتمال».

(٧) في (هـ): «قل»، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٧٨.

(٨) ما بين القوسين ساقط من: (ح).

(٩) كما دَلّ عليه الحديث الذي تقدم ذكره قريباً.

(١٠) في (ح): «كثير».

(١١) نقله من مقدمة في أصول التفسير: ٢٠. وانظر: البرهان: ٢/١٥٦.

(١٢) المراسل جمع مرسل: وهو ما أضافه التابعي إلى النبي ﷺ. انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم: ٢٥، ومقدمة ابن الصلاح: ٤٧.

(١٣) مقدمة في أصول التفسير: ٢٠ باختصار.

وأما ما يعلم بالاستدلال، لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ[1] من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين مثل: تفسير عبد الرزاق[2]، والفريابي[3]، ووكيع[4]، وعبد بن حميد[5]، وإسحاق[6]، وأمثالهم.

أحدهما: قوم اعتقدوا معاني، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثاني: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه والمخاطب به[7].

فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.

والآخرون راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام، ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين

---

(١) في (هـ) و(ح): «الخطاب»، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٧٩، كما في مقدمة في أصول التفسير: ٣٣.

(٢) حققه الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم.

(٣) هو: محمد بن يوسف أبو عبد الله المعروف بالفريابي الكبير، مفسر، محدث، حافظ، فقيه، توفي سنة (اثنتي عشرة ومائتين للهجرة). انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/٢٩٢، وتذكرة الحفاظ: ١/٣٧٦.

(٤) هو: وكيع بن الجراح بن أبو سفيان الكوفي الإمام الحافظ الثبت صاحب «التفسير»، توفي سنة (١٩٧هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/٣٥٧، تذكرة الحفاظ: ١/٣٠٦.

(٥) هو: أبو محمد الكسي، وقيل: اسمه عبد الحميد. قال ابن حجر عنه في التقريب: ثقة حافظ، توفي سنة (٢٤٩ للهجرة). انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/٢٦٨، وتقريب التهذيب: ١/٥٢٩.

(٦) هو: إسحاق بن إبراهيم أبو يعقوب المعروف بابن راهويه الإمام الحافظ الكبير المجتهد، من تصانيفه: المسند، والتفسير، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين للهجرة.

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/١٠٢، وتذكرة الحفاظ: ٢/٤٣٣.

(٧) في (هـ) و(ح): «المخاطب»، وما أثبته من مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٣٦.

كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى [الذي][(١)] فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون، وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق.

والأولون صنفان، تارة [يسلبون][(٢)] لفظ ما دلّ عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدلّ عليه ولم يرد به، وكلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلاً، [فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقاً][(٣)] فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول، فالذين أخطأوا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا [مذاهب][(٤)] باطلة وعمدوا إلى القرآن، فتأولوه على رأيهم، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم.

وقد صنّفوا تفاسير على أصول مذاهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم[(٥)]، والجُبائي[(٦)]، وعبد الجبار[(٧)]، والرماني، والزمخشري، وأمثالهم.

ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدسّ البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف[(٨)] [ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير من أهل

---

(١) في (هـ): «الذين»، وما أثبته من (ح) وهو الصواب كما في مقدمة في أصول التفسير: ٣٦، والإتقان: ٤/ ١٧٩.

(٢) في (هـ): «تلبسون» بالتاء، وما أثبته من (ح) ومقدمة في أصول التفسير: ٣٦، والإتقان: ٤/ ١٧٩.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٩.

(٤) في (هـ): «مذهب»، وما أثبته من (ح) كما في الإتقان: ٤/ ١٧٩.

(٥) هو: عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول، من تصانيفه: كتاب «التفسير» وهو تفسير عجيب.
انظر: الفهرست: ٣٤، ولسان الميزان: ٣/ ٤٢٧.

(٦) هو: محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي المعتزلي متكلم، مفسر تنسب إليه الطائفة الجبائية، من تصانيفه تفسير القرآن، توفي سنة (ثلاث وثلاثمائة للهجرة). انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٣٣، والبداية والنهاية: ١١/ ١٢٥.

(٧) هو: عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمذاني القاضي المعتزلي، وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، من تصانيفه تفسير القرآن وطبقات المعتزلة، وتوفي سنة (خمس عشرة وأربعمائة للهجرة). انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٥٦، وتاريخ بغداد: ١١/ ١١٣.

(٨) في (ح): «كصاحب اللسان» وهو تصحيف، وصاحب الكشاف هو الزمخشري.

السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة][1].

وتفسير ابن عطية[2] وأمثاله أتبع للسنة وأسلم من البدعة، ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن؛ فإنه كثيراً ما ينقل [من][3] تفسير ابن جرير الطبري[4]، وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً. ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطريق من جنس ما قررت به المعتزلة، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة. لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقّه؛ فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كانوا لهم في الآية تفسير، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركاً للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا.

وفي الجملة: من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً؛ لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله.

وأما الذين أخطأوا في الدليل لا في المدلول، فمثل كثير من الصوفية، والوعّاظ، والفقهاء يفسّرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها، لكن لا يدلّ عليها، مثل كثير مما ذكره السلمي[5] في الحقائق[6]، فإن كان فيما ذكروه

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٩.

(٢) تفسير ابن عطية هو «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» وهو مطبوع بدولة قطر.

(٣) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٧٦.

(٤) المسمى بـ «جامع البيان عن تأويل القرآن».

(٥) هو: محمد الحسين أبو عبد الرحمن السلمي الأزدي الصوفي، كان شيخ مشايخ الصوفية، توفي سنة (٤١٢هـ).

طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٣٧، البداية والنهاية: ١٢/ ١٢.

(٦) وهو «الحقائق في التفسير» للنيسابوري المتوفى سنة (٤١٢هـ).

قال صاحب كشف الظنون: ١/ ٦٧٣:

وهو مختصر على لسان التصوف، قال الواحدي: زعم أنه صنف حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر، وطعن فيه ابن الجوزي أيضاً.

معان باطلة دخل في القسم الأول. انتهى كلام ابن تيمية[1] ملخصاً وهو [نفيس][2] جداً.

وقال أبو حيان[3]: النظر في تفسير كتاب الله يكون من وجوه:

الوجه الأول:

علم اللغة[4] اسماً وفعلاً وحرفاً، فالحروف[5] لقلتها تكلم على معانيها النحاة فيؤخذ ذلك من كتبهم. وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة، وأكبر الموضوعات في علم اللغة كتاب ابن أسيد[6]، فإن الحافظ أبا محمد علي بن أحمد الفارسي ذكر أنه في مائة سفر بدأ فيه بالفلك، وختم بالذرة.

وفي الكتب المطولة فيه: كتاب الأزهري[7]، و«الموعب»[8] لابن التياني[9]، و«المحكم»[10] ....

(١) في «مقدمة في أصول التفسير»: ٥/ ٤٢.

(٢) في (هـ) مشطوب، وما أثبته من (ح) والإتقان: ٤/ ١٨٠.

(٣) في مقدمة تفسيره: ١/ ٦.

(٤) في (هـ) و(ح): «علم الله»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٦.

(٥) في مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٦. «الحروف».

(٦) في (ح): «الكتاب ابن أسيد».

ابن أسيد هو: عيسى بن أسيد العراقي فاضل مشارك في علوم، خبير بالنقل من السريانية إلى العربية، أخذ عن ثابت بن قرة الحراني، كان حياً قبل عام (٢٨٨هـ). انظر: معجم المؤلفين: ٨/ ٢١.

(٧) هو: محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري الهروي الشافعي اللغوي الأديب، صاحب التصانيف منها: التهذيب في اللغة، توفي سنة (سبعين وثلاثمائة).

انظر: بغية الوعاة: ٨. وإنباء الرواة: ٤/ ١٧٧.

(٨) قال صاحب كشف الظنون: ٤/ ٦٠٧: الموعب في اللغة لأبي غالب تمام بن غالب القرطبي المتوفى (٤٣٦هـ).

(٩) هو تمام بن غالب بن عمر أبو غالب اللغوي القرطبي، المعروف بابن التياني، توفي سنة (٤٣٦هـ).

انظر: بغية الوعاة: ٢٠٩، ووفيات الأعيان: ١/ ٣٠٠.

(١٠) هو: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده اللغوي المتوفى سنة (٤٥٨هـ)، وهو كتاب كبير مشتمل على أنواع اللغة.

انظر: كشف الظنون: ٢/ ١٦١٦.

لابن سِيْدَه[1]، و«كتاب الجامع»[2] لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي القيرواني المعروف بالقزاز[3]، و«الصحاح»[4] للجوهري[5]، و«البارع»[6] لأبي علي القالي[7]، و«مجمع البحرين»[8] للصاغاني.

وقد حفظت في صغري في علم اللغة كتاب «الفصيح» لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني، واللغات المحتوى عليها دواوين مشاهر العرب الستة:

امرؤ القيس[9]، والنابغة[10]، وعلقمة[11]، ....

---

(١) هو علي بن إسماعيل بن سِيْدَه أبو الحسن النحوي اللغوي الأندلسي، توفي سنة (٤٥٨هـ).
انظر: بغية الوعاة: ١٩٦، ووفيات الأعيان: ٣/ ٣٣٠.

(٢) هو: الجامع في اللغة، وهو كتاب معتبر لكنه قليل الوجود.
انظر: كشف الظنون: ١/ ٥٧٦.

(٣) هو شيخ اللغة وإمام العربية، توفي سنة (اثنتين عشرة وأربعمائة).
انظر: بغية الوعاة: ٢٩.

(٤) هو: تاج اللغة وصحاح العربية، وهو مطبوع.

(٥) هو: إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري، إمام في اللغة، والآداب، توفي سنة (٣٩٣هـ).
انظر: بغية الوعاة: ١٩٥، وإنباه الرواة: ١/ ١٩٤.

(٦) هو البارع في غريب الحديث لأبي علي إسماعيل بن القاسم اللغوي القالي، المتوفى سنة (٣٥٦هـ).
انظر: كشف الظنون: ١/ ٢١٦.

(٧) هو: إسماعيل بن القاسم أبو على البغدادي المعروف بالقالي، توفي سنة (٣٥٦هـ).
انظر: بغية الوعاة: ١٩٨، والشذرات: ٣/ ١٨.

(٨) هو: مجمع البحرين في الجمع بين أحاديث الصحيحين لحسن بن محمد بن حسن الهندي اللغوي، نزل بغداد، متوفي سنة (٦٥٠هـ).
انظر: كشف الظنون: ٤/ ٤٣٣.

(٩) هو: امرؤ القيس بن حجر، وهو شيخ الشعراء وأميرهم في الجاهلية.
انظر: ديوانه، والمؤتلف والمختلف للآمدي: ١٧٠.

(١٠) هو: حسان بن قيس أبو ليلى النابغة لقب بها؛ لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم سكت دهراً ثم عاد إلى قول الشعر في الإسلام ونبغ فيه. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٥٩، والأغاني للأصبهاني: ٥/ ١.

(١١) هو: علقمة بن عبدة، شاعر جاهلي اتصل بملوك الغساسنة مادحاً ومتشفعاً لقبيلته.
انظر: المؤتلف والمختلف للآمدي: ٢٢٧، ومعجم شعراء اللسان للأيوبي: ٢٩١.

وزهير[١]، وطرفة[٢]، وعنترة[٣]، وديوان الأفوه[٤] الأودي لحفظي عن ظهر قلب لهذه الدواوين. وحفظت كثيراً من اللغات المحتوى عليها نحو الثلث من كتاب «الحماسة»[٥] واللغات التي تضمنها[٦] قصائد مختارة من شعر[٧] حبيب بن أوس[٨] لحفظي لذلك[٩].

وفي الموضوعات في اللغة: كتاب[١٠] ابن القوطية[١١]، وكتاب[١٢] ابن

---

(١) هو: زهير بن ربيعة الملقب بابن أبي سلمى شاعر جاهلي كان يقيم مع قبيلته في بلاد غطفان بنجد، وأسرته أسرة شعراء.

انظر: ديوان زهير شرح الأعلم الشنتمري، ومعجم شعراء اللسان للأيوبي: ٧١.

(٢) هو: عمرو بن عبد ولقب بطرفة لبيت قاله:

لا تعجل بالبكاء اليوم مطرفا ... ولا أميركما بالدار إذ وقفا

ولد بالبحرين، وقتل على يد عامل بلاط المناذرة في البحرين. انظر: المؤتلف والمختلف: ٢١٦، ومعجم شعراء اللسان: ٢٤٢.

(٣) هو: عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، شاعر عبس المشهور وفارسهم المغوار، وهو من أصحاب المعلقات، توفي سنة (ثمان قبل الهجرة).

انظر: المؤتلف والمختلف: ٢٢٥، والأغاني: ٧/١٤١، وديوانه.

(٤) هو: صلاءة بن عمرو الأودي من مذحج أبو ربيعة لقب بالأفوه؛ لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان، وهو شاعر جاهلي قديم، توفي سنة (خمسين قبل الهجرة).

انظر: معجم شعراء اللسان: ٦٢، والأغاني: ١٢/١٦٥.

(٥) هو: «الحماسة» لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة (٢٣١هـ). جمع فيه ما اختاره من أشعار العرب العرباء، ورتب على أبواب عشرة: الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسب، والهجاء، والإضافات، والصفات، والسير، والملح، ومذمة النساء. واشتهر ببابه الأول. انظر: كشف الظنون: ١/٦٩١.

(٦) (ح): «الحماسة واللغات التي تضمنت منها».

(٧) في (هـ) و(ح): «سفر»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٦.

(٨) هو: حبيب بن أوس أبو تمام الطائي الشاعر الأديب، له تصانيف، توفي سنة (إحدى وثلاثين ومائتين للهجرة). انظر: خزانة الأدب: ١/١٧٢، ووفيات الأعيان: ١/١٢١.

(٩) في مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٦: «لحفظي ذلك».

(١٠) وهو كتاب «الأفعال وتصاريفها». انظر: كشف الظنون: ١/١٣٣.

(١١) هو: محمد بن عمر أبو بكر القرطبي المعروف بابن القوطية النحوي، اللغوي، الأديب، توفي سنة (سبع وستين وثلاثمائة للهجرة).

انظر: معجم الأدباء: ١٨/٢٧٢، وبغية الوعاة: ٨٤.

(١٢) هو: كتاب في الأفعال. انظر: كشف الظنون: ١/١٣٩٤.

طريف[1]، وكتاب السرقسطي[2] المنبوز بالحمار[3]، ومن أجمعها كتاب[4] ابن القطاع[5].

الوجه الثاني:

معرفة الأحكام التي للكلم الغريبة من جهة إفرادها، ومن جهة تركيبها. ويؤخذ ذلك من علم النحو. وأحسن موضع فيه وأجله كتاب أبي بشر[6] عمرو بن عثمان بن (قنبز)[7] سيبويه. وأحسن ما وضعه المتأخرون من المختصرات وأجمعه لأحكام كتاب «تسهيل الفوائد»[8] لأبي عبد الله محمد بن مالك الجياني الطائي مقيم دمشق[9].

---

(١) هو: عبد الملك بن طريف أبو مروان القرطبي النحوي اللغوي أخذ عن ابن القوطية وغيره، توفي في حدود سنة (أربعمائة للهجرة). انظر: إنباه الرواة: ٢/٢٠٨، وبغية الوعاة: ٣١٧.

(٢) هو: سعيد بن محمد أبو عثمان القرطبي ثم السرقسطي عالم باللغة أخذ عن ابن القوطية، وبسط كتابه في «الأفعال»، وزاد فيه وسماه أيضاً: «الأفعال»، توفي سنة (بعد أربعمائة).

انظر: كشف الظنون: ١/١٣٣، والأعلام للزركلي: ٣/١٠١.

(٣) في (هـ) و(ح): «بالجمال»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٦.

(٤) وهو كتاب «الأفعال» في ثلاث مجلدات.

قال صاحب كشف الظنون: ١/١٣٣: وممن صنف فيه الشيخ أبو القاسم علي بن جعفر المعروف بابن القطاع السعيدي الصقلي المصري، المتوفى سنة (أربع عشرة وخمسمائة)، وتأليفه أجود من أفعال ابن القوطية.

(٥) هو: علي بن جعفر السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع، أبو القاسم أديب لغوي نحوي، توفي سنة (أربع عشرة وخمسمائة للهجرة). انظر: معجم الأدباء: ١٢/٢٧٩، ووفيات الأعيان: ١/٤٢٧.

(٦) المعروف بكتاب سيبويه أبي بشر بن عثمان بن قنبز.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) هو: «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» في النحو لأبي عبد الله ابن مالك الطائي الجياني المتوفى سنة (٦٧٢هـ)، وهو في مجلد لخصه من مجموعته المسماة بـ «الفوائد»، وهو كتاب جامع لمسائل النحو. كشف الظنون: ١/٤٠٥.

(٩) هو: محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائي الجياني أحد الأئمة في علوم العربية، له تصانيف منها: الألفية وهو أشهرها، توفي بدمشق سنة (اثنتين وسبعين وستمائة للهجرة).

انظر: طبقات السبكي: ٥/٢٨، والوافي بالوفيات: ٣/٣٥٩.

وأحسن ما وضع في التصريف كتاب «الممتع»[1] لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي الإشبيلي[2]. وقد أخذت هذا الفن عن أستاذنا [الأوحد][3] العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي في كتاب سيبويه، [وغيره][4].

الوجه الثالث:

كون اللفظ والتركيب أحسن وأجمع، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع، وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة، وأجمعها ما جمعها شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير. وما وضعه شيخنا الإمام الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم [بن محمد بن حازم][5] الأنصاري، الأندلسي مقيم تونس المسمى «منهاج البلغاء وسراج الأدباء»[6].

وقد أخذت جملة من هذا الفن عن أستاذنا أبي جعفر بن الزبير ـ رحمه الله تعالى.

الوجه الرابع:

تعيين مبهم، وتبيين مجمل، وسبب نزول، ونسخ. ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، وذلك من علم الحديث.

وقد تضمنت الكتب والأمهات التي سمعناها ورويناها ذلك، كالصحيحين،

---

(١) قال صاحب كشف الظنون: ٢/ ١٨٢٢: الممتع في التصريف لابن عصفور.. وهو أمثل المتوسطات فيه، قلما يخلو من مسائله كتاب من كتب النحو.

(٢) هو: الحضرمي النحوي حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس، توفي سنة (٦٦٣هـ). انظر: بغية الوعاة: ٣٥٧.

في (هـ): «لأبي الحسين علي بن موسى بن عطفبور» وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٦.

(٣) ساقط من (ح)، وفي (هـ): «الأحد»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٦.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٦.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) وهو مطبوع في مجلد طبع سنة ١٩٦٦ تحقيق محمد الحسيب الخواجه.

والجامع[1]، للترمذي، وسنن[2] أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الشافعي، ومسند[3] عبد، ومسند الدارمي، [ومسند الطيالسي][4]، ومسند الشافعي، ومسند أحمد، وسنن الدارقطني، ومعجم الطبراني الكبير، والمعجم الصغير له، ومستخرج أبي نعيم على مسلم، وغير ذلك.

الوجه الخامس:

معرفة الإجمال، والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر، والنهي، وما أشبه هذا. ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن، ويؤخذ هذا من أصول الفقه، ومعظمه هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة، إذ هو شيء يتكلم فيه على أوضاع العرب، ولكن تكلم فيه غير اللغويين، والنحويين، ومزجوه بأشياء من حجج العقول. ومن أجمع ما في هذا الفن كتاب «المحصول» لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، وقد بحثت في هذا الفن في كتاب «الإشارة» لأبي الوليد الباجي[5] عن الشيخ الأصولي الأديب أبي الحسن فضل بن إبراهيم المعافري الإمام بجامع غرناطة والخطيب به، وعلى أستاذنا العلامة أبي جعفر بن الزبير في كتاب «الإشارة»، وفي شرحها له، وذلك بالأندلس. وبحثت أيضاً في هذا الفن على الشيخ علم الدين عبد الكريم بن

---

(١) الجامع في اصطلاح المحدثين: كل كتاب حديثيّ يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج إليها من العقائد والأحكام والآداب، وما يتعلق بالتفسير والمناقب، وغير ذلك. وأشهر الجوامع: الجامع الصحيح للبخاري، والمسند الصحيح لمسلم، وجامع الترمذي، وغيرها.

انظر: أصول التخريج للدكتور محمود الطحان: ١١٠.

(٢) السنن في اصطلاح المحدثين: هي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية، وتشتمل على الأحاديث المرفوعة فقط، وليس فيها شيء من الموقوف أو المقطوع؛ لأن الموقوف والمقطوع لا يسمى سنة في اصطلاحهم، ويسمى حديثاً.

(٣) المسانيد في اصطلاح المحدثين: الكتب الحديثة التي صنفها مؤلفوها على مسانيد أسماء الصحابة، أي بمعنى أنهم جمعوا أحاديث كل صحابي على حدة.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) هو: سليمان بن خلف أبو الوليد الباجي القرطبي، فقيه مالكي من رجال الحديث صاحب التصانيف، وتوفي سنة (أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة).

انظر: الديباج المذهب: ١٢٠، وفيات الأعيان: ١/ ٢١٥.

علي بن عمر الأنصاري المعروف بابن بنت العراقي(١) في مختصره الذي اختصره من كتاب «المحصول»، وعلى الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن عبد الرحمٰن بن خطاب الباجي(٢) في مختصره الذي اختصره من كتاب «المحصول»، وعلى الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأنصاري صاحب شرح المحصول بحثت عليه في كتاب القواعد من تأليفه ـ رحمه الله تعالى.

الوجه السادس:

الكلام فيما يجوز على الله تعالى، وما يجب له، وما يستحيل عليه، والنظر في النبوة.

ويختص هذا الوجه بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى، وفي الأنبياء، وإعجاز القرآن. ويؤخذ هذا من علم الكلام(٣)، وقد صنف علماء الإسلام من سائر الطوائف في هذا كتباً كثيراً، وهو علم صعب إذ المزلة فيه ـ والعياذ بالله ـ مفضٍ إلى الخزانة في الدنيا والآخرة.

وقد سمعت [منه](٤) مسائل [تبحث](٥) على الشيخ شمس الدين الأصبهاني، وغيره.

الوجه السابع:

اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقصان أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ،

---

(١) هو: المفسر، الفقيه، الأديب، الأصولي، من تصانيفه: شرح التنبيه للشيرازي، وتوفي سنة (أربع وسبعمائة للهجرة).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٦/ ١٢٩، والدرر الكامنة: ٢/ ٣٩٩.

(٢) هو: أبو الحسن الشافعي، الفقيه الأصولي، من تصانيفه: مختصر المحصول لفخر الدين الرازي، وتوفي سنة (أربع عشرة وسبعمائة للهجرة). انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٦/ ٢٢٧، والدرر الكامنة: ٣/ ١٠١.

(٣) علم الكلام: هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها، وموضوعه ذات الله ﷻ وصفاته عند المتقدمين، وعند المتأخرين موضوعه المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية تعلقاً قريباً أو بعيداً. نقلاً عن كشف الظنون: ٢/ ١٥٠٣.

(٤) ساقط من (هـ)، وما أثبته من (ح) كما في مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

وذلك بتواتر وآحاد. ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات. وقد صنّف علماؤنا في ذلك كتباً لا تكاد تحصى، وأحسن الموضوعات في القراءات السبع كتاب «الإقناع» لأبي جعفر بن الباذش[1]، وفي القراءات العشر «المصباح» لأبي الكرم الشهرزوري[2]. وقد قرأت القرآن بقراءة السبعة[3] [بجزيرة الأندلس][4] على الخطيب [أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد الرعيني عرف بابن الطباع بغرناطة][5]، وعلى الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنصاري، [وعلى غيرهما][6] بالأندلس. وقرأت القرآن بالقراءات الثمان بثغر الإسكندرية على الشيخ الصالح رشيد الدين أبي محمد عبد النصير بن علي بن يحيى الهَمْدَاني[7] عرف بابن المريوطي[8].

(وقرأت)[9] القرآن بقراءة السبعة[10] بمصر ـ حرسها الله تعالى ـ على الشيخ المسند العدل فخر الدين أبي الطاهر إسماعيل بن [هبة الله][11] بن علي المليجي[12].

---

(١) هو: أحمد بن علي ابن الباذش أبو جعفر الأنصاري الغرناطي خطيبها صاحب «الإقناع في القراءات السبع»، توفي سنة (٥٤٠هـ). طبقات القراء: ١/ ٨٣، وبغية الوعاة: ١٤٧.

(٢) هو: المبارك بن الحسن بن أحمد المقرئ، ثقة صالح صاحب «المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر»، وتوفي سنة (٥٥٠هـ).
طبقات القراء: ٢/ ٣٨، ومعرفة القراء الكبار: ١/ ٥٠٧.

(٣) في (هـ) و(ح): «السبع»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

(٤) (ح): «الجزيرة الأندلس».

(٥) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

(٦) في (هـ) و(ح): «على غيره»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

(٧) في (هـ) و(ح): «الحمداني»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

(٨) هو: مقرئ بالإسكندرية، وتوفي بعد سنة (٦٨٠هـ).
طبقات القراء: ١/ ٤٧٢، ومعرفة القراء الكبار: ٢/ ٦٨٠، وحسن المحاضرة: ١/ ٥٠٤.

(٩) (ح): «وقراءة».

(١٠) في (هـ) و(ح): «السبع»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

(١١) (ح): «هبة» بدون لفظ الجلالة «الله».

(١٢) هو: إسماعيل بن هبة الله بن علي أبو طاهر المليجي المقرئ، شيخ عدل، من شيوخه أبو الجود غياث بن فارس، ومن تلاميذه أبو حيان الأندلسي، توفي سنة (٦٨١هـ).
والمليجي: بفتح الميم، وياء ساكنة بعد اللام المكسورة وجيم.

وأنشأت في هذا العلم كتاب «عقد اللآلئ» قصيداً في عروض قصيد الشاطبي [ورويه][1] تشتمل على ألف بيت وأربعة وأربعين بيتاً، صرحت فيه[2] بأسامي القرّاء[3] من غير [رمز][4] ولا لغز ولا [حوشي][5] لغة. وأنشأته من كتب تسعة كما قلت.

تنظم هذا العقد من در تسعة ... من الكتب فالتيسير عنوانه انجلا

بكاف لتجريدها لتبصره ... وإقناع تلخيصين أضحى مكملا

فهذه سبعة وجوه لا ينبغي على تفسير كتاب الله تعالى إلا من أحاط بجملة غالبها[6] من كل وجه منها[7].

وقال الجاحظ في كتاب «نظم القرآن»[8]: فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز[9] أهل الدنيا في علم صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار، وإن كان من ابن القرية[10] أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من

انظر: طبقات القراء: ١/ ١٦٩، ومعرفة القراء الكبار: ٢/ ٦٦٣، والشذرات: ٥/ ٣٧٣.

(١) قال صاحب كشف الظنون: ٢/ ١١٥٢: عقد اللآلئ في القراءات السبع العوالي منظومة كالشاطبية في الوزن والقافية لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، المتوفى سنة (٧٤٥هـ) لم يأت فيها برمز، وزاد فيها على التيسير كثيراً.

ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

(٢) في مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧: «فيها».

(٣) في (هـ) و(ح): «بأسماء القرآن»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

(٤) في (هـ) و(ح) بياض، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

(٥) في (هـ) و(ح): بياض، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧. والحوشي: من الكلام الغريب الوحشي.

انظر: المصباح المنير: ١/ ١٦٩، والمعجم الوسيط: ١/ ٢٠٦.

(٦) في (هـ) و(ح): «غالبه»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٧.

(٧) مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٥ ـ ٧.

(٨) لم أعثر على كتاب نظم القرآن، وهذا النقل عن الكشاف للزمخشري: ١/ ١٥.

(٩) بَزَّ يَبُزُّ بَزًّا وبِزَّةَ بمعنى غلب يقال: بَزَّ قرينَه؛ أي غلبه.

انظر: معجم الوسيط: ١/ ٥٤.

(١٠) هو: أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي، أحد بلغاء الهدر خطيب يضرب به المثل، يقال: «أبلغ من ابن القرية»، والقرية أمه قتله الحجاج سنة (أربع وثمانين هجرية).

انظر: تاريخ الطبري: ٨/ ٣٧، ووفيات الأعيان: ١/ ٨٢.

سيبويه، واللغوي وإن علك[1] اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع[2] في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني والبيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ، كثير المطالعات طويل المراجعات قد راجع زماناً ورجع إليه، ورد عليه فارساً في علم الإعراب، مقدماً في جملة الكتاب، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة، منقادها مشتعل القريحة[3]، وقادها يقظان النفس دراكاً للمحة، وإن لطف شأنها منتبهاً على الرمزة[4]، وإن خفي مكانها لا كزاً[5] جاسياً[6]، ولا غليظاً جافياً، متصرفاً [ذا دراية][7] بأساليب النظم والنشر، مرتضاها غير ريض بتلقيح نبات الفكر، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف، طالما دفع إلى مضايقة، ووقع في مداحضة ومزالقة[8].

قال الزركشي في البرهان[9]: للناظر في القرآن [الطلب

(١) علك في أصل اللغة من عَلَكَ يَعْلُك عَلْكاً بمعنى مضغ يمضغ وأدار ما في فيه، والمراد هنا البراعة في اللغة.

انظر: اللسان: (مادة): «علك»: ١٠/ ٤٧٠، والمعجم الوسيط: ٢/ ٦٢٩.

(٢) برع: أي فاق أصحابه.

انظر: اللسان، مادة: (برع): ٨/ ٨.

(٣) القريحة من الإنسان، وملكته التي يستطيع بها ابتداع الكلام وإبداء الرأي: انظر: اللسان، مادة: (قرح): ٢/ ٥٥٨.

(٤) الرمزة: والإشارة.

انظر: اللسان، مادة: (رمز): ٥/ ٣٥٦.

(٥) يقال: كَزَّ فلان بمعنى قلّ خيره ومساعدته فهو كز.

انظر: اللسان، مادة: (كزز): ٥/ ٤٠٠.

(٦) الجاسي من جسى يجسي جسا بمعنى خشن وصلب.

انظر: المعجم الوسيط: ١/ ١٢٣.

(٧) في (هـ) و(ح): «ذا مهابة»، وما أثبته من الكشاف: ١/ ١٥.

(٨) انتهى كلام الجاحظ، نقلاً عن الكشاف للزمخشري: ١/ ١٥.

(٩) ٢/ ١٥٦.

التفسير][1] مآخذ كثيرة، أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن النبي ﷺ وهذا هو الطراز[2] المعلم[3]، لكن يجب الحذر من الضعيف منه، والموضوع، فإنه كثير؛ ولهذا قال أحمد: ثلاثة لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير[4]. قال المحققون من أصحابه: مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير، كتفسير «الظلم» بـ «الشرك»[5] في آية الأنعام، و«الحساب اليسير» بالعرض[6]، والقوة بالرمي في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال الحافظ السيوطي[7]: قلت: الذي صح من ذلك قليل جداً، بل أصل المرفوع منه في غاية[8] القلة، وسأسردها كلها آخر الكتاب[9] ـ إن شاء الله تعالى.

---

(١) في البرهان: «لطالب التفسير».

(٢) الطراز: النمط والجيد من كل شيء.
انظر: الصحاح: ٣/ ٨٨٣.

(٣) في البرهان: ٢/ ١٥٦: «الأول».

(٤) نقله من مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٢٠، والبرهان: ٢/ ١٥٦.

(٥) عبارة البرهان: ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧:
فمن ذلك تفسير الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾، وتفسير الحساب اليسير بالعرض رواهما البخاري.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال أصحابه: وأيّنا لم يظلم، فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾: ٥/ ١٩٣.

(٦) وروى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: ليس أحد يحاسب إلا هلك، قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨]، قال: «ذاك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك»
صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾: ٦/ ٨١.

روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرميُ، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».

صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه: ٦/ ٥٢.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) في الإتقان: ٤/ ١٨١: «غالب».

(٩) في النوع الثمانين حيث قال: وإذا انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب؛ =

الثاني: الأخذ بقول الصحابي؛ فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ، كما قاله[١] الحاكم في «المستدرك»[٢].

وقال أبو الخطاب[٣] من الحنابلة: يحتمل أن لا يرجع إليه إذا قلنا: إن قوله ليس بحجة، والصواب الأول؛ لأنه من باب الرواية لا الرأي.

قال الحافظ السيوطي[٤]: قلت: ما قاله الحاكم نازعهُ فيه ابن الصلاح[٥][٦] وغيره[٧] من المتأخرين، بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا مدخل للرأي (فيه)[٨].

= فلنختمه بما ورد عن النبي ﷺ من التفاسير المصرح برفعها إليه، غير ما ورد من أسباب النزول، ليستفاد فإنها من المهمات. ثم أورد ذلك من الفاتحة إلى الناس.

انظر: الإتقان: ٤/ ٢١٤ ـ ٢٥٧.

(١) في (هـ) و(ح): «كما قال»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨١.

(٢) في الإتقان: ٤/ ١٨١: «في مستدركه»، وفي البرهان «في تفسيره». ولذا لم أجد هذا القول في المستدرك.

(٣) هو: محفوظ بن أحمد أبو الخطاب الكلوذاني، وله تصانيف منها: التمهيد في أصول الفقه، وتوفي سنة (عشرة وخمسمائة).

انظر: طبقات الحنابلة: ١/ ٢٨، والنجوم الزاهر: ٥/ ٢١٢.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) قال ابن الصلاح في علوم الحديث «مقدمة ابن الصلاح»:

وما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند (مرفوع)، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي، أو نحو ذلك كقول جابر ﷺ: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله ﷻ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ...﴾ [البقرة: ٢٢٣]. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾: ٥/ ١٦٠. فأما سائر تفاسر الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله ﷺ فمعدودة في الموقوفات ـ والله أعلم ـ.

انظر: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: «النوع الثامن»: ١٢٨.

(٦) ابن الصلاح هو: عثمان بن عبد الرحمٰن أبو عمرو الشهرزوري الكردي تقي الدين المعروف بابن الصلاح، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، من كتبه: معرفة أنواع علم الحديث يعرف بمقدمة ابن الصلاح، وتوفي سنة (ثلاث وأربعين وستمائة للهجرة).

انظر: طبقات الشافعية: ٥/ ١٣٧.

(٧) كالنور في التقريب. انظر: تدريب الراوي: ١/ ١٩٢.

(٨) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨١.

ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به في «علوم الحديث»[1] فقال: ومن الموقوفات تفسير الصحابة. وأما من يقول: إن تفسير الصحابة مسند، فإنما يقول فيما فيه سبب النزول. فقد خصص هذا، وعمم في «المستدرك» فاعتمد الأول[2]، ـ والله أعلم.

ثم قال الزركشي[3]: وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل[4]، المنع وحكوه عن شعبة لكن عمل المفسرين على خلافه، فقد حكوا في كتبهم أقوالهم[5]، لأن غالبها تلقوها من الصحابة، وبما يحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ، فيظن من لا فهم عنده[6] أن ذلك اختلاف

---

(١) قال الحاكم في معرفة علوم الحديث: ١٩:

ومن الموقوف.. حديث أبي هريرة في قول الله ﷻ: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر]. قال: «تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة فلا تترك لحماً على عظم إلا وضعت على العراقيب» قال: وأشباه هذا من الموقوفات تعد في تفسير الصحابة. فأما ما نقول: في تفسير الصحابي مسند، فإنما نقوله في غير هذا النوع.. ثم أورد حديث جابر في قصة اليهود وقال: فهذا وأشباهه مسند ليس بموقوف؛ فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند.

(٢) الإتقان: ٤/ ١٨١.

وعلل السيوطي في التدريب: ١/ ١٩٢ إطلاق الحاكم في المستدرك، بأنه كان حريصاً على جمع الصحيح في المستدرك حتى أورد فيه ما ليس من شرط المرفوع...، ثم اعترض على الحاكم ـ بعد ذلك ـ حيث عد الحديث المذكور عن أبي هريرة (ص٢٣٦٥ على الهامش) من الموقوف، وليس كذلك، لأنه يتعلق بذكر الآخرة، وهذا لا مدخل للرأي فيه، فهو من قبيل المرفوع.

قلت: إن تفسير الصحابي للقرآن الكريم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ إذا كان لا مجال للرأي فيه كسبب النزول وغيره.

(٣) في البرهان: ٢/ ١٥٨.

(٤) هو: علي بن عقيل أبو الوفاء البغدادي الحنبلي الفقيه الأصولي المقرئ الواعظ، من تصانيفه والفصول في فروع الفقه الحنبلي، توفي سنة (ثلاث عشرة وخمسمائة للهجرة). انظر: طبقات الحنابلة: ٤١٣، وطبقات القرّاء: ١/ ٥٥٦.

(٥) كالضحاك بن مزحم، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم.

انظر: البرهان: ٢/ ٢٥٨.

(٦) في (هـ) و(ح): «لا يفهم عندهم»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨١، كما في البرهان: ٢/ ١٥٩.

محقق [فيحكيه][1] أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى من الآيات[2]؛ لكونه أظهر عنده[3] أو أليق بحال السائل. وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى[4] واحد غالباً، فإن لم يمكن الجمع، فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدّم، إن استويا في الصحة عنه، وإلا فالصحيح المقدم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة؛ فإن القرآن بلسان عربي. وهذا قد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد في مواضع[5] لكن نقل الفضل بن زياد عنه [أنه][6] سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر، فقال: ما يعجبني. فقيل: ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة: روايتان عن أحمد، وقيل: الكراهة تحمل على [من][7] صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدلّ عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها.

وروى البيهقي في «الشعب» عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً.

الرابع: التفسير بالمقتضى (من)[8] معنى الكلام، [والمقتضى][9] من قوة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس حيث قال: «اللهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأويل»[10]. والذي عناه علي ـ كرم الله وجهه ـ بقوله: «إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن»[11].

---

(١) في (هـ): «فيحكه»، والصواب ما أثبته كما في (ح).
(٢) في (هـ) و(ح): «من الآية»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨١.
(٣) في (هـ) و(ح): «عندهم»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨١.
(٤) في (ح): «المعنى».
(٥) في (هـ) و(ح): «في موضوع»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٢.
(٦) ساقط من (ح).
(٧) ساقط من الإتقان: ٤/ ١٨٢.
(٨) ساقط من الإتقان: ٤/ ١٨٢.
(٩) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٤/ ١٨٢: «والمقتضب»، وما أثبته أنسب للسياق.
(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عباس: ٧/ ١٥٨.
(١١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب لا يقتل المسلم بالكافر: ٨/ ٤٧.

ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كل برأيه على منتهى نظره[1]. ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. فأضاف البيان إليه[2]. وقال ﷺ: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» أخرجه أبو داود [والترمذي والنسائي][3]، وقال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» أخرجه أبو داود[4]])[5].

وقال البيهقي في الحديث الأول: إن صحّ [فإنما أراد][6] ـ والله أعلم ـ الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، وأما الذي يسنده برهان فالقول به جائز. وقال في «المدخل»: في هذا الحديث نظر، وإن صحّ فإنما أراد به ـ والله أعلم ـ فقد [أخطأ][7] الطريق، فسبيله أن يرجع في تفسير[8] ألفاظه إلى أهل اللغة، وفي معرفة ناسخه ومنسوخه، وسبب نزوله، وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله، وأدوا إلينا[9] من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. فما ورد بيانه عن صاحب الشرع، ففيه

---

(١) في البرهان: ٢/ ١٦١: «على مقتضى نظره».

(٢) في البرهان: ٢/ ١٦١: «فأضاف البيان إليهم».

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم: ٣/ ٣٢٠، ورواه الترمذي نحوه في سننه، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥/ ٢٠٠ ثم قال: وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم، وأخرجه النسائي في كتابه: «فضائل القرآن»: ١١٤، باب من قال في القرآن بغير علم، والحديث مداره على سهيل بن مهران القطعي، وهو ضعيف عند أهل الحديث.

(٤) لم أعثر عليه، ولكن عثرت عليه في سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥/ ٢٠٠.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ح).

(٦) في (هـ) و(ح): «أراد»، وما أثبته من الإتقان: ١/ ١٨٣.

(٧) ساقط من الإتقان: ٤/ ١٨٣.

(٨) في الإتقان: «في تفسيره».

(٩) في (هـ) و(ح): «البيان»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٣.

كفاية عن فكرة من بعده، وما لم يرد عنه بيانه، ففيه حينئذٍ فكرة أهل العلم بعده؛ ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد. قال: وقد يكون المراد به: من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه، فيكون موافقته للصواب ـ إن وافقه من حيث لا يعرفه ـ غير محمودة.

وقال الماوردي: قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده، ولو صحبتها الشواهد [ولم يعارض شواهدها][1] نص صريح، وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام [منه][2]، كما قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، ولو صحّ ما ذهب إليه لم يعلم شيء بالاستنباط، ولما فهم الأكثرون من كتاب الله شيئاً، وإن صح الحديث فتأويله: أن من تكلم في القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق، وإصابته اتفاق؛ إذ الغرض أنه مجرد رأي لا شاهد له.

وفي الحديث: «القرآن ذلول ذو أوجه فاحملوه على أحسن وجوهه» أخرجه أبو نعيم وغيره[3] من حديث ابن عباس، فقوله: «ذلول» يحتمل[4] معنيين:

أحدهما: أنه مطيع لحامله تنطق به ألسنتهم.

والثاني: أنه موضح لمعانيه حتى لا يقصر عنه أفهام المجتهدين.

وقوله: «ذو أوجه» يحتمل معنيين:

أحدهما: أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهاً من التأويل.

ثانيهما: أنه قد جمع وجوهاً من الأوامر، والنواهي، والترغيب، والترهيب، والتحليل، والتحريم.

وقوله: «فاحملوه على أحسن وجوهه»، [يحتمل][5] على معنيين:

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من الإتقان: ٤/ ١٨٣.

(٣) أخرجه الدارقطني بلفظه: ٤/ ١٤٥ من حديث ابن عباس، وفي إسناده زكريا بن عطية قال عنه أبو حاتم: منكر الحديث. ميزان الاعتدال: ٢/ ٧٤، ولم أهتد إلى ما أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(٤) في (هـ) و(ح): «محتمل»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٤.

(٥) في (هـ): «يحمل»، وما أثبته من (ح) كما في الإتقان: ٤/ ١٨٤.

أحدهما: الحمل على أحسن معانيه.

والثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام. وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى[(١)]. انتهى.

وقال أبو الليثْ[(٢)]: النهي إنما انصرف إلى المتشابه منه، لا إلى جميعه كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾؛ لأن القرآن إنّما نزل حجة على الخلق؛ فلو لم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة. فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول، أن يفسره. وأما من لم يعرف وجوه اللغة، فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع؛ فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير. ولو أنه يعلم التفسير وأراد[(٣)] أن يستخرج من الآية حكماً ودليلاً فلا بأس به. ولو قال: المراد [من الآية][(٤)] كذا من غير أن يسمع فيه شيئاً فلا يحل، وهو الذي نهي عنه[(٥)].

وقال ابن الأنباري[(٦)] في الحديث الأول: حمل بعض أهل العلم على أن

---

(١) انتهى كلام الماوردي في «النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم» تحقيق د. الشايع: ١/١٨٨ بتصرف.

(٢) هو: نصر بن محمد أبو الليث السمرقندي المعروف بإمام الهدى، صاحب تفسير القرآن العظيم، والنوازل في الفقه، توفي سنة (٣٩٣).

طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٤٥.

(٣) في (هـ) و(ح): «فإذا أراد»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٤.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٤.

(٥) نقلاً عن البرهان: ٢/ ١٥٧ ـ ١٦٤ بتصرف واختصار.

(٦) هو: محمد بن القاسم أبو بكر المعروف بابن الأنباري الحافظ العلامة النحوي شيخ الأدب، صاحب «غريب الحديث»، وتوفي سنة (٣٢٨هـ).

طبقات الحفاظ: ٣٤٩، وإنباء الرواة: ٣/ ٢٠١.

قلت: والرأي الذي تميل إليه النفس ما قاله أبو الليث، من أن النهي إنما انصرف إلى المتشابه من القرآن لا إلى جميعه؛ لأنه مما استأثر الله بعلمه. وأما الحديث: «من قال في كتاب الله ﷻ برأيه فأصاب فقد أخطأ»، فمحمول على ذم من فسر القرآن برأيه دون نظر في أقوال العلماء، وقوانين العلوم كالنحو واللغة والأصول وغيرها، وذم الرأي المجرد الذي لا دليل عليه، فهذا الذي أعاذ الله الصديق ﵁ حين قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إن قلت في كتاب الله ما لم أعلم، وليس من اجتهد ففسر على قوانين العلم والنظر، ومن اجتمع له الآلات التي يستعان بها بداخل في ذلك =

الرأي يعني[1] به الهوى، فمن قال في القرآن قولاً يوافق هواه ولم يأخذه[2] عن أئمة السلف وأصاب فقد أخطأ؛ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا قف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه. وقال في الحديث الثاني: له معنيان:

أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب[3] الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض[4] لسخط الله.

والثاني: وهو الأصح. من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره، فليتبوأ مقعده من النار.

وقال البغوي[5] والكواشي وغيرهما:

التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط غير محظور على العلماء بالتفسير، كقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قيل: شباباً وشيوخاً. وقيل: أغنياء وفقراء. وقيل: عزاباً ومتأهلين. وقيل: نشاطاً وغير نشاط. وقيل: أصحاء ومرضى، وكل ذلك سائغ والآية تحتمله.

وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور؛ لأنه تأويل الجاهلين، مثل تأويل الروافض قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرحمن: ١٩] أنهما علي وفاطمة، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن: ٢٢]؛ يعني الحسن والحسين[6].

وقال بعضهم: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟

= الحديث ولا هو يفسر برأيه ولا يوصف بالخطأ، ـ والله أعلم.
انظر: مقدمة في أصول التفسير: ٣٠، وإعلام الموقعين: ١/ ٦١.

(١) في الإتقان: ٤/ ١٨٤: «معني».

(٢) في الإتقان: ٤/ ١٨٤: «فلم يأخذه» بالفاء.

(٣) في الإتقان: ٤/ ١٨٥: «مذهب».

(٤) في (هـ) و(ح): «معترض»، وما أثبته في الإتقان: ٤/ ١٨٥.

(٥) في تفسيره: ١/ ١٨، والكواشي في «تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر»: ١٤٢.

(٦) انظر: البرهان في تفسير القرآن لهاشم الكتاني: ٤/ ٤٦٥.

فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى [في][1] تفسير شيء من القرآن، إن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ في ذلك.

ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علماً.

أحدها: اللغة؛ لأن بها يعرف (شرح)[2] مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

قال مجاهد[3]: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب. وتقدم قول مالك في ذلك[4]. ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها، فيكون اللفظ مشتركاً، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر.

الثاني: النحو؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب [فلا بد من اعتباره][5].

وأخرج أبو عبيد عن الحسن، أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته. فقال الحسن[6]: فتعلمها؛ فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك [فيها][7][8].

الثالث: التصريف؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ. قال ابن فارس[9] ومن

---

(١) ساقط من الإتقان: ٤/ ١٨٥.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٥.

(٣) نقلاً عن البرهان للزركشي: ١/ ٢٩٢.

(٤) وهو ما رواه البيهقي في الشعب عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٥.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) وفي مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ١٣.

قال الحسن: أهلكتهم العجمة يقرأ أحدهم الآية فيعيا بوجوهها حتى يفتري على الله فيها.

(٨) أي يصعب عليه تفسيرها ويعجز عن فهمها، فيحملها على غير معناها، فيكون ذلك سبب وقوعه في الإثم.

(٩) في كتابه: «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها»: ١٩١.

فاته علمه، فاته [المعظم][1]؛ لأن «وجد» مثلاً كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها.

وقال الزمخشري: من بدع التفاسير قول من قال: إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] جمع «أم»، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم، قال: وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف؛ فإن «أما» لا تجمع على «إمام»[2].

الرابع: الاشتقاق؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما، كالمسيح هل هو من السياحة أو من المسح[3].

الخامس، والسادس، والسابع: المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادة المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة في علوم البلاغة؛ وهي من أعظم أركان المفسر؛ لأنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه [العلوم][4].

قال السكاكي[5]: اعلم أن شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا التمرن في علمي المعاني والبيان.

وقال ابن أبي الحديد[6]: اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) انتهى كلام الزمخشري من الكشاف: ٢/ ٤٥٩.

(٣) وفي اللسان، مادة: (مسح): ٢/ ٥٩٤.

المسيح: الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام سمي بذلك لصدقه. وقيل: سمي به لأنه كان سائحاً في الأرض لا يستقر، وقيل: سمي بذلك لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بإذن الله، وقيل: سمي به لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. والمسيح الكذاب الدجال، وسمي الدجال مسيحاً لأن عينه ممسوحة عن أن يبصر بها.

(٤) في (هـ): «العلم»، وما أثبته من (ح) كما في الإتقان: ٤/ ١٨٦.

(٥) في مفتاح العلوم: ٦٥٣.

(٦) هو: عبد الحميد بن هبة محمد ابن أبي الحديد أبو حامد من أعيان المعتزلة عالم بالأدب، صاحب المصنفات منها: شرح منهج البلاغة، وتوفي سنة (ست وخمسين وستمائة). انظر: البداية والنهاية: ١٣/ ١٩٩، وفوات الوفيات: ١/ ٢٤٨.

[والأرشق][1] من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدليل عليه، وهو بمنزلة جاريتين [إحداهما][2] بيضاء مشربة بحمرة، دقيقة الشفتين، نقية الثغر، كحلاء العينين، أسيلة الخد[3]، دقيقة الأنف، معتدلة القامة. والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن، لكنها أحلى في العيون والقلوب منها، ولا يدرى سبب ذلك، ولكنه يعرف بالذوق والمشاهدة، ولا يمكن تعليله، وهكذا الكلام. نعم يبقى الفرق بين الوصفين، أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدرك كل من له عين صحيحة، وأما الكلام فلا يدرك إلا بالذوق، وليس كل من اشتغل بالنحو، واللغة، والفقه يكون من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق [هم][4] الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا أنفسهم بالرسائل، والخطب، والكتابة، والشعر، وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة؛ فإلى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض.

وقال الزمخشري[5]: [من][6] حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي [سليماً][7] من القادح.

وقال غيره[8]: معرفة هذه الصناعة بأوضاعها، هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة، وواسطة عقد البلاغة.

الثامن: علم القراءات؛ لأن به تعرف كيفية النطق بالقرآن. وبالقراءات ترجيح[9] بعض الوجوه المحتملة على بعض.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ)، وما أثبته من (ح).

(٢) في (هـ) و(ح): «أحدهما»، والصواب ما أثبته كما في الإتقان: ٤/ ٨٧.

(٣) وفي اللسان، مادة: (أسل): ١١/ ١٥ ورجل أسيل الخد إذا كان لين الخد طويله، وكل مسترسل أسيل.

(٤) ساقط من (هـ)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٧.

(٥) لم أعثر على ما قاله الزمخشري في كتابه، ووجدته نقلاً من البرهان للزركشي: ١/ ٣١١.

(٦) ساقط من (هـ)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٧.

(٧) (ح): «سليمان»، وهو تصحيف.

(٨) قاله الزركشي في البرهان: ١/ ٣١٢.

(٩) في الإتقان: ٤/ ١٨٧: «يترجح».

التاسع: أصول الدين؛ لما في القرآن[1] من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله.

فالأصولي يؤول [ذلك][2] ويستدلّ على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

العاشر: أصول الفقه؛ إذ به يعرف وجه [الاستدلال][3] على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: أسباب النزول والقصص، إذ بسبب النزول [يعرف به معنى الآية][4] المنزلة فيه بحسب ما أنزل فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ لعليم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»[5].

قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن، وما يستنبط منه [بحر لا ساحل له][6]، قال فهذه العلوم ـ التي كالآلة للمفسر ـ لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه.

قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع [لا][7] بالاكتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ.

---

(١) في الإتقان: ٤/١٨٧: «بما في القرآن»، والصواب ما أثبته.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) في (هـ): «استدلال».

(٤) في الإتقان: ٤/١٨٧: «يعرف معنى الآية».

في الاصطلاح: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي.

انظر: اللسان، مادة: (نسخ): ٣/٦١، ومناهل العرفان: ٢/١٧٦.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ١٠/١٥، في حديث طويل عن الإمام أحمد ثم قال أبو نعيم رحمه الله ـ تعليقاً على هذا الحديث ـ: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل.

(٦) (ح): «بحر لا حل له» وهو تصحيف.

(٧) ساقط من (هـ)، و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٨٨.

قلت[1]: ولعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا [شيء][2] ليس في قدرة الإنسان [تحصيله][3] [وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله][4] ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد.

[وقال في البرهان[5]: اعلم[6]] أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة، أو كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو هو مصر على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف [التحقيق][7]، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها [حجب وموانع][8] بعضها آكد من بعض.

قال الإمام السيوطي[9]: قلت: وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال سفيان بن عيينة يقول: أنزع عنهم فهم القرآن أخرجه ابن أبي حاتم[10].

وقد أخرج ابن جرير[11] وغيره من طرق[12] عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله. ثم رواه مرفوعاً بسند ضعيف بلفظ: «أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال

---

(١) القائل: السيوطي.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٨.

(٣) ساقط من الإتقان: ٤/ ١٨٨.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) ٢/ ١٨: بتصرف واختصار.

(٦) ساقط من (هـ)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٨، و(ح).

(٧) في (هـ): «بالتحقيق»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٨.

(٨) في (هـ): «حجب ومواضع»، وما أثبته من (ح).

(٩) هذا الكلام يشعر أن ما قبله من كلام المؤلف، ولكن هذا كله من الإتقان: ٤/ ١٨٨.

(١٠) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٤٧، والدر المنثور: ٣/ ١٢٧.

(١١) في تفسيره: ١/ ٢٦.

(١٢) في (هـ) و(ح): «طريق»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٨.

وحرام، لا يعذر أحد بجهالته، و[تفسير تفسره العرب][1]، وتفسير يفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله، ومن ادّعى علمه سوى الله فهو كاذب»[2].

قال الزركشي في «البرهان»[3] في قول ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: هذا تقسيم صحيح؛ فأما الذي تعرفه العرب، فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك اللغة والإعراب. فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها، ولا يلزم ذلك القارئ. ثم إن كان ما تتضمنه[4] ألفاظها يوجب العمل دون العلم، كفى به خبر الواحد. والاثنين، والاستشهاد بالبيت والبيتين، وإن كان يوجب العلم لم يكف ذلك، بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ، وتكثر شواهده من الشعر.

وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلاً[5] للمعنى وجب على المفسر والقارئ تعلمه؛ لوصول[6] المفسر إلى معرفة الحكم، ويسلم[7] القارئ من اللحن، وإن لم يكن محيلاً[8] للمعنى وجب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن، ولا يجب على المفسر لوصوله[9] إلى المقصود بدونه[10].

وأما ما لا يعذر أحد[11] بجهله، فهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من

---

(١) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٨.

(٢) قال الطبري: في إسناده نظر؛ لأن الذي رواه هو الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، أنه ليس من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله.

تفسير ابن جرير: ١/ ٢٦، وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر: ١/ ٧٦.

ونقله في البرهان: ٢/ ١٦٤ عن عبد الرزاق في تفسيره.

(٣) ٢/ ١٦٤.

(٤) في (هـ): «يتضمنه»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٩، كما في البرهان: ٢/ ١٦٥.

(٥) في (هـ) و(ح): «مخلا»، وما أثبته من البرهان: ٢/ ١٦٥، والإتقان: ٤/ ١٨٩.

ومحيلاً: مفسداً، يقال: أحلت الكلام أحيله إذا أفسدته. انظر: اللسان: ١١/ ١٨٦، مادة: (حول).

(٦) في البرهان للزركشي: ٢/ ١٦٥: «ليوصل».

(٧) في البرهان للزركشي: ٢/ ١٦٥: «ليسلم».

(٨) في (هـ) و(ح): «مخلا»، وما أثبته من البرهان: ٢/ ١٦٥، والإتقان: ٤/ ١٨٩.

(٩) في البرهان: ٢/ ١٦٥: «ليوصل».

(١٠) بعده في البرهان: ٢/ ١٦٥: «على أن نقص في حق الجميع».

(١١) في البرهان: ٢/ ١٦٥: «واحد».

النصوص المتضمنة شرائع الأحكام، ودلائل التوحيد. وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً يعلم أنه مراد الله، فهذا القسم [لا يلتبس][1] تأويله؛ إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وأنه لا شريك له في الإلهية[2]، وإن لم يعلم أنّ «لا» موضوعة في اللغة للنفي و«إلا» للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر، ويعلم كل أحد بالضرورة[3] أن مقتضى قوله تعالى: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» [البقرة: ٤٣] ونحوها [من الأوامر][4]، طلب إيجاد[5] المأمور به [في الوجود][6] وإن لم يعلم أن صيغة «اِفْعَلْ» للوجوب[7]، فما كان من هذا القسم لا يعذر أحد [يدعي][8] الجهل بمعاني ألفاظه؛ لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة.

وأما ما لا يعلمه إلا الله، فهو ما يجري مجرى الغيوب، نحو الآي المتضمنة لقيام الساعة[9]، وتفسير الروح، والحروف المقطعة، وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق، فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله[10].

وأما ما يعلمه العلماء، ويرجع إلى اجتهادهم، فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وذلك استنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم، وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً، فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي، فإن كان أحد المعنيين

---

(١) في (هـ) و(ح): «يلتبس» بدون «لا»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٨٩، كما في البرهان: ٢/ ١٦٥.

(٢) البرهان: ٢/ ١٦٥: «الهبته».

(٣) في (هـ) و(ح): «للضرورة»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٨٩، كما في البرهان: ٦/ ١٦٦.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩٠، كما في البرهان: ٢/ ١٦٦.

(٥) في الإتقان: ٤/ ١٩٠: «إدخال».

(٦) ساقط من (هـ)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩٠، والبرهان: ٢/ ١٦٦.

(٧) البرهان: ٢/ ١٦٦: «مقتضاها الترجيح وجوباً أو ندباً».

(٨) في (هـ): «عن»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩٠.

(٩) في الإتقان: ٤/ ١٩٠: «قيام الساعة» وكذلك في البرهان: ٢/ ١٦٦.

(١٠) بعدها في البرهان: ٢/ ١٦٦: «فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه ما استأثر الله بعلمه».

أظهر وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي. وإن استويا ـ والاستعمال فيهما حقيقة؛ لكن في أحدهما حقيقة لغوية[1] أو عرفية[2]، وفي الآخر شرعية[3] ـ فالحمل على الشرعية أولى، إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية كما في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، [ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحمل على العرفية أولى وإن اتفقا في ذلك أيضاً][4]، وإن تنافى اجتماعهما ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقرء للحيض والطهر، اجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه، فما ظنه فهو مراد الله تعالى حقه، وإن لم يظهر له شيء فهل يخبر في الحمل على أيهما شاء، أو يأخذ بالأغلظ حكماً أو بالأخف أقوالاً. وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة، إلا أن يدل دليل على إرادة أحدهما إذا عرف ذلك فينزل حديث: «من تكلم في القرآن برأيه»[5] على قسمين من هذه الأربعة.

---

(١) الحقيقة اللغوية: هي إطلاق لفظ على معناه الأصلي اللغوي كقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾، فإن المراد بالصلاة هنا الدعاء، وهو معناه الأصلي اللغوي.

(٢) الحقيقة العرفية: عندما نريد أن نعرف الحقيقة العرفية علينا أن نعرف معنى «العرف». وهو: ما تعوّده الناس أو جمع منهم وألفوه حتى استقر في نفوسهم من فعل شاع بينهم، أو لفظ كثر استعماله في معنى خاص بحيث يتبادر منه عند إطلاقه دون معناه الأصلي. والمراد هنا هو الثاني: يعني تعارف الناس على إطلاق لفظ على معنى غير معناه الأصلي، بحيث يتبادر منه هذا المعنى العرفي عند إطلاقه بدون حاجة إلى قرينة؛ لأن المعنى اللغوي مهجور لا يقصد من اللفظ إلا بقرينة تدل على إرادته. كتعارفهم إطلاق لفظ «الولد» على الذكر دون الأنثى مع أنه في اللغة شامل للنوعين. انظر: أصول الفقه الإسلامي محمد مصطفى شلبي: ١/٣١٣.

(٣) الحقيقة الشرعية: هي إطلاق لفظ على معنى غير معناه الأصلي لدليل شرعي. كإطلاق لفظ «الحج» على قصد بيت الله الحرام، مع أنه في اللغة يطلق على كل قصد. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

(٤) وفي البرهان للزركشي: ٢/١٦٦: وكذلك إذا دار بين اللغوية والعرفية، فالعرفية أولى لطريانها على اللغة، ولو دار بين الشرعية والعرفية، فالشرعية أولى؛ لأن الشرع ألزم.

(٥) في البرهان: ٢/١٦٨: «من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»، والحديث أخرجه أحمد في مسنده: ١/٢٦٦.

أحدهما: تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له إلى التبحر[1] في معرفة لسان العرب.

والثاني: حمل اللفظ المحتمل على أحد معنييه لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع (من العلوم، والتبحر)[2] في العربية واللغة، ومن علم الأصول[3] ما يدرك به حدود الأشياء، وصيغ الأمر والنهي والخبر، والمجمل والمبين، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه، والظاهر والمؤول، والحقيقة والمجاز، والصريح والكناية.

ومن الفروع ما يدرك به الاستنباط، [والاستدلال][4] على هذا أقل ما يحتاج إليه، ومع ذلك فهو على خطر، فعليه أن يقول يحتمل كذا، ولا يجزم إلا في حكم اضطر إلى الفتوى به، فأدى اجتهاده إليه، [فيجزم مع تجويز خلافه][5]. انتهى[6].

وقال ابن النقيب جملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول [العلوم][7] التي يجوز معها التفسير.

[**الثاني**: تفسير][8] المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثالث: التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً، والتفسير تابعاً [له][9]، فيرد إليه بأي طريق أمكن، وإن كان ضعيفاً.

الرابع: التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى.

---

(١) في (هـ) و(ح): «التجرد»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩١.

(٢) في (ح): «من العلم التجرد».

(٣) في (هـ) و(ح): «ومن الأصول»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩١.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩١.

(٥) في الإتقان: ٤/ ١٩١: «فيحرم خلافه مع تجويز خلافه عند الله».

(٦) انتهى كلام الزركشي. في البرهان: ٢/ ١٦٤ ـ ١٦٨ مع تصرف واختصار.

(٧) (ح): «العلم».

(٨) ما بين القوسين ساقط من: (ح).

(٩) ساقط من الإتقان: ٤/ ١٩١.

ثم قال: واعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام:

الأول: علم لم يُطْلع الله عليه أحداً من خلقه، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته، (ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته، وتفاصيل علوم)[1] غيوبه التي لا يعلمها إلا هو، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجماعاً.

الثاني: ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به، وهذا لا يجوز فيه إلا له ﷺ أو لمن أذن له.

قال: وأوائل السور من هذا القسم. وقيل: من القسم الأول.

الثالث: علوم علّمها الله ـ جل شأنه ـ نبيه بما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية وأمره بتعليمها، وهذا ينقسم إلى قسمين.

منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع، وهو أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، واللغات، وقصص الأمم الماضية، وأخبار ما هو كائن من الحوادث، وأمور الحشر والمعاد.

ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من ألفاظ، وهو قسمان:

قسم: اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات.

وقسم: اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية، والفرعية، والإعرابية؛ لأن معناها على الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة، وضروب المواعظ، والحكم والإشارات لا يمتنع استنباطها منه، واستخراجها [لمن له أهلية ذلك][2] انتهى ملخصاً.

وقال أبو حيان[3]: ذهب بعض من عاصرناه إلى أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تركيبه[4] بالإسناد إلى مجاهد، وطاوس[5]، وعكرمة،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الإتقان: ٤/ ١٩١.

(٢) في الإتقان: ٤/ ١٩٢: «لمن له أهلية».

(٣) في مقدمة تفسيره: ١/ ٥ بتصرف.

(٤) في مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٥: «تراكيبه».

(٥) هو: طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمٰن الهمداني من أكابر التابعين تفقهاً في الدين، ورواية للحديث، وجراءة على وعظ الخلفاء والملوك، ولد باليمن سنة (ثلاث وثلاثين)، =

وأضرابهم، وأن فهم الآيات متوقف على ذلك، قال: وليس كذلك.

وقال الزركشي[1] بعد حكاية ذلك: الحق أن علم التفسير، منه ما يتوقف على النقل، كسبب النزول، والنسخ، [وتعيين المبهم][2]، وتبيين المجمل.

ومنه ما لا يتوقف، ويكفي في تحصيله التفقه[3] على الوجه المعتبر. قال: وكأن السبب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل، التمييز بين المنقول والمستنبط، ليحمل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط.

قال: واعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد، والأول إما أن يرد عن النبي ﷺ، والصحابة، أو رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان ـ فلا شك [في اعتمادهم][4] ـ [أو بما شاهدوه][5] من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، وحينئذٍ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذلك[6]، وإن تعذر قُدِّم ابن عباس؛ لأن النبي ﷺ بشره بذلك حيث قال: «اللهم علّمه التأويل»[7].

وقد رجح الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ قول زيد[8] في الفرائض لحديث:

= وتوفي بالمزدلفة حاجاً سنة (ست ومائة).

انظر: تهذيب التهذيب: ٨/٥، ووفيات الأعيان: ١/ ٢٣٣.

(١) في البرهان: ٢/ ١٧١ ـ ١٧٢.

(٢) ساقط من الإتقان: ٤/ ١٩٢، وفي (هـ) و(ح): «تبيين المبهم»، وما أثبته من البرهان: ٢/ ١٧١.

(٣) في (هـ) و(ح): «الثقة»، وما أثبته من البرهان: ٢/ ١٧١.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩٣، كما في البرهان: ٢/ ١٧٢.

(٥) في الإتقان: ٤/ ١٩٣: «أو بما شاهده».

(٦) في الإتقان: ٣/ ١٩٣: «فذاك» كما في البرهان: ٢/ ١٧٢.

(٧) سبق تخريجه.

(٨) هو: زيد بن ثابت أبو خارجة الأنصاري الخزرجي الصحابي، كان رأساً في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ من الأنصار، وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر ثم لعثمان، وتوفي سنة (خمس وأربعين من الهجرة). انظر: الإصابة: ١/ ٢٩٥، وطبقات القراء: ١/ ٢٩٦.

«أفرضكم زيد»[(١)]، [وأما ما ورد عن التابعين فحيث جاز الاعتماد فيما سبق فكذلك هنا، وإلا وجب الاجتهاد][(٢)]، وأما ما لم يرد فيه نقل فهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب «المفردات»[(٣)].

فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ؛ لأنه اقتضاه السياق[(٤)]. انتهى.

وقال الإمام الحافظ السيوطي[(٥)] ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي ﷺ والصحابة، فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف. وقد تم ـ ولله الحمد ـ في أربع مجلدات، وسميته «ترجمان القرآن»[(٦)]، ورأيت أنا في أثناء تصنيفه النبي ﷺ في المنام، في قصة طويلة تحتوي على بشارة حسنة.

تنبيه:

من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة؛ وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان، فيظن اختلافاً، وليس باختلاف، وإنما كل تفسير على قراءة، وقد تعرض السلف لذلك.

فأخرج ابن جرير[(٧)] في قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥] من طريق[(٨)] ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وغيره. أن «سكرت»

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ٤/ ٣٣٥، كتاب الفرائض، باب قال النبي ﷺ: «أفرض أمتي زيد بن ثابت»، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ)، و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن.

(٤) البرهان: ٢/ ١٧٢ بعنوان: «تنخيل لما سبق» مع تصرف واختصار.

(٥) في الإتقان: ٤/ ١٩٣: «قلت».

(٦) ترجمان القرآن في تفسير المسند ذكره صاحب كشف الظنون، ولم يصل إلينا.

(٧) في تفسيره: ١٤/ ٩، ١٠.

(٨) في الإتقان: ٤/ ١٩٤: «طرق».

بمعنى «سدت» ومن طريق[1] أنها بمعنى «أخذت».

ثم أخرج[2] عن قتادة قال: من قرأ «سكّرت» بشدة[3] فإنما يعني «سدت»، ومن قرأ «سكرت» مخففة فإنه يعني «سحرت»، وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع.

ومثله قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] أخرج ابن جرير[4] عن الحسن: أنه الذي تهنأ[5] به الإبل.

وأخرج[6] من طريق[7] عنه وعن غيره: أنه النحاس المذاب، وليسا بقولين؛ وإنما الثاني تفسير لقراءة من «قَطِرٍ آنٍ» بتنوين «قطر»، وهو النحاس و«آن» شديد الحر، كما أخرجه ابن أبي حاتم[8] هكذا عن سعيد بن جبير. وأمثلة هذا النوع كثيرة، والكافل ببيانها كتابنا «أسرار التنزيل»[9].

وقد خرجت على هذا قديماً الاختلاف الوارد عن ابن عباس وغيره في تفسير آية «أو لامستم» هل هو الجماع، أو المس[10] باليد، فالأول تفسير لقراءة «لامستم» والثاني لقراءة «لمستم» ولا اختلاف.

---

(١) في الإتقان: ٤/ ١٩٤: «طرق».

(٢) في تفسيره: ١٤/ ١٠.

(٣) في الإتقان: ٤/ ١٩٤: «مشددة».

(٤) في تفسيره: ١٣/ ١٦٨.

(٥) وفي اللسان: ١/ ١٨٦، و٥/ ١٠٥،، مادة (هنأ) و(قطر): هنأ البعير: تقول: هنأت البعير، بالفتح، أهنؤه إذا طلبته بالهناء، وهو القطران، وهو عصارة الأبهل والأرز ونحوهما يطبخ فيتحطب منه، ثم تهنأ به الإبل.

(٦) في تفسيره: ١٣/ ١٦٨.

(٧) في الإتقان: ٤/ ١٩٤: «طرق».

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤/ ٩٢.

(٩) قال محقق أسرار ترتيب القرآن للسيوطي الأستاذ عبد القادر أحمد عطا: ٥٩: يقول السيوطي: إن كتابه هذا عجالة من موسوعته الكبرى التي أشار إليها في مقدمة هذا الكتاب والتي سماها «أسرار التنزيل» ولم نعثر على «أسرار التنزيل» للسيوطي، وإنما عثرنا على «أسرار التنزيل» للفخر الرازي الذي لم يكمله وهو مخطوط بدار الكتب المصرية، ولم يشر إليه السيوطي رغم إعجابه بالفخر الرازي... فالظاهر أن السيوطي أراد أن يكمل «أسرار التنزيل» للرازي، أو يكتب كتاباً باسمه ينهج فيه منهجاً بعيداً عن إتمامه... رغم أنه أشار إلى مسائل في الإتقان...

(١٠) في الإتقان: ٤/ ١٩٤: «الجس».

فائدة:

قال الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ في مختصر البويطي[1]: لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول الله ﷺ، أو عن أحد من الصحابة أو إجماع العلماء، «هذا نصه»[2].

فصل[3]

وأما كلام الصوفية ـ رضي الله تعالى عنهم ـ في القرآن فليس بتفسير.

قال ابن الصلاح[4] في فتاويه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمٰن السلمي «حقائق التفسير» فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر.

قال ابن الصلاح: وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم، إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً، ولا ذهب به مذهب الشرح[5] للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن؛ فإن النظير يذكر بالنظير؛ ومع ذلك، فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والإلباس[6].

---

(١) هو: يوسف بن يحيى أبو يعقوب القرشي البويطي صاحب الإمام الشافعي، قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى، له المختصر: في الفقه، اقتبسه من كلام الشافعي، توفي سنة (إحدى وثلاثين ومائتين) في السجن في محنة خلق القرآن وبويط من أعمال الصعيد الأدنى بمصر.

انظر: تاريخ بغداد: ١٤/ ٢٩٩، وطبقات السبكي: ١/ ٢٧٥، ووفيات الأعيان: ٢/ ٣٤٦.

(٢) لم أعثر عليه.

(٣) في الإتقان: ٤/ ١٩٤: «فصل في تفسير الصوفية»، وهي زيادة من محققه.

(٤) هو: عثمان بن عبد الرحمٰن أبو عمرو الشهرزوري الشافعي المعروف بابن الصلاح، وهو محدث، مفسر، فقيه، أصولي، ومن تصانيفه علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، وشرح مشكل الوسيط للغزالي، وتوفي سنة (ثلاث وأربعين وستمائة للهجرة).

انظر: طبقات الشافعية: ٨/ ٣٢٦، وطبقات المفسرين: ١/ ٣٧٧.

(٥) في (هـ) و(ح) زيادة كلمة «من» «من مذهب الشرح»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩٥.

(٦) نقلاً عن البرهان للزركشي: ٢/ ١٧٠.

وقال النسفي[1] في عقائده[2]: النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان [يدعيها أهل الباطن إلحاد[3]. قال التفتازاني[4] في شرحه[5]: سميت الملاحدة لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها[6]، بل لها][7] معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية.

قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص [محمولة][8] على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف[9] على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان.

قلت[10]:

والقسم الأول: هم الباطنية من الإسماعيلية[11] القائلين بأن معاني القرآن

---

(١) هو: عمر بن محمد نجم الدين أبو حفص النسفي، صاحب العقائد يعرف بعقائد النسفي، و«طلبة الطلبة» في الاصطلاحات الفقهية، توفي سنة (سبع وثلاثين وخمسمائة للهجرة).

انظر: الفوائد البهية للكنوي: ١٤٩، ولسان الميزان: ٤/ ٣٢٧.

(٢) شرح العقائد النسفية: ١/ ٢٠٤ من مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية للعلامة التفتازاني.

(٣) الإلحاد هو الميل عن الحق، والزندقة وإنكار الأديان.

(٤) هو: مسعود بن عمر أحد محاسن الدنيا الذين اشتهرت مصنفاتهم، كما انتهت إليه رئاسة الحنفية، وتوفي سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة. انظر: الدرر الكامنة: ٤/ ٣٥٠، وبغية الوعاة: ٣٩١، والفوائد البهية: ١٣٤.

(٥) شرح العقائد النسفية: ١/ ٢٠٤.

(٦) في «شرح العقائد النسفية»: ١/ ٢٠٤: «على ظواهرها».

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩٥، كما في شرح العقائد النسفية: ١/ ٢٤.

(٨) كلمة (محموله) ساقطة من (هـ) و(ح) والإتقان: ٤/ ١٩٥، وما أثبته من شرح العقائد النسفية: ١/ ٢٠٤.

(٩) في (هـ): «ينكشف» وما أثبته من (ح)، والإتقان: ٤/ ١٩٥ كما في شرح العقائد النسفية: ١/ ٢٠٤.

(١٠) القائل: المؤلف.

(١١) هم: الذين يقولون بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر، والباطنية أشهر ألقابهم، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب =

كلها مراد بها غير ظاهرها وأنه لا يفهمها إلا المعلم، وهو (الإمام)[1] عندهم الذي يعتقدون فيه الحلول، وهم قوم أهل ضلالة وعماية.

والقسم الثاني: هم الصوفية (ـ قدس الله سرهم ـ)[2] وسئل[3] شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني[4] عن رجل قال: في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أن معناه: من ذل؛ أي من الذل، «ذي» إشارة إلى النفس. «يشف» من الشفاء جواب «من». «ع» أمر من الوعي، فأفتى بأنه ملحد. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ [فصلت: ٤٠]، قال ابن عباس [ـ رضي الله تعالى عنهما ـ][5] هو أن يوضع الكلام على غير موضعه أخرجه ابن أبي حاتم[6]. فإن قلت: فقد أخرج الفريابي: [حدثنا][7] سفيان، عن يونس بن عبيد[8]، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل آية ظهر وبطن، [ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع]»[9]. وأخرج

= (فبالعراق) يسمون: (الباطنية، والقرامطة، والمزدكية).
الملل والنحل: ١/ ١٩١ ـ ١٩٢.

(١) (ح): «الأدر».

(٢) (ح): «قدس الله أسرارهم».

(٣) عود إلى كلام السيوطي في الإتقان: ٤/ ١٩٥.

(٤) هو: عمر بن رسلان أبو حفص المصري الشافعي المجتهد الحافظ من مصنفاته: «محاسن الاصطلاح»، وتوفي سنة (خمس وثلاثمائة).
والبلقيني: بفتح القاف وسكون الياء، نسبة إلى قرية بلقين غرب مصر.
انظر: الضوء اللامع: ٦/ ٨٥، والشذرات: ٧/ ٥١.

(٥) ما بين القوسين ساقط من: (ح).

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥/ ٣٦٦.

(٧) في (هـ): «في حديث».

(٨) هو: أبو عبد الله البصري من حفاظ الحديث الثقات، توفي سنة (١٣٩هـ).
انظر: تهذيب التهذيب: ١١/ ٤٤٢، والأعلام: ٨/ ٢٦٢.

(٩) في (هـ): «ولكن حرف مد، ولكن حد مطلع»، وما أثبته من (ح) كما في الإتقان: ٤/ ١٩٦. ذكر ابن الأثير في النهاية: ٣/ ١٦٦: أنه يجوز أن تقرأ (مطلع) بوزن مصعد، ومعناه: أي لكل حد مصعد يصعد إليه من معرفة علمه. ويجوز أن تقرأ (مطلع) وهو ـ في الأصل ـ مكان الاطلاع من موضع عال، ومعناه: أن لكل حد منتهكاً ينتهكه مرتكبه، أي أن الله ﷻ لم يحرم حرمة إلا علم أن سيطلعها مستطلع.

الطبراني وأبو يعلى[1] والبزار[2] وغيرهم عن ابن مسعود موقوفاً: «إن هذا القرآن ليس منه إلا له حد ولكل حد مطلع»[3].

قال الحافظ السيوطي في «الإتقان»[4]: قلت: أما الظهر والبطن ففي معناه أوجه:

أحدها: أنك إذا بحثت عن باطنها، وقسته على ظاهرها وقفت على معناها[5].

والثاني: أن ما من آية إلا عمل بها قوم، ولها قوم سيعملون بها، كما قال ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبي حاتم[6].

الثالث: أن ظاهرها لفظها وباطنه تأويلها[7].

الرابع: قال أبو عبيد ـ وهو أشبهها بالصواب ـ: أن القصص التي قصّها الله عن الأمم الماضية، وما عقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وإنما هو حديث (حدّث)[8] به (عن قوم)[9]، وباطنها وعظ الآخرين وتحذير أن يفعلوا كفعلهم فيحلّ بهم مثل ما حلّ بهم[10].

وحكى ابن النقيب قولاً خامساً: أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم

---

(١) هو: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى التميمي الموصلي له مصنفات منها، مسندان كبير وصغير. من علماء الحديث ثقة مشهور، توفي سنة (سبع وثلاثمائة). انظر: الرسالة المستطرفة: ٥٣، والأعلام: ١/ ١٧١.

(٢) هو: أحمد بن عمرو أبو بكر البزار، حافظ من العلماء بالحديث له مسندان أحدهما كبير سماه: «البحر الزاخر»، والثاني صغير، توفي سنة (اثنتين وتسعين ومائتين).
انظر: تذكرة الحفاظ: ٢/ ٢٠٤، والشذرات: ٢/ ٢٠٩.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير: ١/ ٤١٨. وعد الألباني الحديث ضعيفاً في ضعيف الجامع الصغير وزياداته: ٢/ ١٧ رقم ١٣٣٨.

(٤) كلام للمؤلف بين كلام السيوطي.

(٥) وهو قول الحسن نقله في النكت والعيون للماوردي: ١/ ١٩٦.

(٦) المصدر السابق.

(٧) وهو قول الجاحظ. المصدر السابق.
وانظر معنى العبارة في: «النهاية في غريب الحديث والأثر»: ٣/ ١٦٦.

(٨) ساقط من (ح).

(٩) كلمة (عن) ساقطة من الإتقان: ٤/ ١٩٦.

(١٠) قول أبي عبيد في كتابه: «غريب الحديث»: ٢/ ١٣.

بالظاهر، وبطنها[1] ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق. ومعنى قوله: «ولكل حرف حد»؛ أي منتهى فيما أراد الله [من معناه، وقيل][2]: لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب.

ومعنى قوله: «ولكل حد مطلع» لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته، ويوقف على المراد به.

وقيل: كل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه في الآخرة عند المجازاة[3].

وقال بعضهم: الظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد أحكام الحلال والحرام، والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد.

قال السيوطي[4]: قلت: يؤيد هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: إن القرآن ذو شجون[5]، وفنون[6]، وظهور، وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايته، فمن أوغل[7] فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء.

قلت[8]: وقد سبق الكلام في معنى ظاهر القرآن وباطنه، وحدّه ومطلعه، في نوع مخصوص أول الكتاب[9].

---

(١) في (هـ) و(ح): «وبعضها»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩٦.

(٢) في (هـ) و(ح): «من معناها ودليل»، والصواب ما أثبته كما في الإتقان: ٤/ ١٩٦.

(٣) في (هـ) و(ح): «عند المجاوزة»، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ١٩٦.

نقل الإمام السيوطي في الإتقان: ٤/ ١٩٦ هذه الأقوال عن الماوردي في النكت غير أنه لم يشر إلى ذلك، وكذلك الإمام الزركشي. انظر: البرهان: ٢/ ١٦٤ ـ ١٦٩.

(٤) هذا الكلام يوهم أن ما قبله من كلام المؤلف، وهو ليس كذلك بل كله نقول عن السيوطي.

(٥) ذو شجون: شعب متماسكة. انظر: اللسان لابن منظور، مادة: (شجن): ١٣/ ٢٣٣.

(٦) فنون: أنواع من العلوم، وهي جمع الفن. انظر: اللسان، مادة: (فنن): ١٣/ ٣٢٦.

(٧) أوغل: دخل. انظر: اللسان، مادة: (وغل): ١٣/ ٧٣٢.

(٨) القائل: المؤلف.

(٩) انظر: النوع: ٣٦.

وقال[1] ابن سبع[2] في «شفاء الصدور»: ورد عن أبي الدرداء أنه قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهاً.

وقال ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن[3]. قال: وهذا الذي قالاه لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر. وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم؛ فهذا [يدل][4] على أن في فهم معاني القرآن [مجالاً][5] رحباً ومتسعاً بالغاً، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه بالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر بل لا بد منه أولاً إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادّعى بلوغَ فَهْمِ أسرار القرآن، ولم يُحْكم التفسير الظاهر فهو كمن ادّعى البلوغ إلى صدر البَيت قبل أن يجاوز الباب[6]. انتهى.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله[7] في كتابه: «لطائف المنن»[8]: اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني العربية ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له، ودلت عليه في عرف اللسان، وثَمَّ أفهامٌ باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه.

---

(١) عود إلى كلام السيوطي.

(٢) هو: سليمان بن سبع أبو الربيع السبتي صاحب شفاء الصدور.
انظر: كشف الظنون: ١/ ١٠٥٠.

(٣) ليثور القرآن: أي لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته، وأصل المادة: الثوران وهو الحركة والانتشار.
انظر: النهاية لابن الأثير: ١/ ٢٢٩.
وفي النهاية لابن الأثير: ١/ ٢٢٩، بلفظ: «من أراد العلم فليثور القرآن» وفي رواية: «أثيروا القرآن فإنه فيه علم الأولين والآخرين».

(٤) في (هـ): زيادة كلمة «ما»: «ما يدل».

(٥) في (هـ): «مجلها»، وما أثبته من (ح) كما في الإتقان: ٤/ ١٩٧.

(٦) منقول عن البرهان للزركشي: ٢/ ١٥٤.

(٧) هو: أحمد بن محمد ابن عطاء الله الإسكندري، أحد العلماء الجامعين علوم الدين: من التفسير، والحديث، والأصول، والتصوف. استوطن القاهرة للوعظ، ثم رحل إلى الإسكندرية، ومات بها سنة (٧٠٩هـ).

(٨) «لطائف المنن» لتاج الدين ابن عطاء الله، في مناقب شيخه أبي العباس المرسي.

وقد جاء في الحديث: «لكل آية ظهر وبطن» فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول ذو جدل ومعارضة: وهذه[1] إحالة لكلام الله وكلام رسوله. فليس ذلك [بإحالة][2]، وإنما كان يكون إحالةً لو قالوا[3]: لا معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك؛ بل يقرؤون الظواهر على ظاهرها [مراد بها موضوعاتها][4]، ويفهمون عن [الله][5] ما أفهمهم[6].

فصل

قال العلماء يجب على المفسر [أن يتحرى في التفسير][7] مطابقة المفسر، وأن يتحرز[8] في ذلك من نقص عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسَّر فيه من زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه، وعليه [بمراعاة][9] المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف، والغرض الذي سبق له الكلام، وأن يؤاخي بين المفردات، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما تجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فيتكلم عليها من جهة اللغة، ثم التصريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب، ثم ما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم تبين المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات.

وقال الزركشي في أوائل «البرهان»[10]: قد جرت عادة المفسرين أن يبدؤوا بذكر أسباب النزول[11]، ووقع البحث في أنه: [أيما أولى البداءة به بتقديم

---

(١) في الإتقان: ٤/١٩٨: «هذا».
(٢) ساقط من (هـ)، وهو في الإتقان: ٤/١٩٨.
(٣) في (هـ) و(ح): «لو قال»، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٩٨.
(٤) في (هـ): «مراداً موضوعاتها»، وما أثبته من (ح) كما في الإتقان: ٤/١٩٨.
(٥) لفظ الجلالة غير موجود في (ح).
(٦) في (هـ) و(ح): «ما فهمهم»، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٩٨.
(٧) ساقط من (هـ)، وما أثبته من (ح) كما في الإتقان: ٤/١٩٨.
(٨) في (هـ) و(ح): «وأن يتحد»، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٩٨.
(٩) ساقط من (هـ) و(ح)، وهو في الإتقان: ٤/١٩٨.
(١٠) ١/ ٣٤.
(١١) في الإتقان: ٤/١٩٨: «سبب النزول»، كما في البرهان: ١/ ٣٤.

السبب][1] على المسبب، أو بالمناسبة لأنها المصحّحة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول. قال: والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة [متوقفاً على سبب النزول، كآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨][2]، فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب؛ لأنه حينئذٍ من باب تقديم الوسائل على المقاصد، وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة][3]، وقال في موضع آخر[4]: جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها في أول كل سورة؛ لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزمخشري، فإنه يذكرها في آخرها.

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكرماني: سألت الزمخشري عن العلة في ذلك؟ فقال: إنها[5] صفات لها، والصفة تستدعي تقديم الموصوف. وكثيراً ما يقع في كتب التفسير «حكى الله كذا» وينبغي تجنبه.

قال الإمام أبو نصر القسيري في «المرشد»:

(قال معظم أئمتنا: لا يقال: «كلام الله محكي» ولا يقال: «حكى الله»)[6]؛ لأن الحكاية الإتيان بمثل الشيء، وليس لكلامه مثل، وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار، وكثيراً ما يقع في كلامهم إطلاق الزائد على بعض الحروف[7]، وقد مرّ في نوع الإعراب[8].

---

(١) في (هـ) و(ح): «أيما أولى البداءة به ليقدم السبب»، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٩٨.

(٢) وسبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ لما فتح مكة وقبض مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة، فنزل جبريل ﷺ برد المفتاح، فدعا النبي ﷺ عثمان بن طلحة ورده إليه، وقرأ هذه الآية. انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٢٢، وتفسير الشوكاني: ١/٤٨٠.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٩٨.

(٤) البرهان: ١/٤٣٢.

(٥) في الإتقان: ٤/١٩٩: «لأنها».

(٦) في (هـ) و(ح): «قال أئمتنا: لا يقال: «كلام الله»، ولا يقال: «حكى الله كذا»»، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٩٩.

(٧) منقول عن البرهان: ٢/١٧٨، وذكر في آخره: كـ«ما» في نحو: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والكاف في نحو: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] ونحوه.

(٨) وانظر: الإتقان، النوع الحادي والأربعين في معرفة إعرابه: ٢/٢٦٠.

وعلى المفسر أن [يتجنب][1] ادعاء التكرار ما أمكنه. قال بعضهم: مما يدفع وهم[2] التكرار في عطف المترادفين نحو: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾ [المدثر: ٢٨]، ﴿صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وأشباه ذلك. [وأن يعتقد][3] أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما، فإن التركيب يحدث معنى زائداً. وإذا كانت كثرة الحروف يفيد زيادة المعنى، فكذلك زيادة الألفاظ. انتهى[4].

وقال الزركشي في «البرهان»[5]: ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوّز.

وقال في موضع آخر: على المفسر مراعاة مجازي الاستعمالات في الألفاظ التي يظن بها الترادف، والقطع بعدم الترادف ما أمكن؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا [على][6] جوازه في الإفراد. انتهى.

وقال أبو حيان[7]: كثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب[8] بعلل النحو، ودلائل مسائل[9] أصول الفقه، [ودلائل مسائل الفقه][10]، ودلائل أصول الدين، وكل ذلك[11] مقرر في تأليف[12] هذه العلوم.

---

(١) في (هـ) و(ح): «يبحث»، وما أثبته من الإتقان: ٤/١٩٩.
(٢) في الإتقان: ٤/١٩٩: «توهم».
(٣) في الإتقان: ٤/١٩٩: بدون الواو: «أن يعتقد».
(٤) لم أعثر عليه.
(٥) ١/٣١٧.
(٦) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/٢٠٠.
(٧) في مقدمة تفسيره: ١/٥.
(٨) في مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٥: «من ذلك الإعراب».
(٩) كلمة «مسائل» ساقطة من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٥.
(١٠) ساقط من (هـ) و(ح) ومقدمة تفسير أبي حيان: ١/٥، وما أثبته من الإتقان: ٤/٢٠٠.
(١١) في مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٥: «وكل هذا».
(١٢) في (هـ) و(ح): «تواليف»، وما أثبته من الإتقان: ٤/٢٠٠ كما في مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٥.

وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم[1] التفسير دون استدلال عليه، وكذلك أيضاً ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول، وأحاديث في الفضائل، وحكايات لا تناسب، وتواريخ إسرائيلية، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير[2].

فائدة:

قال ابن أبي حمزة: عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: لو شئت أن أوقر سبعين [بعيراً][3] من تفسير أم القرآن لفعلت. وبيان ذلك أنه إذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يحتاج إلى تبيين [معنى][4] الحمد، وما يتعلق به الاسم الجليل الذي هو الله، وما يليق به من التنزيه، ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهي ألف عالم، أربعمائة في البر، وستمائة في البحر، فيحتاج إلى بيان ذلك كله.

فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال وما معناها، ثم يحتاج إلى [بيان جميع الأسماء والصفات][5]، [ثم يحتاج إلى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما][6].

فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأهوال وكيفية مستقره.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته، والعبادة[7] وكيفيتها وصفتها، وآدائها على جميع أنواعها، والعابد في صفته،

---

(١) في (هـ) و(ح): «علوم التفسير»، وما أثبته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/ ٥ كما في الإتقان: ٤/ ٢٠٠.

(٢) انتهى كلام أبي حيان في مقدمة تفسيره: ١/ ٥.

(٣) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٢٠٠.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٢٠٠.

(٥) في (هـ) و(ح) زيادة كلمة: «ذلك» هكذا: «بيان ذلك جميع الأسماء والصفات».

(٦) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبته من الإتقان: ٤/ ٢٠١.

(٧) عرّف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة في كتابه: «العبودية»: ٣٨ فقال: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

والاستعانة[1] وآدابها، وكيفيتها.

فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة يحتاج إلى بيان الهداية ما هي[2]؟، والصراط المستقيم[3] وأضداده، وتبيين المغضوب عليهم ولا الضالين[4]، ....

---

(١) ومفهومها كما قال البيضاوي في تفسيره: ١/٣٣: طلب المعونة، وهي إما ضرورية وهي ما لا يتأتى الفعل دونه، كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها، وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة. وغير ضرورية وهي تحصيل ما تيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي.

(٢) بين الراغب في المفردات، مادة: (هدى): ٧٨٤ الهداية وأنواعها حيث قسم هداية الله تعالى للإنسان أربعة أقسام:

الأول: هداية عم بجنسها كل مكلف، وهي ما أودعه الله فيه من عقل، وفطرة، ومعارف ضرورية.

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الرسل. فهي بمعنى الدلالة والبيان، وهي المقصودة في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

الثالث: بمعنى التوفيق الذي يختص من اهتدى. وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿... وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة.

ثم قال: وهذه الهدايات الأربع مترتبة فإن لا تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية.

(٣) اختلف العلماء في المراد بـ ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾:

١ ـ هو كتاب الله تعالى، قاله علي بن أبي طالب.

٢ ـ هو الإسلام، قاله جابر وابن عباس وغيرهما.

٣ ـ هو رسول الله ﷺ وما حباه أبو بكر وعمر.

٤ ـ هو الحق قاله مجاهد.

قلت: وهذا الاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد فلا منافاة بينها، وما أحسن ما فسره به شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: فإن ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أن يفعل العبد في كل وقت ما أمر به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا يفعل ما نهي عنه.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٤/٣٧.

(٤) وأكثر المفسرين على أن ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ هم اليهود، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ هم النصارى، منهم الطبري: ١/٦١، وابن كثير: ١/٢٩، والقرطبي: ١/١٤٩، لكن هذا القول لا على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل بأحد أفراد الجنس، وهو من باب تمثيل العام بأوضح أفراده وأشهرها، ومعلوم أن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضلال كما ورد بذلك الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال» أخرجه الترمذي وحسنه كتاب التفسير، باب تفسير الفاتحة: ٥/٢٠٤.

وصفاتهم، وما يتعلق [بهم][1] بهذا النوع، وتبيين المرضي عنهم[2]، وصفاتهم وطريقتهم، فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله علي من هذا القبيل.

---

(1) ساقط من (ح).

(2) المراد بالمرضي عنهم في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة